

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_I 190904

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No 1-2/191541.9 accession No 1A.42

Author : الحبيب اوى و مازن

Title *المسألة الأولى في الشرح*

This book should be returned on or before the date
last marked below

أَصْدَاءُ الدِّينِ

في الشعر المصري الحديث

الجزء الأول

من مطامع العصر الحديث إلى نمرة ١٩١٩

ألف

سعد الدين محمد خباز

مصر - دار الكتب - ١٩٢٠

الطبعة الأولى

مستند الشعر والنثر

مكتبة نهضة مصر بالجيزة

١٨ شارع كامل مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« . . فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيمًا ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ
لِحَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .
» سورة الروم ٣٠ «

* * *

ولولا الدينُ كانت كلُّ نفس كمثل الوحشِ تَسْكُنُ لِلْوَتَابِ
رأيتُ الدينَ والأرواحَ وِميًا كاصْحَبِ الْعَرِيبِ أَخَا اعْتِرَابِ
إلى الله المآبُ ؛ فكيفَ يَعْمَى أحو الأسماءِ عَنْ طُرُقِ الْمآبِ ؟
وما طَمَى ' وَفِي جَمْعِي سَهْرٌ تَدْفُقُ بَيْنَ قَلْبِي وَالْحِجَابِ ؟

° * °

هذا الكتاب

هو موضوع رسالة جامعية لدرجة « الماجستير » ،
وقد استغرق تأليفه ست سنوات متوالات ، وحصل
على تقدير « جيد جدا » من اللجنة المؤلفة في الخامس
من يناير سنة ١٩٥٦ برئاسة السيد الأستاذ عمر الدسوقي
وعضوية الأسناذين على الهندي والدكتور أحمد الحوي

الاهداء

إلى ذلك المعهد الخالد الذى يقوم على خدمة
اللغة العربية من قرابة قرن من الزمن فيحسن القيام .
إلى دار العلوم فى ماضيها المحيد وحاضرها
النضير ومستقبلها الزاهر أهدي كتابي ؟

مصر الجديدة فى أكتوبر سنة ١٩٥٦

تصدير

بقلم الأستاذ عمر الرسوفى

رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

هذا بحث من المحوث القيمة التى يسهم بها أبناء دار العلوم فى خدمة أدننا الحديث وليس المبحث فى الأدب الحديث بالأمر الهين كما يتصور بعض الناس ، بل هو فى كثير من الأحيان أشق من البحث فى الأدب القديم ؛ لأن السلف من علمائنا وأدائنا قد حللوا لما تراثنا طيباً غريباً بالمادة التى يستطيع الباحث أن يتناولها بالمقد والتجليل والوارنة ، ويحد فيها ما يلتقى بعض الأصواء التى تكشف العامص حول موضوع من الموضوعات أو شخصية من الشخصيات الأدبية ، وفى حين يحد الباحث فى الأدب الحديث هذه المادة بأقصة ، أو مطمورة فى الصحف والمجلات القديمة ، أو فى الدواوين والسكتب التى عمرها السيان .

هذا ويتميز أدننا الحديث بتأثره إلى حد كبير بالثقافة العربية ذات التيارات المتباينة والمداهب المتنوعة والأنوان المختلفة ، ويتميز الأدباء فى مدى تأثرهم بهذه الثقافة تبعاً لبيتهم الخاصة ، ومدى استمدادهم للتجاوب معها . وحرى بالباحث التثبت المحقق أن يقف على كل هذه الأمور قبل أن يصدر حكمه النهائى فيما يعالجه من موضوعات

والببحث الذى بين أيدينا قد بذل فيه صاحبه السيد سعد الدين الحيراوى جهداً حميداً حيث تناول موضوعاً من الموضوعات الطريفة وهو (أصداء الدين فى الشعر الحديث) تتبع فيه تطور هذه الأصداء منذ مستهل نهضتها الحاضرة ، وتعمق فى دراسة كل مرحلة من هذه المراحل مبيناً العوامل التى تكمن وراء هذا التطور كاشفاً عن الكثير من الحقائق والأشعار والدواوين التى يكاد يأتى عليها السيان .

وقد استهل المحث بتمهيد قيم عن أثر الدين في الآداب بعمامة وفي الأدب العربي
والعصرى بخاصة ، ووفق كل التوفيق فيما انتهى إليه من حقائق .

وأنا لا أستطيع في هذا التصدير أن أحل الرسالة وأكشف عن مواطن القوة فيها
فهى كثيرة جداً ، وبحسبى أن أنوه بأنها تاريخ وافٍ لتيار من التيارات الفكرية الأدبية
في مصر ، حيث كان الدين ولا يزال ذا سيطرة روحية عظيمة على فلوب الأدباء والشعراء
عاطفة ظاهرة علوية تدفعهم إلى التعمير عنها في قوالب وأساليب مختلفة .

إن هذا المحث حدير بكل تقدير واهتمام لأنه يتمير بكل حصائص البحوث الجامعية
المتارة من دقة في الاستمطاط ، وإحاطة بالمرامح ، واستيعاب للحقائق كما يتمير بالرصانة
في التعمير ؛ وإنى أدع القارئ يكشف عن هذه الميراث بنفسه وأرحو لسانه كل توفيق
في بحثه القادم الذى يتم به هذا الموضوع الطريف الخطير ، والله يهدينا وإياه لأفوم سبيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

عندما أتيت لي فرصة الالتساب للدراسات العليا بكلية دار العلوم آثرت أن أختار لدرجة « الماجستير » موضوعا يتصل بالأدب المصرى الحديث ، لأن دراساتا المعاصرة لهذا الأدب لم تستوف بعد كل عناصره ، وما زال الكثير منه فى حاجة إلى كشف ودراسة وتمحيص . وقد رأيت أن هناك ناحية هامة لم تنتج إليها عناية الدارسين من مؤرخى الأدب وبقاده فى العصر الحديث ألا وهى علامة هذا الأدب بالدين ، فاعتزمت على أن أدرس هذه العلاقة وأبين مدى آثارها .

ولكى وحدت — بعد أن قرأت وأحدثت فى الدراسة — أن تحت هذه العلاقة فى الشعر والنثر جميعاً يحتاج إلى أصناف مصاعفة مما يتطلبه بحث « الناحستير » .

ولكى تكون الدراسة مجدية ، والبحث مستوفياً عناصره رأيت أن أقصر دراستى على بحث العوامل الدينية وصداتها فى الشعر من مطلع العصر الحديث إلى نهاية الثورة المصرية سنة ١٩١٩

والذى حدا بى أن أتجه إلى دراسة الناحية الدينية فى الشعر هو أن الشعر العربى قد أصبح أول العيون الإسلامية المعرة عن الشعور الدينى عند المسلمين من يوم أن حرم الإسلام هون التمييز الأخرى كالنحت والتصوير وما إليها مما كان قد نشأ من إيماءات دينية عند الأمم القديمة . والعقيدة الدينية متمثلة فى حيايا النفوس البشرية ، ودات أثر فعال فى التفكير الإنسانى وأنحاهاه من يوم أن بدأ الإنسان يحس بأنه فى حاجة إلى تدين ، وقد ظهرت آثارها فى نشأة الآداب عند مختلف الأمم منذ القدم .

والأدب العربى ودراساته المحتلعة التى ظهرت بين ضروب الثقافة الإسلامية من لدن ظهور الإسلام إلى يومنا هذا كل ذلك قد تأثر إلى حد بعيد بالقرآن الكريم .

وإذا مارحنا إلى تاريخنا المصرى الحديث وبحسنا أصول مهتتنا وحدنا أن « الدين » كان من العوامل الفعالة فى هذه النهضة ، فالأساس الأول فى دعوة السيدى همال الدين

ومحمد عبده كان لفت نظر الأمة إلى مرايا الإسلام ، وبيان أن ما أصاب المسلمين من تدهور والمحطاط وتأحر إنما يرجع إلى بعدهم عن حقيقة الإسلام وأنه لا يرجى لهذه الأمة نهوض أو تقدم أو عره إلا بالعودة إلى الإسلام في صورته الصافية التي كان عليها أيام عمر المسلمين . . والشعر في كل زمان ومكان بصور أحوال الأمة العامة ويسجل اتجاهاتها الفكرية المختلفة ومعتقداتها .

وإذا ما رحمنا إلى شعرنا الحديث في دواوين الشعراء المطبوع منها والمخطوط وإلى الصحف المطوية والدكرات التي كانت تسجل هذا الشعر وحدها قدراً كبيراً منه بصور المظاهر الدينية في الحياة المصرية الحديثة وبسهم في معاونة الداعين إلى النهضة الإسلامية ويعف سيعاً مصلتنا على من يحاولون أن يبالوا من الإسلام .

ومن ثم فإن موضوع بحثنا سيكون دراسة الظروف الدينية التي مرت بها مصر -- في فترة من الزمن^(١) -- ثم دراسة ما قد تأثر تلك الظروف من شعرنا الحديث من حيث الانتاج والصيغة العامة ، ثم التعقيب على هذه الدراسة .

ونقصد « بالعامل الديني » هنا الظروف والماسحات ذات المطهر الديني التي تكون سبباً في إنشاء لون من الشعر لم يكن ليبشأ على هذه الصيغة الخاصة لولا تلك الظروف فلولاً مطاعن هابوتو وكرومر في الإسلام ولولا أعمال المنشرين في كمائتهم ومستشفياتهم حينما كانوا يحاولون تصير أبناء المسلمين مثلاً ، لم لذلك ما أشئت القصائد الكثيرة في الرد عليهم . ولعلقة « الديني » على إطلاعهما تشمل « الإسلام » وغيره ، ولكننا سنقصر بحثنا على ما يتعلق « بالدين » الإسلامي لندره ما عداه حتى لا يتشعب الموضوع .

* * *

ولم أحد مصادر ميسرة أرجع إليها في هذا البحث سواء في دراسة العوامل الدينية المختلفة أم بمداح الشعر . ولذلك كثيراً ما كمت أفرأ مرجعاً كاملاً لاستخلاص منه عبارة أستعين بها في تصوير ما أريد . وأكثر المصادر التي عيت بدراسة عصرنا الحديث وتحديث في دقة

وتفصيل عن البقطة الإسلامية في مصر وفي الشرق وعن مركز الخلافة العثمانية وعلاقتها بالأمم الإسلامية كانت مصادر أجنبية لعلماء الجليل وأمريكان وورسين ، فكنت أقرأ ما هو مترجم منها وأستمع لبعض الأساتذة في ترجمة ما يحتاج إلى مساعدة .

ومن الصعوبات التي لقيتها تحديد الاطار الذي يجمع ألواناً خاصة من الشعر يمكننا أن نطلق عليها « الشعر الديني » .

وقد كانت القصائد التي حتمتها تحت هذا العنوان مبعثرة في دواوين الشعراء والصحف من عبر تمويب أو ترتيب

ولم يرع أكثر جامعي الدواوين — ولا سيما ديوان شوقي — الترتيب الزمني لوضع القصائد أو وضع تاريخ أو فكره عن المناسبة لكل قصيدة ، وهذه ناحية لها أهميتها في البحث العلمي وقد أجهدتني كثيرا .

وبعض الدواوين قد نهدت طبعاته ولا توجد منه نسخة بدار السكت كديوان أحمد محرم إذ اضطرت للسفر إلى دمهور لاستمارة الجزء الثاني الذي يضم شعره من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩٢٠ وبه كثير من الشعر الديني الذي استشهد به في تلك الفترة .

• وأهم المصادر التي رجعت إليها في هذا البحث هي :

١ — « تاريخ الجهرتي ^(١) »

المسمى بمعائب الآثار في التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجهرتي المتوفى سنة ١٢٤٠ ، وقد استعنت بالجزأين الثالث والرابع في دراسة العوامل الدينية في الفترة الأولى ^(٢) . ولا سيما فيما يتعلق بالحركة الوهابية .

٢ — « تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ^(٣) » .

للسيد رشيد رضا وهو ثلاثة أجزاء ويعتبر الجزء الأول منه من أرق المراجع في تاريخ كعاح الأستاذ الإمام وما أسداه للإسلام من خدمات أما الجزء الثاني فقد تضمن ما أنشأه

(١) وهو أربعة أجزاء — الطبعة الشرقية سنة ١٣٢٢

(٢) قسمنا البحث فترتين كما سنرى .

الإمام من مقالات ورسائل خاصة والجزء الثالث كان فيما قيل من مرأى الإمام

وقد انتفعت بهذا السفر القيم في دراسة العوامل الدينية للفترة الثانية

٣ — « تاريخ الحركة القومية والثورة العراقية^(١) » .

للسيد عبد الرحمن الرافعي وهو حمسة أحرار صورت تاريخنا الحديث تصويراً مفصلاً،

وقد أفدت كثيراً من الجزء الخاص بالثورة العراقية في تصوير العامل الديني في تلك الفترة

٤ — « حاصر العالم الإسلامي^(٢) »

للعالم الأمريكي « لوتروب استودارد » وتعريب الأستاذ عجاج نويهص ومعه مقدمة

للأمير شكيب أرسلان^(٣) ، وقد تحدث عن عوامل الهبات في الشرق الإسلامي خلال

القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وقد انتفعت به في معرفة اتجاهات مهتدا الدينية في العصر الحديث .

٥ — « الإسلام والتحديد في مصر^(٤) »

للدكتور « تشارلز آدمس » وتعريب الأستاذ عباس محمود ومعه مقدمة للأستاذ مصطفى

عبد الرارق وهو من المؤلفات العلمية الدقيقة في بيان نشأة حركة الإصلاح في مصر وتطورها،

ودراسة مرتبة معضلة لمراحل كفاح الأستاذ الإمام محمد عمده وصلته وتأثره بمجال الدين

ثم لمدرسته من بعده .

وقد أفدت كثيراً من هذا الكتاب في معرفة مجهودات الإمام رضى الله عنه

ولم يسبق هذا البحث في دراساتها الحديثة بحث مماثله ، أو كان على غطه ، لأنه تصمن

تحديد نقطة هامة لم تكن واصحة إلى اليوم فيما كتبه العقاد والمؤرخون الحديثون وهي

تعريف الشعر الديني وأعراسه المتنوعة ، ثم إنه لم يقف بالحديث عند شاعر واحد أو عرض

(١) طبعة سنة ١٩٣٠

(٢) وهو حرآآن -- طبعة الأولى للترجمة سنة ١٩٢٥

(٣) توفى « ١٣ المحرم سنة ١٣٦٦ هـ »

(٤) الطبعة الأولى سنة ١٩٣٥

واحد بل تناول الكثير من الشعراء الذين كانت في شعرهم اتجاهات دينية ، وجمع في سميد واحد نماذج لكل ما يعتبر شعرا دينيا من شعرنا الحديث في فترة من الزمن طويلة .

ولكن هناك فريقا من الباحثين المهتمين بالدراسات الأدبية الحديثة قد عرصوا لهذه الدراسة ، إما في اجمال وإما بالحديث عن شاعر واحد أو عرص واحد ، أو في إشارات عارة جاءت عرصاً في ثنايا دراساتهم العامة للشعر أو الأدب بعامة

وسكني هنا بالإشارة إلى ما جاء في ذلك :

١ - « في الأدب الحديث ^(١) »

وهو الأستاذ عمر الدسوقي ، وقد ظهر منه جزءان ، وهو بحث فيم في تاريخ الأدب المصري الحديث وتطوره وعوامل هيوصه . وقد ألم بأطراف الموضوع في دفعة وشمول وتركيب للخطوط الرئيسية للدراسة حتى أصبح مرجعاً هاماً لارما لكل دارسي هذا الأدب . وقد تعرض للعلاقة بين الدين والأدب - وهو ما يمس صميم بحثنا في ثلاثة مواضع من الجزء الثاني .

في الفصل الأول عندما تحدث عن « المؤثرات العامة في الشعر الحديث » وذكر « مظاهر الهصة القومية » أشار إلى أن « الهصة الدينية ^(٢) » كانت من العوامل ذات الأثر لعمال في ذلك الشعر ثم تحدث في إبحار معن عن نواث هذه الهصة وتطورها بمدى آثارها .

وفي الفصل الثاني عندما تحدث عن أعراس الشعر أشار إلى « الشعر الديني ^(٣) » بين لك الأعراس وذكر أمثلة لطائفة منها

وفي الفصل الثالث عندما تحدث عن الشعراء أشار إلى « الشعر الديني » عند عبدالمطاب ^(٤) . أوضح اتجاهات هذا الشاعر الدينية في شعره

(١) الجزء الثاني طعة سنة ١٩٥٩ والأول الطعة الثانية سنة ١٩٥١

(٢) ١٩١ - ١٩٥ .

(٣) - ٢٤٠ -

(٤) - ٣٤٤ - ٣٥٢

ولقد لفتت هذه التوجيهات كذلك نظرى إلى ضرورة استيفاء هذه الدراسة وتفصيل ما أحله الأستاذ ولما عرّضت عليه الأمر استحسن هذا الاتجاه ووافق عليه ثم قل مشكوراً الاشراف على هذا البحث

٢ - « الدين والأخلاق في شعر شوقي^(١) » .

للاستاذ على السجدي ناصف ، وهو بحث قيم تناول ناحية مشرقة من شعر شوقي بالعرض والتحليل ، وكشف حاصية لم يتسه إليها الدين قاموا بدراسة شوقي ، وللاكتاب مقدمة تعرض فيها للحديث عن المادية والروحية ، وعن مهصتنا الدينية الحديثة .

وهو وإن لم يتناول دراسة الشعر الدينى عند جميع الشعراء الحديثين فإنه أوضح السبيل لتلك الدراسة .

٣ - « المدائح المصوية في الأدب العربى^(٢) » .

للمرحوم زكى مبارك ، وقد تناول نشأة تلك المدائح وتطورها وهو لم يتعرض إلى هذه المدائح في الشعر المصرى الحديث ولكنه يعتمر محاولة في الاتجاه إلى العناية بالشعر الدينى

٤ - أصول النقد الأدبى^(٣)

للاستاذ أحمد الشايب وقد تعرض فيه لعلاقة الدين بالأدب في فصلين من الباب الأول :
في الفصل السادس عند الحديث عن « وظيفة الأدب في الحياة^(٤) » حيث قد أشار إلى خدمة الأدب للدين ووسائل ذلك .

وفي الفصل السابع عند ما تعرض إلى « العوامل المؤثرة في حياة الأدب^(٥) » حيث قد أوضح ما للدين من سلطان قوى على الآداب وما كانت له من آثار في نشأة الأدب عند مختلف الأمم

٥ - « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماصى^(٦) »

(١) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨

(٢) الطبعة الأولى سنة ١٩٣٥ .

(٣) الطبعة الثالثة -- مطبعة الاعمال سنة ١٣٤٦

(٤) ص ٧٧ (٥) ص ٨٨

(٦) طبعة سنة ١٩٥٠ ص ٤٩ — ٥٠

للأستاذ عباس محمود العقاد ، وقد تعرض فيه للحديث عن شعر عند المطلب الديني ولكن من وجهة الدراسة الفنية في الألفاظ والأساليب . وقد كانت ملحوظاته في هذا الشأن قيمة إذ أوضحت ناحية ذات أهمية في اتجاه الدراسات النقدية الحديثة .

* * *

ويشتمل هذا البحث بعد هذه المقدمة على تمهيد ، ثم بابين ثم خاتمة .
وقد قصدت من التمهيد إعطاء فكرة عن « الدين » وأهميته في سلوك الإنسان ، ثم توضيح العلاقة بين الدين والأدب ، ثم تحديد الألوان المختلفة من الشعر التي تعد باعتبار بواعثها ومظاهرها شعرا دينيا .

وطرا طول الفترة التي سبقتها لها بالدراسة ، واحتلاف الظروف العامة قبل الاحتلال الإنجليزي وبعده فقد قسمت تلك الفترة قسمين : الأولى من عهد الحملة الفرنسية إلى الثورة العراقية والثانية من أول الاحتلال إلى نهاية الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ .
وقد حصصت الباب الأول لدراسة الفترة الأولى وحملته ثلاثة فصول . .
وقد تناول الفصل الأول عرضا سريعاً للأحوال السياسية ، ثم دراسة العوامل الدينية في تلك الفترة

وتناول الفصل الثاني عرض نماذج من الشعر الديني والماسمات الموحية به . وقد راعيت سبب هذا الشعر حسب الأعراس التي قيل فيها . ثم ذكرت الشعراء مرتين في كل عرض ترتيباً زمنياً ، ومن ثم فقد يرد ذكر الشاعر في أكثر من موضوع .
وفي الفصل الثالث تناولت هذا الشعر من وجهة الدراسة الفنية والمؤارة وبيان أثر الدين فيه ، ومبرراته بين ميون الأدب .

أما الباب الثاني فقد حصصته لدراسة الفترة الثانية ، وحملته كذلك ثلاثة فصول على عطف الباب الأول

وحصصت الخاتمة للتلخيص والمؤارة العامة ، والملاحظات التي مرت بنا في تلك الدراسة ثم بيان أهمية هذا البحث في تاريخ الأدب الحديث ونقده .

وقد آثر هذا المنهج في البحث لأن دراسة العوامل الدينية في فصل مستقل ،
ثم عرض النماذج الشعرية في فصل آخر ثم تخصيص الدراسة الفنية بفصل ثالث
يحمل الصورة المقصودة من الدراسة كاملة متناسقة واضحة ، وتكون الموارنة
منسورة محدية .

* * *

والله أسأل — وهو يعلم مقدار ما بدلت من جهد في هذا البحث — أن يحمله حالصا
لوجهه الكريم مؤديا رسالته التي قصدت إليها في خدمة العلم إنه سميع مجيب . . .

التعهد

التمهيد

بين الدين والأدب

(١)

لما كانت دراسة « العوامل الدينية » حرة من محشاهذا كان لزاما عليما أن يقدم كلمة في هذا التمهيد تلتقي ضوءا على مدلول لفظ « الدين » ، وتبين مدى الصلة بينه وبين الأدب . ولا يتسع المقام هنا لعرض كل ما يتطامه ذلك من تفصيلات قد تحتاج إلى أسفار ، ومن ثم فستقتصر حديثنا على قدر ما يتسع له هذا التمهيد .

ولفظ « الدين » - لانساع مدى مدلولاته - يعتبر من الألفاظ السكينة العامة المتشعبة المعاني ، وليس من اليسر تحديد معنى اللفظ العام تحديدا دقيقا .

ولذلك « يصعب عليما أن يعرف الدين تعريفا عاما إذا أردنا أن يكون التعريف منطقيا لأننا لا نقصد معنى الدين من حيث هو حق أو باطل ، بل نريد مفهومه الذي ترمى إليه جميع الأقوام والطوائف ، وذلك بحول دون التوصل إلى تعريفه تعريفا عاما شاملا مطبقا على مفهومه عند عامة الناس ، فإنما عندما نذكر كلمة « الدين » تمر في ذاكرتنا جميع الأدباء ، المائدة منها والحاضرة أي الأديان التي تديت بها جميع الطوائف والشعوب ، على اختلاف مبادئها وزعاتها ، وأن كلا من هذه الشعوب والطوائف يقصد بالدين معنى عبر المعنى الذي يقصده الآخر^(١)

وقد تعددت المحاولات وتشعبت الآراء للوصول إلى وضع تعريفات للدين تعبره إلى التحديد ، ومن ذلك ما ذكره المرحوم مصطفى عبد الرزاق من أن الكلمة التي تقابل عند الأمم الأوروبية لفظ « دين » العربي هي لفظ « Religion » ، المقترنة من اللغة اللاتينية ،

(١) مجلة الجامعة العراقية العدد الأول سنة ١٩٢٦ ص ١ - - من مجموعة الأستاذ عبد الحميد الهاشمي
أستاذ علم الأديان تلك الجامعة .

وقد اختلفوا في تحديد مبدأ الاشتقاق لصيغة «Religios» اللاتينية ، على أن أكثر المتقدمين يردّها إلى مادة تعيد معنى الربط الشامل لربط الناس ببعض الأعمال من جهة الترامهم لها ، وفرضها عليهم ولربط الناس بعضهم ببعض ، وانشر بالآلهة ، بل يحاول بعض متأخري العلماء أن يجعل مأخذ الكلمة شاملا لمعنى الربط وما إليه ،^(١) وبعد أن ذكر عدة تعاريف لعلماء مختلفين قال :

« على أن هذه الخبرة ، حيرة العلماء في تحديد عناصر الدين وهذا الخلاف بينهم على وضع تعريف يعبر عن حقيقة ، كل أولئك يدل على أن العلم لم يكشف الحجب عن الدين وأسراره وربما كان من عرور العقل البشرى أن يرغم لنفسه القدرة على هدم بناء متين متعلم الأسس في العطرة الإنسانية من قبل أن يعرف مواد هذا البناء »^(٢) .

وقد عرف تاعور شاعر الحمد « الدين » تعريفا أدبيا طريقا حيث قال :^(٣) « إن الدين لون من ألوان التعبير الإنساني عن العواطف والميول والمثل العليا » وإن هذا اللون من ألوان التعبير متصل أشد الاتصال بأمرجة الأفراد والأمم ، وممثل لها تمثيلا صادقا قويا . وهو طريق من الطرق التي تملكها الإنسانية إلى الجمال والحق والمثل العليا » .

وستطيع أن تقر دائرة تلك التعريفات وما شابهها فيقول . إن لعط الدين إذا أطلق دل على معينين أولهما عام والآخر خاص .

فأما المعنى الأول فهو ذلك الاحساس الباطني الذي يحده الإنسان على صورة ما أينما كان وكيما كان ويدفعه إلى اتحاد سلوك معين .

وهو على هذا الاعتبار ليس مقصورا على الأديان السجوية أو الأديان التي اتحدتها الإنسان من تخيلاته كمادة الأوثان والماز والسكواك . . بل هو يشمل ذلك الشعور العام الذي يوحه الإنسان ليدرك أن هناك قوة فوق قوته لا يستطيع لها دوما ولا منها مهربا .

(١) من كتابات الدس والوحي والاسلام صبعة الخبني سنة ١٩٤٥ س ٢١

(٢) المرجع السابق س ٣

(٣) مجلة الحديث لعدد ٤ صفحة ١٦ السنة السادسة

ومن ثم فقد ذهب ابراهيم بن سيار المطام^(١) إلى وحيوت معرفة الله مالى مالمقل لأن العقل مهياً بطمعه لأن بدرك الحسن والقبح وما يترتب عليهما من حراء .

« ولم يثبت التاريخ فوما لا دين لهم ، بل إنه مهما كان الإنسان متدنئاً فى حصاره كان يدين بدين ما يلائم طمعه ويوافق بيئته^(٢) ،

« وإنه منذ بداية العالم لا يوجد فط دين كله مبتدع ، وإنما لمجد عناصر الدين وحراريمه مهما سمونا فى تاريخ الإنسانية إلى أمد مدى مستطاع^(٣) ،

فمقول إذاً إن الدين بهذا المعنى الواسع هو إحساس يهيه الإنسان لبدرك أن هناك مؤثراً وراء حياته العادية وإن هذا المؤثر من العوامل الهامة فى توجيه السلوك الإنسانى وكأنه حاسة ثالثة من حواس الإنسان .

* * *

وأما المعنى الآخر الذى يفهم من لفظ « الدين » فهو ما يدل على الأديان ذات الطم والطوقوس المرعية ، وهو بهذا الاعتبار نوعان : أولهما ما كان أصداء للشعور المدانى العام الذى ذهب الانسان الأول فى تفسيره مذاهب شتى ، فراح يرى أن مصدر هذا الشعور هو ما يمكن فى مظاهر الطبيعة من قوة حارقة أو ما يحس به من عموص يعجر عن إدراك ما وراءه^(٤) فأحد يندى مظاهر الخصوع لتلك القوة الخفية عساه أن يصل إلى تفسير ما يلائم نفسه من عموص وحيرة ، وقد تمثلت تلك المظاهر فيما تحيله الإنسان الأول من إقامة الأوثان وعمادة النار والكواكب .

(١) الفرق الإسلامية للأستاذ محمود الشببى — المصدرة الرحمانية سنة ١٩٣٢

(٢) طه الهاشمى بك س ١ — مجلة الجامعة العراقية العدد الأول سنة ١٩٢٦

(٣) ماكس مولار — من كتاب الدين والوحي والاسلام لمصطفى عبد الرزاق سنة ١٩٤٥ م

(٤) يقول الدكتور طه حسين بن إيمان عبد المصطفى : « وكان عبد المصطفى أيضاً قوى الإيمان ، ملك قلبه وتسيطر عليه رعة دينة حادة عبيه ، ولكها عامصة ، تحبسها وتخصم له ، واسكنه لا يلبسها ولا يستطيع لها فهماً ولا تفسيراً » — على هامش السيرة سنة ١٩٣٢ س ١ — ويقول سديد فى تعريف الدين : « انه الشعور بأنها تسبح فى خصم من الأسرار » ويعرفه ماكس مولار بأنه « الشعور باللاهات » ويقول عنه شليوماشتر بأنه « الشعور بخصوصاً لوجود لا ياله إدراكها » ويعرفه م. باج بأنه « رسة التى تدفعنا نحو السعادة » ملخص منادى علم الاحماع الدينى س ٢٣ ترجمه الدكتور م. م.

والبوع الآخر هو الأديان السماوية التي جاءت عن طريق الوحي إلى الرسل الدين اصطفاهم رب العالمين وقد ذكر القرآن الكريم بعض هؤلاء الرسل الكرام ولم يذكر البعض الآخر^(١).

وذكره «تدين» الانسان بدين ما ممد أقدم العصور والحديث في «فطرية الدين واكتسابه»، من الأمور التي شغلت حيا كبيرا من تفكير العلماء قديما^(٢)، وصارت موضوع دراسات هامة لدى كثير من علماء أوروبا في العصر الحديث وقد عكف كثير من هؤلاء على بحث صلات الدين بالمواحي الاجتماعية والسياسية والحلقية^(٣).

ولقد تعددت نظريات «أصل التدين» عند هؤلاء العلماء ولا يتسع المقام هنا لسطها أو مناقشتها^(٤).

ولا سكاذ نجد مراجع حديثة في هذا الموضوع الهام باللغة العربية اللهم إلا ما كان مترجما كما فعل الدكتور قاسم في ترجمة «مبادئ علم الاجتماع الديني» لروحيه ناستيد الفرنسي، أو مقتسأ أكثره كما في كتاب «الدين والوحي والإسلام» لمصطفى عبد الرزق و«العلم والدين» للمشير أحمد عرب و«الله» لعباس العقاد.

وقد ذكر الإمام بن تيمية «أن الأفرار باعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته، حتى يحتاج إلى نظر تحصل له

(١) قال تعالى: «ولهذا أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك»

سورة عاشر ٧٨

(٢) وقد أورد الإمام العراقي فصلا كثيرا من الجزء الأول اسكتات الأحياء حاول فيه تعريف الإسلام والإيمان ص ٣١ وما بعدها — ويعرض ابن تيمية في الرسالة الرابعة عشرة لشرح حديث «كل مولود يولد على الفطرة» ص ٣٢٩ ويحدث عن فطرية التدين وكذلك علماء التفسير جميعا قد تعرضوا لذلك عند شرح مثل قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها».

(٣) ومن أزرر هؤلاء «هيجل الألماني» وهو أول من درس الأديان من الوجهة «الماوربيكية» أي ما وراء الطبيعة ومن الوجهة النفسية والتاريخية ووصل الدين بالفلسفة و«ماكس مولر» و«روحيه ناستيد» مؤلف علم الاجتماع الديني وأستاذه «سانت بيب» و«ديركام وغيرهم» راجع ترجمة الدكتور قاسم لمبادئ علم الاجتماع الديني.

(٤) كطرية «الوحي الذاتي» ماكس مولر و«أرواح الموت» لسبسر و«المادة الحية» لتينور «مبادئ علم الاجتماع الديني».

به المعرفة ، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظر ، كما اعترف بذلك حلوق كبير من أئمة الكلام »^(١) .

« وأن الشعور بوجود إله متصرف في الأكوام تصرفا عيبيا فوق تصرف المخلوقات مما يكون من إفصاء الأسباب إلى السببات ، قد عرف في جميع البشر ، من أولى القمائل الهمجية إلى أرقى شعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحماية العواة في صحارى أفريقيا وحرر المحيط . وفلاسفة اليونان في الماضي ، وفلاسفة الأفرنج الآن ، وقد عرف في الفريقين عند قدماء الأمم كالمصريين والسكندانيين واليهود كما هو معروف في هذا العصر ، ومثل هذا الاتفاق من الشرق والغرب ، والشمال والجنوب في جميع الأرمان من غير تواطؤ ولا تقليد ولا تعليم ، لا يعقل إلا أنه فطري في البشر » .

« وحتى لا يقل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الفور في طبيعة الإنسان ، وحتى لا يقل المراء أن الإنسان يحب أن يؤمن ولا يستقر في وسط هذه العوالم بغير إيمان .

وهو قد وحد في وسط هذه العوالم لامراء . فإذا كان الإيمان هو الحالة التي يتطلبها وجوده — فضعف الإيمان شذوذ يافص طبيعة التكون ويدل على حبل في السكبان .

وقد اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصل العقيدة الدينية في طمانع بنى الإنسان من أدم زمة التاريخ ولكهم لم يتفقوا على أصل العقيدة أو أصل الداعت عليها ، ولابد لها من ناعث ، ولن يكون الاختلاف على باعنها دليلا على بطلانها لأنها لا تأتي بغير ناعث يؤدي إليها كائنا ما كان »^(٢) .

ولأمير الشعر أحمد شوقي لعتة طريقة تشير فيها إلى فطرية المبحث عن الله تعالى والشوق إلى معرفته عند الإنسان منذ نشأته ، وقيل أن تأتيه الرسل وبعرو تقديس مظاهر السكون إلى الجهل بسلوك الطريق إلى تلك الغاية السامية التي يتامسها الإنسان لرضى ناحية كامنة في أصل فطرتة . . وذلك حيث يقول :^(٣) .

(١) الرسالة الرابعة عشرة من « ٣٢٩ »

(٢) من كتاب « الله » لعقاد من (٦) .

(٣) من قصيدة كبار الحوادث في وادي النيل > (١) من (٢٧)

رَبِّ : شَقَّتْ الْعَمَادَ أَزْمَانٍ لَا كُتِبَ بِهَا يُهْتَدَى وَلَا أُنْيَأُ
دَهْوًا فِي الْمَوَى مَدَاهِ شَقِيٍّ جَمَعَتْهَا الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَاءُ
وَأَبَدًا لَقِئُوا قَوِيًّا إِلَهًا فَلَهُ بِالْقَوَى إِلَيْكَ إِسْتِمَاءُ
وَإِذَا آتَوْا حَيْلًا يَتَنَزَّلُ بِهِ فَإِنَّ الْحَالَ مِنْكَ حَيَاءُ

* * *

رَبِّ : كَهْدِي عَقُولًا فِي صِبَاهَا نَالَهَا الْحَوَى وَاسْتَنَاهَا الرِّجَاءُ
فَعَشِقْنَاكَ قَتْلَ أَنْ تَأْتِيَ الرُّسُلُ وَقَامَتْ بُحْبُكُ الْأَعْصَاءُ
وَوَصَّلْنَا الشَّرَى فَلَوْلَا طَلَامَ الْحَمِّ
لَمْ لَمْ يَحْطَمَا إِلَيْكَ أَهْتِدَاءُ.

الح . .

وَإِذَا مَحَنَ أَمْعَا الظَّرِّ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَحَادِيثِ الْبُورِيَةِ الَّتِي تَعْرِضُ
« لِلْعَطْرَةِ » وَعِلَاقَتِهَا « بِالْدين » .

وَإِذَا مَا رَحِمْنَا إِلَى مَحَوِّ الْعُلَمَاءِ فِدْيَتِهَا وَحَدِيثِهَا فِي هَذَا الشَّأْنِ ، ثُمَّ إِذَا مَا رَحِمْنَا إِلَى
مَانَحِسِهِ فِي يَهُوسَا مَحْنِ ، أَيْقَانًا بَقِيَا لَا يَمْلِكُ الشُّكُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَلَقَ نَفُوسَ بَنِي آدَمَ
مُؤَهَّلَةً بِعَطْرَتِهَا إِلَى « التَّدين » بِصُورَةٍ مَا ، وَإِلَى التَّسْلِيمِ بِوُجُودِ الْإِلَهِ الْقَوِي الْقَاهِرِ
فَوْقَ عِبَادِهِ

عَرَأَنَّ هَذَا « التَّدين » الَّذِي يَدْرِكُهُ الْإِنْسَانُ بِعَطْرَتِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ عَامَ مَهْمٍ يَتَلَحَّصُ
فِي الشُّعُورِ بِوُجُودِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَوْثُرُ فِي هَذَا الْكَوْنِ تَأْثِيرَاتٌ لَا تَسْمُو إِلَيْهَا قُدْرَةُ النُّشْرِ
ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ مُعْرِضٌ لِأَنَّهُ يَطْفِئُ عَلَيْهِ عَوَامِلَ أُخْرَى تَصْعَقُهُ بِحُكْمِ الطُّرُوفِ الَّتِي تَمُرُ
بِالْإِنْسَانِ وَالدِّيْنَةِ وَالْعَوَارِ وَمَا إِلَيْهَا . . إِلَّا أَنَّ دَوْرَ هَذَا « التَّدين » تَطْلُ كَامَةً فِي حَيَاةِ
الْمَفْسِ الْإِنْسَانِيَةِ فَالْتَّالِيَةِ لِلْمَاءِ مِنْ حَدِيدٍ كُلِّهَا وَحَدِّ دَعَا بِسْتَسِيرُونَهَا وَمِنْ هُنَا نَدْرِكُ حِكْمَةَ
اللَّهِ تَعَالَى فِي إِرسَالِ الرُّسُلِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . .

ولكن « الدين » بهذا المعنى العام وحده غير كاف في توجيه علاقات الناس بعضهم ببعض ، لأن الإنسان خلق ليعيش جماعات بها روابط ومعاملات . ومهما سما الإنسان في تفكيره فليس يستطيع أن يصع التشريعات والقواعد الدقيقة في تنظيم تلك الروابط ، وإنما تكفل بذلك خالقه العليم الخبير بحمايا نفسه ودقائق تكويبه فوضع له من التشريعات السامية ما يلائمه في كل زمان ومكان

ومن هنا يدرك حكمة التدرج في التشريعات السماوية من لدن آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام .

وإذا ما أمعنا النظر في مهمة الرسل أنكرام بحدها وتلخص في أمرين كبيرين . أولهما : كبر الناس بأصل الفطره التي فطروا عليها بعد أن يكون قدرا على فلوهم . ما كانوا يكسمون

وثانيهما بيان الشرائع السماوية في تحديد علاقات الناس وصلاتهم وروابطهم على صورته تكفل سعادة المجتمع وتضمن لأفراده الأمن في الدنيا والآخرة ، ثم تكبر الناس كلما بسوا تلك الشرائع واحرفوا عن حادة الطريق « ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيى من حي عن بيته » ، وما كما معدبين حتى نبحث رسولا ،

ومن الأفكار التي شاعت في أوروبا في العصر الحديث أن الدين والعلم عدوان لدودان ولكن هذه الدعوى لم تلت أن أنهارت بأفلام وفلاسفة أوربيين ومن الذين قصدوا لهذه المفكرة هربارت سبنسر ومن أهم كمنه في ذلك « المادى الأولى » .

وود حمل المبدأ الأول من هذه المادى : « الحقيقة المعلقة » وهو يعنى بهذه الحقيقة تلك الدائرة المعرعة التي يدور حولها المباحثون عن إدراك حقيقة علة الكون .

« ولقد قدم بين يدي هذا الكتاب قضية لا يرتاب في صدها وهي أن كل دراسة تقصد إلى المبحث في حقيقة الكون واستقصاء علته تنتهى إلى مرحلة يقف حياها العقل عاجزا لا يستطيع أن يدرك عندها من الحق شيئا سواء سلك إلى ذلك سبيل الدين أو العلم أو ما شئت من سبل ^(١) .

(١) قصة الفلاسفة الحديثه لرحوم أحمد أمين وركى نجيب محمود ٢٠٠٠ ص ١٩٣٦ س (٤٧٦)

(م — ٢ — الأدب المصرى الحديث)

يقول : ابدأ بالدين واطر كيف يعمل الكون : هذا ملحد يحاول أن يقنعك بأن العالم وحد ذاته لم يشأ عن علة وليس له بد. ولا ختام ، فلا يسمعك أن تقابل قوله هذا إلا بالحدود والإسكار لأن العقل لا يسيع معلولا بغير علة ، وموجودا سار في الحياة شوطا لا بداية له . . ثم استمع إلى هذا الناسك المتدين : ها هو ذا يقص عليك علة الكون وكيف نشأ ، فخالق الكون عنده هو « الله » ولكنه لم يفسر بهذا الرأي من المشكلة شيئا . . .

خذ العلوم لعلك واجد عندها ما يشبع علتك . . سائل العلم : ما هذه المادة التي أراها وأمسها . . . تره يحلل لك المادة إلى درات ثم إلى دريرات أدق ثم إلى أحريات أكثر منها دقة ثم ماذا ! ! ها يقف العلم بين اثنتين : فهو إما أن يعترف بأن المادة قاذلة للتجزئة إلى ما لا نهاية له من الأجزاء ، وليس من اليسير أن تسيع هذا القول ، وإما أن يقرر بأن ثمت حدا يقف عنده التقسيم وهو ما يستحيل عليك أن تقنع به . . . إلى أن يقول :

وأى عرابة فيما يصادف العقل الدشرى من إلهام لا يقوى على معرفته ، إنه أعد لكي يفهم طواهر الأشياء. ولا يعرفوها إلى ما حنى وراء أستارها ، ولكنا في الوقت نفسه لا نستطيع أن ننكر هذا الشعور الذى تصطرب به نفوسنا من أن وراء هذا الغشاء الظاهر حقيقة كامنة حسب العقل أن يدرك وجودها أما إذا هم نحوها بالتحليل والتفصيل حر صريحا عاجزا . .

وعلى هذا الأساس من وجهة يصبح التوفيق بين العلم والدين هينا ميسورا : فليقتصر العلم دائرة بحثه على طواهر الأشياء دون أن يورط في المبحث عن حقائقها المستورة .

أما الدين فخير له أن يترك هذا العقل العميد الذى لا يطعن لغير الحججة المنطقية . قل للعالم أن يكف عن إثبات الله أو إنكاره فليس اللاهوت ميدانه الذى يصول فيه ويحول ، وفل للدين أن يكف عن مناسدة العقل لأنه لا يستقيم مع هججه في التفكير تر الدين والعلم أحوي متصافحين لكل منهما حلبة ومحال^(١)

* * *

ولئن كانت لهذا الكتاب قيمته في الدفاع عن الدين ورد موجة الإلحاد بابا لا نوافق سبيلس فيما ذهب إليه من مطالبته الدين أن يكف عن مناشدة العقل لأنه لا يستقيم مع نهجه في التفكير . لأن عجز العقل عن إثبات قصايا الدين ليس معناه بطلان تلك القصايا ولقد أسست الأيام للعقل كثيرا مما كان يعتبر أوهاما حاءت بها الأديان ، ولأدلى على ذلك من الاعتراف بكثير من نظريات الإسلام التي سمقت بقرون طويلة أحدث ماوصلت إليه العقلية الأوربية الحديثة .

« راجع كتاب : العلم والدين للمشير أحمد عزت باشا ترجمة حمزة طاهر الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ — لجنة الترجمة والتأليف »

* * *

ووفقا لما تقتضيه سمة التطور الشرى ، كانت الأديان السماوية المظلمة للملاقة بين العبد وربّه ، وبين الناس بعضهم ومعض متمشية في تشريعاتها تبعا لتطور الإنسانية ، فكل رسول كان يأتي مصدقا لما بين يديه من رسالة سالفة ، مضيفا إليها ما يكون عصره قد أصبح في حاجة إليه ، حتى كانت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام حاتمة الرسالات لأنها اشتملت على خلاصات الرسالات السابقة لها ، وتحارب الإنسانية التي مرت بها منذ نشأتها ثم على ما كانت تحتاجه الشرية في عصره صلى الله عليه وسلم وما يصلح شأنها فيما يليه من عصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لما تضمنته من مزايا خالدة ومبادئ قديمة سليمة .

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون التشريع الإسلامى — وهو خاتم التشريعات السماوية — ممبنا على أسس واضحة قوية تثبت لمواصف الرمن لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولقد أعان القرآن أنه إنما أنزل لإصلاح أحوال الناس ، ولذلك وردت الأوامر والواهى « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الحماث^(١) » وقد روعى في التشريع الإسلامى ثلاثة أسس :

الأول : رفع الحرج

والثاني : تقليل التكاليف .

والثالث : التدرج في التشريع^(١) »

والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالأدلة على ذلك كقوله تعالى « ويصع عنهم أصرهم والأعلال التي كانت عليهم^(٢) » وقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر^(٣) » وقوله تعالى يأبى الدين آمموا لا تسألوا عن أشياء أن تمد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تمدكم غفا الله عنها والله عمور حلیم^(٤) »

ولقد كان من ثمائل المي عليه الصلاة والسلام أنه « ماحر بين أمرين إلا احتار أيسرهما ما لم يكن إنما »

ولقد كان من مرايا تشريع القرآن الكريم وحكمته : « أنه قد راعى المصالح الضرورية والحاجية والكمالية ، فهو يشمل الكليات التي تنتهي إليها التشريع الإسلامي في جميع نواحيه وقد فرر علماء الأصول في تفصيل ذلك أن مقاصد التشريع الإسلامي ليست إلا تحقيق المصالح الضرورية والحاجية والكمالية لمي الإنسان والقرآن قد تضمن المواعيد البركالية المحققة لتلك المصالح جميعا ، واحتوى أصول أحكامها على ما ينبه الاستقراء والطر التفصيلي^(٥) »

ولا يصير تلك المادى أن عقل عنها أكثر من التي إليهم أمر حراستها . أو جهل حقائقها أكثر من انتسب إليها ، ولئى تمال منها سهام حصومها ، لأنها فس من نور الله ، وبأبى الله إلا أن يتم بوره .

ولسوف نأتى اليوم الذى تكشف فيه للعالم حقائق تلك الرسالة ويعود فيه الناس إلى التماس السعادة من بيايعها ، بعد أن شقوا في الاهتداء إلى تلك السعادة .

(١) تاريخ التشريع الإسلامى لديج محمد الحضرى الصبعة لراقة سنة ١٩٣٤ صفحة (١٨)

(٢) سورة الأعراف (٣) البقرة (٤) سورة المائدة

(٥) من بحث الأستاذ محمد شامعى الأمان في « مصادر التشريع الإسلامى » — العدد ١٠ من

مجلة انصاف المرحوم حسن البنا لسنة الأولى س ٥

واسوف يعم دين محمد السمح الكريم أرحاء العالم فإن رسالته لم تكن للعرب وحدهم وإنما كانت رحمة للعالمين

فلقد جاء الإسلام «لأرواحنا بمرءة» ولأجسادنا بجمدا بل إنسانيًا وسطًا بين ذلك ، وأحد من كل من القمبيلين نصيب فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يوفر لغيره ، ولذلك سمي نفسه دين الفطرة ، وعرف له ذلك حصومه اليوم وعدوه المدرسة الأولى التي يرى فيها البرارة على سلم المدينة ثم لم يكن من أصوله أن يدع ما لقيصر قيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ، ويأخذ على يده في عمله^(١)»

وليس الإسلام كدس «رها» الذي قسم الناس إلى أربعة أقسام وفور لكل مبرة من كمال الفطرة لا يحاورها ، ولا هو كاليهودية التي تحاطب شعب بني إسرائيل بالكرامة والإحلال ، وتدكر غيرهم بالتحقير والإهانة ، ولا هو كالمسيحية التي تذهب إلى أن رؤساء الدين أقرب إلى الله من سائر البشر ، وأن كل نفس وإن بلغت من الكمال ما بلغت ، ليس فيها ما يؤهلها إلى التدرب إلى الله بغير وساطة الرئيس الديني . إن الإسلام فتح أبواب الشرف في وحوه الأنفس ، وكشف لها عن عاتيه . وأثارت لكل نفس صريح الحق في كل فصيلة^(٢)»

«والحق أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد الدينية والعمادات ، بل أنه أعظم من ذلك كثيرًا ، وهو مدينة كاملة وعلى ذلك فهو ليس دينًا بالمعنى المجرد الخاص الذي نهجه اليوم من هذه الحكمة ، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال ، يقوم على أساس ديني ، ويشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية ، لأن طبيعته وطروفي عموه الأولى أدب إلى ربط الدين بالسياسة^(٣)» .

(١) من المثل الخامس في إرد على هابونو العروة الوثقى - ٥٣ : بعد مصر

(٢) من تعام ليد جمال الدين ص ٧١ الإسلام والتجديد .

(٣) وجهة الإسلام ص ١٥ المشرق حب (ترجمه الأستاذ محمد عبد الهادي - المصنعة الإسلامية سنة ١٩٣٤ ويألف من مقدمة وسنة مقبول

(١) المقدمة والفصل الأول والسادس ، المشرق حب (وهو خلاف كتابه

Modern Trends in Islam

(٢) والفصل الثاني له مشرق ماسيون (جامعة باريس) ويحدث فيها عن الإسلام في مرقبه

ماعد مصر

وإن ما امتار به الإسلام من قوة قد جعلته يفرّو القلوب وتصادل أمامه الأديان الأخرى وفي هذا يقول السير توماس أرنولد عند ذكر فتح العرب لمصر^(١) : كما أن سرعة إنتشار الإسلام في الأيام الأولى من الاحتلال العربي قد تكون راجعة إلى عجز الديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء ، أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الطاهرة التي قام بها الماتحون لحشد الأهالي إلى الإسلام .. وأن الأساس اللاهوتي لمقاء اليهود القويين حرمانهم من مفصلا ، والشعائر التي حاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتا طويلا ، ودفعوا ثمنا غاليا في هذه السبيل قد اجتمعت في عقائد كانت صفتها أشد ماتكون عموصا وإيهاما من الناحية الميتافيزيقية ولا شك أن كثيرا من هؤلاء قد تحولوا ، وقد أخذت الخيرة منهم كل مأخذ واستولى على نفوسهم الصخر والإعياء من ذلك الحذل العقيم الذي احتدم من حولهم إلى عقيدة تتلخص في وحداية الله السميطة الواضحة ورسالة نبيه محمد »

ويقول في موضع آخر^(٢) ينبى فيه التمعص عن الإسلام أثناء الفتح الإسلامى « أماعن حمل الناس على الدحول في الإسلام أو اصطهادهم نأية وسيلة من وسائل الاصطهاد في الأيام الأولى التي أعقت الفتح العربى وإنما لانسمع عن دة شينا ، وفي الحق أن سياسة التسامح الدينى التي أظهرها هؤلاء الماتحون نحو الدانة المسيحية كان لها أكبر الأثر في تسهيل إسدالهم على هذه البلاد »

ثم يقول^(٣) عن أثر الإسلام في المرأة الهندية : « وقد يكون حب المرأة المسلمة سبما في تحول الهندوكى إلى الإسلام إذ أن الشريعة الإسلامية تحرم تحريما قاطعا رواج المرأة المسلمة من الكافر . وإذا تبنى المسلمون أطفالا هندوكيين تربوا على دين آناهم الجدد ، كما أن المرأة الهندوكية التي تترواح ممن يتبع دين محمد تعتقد عالما في دانة روحها ولما كان من

== (٣) والفصل الثالث اسكافعمار (جامعة برين وتحدث فيه عن الاسلام في مصر وآسيا

العربية

(٤) والفصل الرابع للكتور لويل م ل فرار ويتحدث فيه عن الاسلام في اهند

(٥) والفصل الخامس تأليف الدكتور رح — جامعة لين ويتحدث فيه عن الإسلام في اندوسيا.

(١) الدعوة إلى الإسلام تأليف السير توماس أرنولد — ترجمة الدكتور ابراهيم حسن وآخرين صفحة — ٩٤

(٢) الدعة إلى الإسلام تأليف السير توماس أرنولد — ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وآخرين صفحة ١١٩

(٣) المرح السابق صفحة ٣٤٧ .

النادر أن يحدث العكس استلزم زيادة عدد المسلمين بنسبة زياده عدد الهمدوكيين «
ويقول حوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب^(١) : « لا شك أن امتزاج هذا
الوصوح وهذه الصراحة والشعور بالعدل والرحمة اللذين يعلمهما الإسلام كان نه أثر كبير
في سرعة انتشار هذا الدين . إن عدم تنصر أى قوم مسلمين سواء انصرفوا أم اهرموا مع
أن أقواما لم تسكن تبلمهم الدعوة الإسلامية حتى اعتنقوها كالمصريين الذين طلبوا أمدا
طويلا تابعين للقسطنطينية يرجع سنه إلى تلك الأوصاف التي وصف بها الإسلام »

« كان تأثير هذا الدين المادى والسياسى حد عظيم في العالم . فقد كانت حرية العرب
فعل محمد بلادا ووادى مستقلة مفصلا بعضها عن بعض تسكنها فائل وعشائر يتقاتل بعضها
مع بعض قتالا مستمرا ، حتى إذا مضى قرن على المعثة امتدت الدولة العربية من الهمد إلى
أسمانيا وأصاء نور المدنية كافة الملاد والأمصار التي يحق فيها اللواء المحمدى وكان . ب
هذا ملائمة الإسلام للحضانات العالمية ومسارته لها وتلقيه لباس حسن الخلق والشعفة
والعدل والسماح » .

« والحاصرة التي وضعها تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم افترت بأنوار كل مدينة سابقة
وهي : الظهور والتقدم والرقى والكمال ثم الروال ، لقد قامت الحضارة الإسلامية ما سبقها
من الحصاراب إلى عمار ثم أدركتها العاقبة نفسها . بيد أن الرمان لم يقدر على ابناء تماثيل
الرسول ، بل وقاها وفواها حتى عادت أكثر حيوية ونشاطا من كل وقت مضى والقوا بين
المحمدية لا تزال مخنطة بكل فواها ، على حين أن الأدنان القديمة مسمرة في فقد حكمها وتأثيرها
في الأرواح يوما بعد يوم^(٢) »

هذا ، ولقد شاعت في أوربا في القرن التاسع عشر فكرة مؤداها أن الأخلاق والقوا بين
تقوم مقام الدين ، وراح أنصارها ومهم سنسبر الإنجليزى — يتلهسون الطرق المسيحية الدين
عن حياه المجتمع ، ووضع فواعد جديدة تقوم في رعمهم مقام الدين

(١) عن كتاب الدرس والعلم لأحمد عرت ناشأ صفحة ٢٢٨

(٢) عن كتاب الدرس والعلم لأحمد عرت ناشأ صفحة ٢٣

ولقد كانت لهذه الفكرة أصداءها في الشرق والغرب جميعاً ولكنها لم تلبث أن انهارت، ولم تثبت قواعدها الواهية للنقد والتحليل ودوى « فطرة الدين » المتغلغلة في نفوس البشر أجمعين^(١)

ولقد ناقش السيد جمال الدين الأفغاني أمثال تلك المزاعم وبين ما تنطوى عليه مهاجمة الأديان من مخاطر تعود بالمجتمع الإنساني القهقري وبين أثر الإيمان في سعادة الأفراد والأمم ثم قال :

« . . . وإذا لم يبق للشهوات قانع ، ولا للأهواء رادع ، إلا الإيمان بأن للعالم صانعاً عالماً بمصمرات القلوب ومطويات النفوس ، سامي القدرة ، واسع الحول والقوة^(٢) . . . »
وعندما تحدث الإمام محمد عبده في الرد على التعصب^(٣) أشار إلى فساد مزاعم الموهوبين من شأن الدين فقال :

« كذب الحراصون ، إن الدين أول معلم ، وأرشد أستاذ وأهدى قائد للأفئدة إلى اكتساب المعارف ، وأرحم مؤدب وأبصر مروض يطبع الأرواح على الأخلاق الحسنة ، والخلاتق الكريمة ، وقيمها على حادة العدل ، ويبنه فيها حاسة الشفقة والرحمة ، خصوصاً دين الإسلام ، فهو الذي رفع أمة كانت من أعرق الأمم في التوحش والقسوة والخشونة ، وسما بها إلى أرقى مراق الحكمة والمدنية في أوفر مدة ألا وهي الأمة العربية . »

وللأستاذ عمر الدسوقي ردود قيمة على تلك المزايع ، فقد نشر في مجلة الفتح سلسلة مقالات^(٤) بعنوان « في مفترق الطرق »

ومن تلك المقالات مقالة بعنوان « إهمال الدين^(٥) » تقتطف منها ما يلي :

« على رسلكم أيها الداعون إلى سد الدين ، فوالله لو علمتم أن من أخطر العوامل التي

(١) راجع مجلة الجامعة العراقية العدد الأول سنة ١٩٣٦ ص ٢١ وما بعدها

(٢) تاريخ الإمام س ٥١ > ١ .

(٣) العروة الوثقى صفحة ٢٥٣ طبعة مصر

(٤) كان يرسلها من لندن حين كان طالباً هناك في سنة ١٩٣٤

(٥) العدد ٥٤٣ صفحة ١٠٢٤ من مجلة الفتح

تنحرف في عظام المجتمع الأوروبي فقدان الغذاء الروحي ، والانتماس في الماديات لما طلبتم من بني قومكم أن يحذو حذوهم .

هل المحافظة على الدين تدعو إلى التأخر والانحطاط ؟ كلا وإيهم الحق ، فإن في الدين الإسلامي لو اتبعناه بإخلاص ، وسممنا ما في مصائبه الحكيمية من الفوائد ، ورعيناها ، وحرصنا على العمل بها ما يكفل لنا أن نكون من أرق الأمم .

« الدين : عقيدة وعبادة وأخلاق »

« أما العقيدة فتجعلك دائماً ذا ثقة بما تفعل ، موثقاً أن لهذا الوجود إلهاً عالماً بما تنطوي عليه حوارحك من قوة وعزم » .

« أسيت كيف مثلت العقيدة دوراً هاماً غير محرم التاريخ في العصر الإسلامي الأول ؟ لقد حبت الموت إلى المهاجرين والأنصار وجعلتهم يقاثلون في سبيل الله ، واثقين بالنصر والحرء العظيم » .

« يقولون : ليس من الضروري أن يكون المرء متديناً إذا أراد أن يكون قويم الخلق ، أو بعبارة أخرى : هناك كثيرون من ذوى الأخلاق السكرية ، ومع ذلك لا يعرفون من الدين شيئاً . » . وعدمهم أن من الخير للمجتمع أن يكون أساس الخلق هو الوارع النفساني ، وأنه أولى من الوارع الديني .

فاتل الله الجهل ، فلم يدرس هؤلاء طبيعة النفس البشرية حتى يقدرُوا أى الوارعين أولى بالاعتبار .

أجمع علماء النفس على أن الخوف عريضة طبيعية في الإنسان ، وأن حب الحرء عزيزة أخرى ، وأن الفضيلة لا بد أن ترتكز على أساس ، وإما أن يكون الخير للعالم كما يقول أملاطون وأرسطو ، وإما المنفعة الذاتية ، كما يقول النفعيون . ولقد حاول « كانت » الألمانى أن يدعم النظرية القائلة : إن الفضيلة يجب أن تكون هلى أساس حب الفضيلة لذاتها . . .

« هل بطمع هؤلاء المتشدقون من كل فرد جاهل أو عالم ، أن يعتنق الفضيلة لذاتها ؟

وهل هذا على في الحياة ؟ . . . »

« وهل هناك قوة أعظم من قوة الدين ووراءها العقيدة بقدرته الله على الجزاء والعقاب ؟ وهل الأحسن للجمع أن يكون هناك أساس واحد للفضيلة وهو الدين ، أو تتركها فوضى ، وندع كل إنسان يتخذ المبدأ الموافق له ؟ .

ومادا يضرهم لو كان الدين هو أساس الفضيلة والدافع إليها ؟ » والوازع الديني هو أقوى عامل في خلق الضمير الإنساني الذي يشأ من شعور الإنسان بالندم على ما فرط منه .

وقد اهتمت البحوث النفسية الحديثة بتنمية الشعور بالمسؤولية وتوجيه المرء إلى اسانئته التي يحسب أنها قد أهدرت لمجرد خطأ ارتكبها وراح بعضهم يطالب بمرض المجرم على طبيب نفساني قبل عرضه على القضاء^(١) . وقد أخذت أمريكا بهذه النظرية في نظام سجونها حيث قد أبحاث للسجين أن يخرج من السجن متى وعد بشرفه أنه لن يحاول الهرب وأنه سيعود في الساعة المحددة . . وقد جرب هذا النظام منذ عشر سنوات في ولاية « أدريكون » لأول مرة ولما نجح أخذت به أكثر سجون الولايات المتحدة^(٢) .

« والتأنيب في أرق درجاته ليس ألم الإنسان لأنه ارتكب خطيئة بعينها ، بل هو الحزن على أن المرء قد تدهور تدهورا عاما من المستوى الأدبي الذي كان يعيش عليه ، وأن ذلك الجرم دليل الانحطاط العام في أخلاقه ، وأنه لم يرتكب فعلا جريما ، ولكنه خرج على القانون الأسمى للأخلاق ، وأنه لذلك يحتاج إلى استئناف حياة جديدة طاهرة ، ولا شك في أن هذا الشعور هو الذي يقود صاحبه إلى الإصلاح^(٣) » .

ولقد نوه القرآن الكريم بشأن النفس التي تحس بالألم عند الخطأ وتلوم صاحبها :
قال تعالى « لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة^(٤) . . . »

* * *

وبعد فيمكننا بعد ما قدمنا في تلك المجالة أن نصل إلى أن « التدين » أمر ضروري لازم للإنسان ، لأنه يوجهه إلى طريق السعادة ، ويحمله عضوا نافعا في المجتمع الذي يعيش فيه .

(١) فلسفة العقوبة للدكتور مهدي علام ص ٧٦ .

(٢) المرجع السابق ٧٦ — ٧٧ .

(٣) المرجع السابق / ٨٠ .

(٤) سورة القيامة ١ و ٢ .

وأنه يكفى الرء ليطمنن إلى أنه « متدن » صفة عامة أن يستجيب دائماً لنداء الفطرة ،
فيؤمن إيماناً عميقاً بوجود الله تعالى وقدرته وأنه وحده تعالى بيده مقابلد الأمور .

وأن يستجيب لنداء التعاليم الإسلامية في سر وإخلاص فيؤدي ماعليه من فرائض
قد كتبها الله عليه ، وهى ميسرة المنال واضحة السبل في غير تمقيد أو سعى وراء خلاف .
وأن يبتعد عما نهى الله ورسوله عنه ، وذلك أيضاً ميسور الإدراك والحلال بين
والحرام بين .

وأن يؤمن بأن الله تعالى مطلع على سرائره ، وعلا نيته ، لا تخفى عليه خافية ، محاسنه
على كل ما فرط منه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وأن يظل دائماً بين الخوف من
عقاب الله تعالى والرجاء لعفوه وثوابه ، وألا يقنط من رحمة الله ، فذلك هو طريق الله تعالى
الذى فتحه لعباده ، وأما من ينزلق إلى الاحتجاج بالقضاء والقدر في كل أعماله المستول
عنها وغير المستول ، ويخلط بين ما ليس في مقدوره الهرب منه مما ليس فيه ثواب أو عقاب ،
وبين ما في مقدوره واختياره مما عليه ثواب وعقاب ومنه استغفار . . فهو ولا شك
مع الهالكين .

ولا يبعب الإنسان أن يخطئ . عن جهالة ثم يتوب ويخلص في التوبة ، وإنما يبعيه ويلقى
به في التهلكة أن يتخلى عن مسئولية خطئه دون أدنى شعور بمسئولية أو تأنيب من ضمير .
أو ليس في فتح باب التوبة والدعوة إليه ما يشمر بأن الإنسان معرض بطبعه لارتكاب
الأخطاء ؟ ولكن عليه أن يستشعر الندم على ما فعل ويلزم الخوف من الله ، وحينئذ يطمئن . .
« إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ^(١) » .

ولقد تأرجحت فكرة التدين ومدى أهمية الأديان في أوروبا في العصر الحديث بين القول
بأن الأديان مصطنعة لأغراض دينية أو أنها آيلة إلى شيخوخة ثم إلى فناء . إلى أن استقر
الأمر بأن المستقبل للأديان والاعتراف بتأصل التدين في فطرة الإنسان . .

١ — فقد ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية إلى

(١) ولما بحث بعنوان « في سلامة العقيدة » نشر بمجلة الشبان المسلمين بالعدد الصادر في ١٥

أكتوبر سنة ١٩٤٩

أن الديانات والقوانين ما هي إلا مظهرات مستحدثة وأعراض طارئة على الشريعة حتى قال « فولتير » : إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة ، فوامها الحرث والنحت والبناء . . . قبل أن تفكر في مسائل الديانات والروحانيات . بل قال . إن فكرة التأليه إنما احترعها دهاة ما كرون من السكينة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحق والسخفاء »^(١) .

« وكذلك كان نظر « حان وجاك روسو » إلى فكرة القانون حيث ظن أنها ليست لها إلا قيمة وضعية تحكمية^(٢) . . . »

« هذه النظرة الساحرة إلى الأديان والقوانين ليست ممتكرة وإنما هي ترديد لصدى مجون قديم كان يتفككه به أهل السفسطة من اليونان وكاوا روحونه فيما روحوه من المغالطات والتشكيكات فقيما رعم هؤلاء السوفسطائية أن الإنسان كان يعيش أول شأته بغير رادع من قانون ولا وارع من حاق ، وأنه كان لا يجمع إلا للقوة الماطشة^(٣) . . . »

« ولقد أعان على بعض هذه الآراء وترويحها في أوروبا الحديثة سنان : أحدهما الاحلال الخلقى عند نهر من رجال الكنيسة والثاني ظلم القوانين الوضعية وسوء توزيع الثروة العامة فكان من السهل أن يطن الناس أن الدين والقانون كانا كذلك في كل زمان ومكان^(٤) . »

٢ - على أنه لم يقص القرن الثامن عشر نفسه حتى طهر خطأ هذه المرام حيث كثرت الرحلات إلى خارج أوروبا واكتشفت العوائد والعقائد والأساطير المختلفة وتبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكره مشاعة لم تحمل منها أمة من الأمم في القديم والحديث رعم تفاوتهم في مدارح الحضارة ودركاب الهمجية ، وهكذا ظهر أنها أدم في المجتمعات من كل حضارة مادية وأنها لم تقم على حداغ الرؤساء وتضليل الدهاة ولم ترتكر على أسس طارئة أو ظروف خاصة^(٥) .

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس

(١) كتاب « الدس » للدكتور محمد عبد الله درار طبعه سنة ١٩٥٣ صفحة ٧٣ - الطبعة العالمية .

(٢) و (٣) و (٤) المرجع السابق ص ٧٤ .

(٥) كتاب « الدين للدكتور درار » ص ٧٤ .

البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية . وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية » .

إلى أن يقول : « إن الفريرة الدينية لا تحتج ، بل لا تصمف ولا تدبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد ^(١) .

وحاء القرن التاسع عشر — حيث التقدم العلمى قد أخذ مكانه — وقد تقرر هذا المعنى في النفوس . ولم يحروا أحد أن يشكك الناس فيه بل ظهرت نظرية جديدة في الطوف المقابل مصمونها أن الأديان وإن كانت عريقة في القدم لكن تقدمها الزمان لا يكسبها صفة الثبات والخلود ، بل هو بالعكس يطعمها بطاع الشيخوخة والهرم ويندر بأن مصيرها إلى الاصمحلل والهلاك .

هذه هي نظرية (أوحست كوست) وقد ذهب هذا الفيلسوف إلى أن العقلية الإنسانية ، قد مرت بأدوار ثلاثة :

« loi des trois ages »

دور الفلسفة الدينية ثم دور الفلسفة التجريبية ثم دور الفلسفة الواقعية وهذا الدور الثالث في نظره هو آخر الأطوار وأسمها ، فبعد أن كان الناس يهللون الطواهر الكونية بقوة أو نقوى إرادية حارحة عنها انتقلوا إلى تفسيرها بعمان عامة ، وحصائص طبيعية كامنة فيها كقوة النمو والرورة والحيوية . ثم انتهوا إلى روص كل تفسير داخل أو خارجي واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هي ومعرفة ما فيها من ترابط وجودى بقطع البطر عن أسبابها وغاياتها ، وعلى هذا يكون دور التفكير الدينى يمثل الحالة البدائية التى تلمت بها الإنسانية في مرحلة طفولتها ولما كبرت عن الطوى حاتمها لتستبدل بها ثوبا وسطا في دور مراقبتها ، حتى إذا بلغت أشدها واكتمل رشدها أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية ^(٢) .

هكذا تبلبلت أفكار العلماء والفلاسفة في العصر الحديث أمام التقدم العلمى ونشأت

(١) المرجع السابق ص ٧٦

(٢) كتاب الدس صفحة ٧٧ .

قضايا كبيرة حول عداء الدين للعلم واحتدم النقاش حول وجوب إبعاد الأديان عن التدخل في بناء التقدم والحضارة . .

٣ — ولكن لم يلبث أكثر أولئك المعارضين لفكرة التدين وأهمية الأديان أن أصبحوا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وسرعان ما تبارت أفلام فلاسفة كثيرين يؤيدون الأديان وقيمون الحجج والبراهين على تأصل « الدين » في الفطرة الإنسانية وينادون بأعلى صوتهم أن المستقبل للأديان وأنه ليس ثمة أى عداء بين الدين والعلم .

يقول هنرى ريجسون : لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة من غير دين^(١) .

ويقول أرسطو رينان في تاريخ الأديان : « إن من الممكن أن يصمحل كل شيء نجبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يمحصر الفكر الانسانى في المضائق الدنيئة للحياة الأرضية »^(٢) إلى غير هذه الأموال التى ملأت الآفاق فانهزم أمامها دعاة الألحاد وعاد « كونت » نفسه الذى كان يتنبأ بأن تقدم العلوم معناه القضاء المحتم للأديان عاد آخر أمره متصوفا عجبيا وكلل حياته بوضع ديانة جديدة ، طبعها على غرار النظام الكسبى للديانة الكاثوليكية في عقائدها وطقوسها وأعيادها وطبقات قساوستها . . . رواية كاملة أعاد فصولها ولم يغير إلا أشخاصها^(٣) .

(١) كتاب الدين للدكتور درار صفحة ٧٦ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٨٧ .

(٣) كتاب الدس للدكتور درار صفحة ٨٧ ولينسبر كتاب قيم هو «المادى الأول» دافر فيه دفاعا محيدا عن الأديان ونفى العداء بينها وبين العلم وكان له أكبر الأثر في رد موجة الألحاد — وقد أشرنا إليه عند الحديث في صفحة ١٧ من هذا البحث .

وهذا سببسر « ينتهى بأن يقول عن » المجهول إنه « تلك القوة التى لا تخضع لشيء
فى العقول ، بل هى مبدأ كل معقول ، وهى المنبع الذى يفيض عنه كل شيء فى الوجود
» أليس هذا المجهول هو بعينه موضع الديانات يبحثنا الآن باسم آخر على لسان العلم^(٢) .
هذا هو « الدين »

ولكن فى إتياننا بتناسب وهذا التمهيد ، وسنرى فى الفصل التالى كيف كانت سيطرته
على النفوس عاملا فعالا فى نشأة الأدب واتجاهاته فى مختلف الأمم والأزمنة كما سنرى آثاره
وأصداءه فى الشعر المصرى الحديث من حيث السك والكيف والصورة . . فى موضوع هذا
البحث .

ولفظه « الأدب » كذلك من الألفاظ السكلية العامة التي لم يوضع لها التعريف الجامع المانع بعد ، وليس هنا مجال البحث في تعريف الأدب ونظرياته ورسالاته ، فذلك يحتاج إلى رسائل مستقلة ، وسكتفي هنا بإشارات سريعة تتصل بمبحثنا .

« فادا كان الهدف الأول للادب إثارة العواطف حصلنا على مآثور الشعر والنثر ، أو ما يدعى « Belles letters » ويسميه المعاصرون : الأدب بمعناه الخالص . وإذا كانت الغاية امداد العقل بالقضايا الفكرية الحالصة حصلنا على العلم « Science » .

أما إذا كانت العواطف وسائل لا غاية حصلنا على آثار أدبية تختلف في درجتها الفنية باختلاف ما دخلها من الشعور والوجدان ، على أن هذا القدر من الوجدان هو ما يحفظ لهذه الآثار قوتها وروعها^(١) .

« وليس الأدب كما يظن بمص الناس مجموع قصص تتلى للسكرانة أو أساطير تغفل في المسامرات ، أو منظوم من القريض يمتار بحسن الاستعارة ودقة التشبيه ... وإنما الأدب في كل أمة هو الفن الذي يقصده تهذيب عاداتها وتلطيف إحساسها وتمييزها إلى خيرها وتحتله ، وإلى ما يحشى من الشر فتجتسه ، والأدباء في الحقيقة هم ساسة أخلاق الأمم ، بل هم أحسنها تطير بهم إلى دروة فلاحها »^(٢) .

وقصة رسالة الأدب قد شغلت المفكرين منذ أدم المصور وشأت حولها نظريات عديده تنوعت وتطورت من عهد أفلاطون إلى يومنا هذا .

ولقد كان أفلاطون من أوائل الذين تنبهوا إلى أن للأدب رسالة فراح يرسم في الجمهورية طرق الافادة منه في خلق المثل العليا ورأى أن القصص والحكايات التي تروى يجب أن تفرص عليها رفاة شديدة حتى تكون ذات فبعة . يقول : « إن أول واجبنا أن نراوب

(١) أصول النقد الأدبي الأستاذ أحمد الشايب ص ٢٧ — الطبعة الثالثة

(٢) العدد التاسع من العروة الوثقى ص ٣٨٢ .

هؤلاء الذين يصنعون الحكايات وأن نختار أحلها ونرفض الردى منها ، ونقع الأمهات والريبات ليقصوا تلك الحكايات المختارة على أولادهم ، وذلك يشكون أرواحهم تلك القصص أكثر مما يشكون أبدانهم » .

ويقول في موطن آخر : « ان أى شخص يصف الآلهة والأبطال وصفارديثا يشمه المصور الذى لا تأتى صورته مشابهة للشيء الذى يريد رسمه ، ومثل هذه الأوصاف يجب أن تصادر » .

ثم يبين أثر ما تركه القصص الخيالية فى تكوين عقلية الطفل « ان كل القصص التى تدور حول معارك الأبطال كما صورها هوميروس يجب أن نمنعها من دخول مدنا سواء كانت متخيلة أم صادقة لأن الطفل لا يستطيع وهو فى سن صغيرة أن يميز بين الحقيقة والخيال ، وكل ما يسمعه يصدقه ويرسح فى ذهنه على مدى الأيام » .

وهكذا يعضى أفلاطون فى مواطن عديده من الجمهورية فى رسم خطة للأدب حتى يخرج حيلة قويا صلبا غير خاضع للشهوات الدنيئة من حب المال أو الشرور أو احتقار الآلهة ويمحار الأدب الذى يصور الظالمين سعداء يائسين^(١) .

ثم جاء أرسطو وشجع ذلك الاتجاه وحمل للأدب رسالة يحى أن يحرص عليها ويراعيها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وفد رأى أن « المأساة » هى الوسيلة لبلوغ الغاية المنشودة من تطهير النفس لأن « المأساة » هى « محاكاة فعل نبيل تام ، لها طول معلوم بلغة مزودة بألوان من الترين تحتلف وفقا لاحتلاف الأجزاء ، وهذه المحاكاة تتم على يد أشخاص يفعلون لا عن طريق الحكاية والقصص ، وتثير الرحمة والخوف فتؤدى إلى التطهير من هذه الانفعالات ، وأقصد باللغة المزودة بألوان من الترين تلك التى فيها إيقاع ولحن وشيد ، وأقصد بقولى : تحتلف وفقا لاختلاف الأجزاء أن بعض الأجزاء تؤلف بمجرد استخدام الوزن وبعضها الآخر باستخدام الشيد^(٢) »

(١) من كتاب المسرحية للاستاد عمر الدسوقي — الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ صفحة ٩٠ و٩١ .

(٢) المسرحية ص ٤٥ .

وقد نظر الرومان إلى رسالة الأدب كما نظر إليها اليونان وأتخذوا من قصص اليونان ومسر حياتهم نماذج نسجوا على منوالها .

« واستطاع الفرنسيون في القرن السابع عشر أن يشيخوا مذهباً أدبياً مفصلاً هو الذى عرف بالمذهب الانبعاثى « الكلاسيكى » عماده محاكاة الأدب اليونانى القديم واقتسوا نظرياته من نظرية أرسطو فى الشعر ^(١) .

وأخذ الأنجليز مبادئ المدرسة الانبعاثية إلا أنهم اتجهوا فى القرن الثامن عشر إلى « المدرسة الابداعية » (الرومانتيكية) « التى مهدت لها فى فرنسا آلام الشعب الفرنسى وشكواهم من النظم الاجتماعية التى كانت سائدة قبل الثورة الكبيرة . . فكان مذهب الشكوى ومرض العصر والتغنى بالأطلال والاطمئنان إلى سكون الطبيعة والتعبير عن المشاعر الخاصة والتوغل فى الاحساس إلى حد التصوف . وكل هذه مشاعر ولدتها ظروف الحياة ثم غذاها النقل عن البلاد الجرمانية » ^(٢) .

وفى القرن التاسع عشر اتجه الأدب إلى « الواقعية » وجعل الأدب تاريخاً أخلاقياً للعصر الذى يعيش فيه الأدب . . ومن ثم فإن الأدب يعتبر مصوراً وفيلسوفاً ومؤرخاً وفناناً وعالم أخلاق لأنه يصور أخلاق وعادات عامة الشعب ^(٣) .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهرت المدرسة الطبيعية وقد كانت صدى للروح العلمية التى شاعت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأخذ الأدباء وفى مقدمتهم أميل رولا الفرنسى يطبقون طرق العلم التجريبية على الأدب ^(٤) .

ثم ظهرت المدرسة الرمزية كرد فعل للمدرسة الطبيعية التى تخضع كل الموجودات للحس والتطق والمقل ولا تؤمن إلا بالمادة والمشاهد والمحسوس ولقد نبه سبسر وفرويد بعض أدباء فرنسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى أن ثمة حقائق أخرى وراء

(١) المرجع السابق — ملخص من صفحة ٥٣ — ويرى أرسطو أن الشعر تقليد لفكرة فى الطبيعة يتجلبها الشاعر ويحاكيها .

(٢) فى الأدب والقدر الدكتور محمد مندور الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩ ص (١١٦) .

(٣) المسرحية ملخص من ص ١٦٩ — ص ١٧٠ .

(٤) المرجع السابق ملخص من صفحة ١٧٧ .

هذه الظواهر التي نراها ونحسها ، وأن الواقعية في الأدب لا يمكن أن تصل بنا إلى الحقيقة لأن الحقيقة تسكن وراء الواقع ، ولكن ماهذه الحقيقة التي تسكن وراء الواقع ؟ ليست المادة إلا رمزا للحقيقة الخالدة وهي الجمال المطلق^(١).

واتخذت رسالة الأدب بهذه المدرسة لونا جديدا أهم خصائصه الإيهام واستخدام الكلمات الموحية وتقريب الشعر من الموسيقى وبمده عن الموضوعات الشعبية والسياسية ومحاربة المسرحية بنوعها مأساة وملهاة^(٢) .

وهكذا تنوعت النظرات إلى مدى رسالة الأدب في الحياة وكانت ترمي في مجموعها إلى أن الأدب وسيلة تتلون باللون الذي يوصل إلى غاية ما .. ولكن في أواخر القرن التاسع عشر وبعد أن شاع المذهب الرومانتيكي « الذي اتخذ من الأدب وسيلة للتعبير عن المشاعر الشخصية قبل كل شيء وأسرف في هذا الاتجاه حتى أصبح في كثير من الأحيان صرخات عاطفية أو أنات شعورية ، ولم يمد يحفل بتلك الترجمة عن العاطفة الشخصية وكان في هذا نزول بالأدب إلى مستوى الوسيلة^(٣) » — عند ذلك ثار على هذا الاتجاه أدباء — وعلى رأسهم « بيوفين جوتنيه » الفرنسي ورأوا أن من حق الأدب أن يصبح غاية في ذاته وفنسا للفن لا مجرد وسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة^(٤) « فظهر مذهب جديد هو مذهب « الفن للفن » ولقد قال أخصار هذا المذهب بأن الشعر فن جميل ولذلك يجب أن يكون غاية في ذاته فلا يستخدم كوسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة بل يعمل لخلق صور وأخيلة وإحساسات جميلة في ذاتها وهذا هو ما يقصدون إليه من عبارة « الفن للفن » وكان من الطبيعي أن يكون الوصف هو المجال الذي يتحقق فيه هذا المذهب^(٥) .

« ويخطئ من يظنون أن « الفن للفن » معناه الخروج على قواعد الأخلاق والآداب الاجتماعية ، فهذا المذهب الذي يسمى إلى تنفيذ حاسة الجمال في الإنسان لا ندرى كيف يمكن

(١) المرجع السابق ص ١٨٠

(٢) ملخص من ١٧٩ وما بعدها — المسرحية .

(٣) في الأدب والقدر للدكتور مندور ص ٢٩ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق صفحة ١٢٤ .

أن يقصد إلى تمزيق الأخلاق ، مع أن الأخلاق كثيرا ما تخدم الجلال»^(١) .

«والفن للفن» يلعب في الحياة النفسية دورا هاما ، إذ يفتح القلوب . والمقول للجمال الطبيعية يرداد اطمئنان الفرد إليها وسكونه إلى رحابها^(٢) .

وبعد فتلک هی خلاصات لتطور المذاهب الأدبية في بيان مدى رسالة الأدب ولم يتسع المجال لسط هذه المذاهب وبقدها وإنما هي صورة لتدرج النظريات الأدبية .

وتختلف صور الأدب تمعا لاختلاف بيئته ، فادا ما تصفحنا أدب أمة ما وجدناه ألوانا مختلفة معبرة عن مشاعر مختلفة ، فمننا شاعر مثلا قد أعمق قلبه بح الطبيعة ، وتمسكت محاسنها لبه فحدثت في نفسه « التجربة » « Experience » فراح يترجم تلك الأساس في عبارات مختارة لينقل أثر التجربة إلى غيره من المتذوقين ليشاركوه بمشاعرهم ويمعموا بما نعم به هو من تدوق وإحساس .

وداك شاعر قد أحس بمجد فيلته أو بما حماه الله من مرايا لا يراها في غيره فادا هو يترجم هذا الاحساس في عبارات رنانة من الفجر وقد بدعه ذلك الاحساس ليكيل إلى غيره عبارات التحقير اللادعة وإذا شعر يسرى فيرتفع بسماعه أناس ويمسح آخرون .

وهكذا نجد قولاً في الرناء وآخر في الغزل أو المدح أو الشكوى إلى غير ذلك

ولا يتسع المجال هنا لتفصيل ما إذا كان الأدب غابة أو وسيلة ولا لبيان المقصود من « الأدب الصريف » الذي يشتهه الأديب لمجرد المتعة الفورية بصرف المطر عن موضوعه أو « الأدب التطبيقي » الذي يتضمن موضوعا بذاته أو بطريقة علمية يؤديها بأسلوب أدبي كما يقول « آبر كرومي »^(٣) .

ومن المعلوم أن أفراد الأمة ليسوا جميعا أدباء وأن أدباءها ليسوا جميعا حاليدين ، وأن الذين يحلدون إنما هم أولئك الذين يحسنون التعمير عن « التجربة » .

ولا شك في أن « الباعث الديني » من أقوى البواعث في خلق التجربة في نفس الأديب

(١) في السد والأدب صفحة ١٢٤

(٢) المرجع السابق صفحة ١٢٥

(٣) قواعد النقد الأدبي ص ٢٥

متى تهيأت الظروف المناسبة ، وذلك لتأصل العاطفة الدينية فى فطرة الإنسان ، وقد يكون
الباعث موجبا فترى اليقين والإدعان والتسليم . . أو سالبا فترى الشك والالحاد . .

ومن ثم فقد كانت أولى صور الأدب فى هذا الوجود تعبيرات عن تحارب وإحساسات
مدمعها حاسة « الدين » التى ظهرت فى حيرة الأولين وأحماهم نحو الوثنيات والبطونية^(١)
وتأليه المظاهر السكوبية ، وقد تمثلت تلك التعميرات فى الأدعية والأشيد والرسوم المختلفة
على آثار الأقدمين ، وقد ترنم بها الإنسان فى أوليات حياته أستجابة لبداء فطرته .

وإذا ما ألقينا نظرة على ما وصل إلينا من آداب الأمم القديمة وحددا أثر « الدين »
واصحا ملموسا فى تلك الآداب وفى شأنها .

فأدب المصريين القدماء عماده مصدران كبيران هما :

« أناشيد متون الأهرام »^(٢) « وكتاب الموتى » وكلاهما يتعلق بمعتقداتهم الدينية
وفكرتهم فى خلود الروح والحساب والحراء .

يقول الأستاذ سليم حسن عن أولهما « ولما كانت كل طريقة وكل يعود يستعمل للوصول
إلى العرض المقصود (الحياة بعد الموت) فإن الكهنة الدين وصموا تلك المجموعة الباقية
لنا من الأدب القديم وهى أقدم ما وصل إلينا إلى الآن ، كانوا يستعملون كل أنواع العقائد
القدسية التى تعد فى بطرهم مرعية مستحاة ، أو التى وحدوا أنها تعيد لذلك العرض ،
ويمكن القول بأن متون الأهرام تحتوى بوجه خاص على ستة أمور :

١ — شعائر حنارية .

٢ — شعائر خاصة بالقرت المأتمية عند القبور .

٣ — شعائر قديمة خاصة بالعبادة .

٤ — أناشيد دينية قديمة .

(١) عادة الحيوان أو الشجر ونظرياتها مبسطة فى « علم الاجتماع الدينى » لـ يوسف شاحب ص ٧٦
ومجلة الجامعة العراقية العدد الأول سنة ١٩٢٦ وعلم الاجتماع الدينى لدروكايم

(٢) « الأدب المصرى القديم » للأستاذ سليم حسن ج ٢ ص ٦١ وهى أناشيد وحدت على ثمانية
هرامات سقارة من الأسرتين الخامسة والسادسة .

٥ — أجزاء من أساطير قديمة .

٦ — تضرعات لعائدة الملك المتوفى .

وقد ذكر نجادج من هذه الأناشيد وتلك الأدعية لآزرى داعيا لقلها هنا^(١) .

* * *

وأما كتاب الموتى « فقد حوى كثيرا من صورهم العقلية ومدى تفكيرهم وفلسفتهم وأخص ما فيه تلك المحاورات التي تصورها بين الميت والآلهة عند مناقشة الحساب . وربما يدهش المرء عند قراءة هذه الآراء لأولئك الأقدمين إذ يجد كثيرا من الشبه بينها وبين ما جاء به الإسلام ، ولعل ذلك راجع إلى أن هذه العقائد لم تكن مجرد تفكير أو تصور وإنما كانت إيماءات وأصداء لرسالات سماوية سواء لقدماء المصريين أو لغيرهم من الأمم في شبه الجزيرة العربية ورسل الله عليهم الصلاة والسلام أكثر من أن يحصوا وفي ذلك يقول الله تعالى « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك مهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك »^(٢) .

وإذا ما انتقلنا إلى الأدب اليوناني القديم رأينا كيف كان تفكيرهم فيما وراء الطبيعة هو العامل في إنشاء ما خلده من آداب .

« والذي لا شك فيه أن أساطير الأعريق كغيرها من الأساطير تدور حول المعاصر الأبدية الثلاثة : الإنسان والطبيعة والآلهة فهذه العناصر هي أبطال كل ذلك القصص ، والذي شغل الإنسانية منذ القدم — ولا يزال يشغلها حتى اليوم هو فهم العلاقة بين هذه العناصر وحل المشكلة القائمة بينها .

ولقد استطاع اليونان أن يفهموا تلك العلاقة ، وأن يحلوا ذلك الإشكال حلا شعريا تتركز فيه كل خصائصهم الروحية »^(٣) .

(١) الأدب المصري القديم للاستاد سليم حسن ٢ ص ٦٦ . وهي أناشيد وحدث على غاية أهرامات سقارة من الأسرى الخامسة والسادسة

(٢) « ٧٨ » من سورة عافر .

(٣) قصة الأدب في العالم لأحمد أمين . ص ١٣٦ > ١

والأدب الهندي القديم عماده كتاب « الفيدا » المقدس وقد حوى الكثير من الأناشيد والأدعية الموحدة لقوى الطبيعة ومظاهرها^(١) .

وعمد الأدب الفارسي هو « الأنفستا »^(٢) كتاب « ذرادشت » المقدس . . ويتضمن عقائدهم في القوى المؤثرة في هذا الكون بالخير والشر ، وفكرتهم عن الآخرة والحساب والعاملات .

والأدب العربي القديم عماده « العهد القديم » وهو يتضمن سيره بنى إسرائيل وعقائدهم في الحساب وفي نشأة الكون ومصير الإنسان ، ويشتمل على الثوراء والمكتوبات وكتاب الأنبياء — وفيه مرامير داود عليه السلام .

أما الأدب العربي في الجاهلية ، فإن الظروف التي أحاطت بتدوين ما وصل إلينا منه تحمل البحث عسيرا عندما نحاول معرفة أثر العقائد الدينية في نشأته .

ذلك لأن الإسلام عندما جمع العرب على عقيدة التوحيد وحطم مطاهر الوثنية قد جعل الرواة يتحرجون — ولا سيما في الفترة الأولى لظهور الإسلام — عن ذكر شيء يدور حول الأصنام أو يتعلق بالمعتقدات القديمة ، ومن ثم فقد نضب مورد كان يصور ناحية من ضور الحياة العسكرية ولوبا من العقائد التي كانت للجاهلية الأولى .

يبد أنه بعد أن استقرت العقيدة الإسلامية ، ولم تعد الأمة حديثة عهد بالإسلام أمن الرواة وأخذ بعضهم يجمع ما تسمع من أشعار أو قصص تتصل بالعقائد الأولى في سجع الزنهان أو غيره ولكن بعد أن نسي من ذلك ما نسي محكم تقدم الزمن وبعد أن أبعاد منه عمدا ما أبعاد تحرجا وبعد أن صاع — ضمن ما صاع — منه شيء كثير . وإن كنا نجهل أثر الدين في نشأة الأدب العربي فقد وصلنا شعر قليل متأثر بالعقائد الدينية

ومن الدين اهتموا بجمع أخبار الأصنام هو « أبو المنذر هشام بن محمد السائب السكلي » فقد جمع في كتابه « الأصنام »^(٣) أسماء ما عرف من أصنام العرب وأسماء القمائل التي كانت

(١) قصة الأدب ص ٦١ - ١

(٢) المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) بوف اس السكلي سنة ٢٣١ هـ — والطبعة الثانية للكتاب كاب سنة ١٩٢٤

تدين بكل منها وما قيل عمد كل صنم مما ذكره من أشتار أيام المكوف حولها للعبادة ثم ما قيل عندها أثناء تحطيمها وتحريقها إبان ظهور الإسلام^(١) .

ولكن اس السكلى كان يكتفى بذكر الروايات دون تحليل أو تعليل لفكرة الوثنية عند العرب أو إشارة إلى صداها في شعرهم ، ومما ذكره أن أول من أدخل الأصنام في بلاد العرب هو « الحى بن عمرو الأردى »^(٢) في قصة طويلة .

وفد ذكر الحافظ أن سبب حصوع العرب في الجاهلية للأصنام « أنهم كانوا يسمعون من أجواب الأوثان همهمة . . . ، والأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون الإيمان بالهاتف بل يتمجبون ممن رد ذلك . . . »^(٣) ثم ذكر حديثا طويلا أشار فيه إلى ما ورد عن هذا الهاتف وما قاله وما قيل له . . .

* * *

هذا ، ولقد كان لتلك الهره السكرى التى أحدثها القرآن الكريم في العقلية العربية والإسلامية آثار ضخمة في اتجاهات الأدب العربى وبقده مسد أن طهر الإسلام إلى يومنا هذا^(٤) .

وسبرى في الفصول التالية مدى تأثير العامل الدينى في تلوين حاب كبير من شعرنا الحديث بصمة دينية منمعة من وحي الفطرة أو كانت أصداء لحواث عامة تمس العقيدة كالطعن في الإسلام أو محاربة الخلافة . إلى غير ذلك .

* * *

ويحتلف العلماء في تمويب الشعر ، وتحديد موبه وأعراصه ، وبينما رى أناتام^(٥) قد جعل أبواب الشعر سبعة في الديوان وعشرة في الحماسة ، إذا بنا محد البجترى^(٦) قد فرغ

(١) وذكر نوس بن حبت عن أنى عمرو بن العلاء قوله « ما انتهى إليكم بما فات العرب إلا أقله ،

ولو جاءكم وافر خاءكم علم وشعر كثير » بره الألبان لاس الأنارى س ١٨

(٢) الأصنام س ٦٠

(٣) كتاب الحيوان ٦٠ س ٦١ .

(٤) ولا يسمع المقام أسرد شىء من ذلك . . . ومن العلماء المعاصرين المهتمين بهذه المسألة الاستاد محمد

حلب الله أحمد .

(٥) توفى سنة ٢٨٤ .

(٦) توفى سنة ٢٣١ .

تلك الأبواب في الحماسة إلى أرمة وسمين ومائة باب ، في حين أن أبا هلال العسكري^(١) قد حملها في ديوان المعاني اثني عشر باباً .

وأشهر ما انفقوا عليه — وهو ما سير عليه الآن في مدارسنا — سمعة أبواب هي :
السيب والحماسة والمديح والمجاء والوصف والثناء و (الأدب والزهد)^(٢) .

ويدرج تحت الاسم الأخير ما قد يكون ذا صلة بتفكير يتصل بالآخرة أو الترهيد في الدنيا — والتصوف — أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

والذي يعنيننا هنا هو أننا لم نجد بين أبواب الشعر العربي — قديمه وحديثه — باباً خاصاً بالشعر « الديني » يجمع أشبات هذا اللون من القول ، على حين أننا لو رجعنا إلى روايا تاريخنا الأدبي في عصوره المختلفة لوجدنا تراناً ضخماً من هذا اللون من الشعر منتشرها هناك وهناك تختلف بواعثه وأهدافه ولكن تجمعها صبغة دينية عامة .

والذي لا شك فيه أن الهزات الكبرى التي حدثت بعد ظهور الاسلام كظهور ورق الشيعة والحوارج والمعتزلة والتصوفة ... وغيرها كانت لها آثار خاصة في تلون أكثر أشعار رجال هذه الفرق بصبغة منبمئة من عقائدهم الدينية أولاً .

(١) بوف سنة ٣٩٥

(٢) هذا تقسيم الأدباء العرب وقد سار عليه البارودي ومن بعده أما الأوروبيون فيقسمون الشعر إلى : قصصى (حماسى) وتمثيلى وعنائى — وهناك نخوت تفصيلية تبين الأسس التي بنى عليها الأفرع هذا التقسيم يذكر منها ما كتبه سلمان الدستاني في مقدمة رحمة البادة هوميرس « صحفه ١٦٣ — ١٦٥ طبعة الهلال سنة ١٩٠٤ »

ومما ذكره عن القسمين . القصصى والمعنائى قوله :

« . ذلك أنه لا بد في الشعر من أن يرى له إلى أحد أمرين : أما سطر أحوال العالم بمظاهره البارزة . ولما التعبير عن شعائر الناس الحامية عن الأنصار وإراز التصورات السكامه في الصدور ، ومعظم ما يقال من الشعر لا يخرج عن إحدى هاتين الحالتين . فالشاعر القصصى بهذا الاعتبار يعبر عن شعائر غيره ، والشاعر الموسيقى إما يعبر عن شعائر نفسه ، يقول عن الشعر التمثيلى .

« وقد ألحقوا ههنا المايين بنا ثالثاً دعوه « دراما » من لفظة دراما اليونانية يعنى العمل أو الصنعة وهو ما يستحسن التعبير عنه بالتمثيلى لأنهم يقصدون عالماً مطووم الروايات التمثيلية وهو متوسط بين القسمين السابقين » .

ولئن كان عنصر « السياسة » يبدو غالبا على فرق الشيعة والخوارج وحركاتهم فان عنصر « الدين » هو الموحدة الأولى لتلك السياسة .

ولم يكن للمعتزلة صبغة سياسية خاصة ولا سيما في أول ظهورهم زمان أن اختلف واصل ابن عطاء مع أستاذه الحسن البصري^(١) على مسائل تتعلق بالمقائد والحساب والجزاء . . . وهو ما كان الأساس الأول في تفكيرهم وفلسفتهم .

والمتصوفة ، لم يكن تفكيرهم ولا سيما بعد القرن الأول إلا صدى لما امتزج بالعقلية العربية الاسلامية من آثار الفلسفة الهندية والفارسية واليونانية ، ثم ما اتصفت به بعض الشخصيات الاسلامية فوق هذا من « الأثرأق » كرابعة المدويه ، ودى النون المصرى الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى وتدور أبحاث هؤلاء المتصوفة حول الغناء والخلود والبحث وراء أسرار هذا الكون وصفاء النفس وما يتصل بالبحث وراء حقيقة ومصيرها .

ولقد كان من هؤلاء جميعهم — ومن على شاكلتهم — أدباء وشعراء كان لهم اتأاحهم العقلى الذى تمثل فى آراؤهم وأفكارهم عن « الدين » وما يتصل به .

وإن ما قاله هؤلاء من شعر يمتز « شعراء دينيا » باعتبار بواعثه وصننه العامة ولكنه بقى مبعثرا إلى العصر الحديث حيث قد بدأ بعض المأحثين يتجهون إلى دراسة : أدب الخوارج أو أدب المتصوفة أو أدب الشيعة . . . لأن الأقدمين لم يرتبوه أو يبنونه أو يمهّدوا السبيل لدراسنه كما يبنى^(٢) .

والمتخترى — على كثرة تعريعه لأبواب الشعر لم يصع نابا خاصا بالشعر الدينى ولم يشر إلا فى ثلاثة أبواب — من تلك الأبواب العديدة التى فرعها — إلى ما يتعلق « بالدين » فألباب الأول بعد المائة عموما : فيما قيل فى البر والتقى . ولم يد كرى هذا الباب إلا سمعة وعشرين بيتا منها بيتا عند الله الشيبانى المشهوران^(٣) :

(١) بوف سنة « ١١٠ هـ »

(٢) ومن ذلك : التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق لركى مبارك ، أدب الشيعة للأستاذ المذكر محمد كامل حسن المدرس بكلية الآدب ، أثر التصوف فى الشعر للأستاذ عبد الحكيم حسن المدرس بدار العلوم ، التصوف فى الإسلام لطرائيل عند البور .

(٣) حماسة البصري طبعة بيروت سنة ١٩١٠ س ١٥٩ .

وَأَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلتَّقَى مَزِيدٌ

والباب الرابع بعد المائة عنوانه : « فيما قيل في نماء القليل من الحلال ونفعه ، وقلة
نفع الخبيث ونعائه » ولم يذكر إلا سبعة أبيات في هذا الباب ^(١) .

والباب السادس والستون بعد المائة عنوانه : « فيما قيل في التوسل » ولم يذكر إلا
سبعة أبيات أيضا ومنها قول يحيى بن زياد ^(٢) .

لَا تَجْزُ عَنْ مَتَى اتَّكَلْتَ عَلَى الدَّرَى مَا رَالَ مُسْتَدِنًا يَحُودُ وَيَفْصِلُ
وَلَقَدْ يُرِجُّ أَحْوَا التَّوَكُّلِ نَفْسُهُ إِنَّ الدَّرِيحَ لَمَمْرُكُ الْمُنَوَكِّلِ
وترى هنا أن التوسل يتجه بتوسله إلى الله سبحانه وتعالى ويدعو إلى التوكل عليه ،
لا كما سنرى فيما بعد من اتجاه التوسل إلى الأولياء والصالحين ، بعد أن أفسد الجاهل ما أفسد
من عقائد المسلمين .

ولعل السبب في عدم وضع باب خاص بالشعر الديني عند مؤرخي الأدب العربي الأولين
يجمع شتاته ويبين حدوده — راجع إلى عدم اهتمامهم بالتبويب المرتب المسق أو مراعاة
الترتيب الرمي للقصائد فكثيرا ما نجد في المراجع القديمة كالبيان والتنبيه والأمال والأعاني.
قصائد ^(٣) في موضوعات مختلفة قد تحممت بين دفتي كتاب دون ترتيب لقائلها أو موضوعاتها
وكذلك الحال في دواوين الشعراء لم نجد فيها الدقة في الترميز أو الترتيب . .

وعلى الرغم من تأثير الإسلام في الأدب العربي بعمامة ، فإن مطالع القصائد ظلت
تنحو مسحي الشعر الجاهلي من حيث التشبيب وذكر الأطلال ، وقد كان من المنتظر على
الأقل أن يتأثر منها ما كانت مناسبته ^(٤) دينيه ، ولكن لما كان الشعر الإسلامي

(١) حماسة النجاشي ص ٢٣٢ (٢) المرجع السابق ص « ٢٥٦ »

(٣) مصافا إلى ذلك انصراف الشعراء (راجع ص ٤٦)

(٤) فطلع قصيدة كتب في رهبر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

نات سعاد فقلبي اليوم متبول . . .

ومطلع قصيدة حسام بن ثابت في انصراف المسلمين في بدر :

ولا سيما في الفترة الأولى يعبر من حيث الصياغة وطريقة السج امتدادا للشعر الجاهلي الذي حلت مطالعة من ذكر الأصنام والرقى إليها — فلم يكن إذا ما يحاكيه الشعراء الإسلاميون .

والذي حمل مطالع الشعر العربي الجاهلي تحلو من آثار الوثنية — بخلاف أكثر الشعر اليوناني — أن الجاهليين لم يكونوا متعصبين تعصبا أعصى لأصنامهم ولم يخصصوا للسكهنوت كما كان الحال في أوروبا في العصور الوسطى ، وذلك لأن « سعة العقل وراحته قديمة عند العرب ، لأنهم أمة تعيش الحرية ومن العسير عليهم أن يقبلوا التحكم في عقائدهم » (١) .

ولهذه الحرية لم يعرف العرب في ديانتهم الجاهلية نظام السكهنوت والعمودية للبهكل ورحاله يتحكمون في عقائدهم وسائر شئوسهم الدينية والديوية ويتوسطون بينهم وبين آلهتهم ويفرضون عليهم الحرية والطاعة العمياء ويمنحوسهم المعمران إن أرادوا ، أو يطردوسهم من رحمة الله إن سخطوا وأنى للعربي أن يقبل هذا أو مثله وقد آلت نفسه العصاء الفسيح ، وامتلأ فؤاده بهذا الأحساس القوى الطبيعي بأنه حر طليق لا تقيدته أرض ولا تعرفل تفكير تلك القيود والعوائق التي تحد من حريته الشخصية » (٢) .

ومما يدل على أن الوثنية لم تكن مخافة في حنايا الجاهليين ولا سيما الشعراء منهم وأنها إنما كانت محاكاة أكثر مهسا عقيدة راسخة ولا سيما في أحراب الجاهلية أن امراؤ القيس قد حطم صنمه عند ماخذله في الاستقام وسهاه عن الخروج للحرب وقال في ذلك .

لو كنتَ يادا الحليص الموثورا مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنمَ عن قتل العُداهِ رورا^(٣)

== حروت دينار ريب نالكتيب كحط الوحى في الورن القشب
ومظلم قصيدة السكبت في مدح الهاشميين .

طربت وما شوقا إلى اليبس أطرب

ولكن هذا الأثر ظهر فيما بعد في الشعر التاريخي والعلمى .

(١) الفتوة عند العرب للأستاذ عمر الدسوقي صفحة ١٠٤ طبعة البيان العربي/١

(٢) المرجع السابق — ١٠٤ و ١٠٥ (٣) الفتوة عند العرب صفحة ١٠٩ .

وعندما ذهب رجل من بني ملكان بإبله يترك بصم القميلة « سعد » نفرت الإبل وتفرقت في كل وجه فأخذ الرجل حجرا ورمى به الصم وقال : « لا بارك الله فيك من صنم نفرت إيلي » « فلما جمع إبله قال ^(١) :

أَتَيْنَا إِلَى « مُسْعِدٍ » لِيَنْجِمَ مَعَ شَمْسِنَا فَشَتَّتْنَا « مُسْعِدُ » فَلَا نَحْنُ مِنْ « مُسْعِدٍ » وَكَهْلُ « مُسْعِدٍ » إِلَّا صَخْرَةٌ بِتَفْوَةٍ مِنْ الْأَرْضِ لَا يَدْعُو لِنَفْسِي وَلَا رُشْدَ وَهَكْدَا . ولقد طهر هذا التحقير للأصنام بأجلى صورة عمد ما طهر الإسلام وأخذ المسلمون في تحطيمها دون أن يصيب المحطمين أدنى سوء كما كانوا يتوهون في الجاهلية ، ومن ذلك أن عمرو بن الجوح وهو أحد سادات بني سلة لما رأى أن صنمه الذي يتقرب إليه قد ألقى في موطن القدارة قال :

وَاللَّهِ لَوْ كُنتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَتَى وَكَلْبٌ وَنُطْبُ سِتْرٍ فِي قَرْنٍ
أَوْ لَمَلَقَاكَ إِلَهُ مُسْتَدْنُ الْآنَ فَتَشَاكَ عَنْ سُوءِ الْفَيْنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ دَى الْمَيْنِ الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دَيَّانِ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي طَلَمَةِ فَنَرٍ مُرْمَنٍ ^(٢)

ولما رأى غيره أن صنمه تحول عليه الثعالب قال :

« لقد هان من بالث عليه الثعالب . . . »

أما اليونان فقد كانوا في جاهليتهم ورعين في عمايتهم محلصين في معتقدهم ولهذا شرع هوميروس — في إستمداد المعوية من ربة الشعر لثنت فيه روح المظم والإشاد بل راد على ذلك بأن جعلها هي المشدة فكأنها هي صاحبة الفضل وهو إنما كان نافلا يعلى على الملأ ما يتلقاه من فيض روحها . . . » وذلك حيث يقول في مطلع الإلياذة ^(٣) :

رَبَّةَ الشُّعْرِ عَنْ أَحِيلَ بْنِ قِيلَا أَشِدَّيْنَا وَارْوَى أَحْنَدَامَا وَيَلَا

(١) الفتوة عند العرب س ١٠٩ — تبوء . مكان إقامه

(٢) المرجع السابق ١٠٩ و ١١ — مسدن — من السداة وهي خدمة الناب . تدس جمع ديب

وهي العادة

(٣) رحمة ساميان المستأثر — س ٢٠٣ طبعة ١٩٠٤

ثم يقول في مطلع الشيد الثاني :

دَحَا اللَّيْلُ وَالْأَرْكَابُ وَالنَّاسُ مُسَوَّمٌ
وَلَكِنَّ « زُفْسًا » نَابِذُ سِنَةِ الْكَرَى

ولقد حدا حدو هوميروس أكثر الشعراء في جاهلية اليونان والرومان ولا سيما في مطولات ملحاتهم كقول فرجيلوس كبير شعراء اللاتين في مطلع ملحمة:

« Musa mihi Cusas memora »

ولما انتشرت النصرانية في البلاد الأوروبية واصرغ أهلها إلى عبادة إله واحد هو رب الشعر والشعراء لم يبق لربات الأغاني والأناشيد محل في عقيدتهم ومع ذلك فإن فريقا منهم ظل يستمد عوهم على سبيل الإستعارة ٠٠٠٠ وعلى هذا قال « تاسو » في مطلع قصيدة « أورشليم المحورة » .

O Musa tu spira al petto moi celesta ardou

وقال ملتن « الإنجليزى في مطلع الفردوس الغابر : sing heavenly Musa

* * *

ثم إن الدولة كانت إسلامية لفظا ومعنى ، تقام فيها الحدود وينهل الشرعون فيها من كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين وعمل الصحابة والتابعين رسولان الله عليهم أجمعين .

وقد اصرقت حينذاك طوائف العلماء والفقهاء : هذا يبحث في تفسير الآى وذاك يشرح الأحاديث الشريفة وغيرها يتأهب للقضاء والفتيا . . وابرت طوائف للجدال في علم الكلام وفلسفة الإسلام ومناظرة الشاكين والزائمين والمحدثين .

ولقد كان من بين هؤلاء الفقهاء وأولئك العلماء من يقرض الشعر الذى تظهر فيه المسحة « الدينية » ولكنه قد بقي منبنا في ثنايا ما ألفوه من فنونهم من رسائل وأسفار .

ومن ثم فقد كانت طوائف الشعراء والأدباء مطمئنة إلى سلامة « الدين » واظهاره والدفاع عنه ترى في تلك الطوائف الكفاءة والمقدرة على أن تحمي حماه .

ولم يكن غريباً إذا أُلحِد أيضاً بين أبواب الشعر المصرى الحديث باباً خاصاً بالشعر الدينى على كثرة ماى عصرنا من حوادث وبواعث أثارت عواطف الشعراء الأدباء الدينية وأطلقت ألسنتهم بالكثير من الأشعار ذات الاتجاه « الدينى » دفاعاً عن الإسلام وإظهاراً لمحاسنه ومزاياه ، حيث قد حلا الميدان من أعظم الشخصيات التى كانت نحو الأمة الإسلامية فى عصرها السالفة من أمثال الحسن البصرى^(١) ثم الأمام الغزالى^(٢) ثم ابن تيمية^(٣) . . . ولم يظهر فى عصرنا إلا السيد جمال الدين الأفغانى وتلميذه الخطير محمد عمده ومليل حدا ممن لف لهما وسج على موالهما .

وبعد فعلى ضوء كل ما تقدم يمكننا أن نحدد إطاراً لألوان من شعرنا الحديث تختلف فى ظروفها ومناسباتها ، وتتفق فى مظاهرها ثم فى الباعث الموحى بها ألا وهو : العامل الدينى . وسنجد هذه الألوان من الشعر نوعين :

أولهما : ما كان روحانياً خالصاً لا يهدف لغير التعبير عن التجربة الدينية الخالصة والتجارب مع الفطرة المتغلغلة فى ذات النفس الإنسانية . ويتمثل ذلك فى الأدب الصوفى وأمثلته قليلة فى شعرنا الحديث .

وثانيهما — ما كان الموحى به « عاملاً دينياً » ولكنه أشىء فى مناسبات ليؤدى أعراساً معينة ، وهونوعان :

أولهما : ما سار فيه شعراؤنا على نهج الأقدمين من حيث الموضوع ، وذلك كاللدأخ الببوية إذ لم يكن عدا اللون فى حاجة إلى مثير أو عامل جديد ، وهذا النوع كثر شائع على السنة الشعراء من لدن ظهور الإسلام إلى يومنا هذا وإن جده فيه جديد فى عصرنا الحديث وربما كان التجديد فى بعض صور الصياغة كالذى زاه فى التمثيلات الشعرية أو الأناشيد مما لم تسكن طريقة تسجحه معروفة للأقدمين .

(١) توفى سنة ١١٠ هـ

(٢) توفى سنة ٥٠٥ هـ .

(٣) توفى سنة ٧٢٨ هـ .

وثانيهما : ما كان صدى لأحداث ذات أثر في شعور المسلمين الديني كاحتكاك الأوروبيين بالإسلام ومحاولة انتقاصه ورميه بالجمود من أمثال هانوتو وكرومر أو كمحاولات المستعمرين في إثارة الخلاف بين المسلمين والأقباط . . أو كالذي أحس به الشعراء من ضرورة إبراز صور البطولة الإسلامية لتسكون فيها قدوة للشباب بعد أن أفسد الاستعمار ما أفسد من أخلاق الرجال . . أو كالذي أثارته أحداث الخلافة العثمانية وهي رمز الوحدة الإسلامية . . ثم ما كان من دعوات إلى التحديد المطلق وبيد الأديان إلى غير ذلك .

كل هذا وأمثاله كانت له أصداء بعيدة المدى في أدبنا الحديث بعامة وفي الشعر بحاصة ، ولكن هذا الشعر قد ظل إلى يومنا هذا مبعثراً في دواوين الشعراء ، ولم يلق من العناية ما هوحد يربه من حيث الجمع والتبويب والترتيب ، ثم الدراسة والتحليل . . وهناك ألوان أخرى تعتبر شعراً دينياً باعتبار المعنى المحدود الشائع في مجتمعنا للمدلول لفظة « دين » وذلك كالشعر الذي يتضمن نظم الفقه أو التفسير أو كالذي يشد في حلقات الذكر ، أو نسمعه بين حين وحين من محطات الاداعة باسم : قصائد وتواشيح دينية وليس مثل هذا اللون من الشعر هو هدفنا الأول من هذا البحث كما يتبادر إلى بعض الأذهان عند سماع عنوان موضوعنا لأول وهلة .

البَابُ الأول

الفترة الأولى من العصر الحديث

من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى نهاية الثورة المراية ١٨٨٢

الفصل الأول

تصوير عام :

(أ) الحالة السياسية العامة . (ب) العامل الديني (ج) تعليق .

أولا : الحالة السياسية

لبثت مصر قبل نهضتها الحديثة حينا من الدهر^(١) بعيدة عن النور محرومة المعرفة .
ترزح تحت سلطان الولاة العثمانيين ، واستغلال حكام المالك تقاسماتقاوم وتقابوم في حدود
إمكانياتها ماتقاوم ، ولا تعرف من أمورها السياسية إلا أنها تدن بالولاء لخليفة المسلمين
في الآستانة العلية .

فلما كانت نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، تبهت على دوى صراع
أوروى جديد^(٢) يقرع أبوابها تمثل في الحملة الفرنسية التي كانت تريد الغزو والاستعمار ونشر
الثقافة الفرنسية في مصر وفي الشرق جميعا ، دون أن يكون شعارها الصليب أو هدفها
الأول بيت المقدس .

ثم استمر ذلك الصراع ثلاث سنين^(٣) . وانتهى بطرد الفرنسيين بمساعدة الإنجليز
الدين رأوا في تلك المساعدة فرصة موانية يهشون فيها مواضع أقدامهم في تلك الديار^(٤) .

(١) من حين استيلاء السلطان سليم على مصر في سنة ١٥١٧ — ويقال : إن الخليفة التوكل
آخر حلفاء الماسيين قد تارول للسلطان سليم عن حقوة في الخلافة في عام ٩٢٦ هـ — ١٥٢٠ م .
وأصبح سلطان الأتراك يلقب من ذلك العهد بلقب أميرالمؤمنين — الدولة العباسية للمرحوم حسن خليفة —
الطبعة الأولى بالمطبعة الحديثة سنة ١٩٣١ س ٢٤٤ .

(٢) كانت قبل ذلك تتمرس من حين إلى حين إلى الحملات الصليبية .

(٣) ١٧٩٨ — ١٨٠١ .

(٤) فعد فترة وحيرة في سنة ١٨٠٧ حاولوا عرو مصر فردوا في موقعة رشيد بقيادة برير .
وما زالوا يتنصون حتى كال الاحتلال في سنة ١٨٨٢ .

• وهذا خلاف ما هو شائع من أنها موقعة كفر الدوار — عصر محمد علي للراعي س (٢٨) •
وباربع مصر السياسي لمحمد رفعت > ١٠ ص ٩٢

ولقد كان من بين إحدى الحملات العثمانية التي قدمت إلى مصر لمحاربة الفرنسيين ، فتى
قد ، تختلف شخصيته عن بقية رملائه ، وقد أبدى من ضروب السالة في القتال ما جعله
يرقى في رتب الجيش ثم يصبح بعد خروج الفرنسيين دا منزلة خاصة في مصر ثم يأخذ
بدهائه وحسن حيلته في تدبير المكائد لكبار الحكام من المماليك ثم يبعد إلى قلوب المصريين
يستولى على ثقة أولى الرأى منهم وسلب المتاع للولاة العثمانيين ، حتى ينتهى الأمر بالمادة
به واليا على مصر باسم المصريين .

ذلك العتي العذ هو : محمد على .

وكيفما كان الأمر فقد به ذلك الصراع بمص الشعور في المصريين ، وأثار فيهم بعض
الوعى ، فلا أول مرة في تاريخ الحكم العثماني يتولى أمر مصر حاكم يختاره المصريون
ولئن كان هذا الاختيار لم يقع على أحد أثناء مصر فلا أن الوعى القومى لم يكن واضح
المالم حينذاك ، نتيجة للضمط الذى عاياه الشعب طويلا ثم لتغلغل فكرة تمعية مصر للسيادة
العثمانية تحت ظلال خليفة المسلمين .

وعندما آل أمر مصر إلى محمد على بموافقة السلطان^(١) كانت أمامه أمور كبرى وأهمها
التخلص من المماليك الذين انتزع منهم السلطة والجاه ثم العمل على تثبيت مركزه لدى الماب
العالمى مهما كلفه الأمر ثم محاولة توسيع ممتلكات مصر بصم ما يمكنه صمه إليها .

ولم تكن العمقيرة لنعور محمد على في التعلب على تلك الصعاب وعمرها وكان طبعيا أن
يقف جهوده على إنشاء جيش يمكنه من الوصول إلى ما يريد .

ومن ثم فقد تركزت إصلاحاته حول تكوين الجيش المشود فأحد ينشئ من المدارس
ويرسل إلى أوروبا من البعوث ما يميمه على تحقيق ذلك .

ولقد تمكن محمد على من تنفيذ مآربه تلك وأرصى السلطان في حرب الوهابيين والقضاء
عليهم ، وأحيرا دب الخلاف بينه وبين السلطان فاضطر لمحارته ودقت حيوش مصر أبواب
القسطنطينية ، وهما تدخلت أوروبا باسم مناصره السلطان ، وانتهى الأمر بحرمان محمد على

(١) بوليه سنة ١٨٠٥ — كتاب التاريخ للأستاذ كامل حرجس ص ٣٩ — طبعه ١٩٣٣ .

كل فتوحاته والاكتفاء بمسحه حكم مصر باسم الخليفة وراثية لأكثر الأولاد من سلالة^(١) ثم ولى الأمر بعده إبراهيم^(٢) باشا ولسكن لمدة وحيرة ، ثم خلفه عباس الأول^(٣) الذى اشتهر بمجاريته لشعر الثقافة إذ قام باغلاق المدارس وركدت فى مصر فافلة التقدم .
ثم تولى بعده سعيد^(٤) ، وقد أعاد إلى البلاد بوطا من النشاط وأهم ما يذكر به عهده سق قناة السويس

وبعد سعيد جاء إسماعيل^(٥) وقد كان عهده حافلا بأنواع من الحيوية فانه قد حاول المهووس بمستوى البلاد العام وعمل على نشر التعليم وتوسيع فى إرسال البعثات المختلفة إلى أوروبا وأنشأ دار الكتب ودار العلوم . ثم إنه حاول الحد من سلطان الخليفة ونجح فى ذلك إلى حد ما^(٦) .

ولقد كان لقدم السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر فى عهده آثار كبرى فى يقة البلاد القومية ، واتجاهاتها السياسية وتنبيه الوعي الاسلامى الذى تمثل فى تعامله وتعالجه لتلميذه الامام محمد عبده .

ولقد ظهرت أصداء تلك الاتجاهات فى مطالبة أهل الرأى بضرورة قيام سلطة بابية فى مصر تحمى من سلطان الحاكم إذا طمى وترشده إذا حاد عن السبيل

« فاتجهت الأفكار إلى تقرير النظام البابى الدستورى لىكى يكفل للبلاد حكما عادلا ، ويضع حدا للتدخل الأحمى فى شئوننا ، ونجح الأحرار فى دعوتهم وألف شريف باشا ورائته الوطنية فى أواخر عهد إسماعيل وحملها مسئولة أمام « مجلس شورى النواب » فوضع الحجر

(١) فرمان سنة ١٨٤١ تاريخ ١٩ أبريل - كتاب التاريخ الأستاذ كامل حرجس طبعة ١٩٣٣

(٢) يولى إبراهيم فى حياة أبيه من يوليه إلى نوفمبر سنة ١٩٤٨ وكافت ودة محمد على فى ٢ أغسطس

سنة ١٨٤٨ -- المرحم السابق ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) وكالت ولاية عباس الأول من ١٨٤٩ إلى ١٨٥٤ -- المرحم السابق ١٣٢

(٤) ١٨٥٤ -- ١٨٦٣ -- المرحم السابق ١٣٣

(٥) ١٨٦٣ -- ١٨٧٩ -- المرحم السابق ١٤٣ .

(٦) وذلك بالامتيازات التى ألتمها مصر ومنها منح لإسماعيل لقب حدو -- المرحم السابق

١٦٠ - ١٦٤ .

الأساسى فى النظام البرلمانى فى مصر ، ثم سن دستوراً يحقق سلطة الأمة ، وهو المعروف بدستور سنة ١٨٧٩ وانضم الحديو إسماعيل إلى هذه الحركة مدفوعاً برغبة فى التخلص من سيطرة الدول على سلطانه فى الحكم وانتهت أزمة الخلاف بينه وبين الدول بخلفه فى ٢٦ يوبه سنة ١٨٧٩ «^(١) .

ثم تولى بعده توفيق^(٢) وفى السنوات الأولى من حكمه صادف عقبات جساما ، فلقد كان الوعي القومى قد عما حتى أحدث تصدعا فى ذلك السياج السميك الذى كان الحكم يحيطون به أنفسهم فلا يسألون عما يفعلون وأصبح أفراد من الشعب يحسون بأنهم قادرون على أن يقولوا للخديو :

مكناك لسالك — كهاك افرادا بالسلطان — نريد استمرار الحياة اليباية وفرض رقابة الأمة . .

ثم إذا صوت مدو بدمعث من الجيش :

نريد المساواة — كفى امتيازات للضباط الأتراك — يجب أن يتنحى عثمان رفق المتعصب للأتراك ليفسح المجال أمام الضباط المصريين ثم تؤدي تلك الصيحات إلى قيام الثورة العرابية التى تنتهى باحتلال البلاد فى سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

وفى الفصل الثانى سرى مكانة الدين فى تلك الفترة لمدرس الشعر على صوء آثاره .

(١) الثورة العرابية لعد الرحمن الرافعى ص ٤ وسبب تدخل الأحاب هو ما احدثته سياسة إسماعيل المالية من الاوتناك ككثرة الاستدانة — والمجلس اأشار إليه هنا عير مجلس آخر كان شوريا فقط .
(٢) فوبه ١٨٧٩ — إلى سنة ١٨٩٢ .
فى سنة ١٨٦٦

ثانيا : العامل الدينى

إذا أردنا أن نعرف منزلة الدين ، ومقدار فهم الناس له في تلك الفترة من الزمن ، ومدى أثر العامل الدينى في حياة الناس بعامة وصداه في الشعر بخاصة حينذاك فلا بد لنا من دراس نواح ثلاث نستنمط منها ما نريد ، وتلك هى :

- ١ — حالة الثقافة العامة ، والمعتقدات الشائعة في ذلك الزمن ونصيب الأهر في ذلك .
- ٢ — بدء البعث الاسلامى : دعوة الوهابيين وصداها في مصر ، الجهود الأولى للإمامين جمال الدين ومحمد عبده .
- ٣ — مركز الخلافة العثمانية الدينى وعلافة مصر به ، العامل الدينى في الثورة العربية ثم تتبع ذلك بتعليق عام .

(١)

«في تلك الفترة من الزمان كان الجهل يخيم على ربوع الوادى ، حيث لم هناك من موارد للثقافة غير بدوعين ضاحلين ، أما أولهما فهو الكتاتيب التى كانت — على قلتها — تسير على طريقة بدائية غير محدبة ، وعاية من كان ينسب إليها ويقضى فيها أعواما أن يخرج منها قاعا بأنه قد عرف مبادئ القراءة والكتابة وحفظ شيئا من آى الذكر الحكيم وحسب

وأما الآخر فهو الأهر الشريف ، وقد كان يسير على طريقة حفظ التون والشروح والخواشى والتقارير ، والمناقشة في مدلولات الألفاظ من نواحى الملاعة والإعراب ولا محال فيه للنبوغ أو الابتكار أو الاجتهاد وعاية من كان ينسب إليه ويقضى فيه أعواما قد تستغرق أكثر عمره أن يخرج منه وقد حفظ أمصا من أبواب الفقه أو شرحا عقبا لبعض آى الكتاب الكريم أو مجموعة من قواعد النحو ، وقل من يتعدى ذلك لفن أو علم آخر^(١) » وعدم ما حاول محمد على أن ينهض بالتعليم — لسد حاجات الجيش — «يقن أن التعليم في الأزهر لا يمكن

(١) ملخص من كتاب تاريخ التعليم في مصر الأستاذ عزت عبد الكريم ص « ٥٥٥ »

أن يحقق أغراضه من تحريج طوائف من أهل البلاد والمتوطنين بها يعاونونه فيما يصعب من نظم أو يشق من مؤسسات كما ظهر له أن التعليم الغربى أو التعليم الذى عرفته أوروبا فى عصره هو وحده الوسيلة لتحقيق أغراضه وكان هذا وحده كافيا على أن يحول وجهه عن الأزهر والكتايب ويشق بجانبها نظاما تعليميا فأما بنفسه مقتنسا من العرب ، وليس بينه وبين المطام التعليمى القديم إلا ما يكون بين نظامين يقوم أحدهما بجانب الآخر ويتحادان تعليم باثة الملاد^(١) .

وكيفما كان الأمر فقد أفاد محمد على من نوايغ الأزهرى إنشاء المدارس الحديثة وفى المموت الأوروبية ولكنه لم يمد يد الإصلاح إلى الأزهر فبقى كما هو عناهجه ومواده يسير فى طرقه التى ألفها رجاله منذ أحيال

وكذلك لم يمد أحد من حلماائه يده إلى إصلاحه حتى أن امباييل الذى توسع فى النهضة التعليمية قد أنشأ دار العلوم لتسكون وسطا بين الأزهر والتعليم المدنى الحديث^(٢) .

ولقد كان الأزهر يستعصى على الإصلاح لطوال ما ألف رجاله من حمود وثبات على طرائق معينة من التحصيل وإليك مثالين لبيان ذلك :

١ - عمنما حاول الشيخ محمد العباس^(٣) أن يدخل بعض الإصلاحات وفى مقدمتها تقرير نظم الامتحان باهضة الكثرون ، وقد رفع الشيخ عليش لواء المعارضة ولمله اعتبر ذلك من ضروب الانتداع .

٢ - وعمنما حاول الشيخ محمد عمده - وهو طالب - أن يعير شيئا من طريقة التدريس والكتب فأخذ يقرأ لبعض رملائه شرح العقائد النسمية وكتانا فى الملقى عند ذلك ثارت باثرة الشيخ عليش واعتبر « محمد عمده » قد تمدى حدوده وأزاد أن يفسد عقائد الطلاب فى رعم الشيخ عليش وانتهى الأمر بفض الشيخ عليش على محمد عمده وبدلا من أن يفكر السادة العلماء فى الأمر ويقارعوا الحجة بالحجة راحوا يرعمون أن لعنة الشيخ قد حلت بالشيخ محمد عبده حبيبا بنى مع من بنى من رعماء الثورة المرابية^(٤)

(١) تاريخ التعليم لأحد عرت عبد الكريم ص ٥٥٨ مطبعة الاعباد سنة ١٩٣٩ .

(٢) أشار ناشائها على مبارك سنة ١٨٧٥ (٣) كان شيخا للأزهر من ١٨٧٠ إلى ١٨٨٢

(٤) ملخص من تاريخ الامام > ١ ص ١٣٣ .

هذا والمعروض أن الأهر هو موئل الدين ، وأن المتحرج فيه قلة الأنظار يستغنيه الصال ، ويهتدى به الحائر ، ولكن استمع إلى مايقوله محمد عنده عن أولئك الرجال حينذاك . « في سنة إحدى وثمانيين جلست في دروس العلم وبدأت تتلقى شرح الكفر اوى على الأحرورية في المسجد الأحمدي بطمطا ، وقصيت سنة ونصفا لأفهم شيئا لرداءة التعليم ، فإن المدرسين كانوا باحثوننا ماصطلاحات فقهية أو نحوية لا يفهمها ، ولا عناية لهم بتفهم معانيها لمن لم يعرفها فأدركى اليأس من النجاح وهرت من الدرس .. فهذا أول أثر في نفسى من طريقة التعليم في طمطا وهى نعيمها طريقته في الأهر ، وهو الأثر الذى يجده حصة وتسمون في المائة ممن لايساعدكم القدر بصحة من لايلتمون هذه السبيل — سبيل إلقاء العلم مايعرفه أو مالايعرفه بدون أن يراعى التعلم ودرجة استعداده للفهم ، غير أن الأغلب من الظلمة الذين لا يفهمون شيئا تعشهم أمة منهم فيظنون أنهم فهموا شيئا فيستمرون على الطلب إلى أن يبلغوا سن الرجال وهم في أحلام الأطفال ثم ينتلى بهم الناس ، وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الزرية لأنهم يريدون الحاهل حماله ويصللون من توجد عنده داعية الاسترشاد ، ويؤدون بدعائهم من يكون على شئ من العلم ، ويحولون بيده وبين دفع الناس بعلمه^(١)

وهذا الذى يصعبه محمد عنده قد كان عليه الأهر قبل أن يدخله جهود طويلة ، فلم يكن عريبا إذا أن تنتشر الفوضى العقلية في أذهان الناس ، وأن يفهموا من الدين سورا شتى ليس أكثرها منه في شئ .

فالمسلمون جميعا في فترة الركود كانوا يعرفون أنهم يديمون بالإسلام ولكن صورة الاسلام التى في أذهان غالبيتهم العظمى كانت متأثرة بعاملين خطيرين :

أحدهما ماعلق بالإسلام — كدين يعتمد به — من شوائب وبدع وخرافات استحدثت بعد عصور السلف ونماها الجهل فصارت غمزة العقائد الثابتة

وثانيهما ما دس به — كمنظوم سياسى اجتماعى — يدعوا المسلمين إلى السير قدما في رك الحصار ويسمو بالفرد والجماعة ولا يدع ما لقيصر لقيصر ...

فمقيدة الجبر شائمة بين المسلمين ، والكون يدبره أقطاب أربعة وصاحب الوقت — في زعم الأكثرية — كان يحمل الراية أمام الفرنجة في حرب الأندلس الأخيرة وأمام الفرنسيين أيام دخولهم مصر^(١) ... وغاية ما كانوا يقتربون به إلى الله إنما هو التمسح بأزرحة الأولياء وتقبيل أعتابهم ليقوموا بالوساطة بينهم وبين ربهم فتتقضى الحاجات وتخرج الكروب ، وغاية ما يقتربون به إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إنما هو تلاوة قصة المولد ودلائل الحيرات أو ما شاكل ذلك من الأوراد وانتشرت فرق الصوفية واندس بينهم المظلون والمستغلون .

استمع إلى الجبرني يصف لنا بعض تلك المناظر ، قال في حوادث العشرين من ربيع الثاني سنة ١٢١٤^(٢) .. « وفيه نودى بعمل مولد السيد على البكري المدفون بمجامع الشرايى بالأركبية بالقرب من الرومي ، وأمروا الناس بوفود فتاديل الأزقة في تلك الجهات ... والسيد على هذا كان رجلا من البله ، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الرأس والسوءتين غالبا ، وله أخ صاحب مكر ودهاء لا يلتزم به ، واستمر على ذلك مدة سنين ، ثم بدا لأخيه فيه أمر لمارأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه كما هي عادة مصر في أمثاله فحجر عليه ومعه من الخروج من البيت وألسه نيا ، وأظهر للناس أنه أدن له بذلك وأنه تولى القطبانية^(٣) »

ثم استشهد بأبيات لبدر الحجازي^(٤) وكان من العلماء المستنيرين في العصر العثماني .

لَيْتَمَا لَمْ نَرَمْسْ إِلَى أَنَّ رَأَيْنَا
كُلَّ دِي حِمَّةٍ مِنَ النَّاسِ قُطِّمْنَا

(١) كان هذا من الأحاديث التي تناقلها عامة الناس وإلى عهد قريب كنا نسمع في أعابنا الشعبية أثر هذه العقائد في أرحالنا الشائعة مثل .

دى مصر حنة من الحنة سرفوها وحطوها في الدنيا
بحجة بالأرع أوليا

(٢) كان هذا عام دخول الفرنسيين إذ كانوا يطهرون احترامهم لشعائر (الدين)

(٣) الخبر في ٣ صفحة ٨٤

(٤) توفى ١٢٢٥ هـ . ولاحظ أن في هذا الشعر على سلالته خطأ محويا في « نخلوه » والصواب « يخلوه »

لأنه لم يسقه عامل فصب أو حرم

مَعْلَمَاهُم بِهِ يَلُودُونَ بَلْ قَدْ
تَخِيدُوهُ مِنْ دُونِ دِي الْمَرِيشِ رَنَّا
إِذْ نَسُوا اللَّهَ قَائِلِينَ : فَلَانْ

عَنْ كَمِيعِ الْأَبَامِ يُفْرِجُ كَرَبَا
وَإِذَا مَاتَ يَجْمَعُوهُ مَزَارَا وَلَهُ يُهْرَعُونَ عَجْمًا وَعُرْنَا
بِمَعْضُومِهِمْ قَتَلَ الْفَرِيحَ وَبَعْضُ

عَتَبَ الْبَابَ قَدْ لُودُوهُ وَرَبَا
هَكَذَا الْمُشْرِكُونَ تَفْعَلُ مَعِ أَصَا

فَنَامِهِمْ تَنْتَفِي بِدَلَاكِ فُرْنَا
كُلُّ دَا مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ وَالْوَا

بِلُ لَشَخِصٍ أَعْمَى لَهُ اللَّهُ قَلْنَا
وَالْحَجَارِي مَنْ سَمَا حَسَنًا يَنْظُرُ

مَا خَالَفَ الشَّرِيعَةَ صَعْبَا
وَوَظَاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ نَصُورَ حَالَةٍ شَائِعَةٍ مِنْ قَبْلِ وَبِأَحَدِهَا أَنَّ هُنَاكَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ

كَانُوا لَا يَقْرَءُوهَا وَلَكِنْ هِيَ بَاتُ أَنَّ تَكُونُ لِأَصْوَاتِهِمْ أَصْدَاءُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الزَّمَنِ .

ثُمَّ أَوْرَدَ بَعْدَ ذَلِكَ آيَاتًا تَصِفُ لَنَا مَطَرًا آخَرَ مِمَّا كَانَ شَائِعًا حَيْثُ دَاكَ فِي حَاقِقَاتِ الدَّكْرِ
وَبِتِهْكَمِ قَائِلَهَا — وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْحَرَتِي — تَدْعَى الْوَلَايَةَ :

أَلَا قُلْ لِمَكِّيٍّ مَقْبُولَ الشُّصُوحِ وَحَقُّ النَّصِيحَةِ أَنْ تَسْتَمْعَ
مَتَى سَمِعَ النَّاسُ فِي دِيهِهِمْ بِأَنَّ الْفِتْنَةَ سُنَّةٌ تَقْبَلُ

وَأَنْ يَأْكُلَ الْمَرْءُ أَكْثَلَ السَّعِيرِ
وَبَرَقَصَ فِي الْخَمْرِ حَتَّى يَقْبَحَ

وَلَوْ كَانَ طَاوِي الْحَشَا حَانِمًا لَمَّا زَادَ مِنْ طَرِبٍ وَاسْتَمَعَ
وَالْوَا: سَكَّرْنَا بِحُبِّ الْإِلَهِ وَمَا أَسْكَرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقِصْعُ
كَذَاكَ الْحَشْرُ إِذَا أَحْصَيْتَ تَهَيَّئْ مِنْ رِيَّاسَا وَالشَّمْعُ

* * *

أما «الإسلام» في سموه وسماحته ويسره « فقد عشيتة عاشية سوداء ، وألست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة سحفا من الحرافات وقشور الصوفية ، وختل الساحد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأدعياء وطوائف الفقراء والمساكين يجرحون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمام والتعاويد والسمجات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، يعرضونهم في الحج إلى قودر الأولياء ورييون الناس من دفء القمور ، وعابت عن الناس فضائل القرآن^(١) » .

« وقد انشهر بين المسلمين جيش من هؤلاء المصلين وتعاون ولادة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف ، واتحدوا من عقيدة القدر مشطا للعرائم ، وعلا للأيدى عن العمل والعامل الأقوى في حمل نفوس على قبول هذه الحرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين » وموافقة الهوى — أمور إذا احتتمت أهللك ، فاستمر الحق تحت ظلام الباطل ، ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يتصارب وأصول دينهم وبما فيها على حط مستقيم^(٢) »

ذلك هو حديث موحر عن حالة الثقافة العامة والمعتقدات الشائعة ؛ وعاية النظر إلى « الدين » ومبرلة « التدين » في مصر قبل أن تبدأ اليقظة الإسلامية في العصر الحديث

(٢)

وطبيعى أن تلك اليقظة لم تأب طمرة ، فأين ومتى بدأت إداً ، وما العوامل التي أثرت في سبرها ، وماذا كانت أصدائها في العقلية المصرية ثم في الشعر الحديث .

(١) حاصر العالم الاسلامي « ٣٤ »

(٢) الاسلام والصراية ص « ١٤٩ » الطبعة السابعة.

يقول المستشرق الأميركي « لوثرود استودارد » بعد أن وصف حال الأمة الإسلامية في القرن الثامن عشر ، وما وصلت إليه من مهاوى التهمصع والتأخر : « وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجمته ، ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه جزيرة العرب مهد الإسلام ، يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح ، والرجوع إلى سواء السبيل ، والصراط المستقيم ، فكان الصارح ، هذا الصوت إماما هو محمد بن عبد الوهاب المصلح المشهور الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ثم أخذ هذا الداعي بحص المسلمین على إصلاح النفوس ، واستعادة المبدأ الإسلامي القديم ، والعز التليد ، فتبعت تباشير صبح الإصلاح ثم بدأت اليقظة الإسلامية الكبرى » (١) .

ومظهر اليقظة العالم في دعوة ابن عبد الوهاب ، أنها بهت المسلمين على أن أكثر ما هم عاكفون عليه مما يحسبونه « تدبنا » وتقربا إلى الله ليس من الإسلام في شيء بل هو أقرب ما يكون إلى أعمال المشركين .

والذي يعمينا من أمر الدعوة الوهابية إماما هو صلتها بمصر . فلقد ظهر محمد بن عبد الوهاب (٢) في شبه جزيرة العرب قبيل ظهور محمد علي في مصر ، وكانت بلاد العرب من أملاك الدولة العثمانية أيضا .

ولما أكثر أعوانه ، وانضم إليه عبد العزيز آل سعود أمير نجد وعمر أشراف مكة حتى بعد وفاة ابن عبد الوهاب عن المقاومة ، ولما أغار الوهابيون على ما كان في المقصورة النبوية من مائس ومجوهرات وأحدوها لأن وصمها يتناقض والإسلام . عند ذلك وزعت الدولة العلية واعتبرت أن الحركة الوهابية تهدد سلامتها وأن الوهابيين قد حرقوا عن طاعة السلطان وأحدوا في السلب والنهب وقطع طريق الحج فتجرب محاربتهم

في تلك الأثناء كان الأمر قد استقر في مصر لمحمد علي ورأت الدولة العلية لأسباب كثيرة أنه خير من تمكن الاستعانة به في إحصاع الحجاز والقضاء على الوهابيين ، فوجهت إليه الأوامر بذلك وقد صادفت هذه المسألة هوى في نفس محمد علي إذ وجد فيها فرصة سانحة

(١) حاصر العالم الإسلامي « ٣٤ »

(٢) ١٧٠٣ — ١٧٩١ .

(٣) استمر من سنة ١٨١١ إلى ١٨١٩

لإرضاء الباب العالي في تثبيت مركزه بمصر « وكذلك كانت - هذه الحرب - ذريعة لاطلاق يد الحكومة في فرض مائشء من الضرائب والأنوات من غير أن يجد الشعب مسوعا للاعتراض عليها ، فإن حجه محمد على فيما فرضه أثناء تلك الحملة أن الحكومة في حاجة إلى المال لانفاقه على حرب مقدسة ، ترى إلى استرداد الحرمين الشريفين وتأمين سهل الحج ، فعى من هذه الناحية جهاد مفروض ، وكذلك الإنفاق عليها »^(١) .

وانتهى إخضاع الوهابيين بسقوط حاصتهم الحصينة ، وقبض إبراهيم باشا على عبدالله ابن سمود وأرسله إلى الأستانة^(٢) .

ويهمنا أن نشير هنا إلى ما كتبه الحرثى عن تسرب دعوة الوهابيين وعقائدهم إلى مصر :

١ - قال في حوادث الحرم سنة ١٢١٧ « وفيه ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه من مدة ثلاث سنين^(٣) من ناحية نجد ودخل في عقيدته قبائل كثيرة من العرب ، وبث دعاته في أقاليم الأرض ، ويرعم أنه يدعو إلى كتاب الله تعالى وسنته بيه صلى الله عليه وسلم ويأمر بترك البدع التي ارتكها الناس ومشوا عليها »^(٤) .

٢ - وقال في حوادث صفر سنة ١٢١٨ بعد أن وصف محمل الحجاج المعتاد سنويا وعودته : « وحضر محبة الحجاج كثير من أهل مكة هروبا من الوهابي واختلفوا فيه ، فمنهم من يحمله خارجيا وكافرا وهم المسكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ؟ ومنهم من يقول بخلاف ذلك لحلو الغرض ، وأرسل إلى شيخ الرك المغربي كتابا ، ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته (أى ابن عبد الوهاب) . ثم أورد نص هذه الرسالة وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ... » وهى تقع في حوالى خمس صفحات من حجب هذه الكراسة وتتضمن الدعوة الوهابية وما يدعها من الأسايد القرآنية والأحداث

(١) تاريخ الحركة القومية للراعى ج ٣ ص ١١٨ .

(٢) في سنة ١٨١٧ .

(٣) يلاحظ أن محمد بن عبد الوهاب توى سنة ١٢٠٦ ولعله يقصد لإشعار الدعوة .

(٤) الحرثى ج ٣ ص ٢٣٢ .

النبوية الشريفة وعمل السلف الصالح وبيان ما صار إليه المسلمون لفساد مله شائع بينهم من التقرب لغير الله والبعد عن الإستمساك بأهداب السنة المطهرة ثم الدعوة إلى بند كل ما يخالف الإسلام الصحيح ، وإلى وجوب الاقتداء بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام وبعد أن أورد الخبرتي هذا النص قال :

« أقول : إن كان كذلك ، فهذا ماندين الله به نحن أيضاً وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين والمتعصبين » ^(١) .

وإذا فلم تكن الدعوة الوهابية منكورة في أول أمرها عند العلماء المصريين قبل أن تغتنم الخلافة الحرب عليها .

٣ — وفي حوادث « عام ١٢٢٣ » العامة قال : « ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري ممتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك ، فإنه لم يمنع أحداً يأتي إلى الحج ، على الطريقة المشروعة ، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من الدع التي لا يميزها الشرع مثل المحمل والطفل والزمر وحمل الأسلحة . وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة هذا هذا العام وما قبله ، وحجوا ورحموا ولم يمرض لهم أحد بشيء .

ولما انقطعت فوافل الحج المصري والشامي ، وانقطع عن أهل المدينة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يقيمونها بها خرجوا من أوطانهم بأولادهم وسننهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك ، وأتوا إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى « إسلامبول » يتشككون من الوهابي ويستميثون بالدولة في خلاص الحرمين » ^(٢) .

٤ — وفي أثناء حروب محمد علي مع الوهابيين رحع أحد جيوش مصر منهزماً قد كر الجبرتي مارواه أحد قادة هذا الجيش في تحليل الهريفة وعزاها إلى تمسك الوهابيين بالدين . قال : « وقد قال أحد أكارهم من الذين يدعون الإصلاح والورع : أين لنا بالنصر ، وأكبر عساكرنا على غير الله ، وفيهم من لا يتدينون بدين ، ولا ينتحلون مذهباً ، وصحبنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع في عرضنا أذان ، ولا تقام صلاة ، ولا ينحدر في بالهم ولا خاطرهم شعائر

(١) الخبرتي ج ٣ س ٢٦٩ .

(٢) الخبرتي ج ٤ س ٩٠ .

الدين — والقوم (يعنى الوهابيين) إذا دخل الوقت إذن المؤذنون ويتكلمون صفرا حلف إمام واحد بخشوع وخضوع وإذا حان وقت الصلاة ، والحرب قائمة ، أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف ، فتقدم طائفة للحرب وتتاخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتمحسون من ذلك لأنهم لهم يسمعون به فضلا عن رؤيته » (١) .

٥ — وعندما وردت الأنباء بانتصار إبراهيم باشا وهزيمة الوهابيين لم يعلق الحبرنى على ذلك ولم يطرب له وإعما أكتفى فقط بسرد النأ ووصف الاحتفالات التى أقيمت فى مصر وقد أورد النأ بأسلوب يشعر بالتهكم حيث قال : « واستهل المحرم وسلطان الإسلام محمود شاه بن عبد الحميد مدار سلطته إسلامبول ، ووالى مصر وحاكمها محمد على باشا القوللى . ووردت الأحبار من شرقى الحجار والشار نصره حضرة إبراهيم باشا قمل إستهلال السنة بأربعة أيام ، فعند ذلك بوى رينة المدينة سمعة أيام وبصت الصواوين . . » (٢)

وفى نهاية الوصف تحدث عن عبد الله بن سعود الثانى الذى أرسل إلى الآستانة قال : « وكان نصحبة الوهاى صندوق صغير من صفيح فقال له الماشا : ما هذا ؟ فقال : هذا مأأحه أنى من الحجرة ، أحجمه مى إلى السلطان ، وفتحته فوجد به ثلاثة مصاحف قرآنا مكلمة ، ومحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحنة رمرد كبيرة وبها شريط ذهب ، فقال له الماشا : الذى أحده أوك كثير غير هذا فقال هذا الذى وحدته عند أنى فإنه لم يستأصل كل ما كان من فى الحجرة لنفسه بل أحده كذلك كبار العرب ، وأهل المدينة وأعوات الحرم الشريف ، ومكة فقال الماشا : صحيح . وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك » (٣) .

وكان الحبرنى وهو يحتم بهذه القصة أمر الوهابيين يريد أن يشير إلى الهدف الحقيقى من تلك الحرب وهو استرداد المحجورات .

ذلك هو حديث موحز عن تسرب الدعوة الوهابية إلى مصر ، ولقد كان الحبرنى مصمما لهم كما رأينا فى نصوصه التى ذكرها ويستنتظ من هذا الحديث :

(١) > ١٢٩ ص ١٢٢٧ حوادث سنة ١٢٢٧

(٢) > ١٢٣٤ ص ٢٩٦ حوادث سنة ١٢٣٤

(٣) > ٤ من الحبرنى ص ٢٩٨

١ - إن منشأ الحملة على مبادئ الوهابيين التي ظهرت فيما بعد لم يكن بمقارعة الحقبة بالحقبة أو الدراسة ، وإنما هو الاتهام بسبب ما ضاع على المنتقمين .

٢ - إن العلماء في مصر لم يطعنوا في الدعوة أول ظهورها بل رأينا الحرقى وهو من هو في علماء ذلك الزمن يدافع عنها في كل موطن يكتب فيه عنهم ، ولم يذكر لعلماء عصره آراء مخالفة .

٣ - إن تسرب الدعوة إلى مصر كان بواسطة الحجاج الدين كانوا يروون ما يسمعون ولا سيما المغاربة - ثم من أهل الحجاز الذين فروا عندما نصبت موارد رزقهم من المرات وغيرها .

٤ - « لم ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المادية الحديثة وموقف الإسلام منها . ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية كما فعل معاصره محمد علي باشا وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها فعنده أن العقيدة والروح هما الأساس وهما القلب إن صلحا صلح كل شيء وإن فسادا فسد كل شيء »^(١) .

ولقد أشار الأستاذ محمد عبده - بعد أن تحدث عن عصور الصعف في الأمة الإسلامية وما أصابها من الجمود - إلى الوهابيين فقال : « اللهم إلا فئة زعمت أنها دفعت غبار التقليد وأرالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في القرآن ومتون الأحاديث لتفهم أحكام الله منها ، ولكن هذه الفئة أضيقت أعيننا وأخرج صدرا من التقليد ، وإن أسكرت كثيرا من البدع ، ونحت عن الدين كثيرا مما أضيف إليه وليس منه ، فإنها ترى وحوب الأحد بما يفهم من اللفظ الوارد والتقليد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين وإليها كانت الدعوة ولأجلها منحت النوة فلم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدينة السليمة أجباء »^(٢)

(١) زعماء الإصلاح لأحمد أمين ص ١٥

(٢) الإسلام والصراية ص ١٣٩ وقد ذكر السيد رشيد رضا في الهامش أنه يرى هذه الفئة أهل الحديث ومن يسمون الوهابية .. وأهل الأستاذ الإمام لم يمس في الحديث عنهم تخاشيا من ثورة الحامدين ثم أنه نهل من موارد هذه الدعوة الأصلية عند ابن تيمية ورحم كثيرا إلى الغرالى ومذهب الإمام مالك رضى الله عنه .

٥ - وإذا لم يكن لهذه الدعوة الأصداء المرجوة في تلك الفترة حتى تتجاوب مع العقلية الإسلامية في مصر ولاسيما بعد أن صار المتحدث عنهم بإعجاب عرضة لأن يرمى بالكفر والزيف .. وسرى فيما بعد كيف قدر لهذه الدعوة البيقظة مرة أخرى وحدثت من الأنصار والدعاة من دأبوا على إظهار مزاياها .

* * *

ولقد دوى صوت آخر في الشرق كان عاملاً قوياً في البيقظة الإسلامية الحديثة وأسرع تأثيراً من الدعوة الوهابية في اتجاهات الأمم الإسلامية إذ كان أبعد غوراً في فهم طبيعة الإسلام من حيث أنه دين ودنيا عادة وسياسة ..

ذلك هو صوت السيد جمال الدين الأفغاني .

نشأ السيد جمال الدين في بلاد الأفغان^(١) وتلقى تعليمه في معاهدها ومعاهد إيران ، ثم أحد بتتقل بين الحمد وفارس ومكة وتركباً ثم مصر متفقدا أحوال المسلمين وما آل إليه أمرهم من الذل والاستكابة والاستعباد ثم أخذ يرسم حير الطرق وأجداها لإحياء الأمم الإسلامية بمد هجعتها الطويلة غير ممال بما يلاقيه في سبيل المهر نأرائه من مطاردة ونفى وتشريد

«ولقد كان بمامل سحيته وفطرته وحلقه داعياً مسلماً كبيراً ، وكأنه على وفور استعداده ومواهبه إمام خلقه الله في المسلمين لنشر الدعوة وحسب فبقادت له نفوسهم ، وطافت متعاقدة من حوله فلوهم فليس هناك من قطر من الأطوار الإسلامية وطئت أرضه قدما جمال الدين إلا كانت فيه ثورة فكرية اجتماعية لا تحمد بارها ولا يبدأ أوارها^(٢) »

ولقد كان الإمام محمد عبده يعتبر أن مقدم السيد جمال الدين إلى مصر^(٣) مبدأ نهضتها المعنوية ، وبقتلتها الفكرية بما كان يبشره من دروس على مريديه ومحبيه ومن يحضرون محالسه مما كان له فعل السحر في نفوسهم ولم يكن ما يبشر في الصحف حينذاك مقصوداً على

(١) ولد في أسعد أناد سنة ١٨٣٩ ويتنهي نسبه لأبيه إلى سيدنا الحسين .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ١٣١

(٣) في عصر اسماعيل سنة ١٨٦١

حوادث الحروب بل تمداها إلى نشر أخبار سائر الأمم في سيرتها السياسية والمماشية» وأخذ السيد جمال الدين في حمل من يحضر مجالسه من أهل العلم وأرباب الأفلام على التحرير وإنشاء الفصول الأدبية والعلمية في موضوعات مختلفة لأنخرج جامعتها عن إصلاح الأفسكار وتهذيب الأخلاق ، فمسانقت إلى ذلك الكتاب وتبارت الأفلام وأخذت الحرية الفكرية تظهر في الجرائد إلى درجة يظن الناظر فيها أنه في عالم خيال أو أرض غير أرض الخيال ومن يطلع على جريدة مصر وجريدة التجارة وجريدة مرآة الشرق والأهرام وصداها يرى حقيقة ما ذكرنا ^(١) .

ولقد كان السيد جمال الدين داعية سياسيا كبيرا ، ولئن أحدثت آراؤه السياسية هزات عنيفة في عروش الاستبداد في إيران ومصر فإنه كان مصلحا ديبيا عظيما ، وقد كانت لآرائه في إصلاح المسلمين آثارها في نحو اليقظة الإسلامية .

ولقد أدرك أن من أهم الأسباب التي أخرت المسلمين إنما هو الخلط بين الدين في هوته وصفائه ، وبين مالحق به من أوهام وخرافات ، ومن ثم فقد كان أساس إصلاحه الديني إنما هو أولا الرجوع بالإسلام إلى نقائه ونفص ما تراكم عليه من جهالات المصور . ولقد أوضح ذلك في قوله :

« حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع مارسح في عقول العوام والخواص من فهم بعض الحقائق الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقي مثل حملهم القصاء والقدر على معنى يوجب ألا يتحركوا لطلب مجد ولا لتخلص من دل ، ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمن الذي حملهم على عدم السعي وراء الإصلاح والنجاح . . فلا بد من بث العقائد الدينية الحقة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها المناسب وحملها على محاملاها الصحيحة التي تقودهم لما فيه خيرهم دنيا وأخرى » ^(٢) .

إنما للفائدة رأيت إثبات تعاليم السيد جمال الدين لأهميتها ولأنها الأساس والمورد العذب الذي سينهل منه دعاة النهضة الإسلامية في العصر الحديث وتلك هي ^(٣) :

(١) تاريخ الامام ج ١ ص ٣٨ (٢) تاريخ الامام ج ١ ص ٨٣
 (٣) من كتاب الرد على الدهرية ترجمة الاستاد الامام محمد عبده عن الفارسية (من كتاب الإسلام والتجديد ص ١٧) .

« إن نيل الأمم للسمادة مشروط بأمور لا يتم إلا بها :

الأول . صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام . والإسلام يقتضى ذلك ، لأن أول ركن بى عليه الدين الإسلامى صقل العقول بصقال التوحيد ، وتطهيرها من لوث الأوهام ، وخلع كل عقيدة بأن الله (جل شأنه) ظهر أو يظهر بلباس البشر ، أو حيوان آخر ، أو أن تلك الدات المقدسة نالت فى بعض أطوارها شديد الآلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق^(١) .

الثانى . أن تكون هموس الأمة مستقبلة وجهة الشرف طامعة إلى بلوغ العاية منه نأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الإنسانى ماعدا رتبة النبوة فإنها بمنزل عن المطمع وإنما يختص الله بها من يشاء من عباده ، وإذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعنى الإقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر فى محالات العوائل ، وتنادت بهم المحارة إلى محاسن الأعمال . إن دين الإسلام فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس ، وكشف لها عن عابته ، وأثبت لكل نفس صريح الحق فى كل فصيلة . وليس الإسلام كدين برها^(٢) » . . .

الثالث : أن تكون عقائد الأمة ، وهى أول ردم ينقش فى ألواح هموسها مدينة على الراهين القويمة والأدلة الصحيحة ، وأن تنجاس عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقاليد الآباء فيها ، وهذا (كيزو) الفرنسى صاحب تاريخ التمدن قال : إن من أشد الأسباب أثرا فى سوق أوروبا إلى تمدنها ظهور طائفة فى تلك البلاد قالت إن لما حقا فى البحث عن أصول عقائدها وطلب الرهان عليها . والدين الإسلامى يكاد يكون منفردا بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيح التمدن للظنون . . هذا الدين يطالب التمدن به أن يأخذوا بالرهان فى أصول دينهم ، وكلما حاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم العقل .

(١) بشر إلى الوثنيات والطوتسية وما قيل عن صلب المسيح للتجليس من الخطايا فى رعم من يدعون ذلك .

(٢) أنتنا هذه المقرة فى صفحة ٢١ » من التمهيد .

وقلنا يوجد من الأديان مايساويه أو يقاربه في هذه الزبة ومن الأديان الطاهرة ماى أعظم أركانه على أصل الكثرة في الواحد^(١) . أو الوحدة في الكثير ، وإن الواحد يكون أكثر والكثير يكون واحدا مما تنبده بداهة العقول قلنا أنكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على أنه فوق نظر العقل ، فلا يبال دركه لا نالكه ولا مالوحه ولا يهتدى الدليل عليه .

الرابع : أن يكون في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة وطائفة أخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتنقيف أودها ، لاتنى الأولى في مكاشحة الجهل وتنوير العقول بالمعارف ، وتدأب الثانية على الكشف عن الأوصاف الفاصلة وحدودها ، فإن الشهوات النفسية ليس لها من دأبها حد تقف عنده ولا لرغائب الأنفس عاية تمقطع عندها ، فإن فقد من بين الناس مقوم النفوس ومعدل الأخلاق طمى سلطان الشهوة واندلع إلى الحيف والإحجاف .

وإن من أهم الأركان الدينية في الديانة الإسلامية هاتين الفريصتين . نصب العلم ليؤدي عمل التعليم ، وإقامة المؤدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والإسلام هو الدين الوحيد الذي تم له سعادة الأمم فإن قال قائل : إن كانت الديانة الإسلامية على ما بينت ، فما بال المسلمين على ما نرى من الحالة السيئة والحال المحزن ، فحواه هو النص الشريف : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .



ولقد نرى السيد جمال الدين بمصر ماشاء الله له أن يبقى بصول ويجول وبلتقى بالخاصة والساسة ولا يتخرج عن الاجتماع العامة يبشر آراءه ومبادئه وتعاليمه في السياسة والاجتماع والدين فكأن تنتشر في نفوس « دوى النيرة انتشار النار في الهشيم » .

غير أنه لم يكن مناصرا لاسماعيل بل كان ينقم منه استبداده وإسراعه وتمسكبه الدول الاستعمارية من مرافق البلاد وحقوقها ، وكان يتوسم الخير في توفيق إد رآه وهو ولى للمهد ميالا إلى الشورى يتقدم سياسة أبيه وإسراعه وقد اجتمعا في محفل الماسوية وتماهدا على

إقامة دعائم الشورى . . . ولكن توفيق لم يف بمهده بعد أن تولى الحكم . فقد بدا عليه الانحراف عن الشورى واستمع لوشايات رسل الاستعمار الأوروبي وفي مقدمتهم قنصل انجلترا العام في مصر إدا كانوا يقومون من السيد روح الثورة والدعوة إلى الحرية والدستور فغيروا عليه قلب الخديو وأوعزوا إليه بإحراجه من القطار المصرى فأصدر أمره بنبهه وكان ذلك قرار من مجلس النظار منعمدا برئاسة الخديو ، وكان نفيه غاية في القسوة إذ قبض عليه ليلة الأحد سادس رمضان (١٢٩٦ — ٢٤ من أغسطس سنة ١٨٧٩) وهو داهب إلى بيته بعد صلاة الفجر^(١) »

ولم يتورع الخديو في المشور الذي أصدره بنفي جمال الدين من أن بكيل للسيد التهم حزافا وأن يزح باسم الدين وحمايته من الإفساد — إذا لم ينف الأدعياء — وقد بدأ المشور بالمعبرة الآتية :

« لما كان الأمن والأمان والراحة والاطمئنان يتوقف عليهما قيام العمران في جميع الممالك والبلدان ، ومن أنجع الأبواب وأصلح الأسباب التي بها نحاح الممالك وسلوكها في أقوم المسالك قطع دابر المفسدين الساعين فيما يضر الدنيا والدين .

ثم يستطرد إلى أن يقول : ثم استشعرت بأن هناك حمية سرية من الشمان دوى الطيش محتمة على فساد الدين والدنيا والضرر بالبرية . يرأسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغانى^(٢) ثم يستمر المشور في كيل التهم ووصف الطريقة التي اتحدت في إبعاد السيد ليستقر الأمر للمستبدن .

هذا هو جمال الدين في إيجاز ، ولاشك أنه قد كانت لصيحاته آثار بيبات في الانحاء الديني في عصرنا الحديث .

* * *

والإمام محمد عبده كان من أكثر تلاميذه تأثرا بمبادئه ، حتى قال عنه عندما آذن أصدقائه المصريين وتلاميذه بالرحيل عن مصر للمرة الأخيرة وهو يودعهم في السويس :

(١) عصر اسماعيل للراعى ص ١٦١ ج ٥ الطبعة الأولى .

(٢) الوثائق المصرية ٨٢٦ في ١٨٧٩/٨/٣١ .

« لقد تركت اسمك الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالماً^(١) »

* * *

وكان الشيخ محمد عبده قد جاوز العشرين من عمره بقليل عندما التقى بالسيد جمال الدين لأول مرة^(٢) .

وكان قد قضى الشطر الأول من حياته التعليمية في المسجد الأحمدي ثم في الأزهر وحالط خاله الشيخ درويش الذي وجهه وجهة صوفية في مبدأ حياته . ولقد كان في أول أمره في حيرة واضطراب فهو يقرأ كما يقرأ الناس ولكنه يفهم غير ما يفهمون ويستنتج غير ما يستنتجون ومما كان يريد في حيرته واضطرابه أنه لا يجد محامدا عقليا مع من حوله من طلبة العلم وأساتذته

فلم يكن عربيا أن يستشعر برأى السيد جمال الدين الذي تحاوت نفسه مع نفسه ، وفهم كل منهما عن الآخر من أول لقاء ، وليس عربيا كذلك أن يكون موضوع الحديث الأول فيما كان يشغل تفكير محمد عبده طويلا : في التفسير والتصوف .

كأن جمال الدين قد أدرك بفطنة المعلم العظيم ميول الطالب الناشئ ورغباته فحاول أن يجتذبه إليه^(٣) .

وعندما تقدم الشيخ محمد عبده إلى لجنة الامتحان بالأزهر للحصول على « العالمية^(٤) » لم يكن كطالب معتاد وإنما كان هناك التجدي إلى جانب الشيوخ وانتهى الأمر بحصوله على درجة العالمية بعد أن لقي مالتى من عمت وإحراج ، ثم سار بعد هذا الامتحان عالما لايسع العلماء — راضين أو كارهين — إلا الاعتراف به .

(١) الإسلام والتجديد ص (٢١) — سبتمبر ١٨٧٩ .

(٢) ولد بمحلة نصر في سنة ١٨٤٩ — وقد أشار كتاب الإسلام والتجديد إلى خلاف في تاريخ

أول لقاء بالسيد جمال الدين فقال أنه كان أولا في سنة ١٨٦٩ وبعد سفر جمال الدين وعودته في سنة ١٨٧١

كان اللقاء الثاني — هامش ص ٣٢ .

(٣) الإسلام والتجديد ص ٣٢

(٤) كان ذلك في سنة ١٨٧٧ .

وبحصول الشيخ محمد عبده على الشهادة من الأزهر بدأ دورا جديدا^(١) من أدوار حياته وكفاحه ، فقد أصبح علما يسند إليه التدريس في الأزهر وفي غيره من معاهد العلم ، ثم أصبح صحفيا يتولى تحرير الوقائع ويشرف على إدارة المطبوعات ، ثم صار عضوا في مجلس التعليم الأعلى الذي أنشئ بوزاره المعارف^(٢) .

ومن ثم فقد كانت تلك الفترة من حياته حافلة بالنشاط والإنتاج ظاهر الأثر في الحياة العامة السياسية والأدبية ، وظهرت مهارته ومقدرته العامة وقام بمحاولات تذكر فتشكر نحو إصلاح الكتانة .

والذي يعنيننا هنا هو أن الأستاذ الإمام قد وضع نصب عيبيه في إصلاحه الديني — كأستاذه جمال الدين — ضرورة العودة إلى صفاء الإسلام وتعريفه للناس على حقيقته وتنقيته بماعلق به من أوهام وحرافات .

وهو يقول في ذلك : « وحدث أني نشأت كأى واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر ودخلت فيها فيه يدخلون ثم لم ألت بعد أن قطعت مرحلة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون ، واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون ، فمترت على ما لم يكونوا يمتثلون عليه وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت إليه ، وارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين :

الأمر الأول : تحرير الفكر الإسلامى من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى بناءها الأولى ، واعتباره من ضمن موارد العقل الشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنسانى ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعالم ، ناعنا على المحث

(١) أدوار حياة الأمام وكفاحه ثلاثة الدور الأول ١٨٤٩ — ١٨٧٧ وهو مرحلتان . —

١ — مرحلة الاعداد والتسكوى ١٨٤٩ — ١٨٦٥ ب — مرحلة التصوف وطلب العلم ٦٥ — ٧٧ والدور الثانى ١٨٧٧ — ١٨٨٨ وهو مرحلتان أيضا — الأولى : ٧٧ — ٨٢ وهى المرحلة التى طهر فيها كماله وصحى ، والثانية ١٨٨٢ — ١٨٨٨ وهى أعماله فى المنفى ثم عودته . والدور الثالث وهو المرحلة الأخيرة : ١٨٨٨ — ١٩٠٥ وهو دور الضال مع الحديو عاس وقد طهر فيه كماله ومصلح احتماعى — الإسلام والتحديد — منهج البحث

(٢) أنشئ عشورة الأمام وهوذ رياض ناشا فى مارس سنة ١٨٨١ .

في أسرار السكون داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل ، كل هذا أجده أمرا واحدا وقد خالفت فيه رأى العثنيين العظيمين اللتين يترك منهما جسم الأمة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم .

أما الأمر الثاني : فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المحادثات الرسمية بين دراوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد .

وهناك أمر آخر كنت من دعائه والناس جميعا في عمي عنه وبعد عن تعقله ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، وما أصابهم الوهن والضعف والنل إلا بخلو محتمهم منه ، وذلك هو التمييز بين ماله الحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدل على الحكومة الخ^(١) »

هذا . وعندما لاح أفق الثورة المرابية كان الشيخ محمد عبده أول الأمر من المعارضين للاشتباك المسلح ، لأنه كان يرى أن تنصرف الجهود لإزالة الأمية وترقية أحوال الشعب أولا ، ثم إنه كان يحشى أن يؤدي الأمر إلى تدخل الأجانب .

ولكنه لما رأى أن القوم قد أجمعوا أمرهم ولم يعد دمن امتشاق الحسام والصدام دخل فيما دخلوا فيه ، وأصبح من أبرز خطباء الثورة والعاملين في تنفيذها ولم يخرج عن سياسة العرايين ولكن أنت الرياح مما لانشتهى السفن وحدث ما حدث من الهزيمة ونفى الإمام مع مع من نهي

• • •

والذي يهكما بما أشرنا إليه من سيرة الإمامين هو تلك الهزلة الفكرية التي أحدثتها آراؤها في العقلية الإسلامية ، وما أثارته من بقطة في بعض النفوس .

فلقد سمع العلماء في الأزهر حينذاك دروسا لم يألّفوا سماعها من قبل ورأوا رحلين يتسكبان

(١) تاريخ الامام > ١ ص ١١ — وري تدرج هذه الأمور الثلاثة مع أطوار حياته ههنا

في شئون السياسة والحكام إلى جانب كلامهم في شئون الدين على أساليب جديدة وفي العلمنة وهم لم يكونوا ، يألفون من رجل الدين إلا أن يتكلم في « الدين » ثم إنهم لم يكونوا يدركون من هذا « الدين » إلا ما وجدوا آباءهم الأقرين عاكفين عليه من متون وشروح أبواب النحو أو الفقه تتعلق غالبا بالمبادات وكأن أبواب المعاملات والجهاد لم تكن من أصول الدين . ولئن كان المضطرب الذي تجاوبت فيه تلك الصيحات محدودا في أول الأمر فسرى كيف امتد ثم اتسع واتسع كثيرا فيما بعد .

* * *

(٣)

ولقد ظلت مصر تدب بالولاء لحليفة المسلمين منذ الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن أُلغيت السيادة العثمانية على مصر^(١)

وكانت مصر قد دخلت تحت السيادة العثمانية منذ أن تغلب عليها السلطان سليم^(٢) وحمل « المتوكل »^(٣) آخر حليفة عباسي إلى تركيا حيث قد انتقلت الخلافة إلى بني عثمان وصار سلاطينهم يلقبون بأمراء المؤمنين وخلفاء المسلمين

وأصبحت مصر بحكم الفتح ولاية عثمانية يحكمها وال يعينه الخليفة ويدير الملاد وفق نظم مرسومة . واستمرت كذلك فترة من الزمن طويلة إلا أنها بدأت في التفتت من هذا الحصوص المطلق من حين تولية محمد علي باختيار المصريين وقد أصبح الحكم وراثيا في سلالته مع إصدار فرمان التعميم لكل حاكم من باب التكريم كالذي نراه في منشور أصدره توفيق عقب توليته معتزا بأمر الخليفة « إن العناية الإلهية سلت رمام الحكومة المصرية إلى يدنا فصلا منها وإحسانا . فقد تشرفنا بأمر شريف بذلك من متبوعى الأفخم ، وسلطانى الأعظم نصره الله

(١) ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤

(٢) ١٥١٧

(٣) كانت خلافته مرمرية أقامه المماليك ليبتل أهل السنة حتى يصرفوا المسلمين عن العوده إلى مذهب الشيعة والخمين إلى العاطميين ، لذلك سهل الأمر بالاعتراف بخلافة بنى عثمان عندما آل الأمر إليهم عن طريق السنين ويقال إن المتوكل هذا قد تارل عن الخلافة لالسلطان سليم (عن الدولة العاسية) المرحوم حسن خليفة ص ٢٤٤

فهذه نعمة لا يؤدي شكرها إلا بحسن القيام بأداء وظائف ذلك المقام^(١)

ومركز الخلافة في نفوس المسلمين عامة دني حطير ، فهم يرون في الخليفة أنه الراعي الروحي الذي يتولى توجيههم الديني في السلم والحرب ويحمي حيا الدين ، وهم لذلك يزلونه من أنفسهم منزلة الإجلال والاحترام عن طواعية ورضا لأنه لم يتول أمرهم إلا بالمبايعة من مجموع المسلمين في الأصل أو بالعهد ممن يابعوه

« ومن الخطأ أن يظن أن احترام الخلافة الإسلامية ينهض على أية عاطفة أخرى غير عاطفة الدين ، ومن ظن أنه ينهض على اسم الوطن ومصصلحة البلاد مما شا كل ذلك فقد ضل سواء السبيل^(٢) »

ورغم أن مصر كانت تنظر إلى الخلافة نظرة الإكثار والاحترام من الوجهة الدينية فإنها لم تتوان في إظهار السخط من الحكماء الذين كانوا يمشون بمصالحها رغم تعيينهم من السلطان وكثيرا ما كانت ترفع أمرهم إلى دار الخلافة .

ومن ذلك أنهم عندما ضاقوا درعا بأولئك الولاة المبيين رأوا أن يخرجوا على هذا الظلام ويختاروا هم حاكمهم مع استرضاء الخليفة حتى لا يمتد هذا الاتحاد حروحا عن الطاعة الواجبة .

ولئن كانت كثافة الجهل وسوء الأحوال قد حجبحت معاني القومية فإن هذه المعاني كانت متأصلة في نفوس المصريين تظهر بقدر من حيا إلى حيا كلما سبحت فرصة بذلك .

وفي أحرى أيام اسماعيل كان الشعب قد أصاب نوعا من المعرفة ، وأحدث معالم القومية ترداد وضوحا .

فلما كانت أيام توفيق لم تمد مصر بمحتمل أكثر مما احتملت ، فهاهو إلا أن رفع مرابي وصحبه راية المصيان ضد الخديو حتى تجتمع الشعب وراءهم ، وراح يبذل النفس والنفيس ، فكان ذلك الصدام الذي يوجب الإعجاب بهذه الأمة ولولا ترخص دول أوروبا بمصر الدوائر

(١) الثورة العربية لاراضي ص ٢٣

(٢) الاسلام والتعدد ص ٥٩

ثم لولا حياة من حان من أمثال سلطان باشا وعلى حنفس لكان تاريخنا الحديث على صورة أخرى

ولقد كانت الثورة العربية مظهرًا لمرحلة من مراحل نمو القومية المصرية وكانت لها أسبابها الخاصة التي أهمها شعور الصباط المصريين بالظلم والتفرقة بينهم وبين الأتراك في المناصب -- وأسبابها العامة التي تدور حول تدهور الأحوال المالية . السياسية والاجتماعية وعدم استجابة توفيق لمطالب الشعب في الحكم النيابي والدستور إلى غير ذلك .. ثم كانت لها نتائجها الخطيرة في الاحتلال .

ولقد ظهرت للعامل الديني في هذا الصراع ، واستغلال مركز الخلافة الدينية للزج باسم « الدين » عند اللزوم آثار واضحة .

فقد استخدم الفريقان المصطرعان اسم « الدين » للاستفادة من عاطفة « الدين » الكامنة في نفوس الجماهير :

١ - فعندما أعلن رعماء المرابيين عن مبادئهم ومقاصدهم وعزمهم الأكيد على عدم الحضور للاستعداد أو السماح بعودة الظالم في برنامج « الحزب الوطني » أشاروا في المادة الأولى من تلك المبادئ، إلى ضرورة المحافظة على الرابطة المقدسة بينهم وبين الخليفة بوصفه إمامًا للمسلمين فقالوا

رى رجال الحزب الوطني ضرورة المحافظة على الرابطة الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالي ، واتحاد هذه الروابط ركنا يستند عليه في عمله ويعترف بالسلطان عبد الحميد كتشوع وحليفة وإمام للمسلمين . ولا يرون تمديد هذه الصلات ما دامت الدولة العلية في الوجود »^(١) .

ورى هذا التأييد المطلق للخلافة ، ولكن المادة الثانية التي تعلن التأييد للحديثي توفيق تقيد هذا التأييد إذ قررت أن « يجمع الحزب للحزب الحديثي الحالي وهو مصمم على تأييد سلطته ما دامت أحكامه حارية وفقا للمعدل والقانون حسب ما وعد به المصريين في سبتمبر سنة ١٨٨١ »^(٢) .

(١) الثورة العربية ص ١٤٥

(٢) إشارة إلى مطالب عرابي في سبتمبر سنة ١٨٨١ في مطاهرة عابدين الأولى .

٢ - وعندما أعلن الحديو عزل عرابي (في ٢٠ يولييه سنة ١٨٨٢) بعد صرب الاسكندرية لعدم رضوخه لأوامره واستمراره في تجميع الأمة ومحاربة الانجليز ، اجتمعت الجمعية العمومة للمجلس العرقي المكون من أهل الرأي في البلاد لمعاونة الحكومة^(١) للمرة الثانية وكانت حوالى خمسمائة من رجالات مصر وفي مقدمتهم شيخ الأزهر وثلاثة من الأمراء وقاصي القضاة وقيب الأشراف وبطريك الروم وحام اليهود وكثير من العلماء والأعيان والعمد وقررت^(٢) بقاء عرابي في منصبه وعدم الرضوخ لأوامر الحديو مستندة في ذلك إلى فتوى أصدرها الشيخ عليش والشيخ حسن العدوي والشيخ الحلفاوى بأن الحديو ناخبيازه إلى عسكر الأعداء يعتبر مارقا عن الدين لا تنفيذ لأوامره .

وبعد أن سرد قرار هذه الجمعية أعمال الحديو السيئة وموافقه من معاداة الوطنيين وموالاه الأعداء^(٣) قال :

« رأينا أن وجود المساكر في الإسكندرية والمراكب الانجليزية في السواحل المصرية ووقوف عرابي ناشا بمساعدة العدو يقتضى وحب بقاء الناشا المشار إليه في بطاريه الجهادية والبحرية . مداوما قيادة المساكر ومتبعا في أوامره المتملقة بالمسكربة وعدم إيقاله من تلك الوظيفة .

ورأينا وحب توقيف أوامر الحديو مما يصدر من بطاريه الموحدين معه في الاسكندرية كائنة ما كانت لأية جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث « أن الحديو » خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون النيف ، ويلزم عرض قرارنا هذا على الأعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء المطارات^(٤) .

٣ - وعندما احتدم الصراع بين العرابيين والانجليز تحارب الأمة بمختلف طمقاتها وهيئاتها مع الثوار وانهازل المتطوعون والترعات المختلفة من أموال وعتاد على العرابيين وكانت

(١) أشيء في ١٧ / ٧ / ١٨٨٢

(٢) تاريخ ٢٢ / ٧ / ١٨٨٢

(٣) كان توقيف يملئ كندا أن بية الإنجليز اصلاح الاستعمار

(٤) الثورة المرامية ٤٠٤ والوفائع ١٠٦٦ في ٣١ / ٧ / ١٨٨٢ — كان محرر هذا القرار هو الشيخ

منابر البلاد في طول البلاد وعرضها تدوى بالخطب المؤثرة صاربة على الوتر الحساس ، وتر العاطفة الدينية تستثير حماسة الجماهير وتجمعهم يقبلون على البذل والفداء عن طوعية واختيار لأن محاربة الكفار فرض يحتمه الدين لحماية العقائد والأعراض^(١) .

٤ - وكثيرا ما كان يرج باسم «الدين» في المنشورات التي تصدر ضد الزعماء فقد رأينا كيف رد توفيق بنى جمال الدين « بأنه رأس جمعية لفساد الدين والدنيا » .

ولم يتورع الخرنال ولسلى الأنجليرى من أن يرج باسم الدين في منشوراته ومن ذلك أنه أصدر منشورا عنوانه « باسم الحضرة الحديوية » وحاء فيه : « . . . فعموم الأهالى الذين في سلم وسكينة نصير معاملتهم بكل تودد وإنسانية ولا يحصل لهم أدنى ضرر (بل يحترم دينهم وجوامعهم وعائلاتهم) إلى أن يقول : وإن الخرنال قائد الجيوش يسر جدا من زيارة مشايخ البلاد وحلافهم ، الذين يودون المساعدة لردع العصيان الذى هو ضد الحضرة الحديوية الحاكم (والوالى الشرعى) على القطر المصرى (المين من لدن الذات الشاهانية)^(٢) .

وهو يريد بذلك أن يخفف من حدة ثوران الجماهير . ما دامت الجوامع ستظل مفتوحة الأبواب .

٥ - وعمد ماتمحرر مركز الانجليز ورأوا تصميم الأمة على الوقوف ضدهم حلف عرابى صفاء واحدا ، وأن ضرب الاسكندرية لم يحسم النزاع ، راحوا يستصدرون منشورا من الخليفة يملن فيه عصيان عرابى عن طاعة السلطان ، وقد أفلحوا في ذلك بما عرف عنهم من حديعة ومكر فقد احنالوا أولا عنفاوضة السلطان في إرسال جيش لإحجاد الفتنة ، « وفي عصون مهزلة تلك المفاوضة طلب « اللورد دوفرين » من الصدر الأعظم سعيد باشا أن يملن السلطان عصيان عرابى ، وأن يقترن هذا الاعلان بالاتفاق على اشتراك الجيش في مصر » . . .

« ولم تسكن نية إنحلترا هذا الاتفاق احترامه وتنفيذه ، فإنها مجلت بإحجاد الثورة قبل أن تتحرك تركيا إلى إرسال جيشها ، بل كان عرضها إداعة إعلان السلطان عصيان عرابى

(١) راح أعداد الوقائع في الفترة من يولييه إلى ١٩ ستمبر سنة ١٨٨٢ .

(٢) الثورة العرابية ٢٢٨ تاريخ ١٩ / ٨ / ١٨٨٢ .

أثناء رحعها لتتخذ منه وسيلة لإصعاف قوة الجيش المصرى وإيقاع الفقرة والانحلال فى صفوفه وصرف القلوب عن تأييد عرابى فى القتال ، ولو ترك السلطان وشأنه لما فكر فى إصدار هذا الإعلان ، لأنه فى خاصة نفسه لم يكن يهطف على الحديو توفيق ولا كان يميل إلى تثبيت سلطته ولكن السياسة الإنجليزية ألحت وتهددت واستخدمت كل الوسائط ومنها الرشوة لدى رجال « المابين » حتى أصدر السلطان إعلانه المشئوم^(١) .

ولقد نشرت حريدة الحوانب^(٢) هذا المنشور الذى يملن عصيان عرابى بعنوان ناور : « بإرادة سيدنا ومولانا السلطان العظم أمير المؤمنين خليفتنا الأعظم » .

وأوله : « ليكن معلوما للجميع أن الحديوية المصرية هى مودعة من طرف حضرة ماجأ الخلافة العظمى الأشرف لدى حضرة نخامتو محمد توفيق باشا

ولما كان حضرة الخديو المشار إليه وكيلًا مطلقا للسلطنة السنية فى إدارة الأمور المصرية كانت أوامره مطاعة والسلوك عما يحالفها موح للمسئولية »

ويتلخص هذا المنشور فى أن الوكيل الشرعى للدولة المليية فى مصر هو الحديو توفيق وأن أعمال عرابى مخالفة للدولة المليية وأنه بالرغم مما ناله من العفو أولا يسبب إعلانه الولاء للسلطان^(٣) فإنه عاد وناهض السلطنة .

وإن أعمال عرابى قد هددت سلامة الدولة ، وهى مصرة لمصر وممايرة لمصالح المسلمين . ومن أحل أن « عرابى » وأعوانه قد حرحوا عن طاعة السلطان الأشرف فإنهم يعتبرون عصاه .

وتتمتر أعمالهم مخالفة للشريعة الإسلامية الفراء ومضادة لها بالكلية . وعلى ذلك يتمين على سكان الأقطار المصرية حالة كونهم رعية مولانا وسيدنا الخليفة

(١) الثورة العرابية ١٨٨١

(٢) حريدة أنشئت فى سنة ١٨٦٠ بالآستانة أنشأها أحمد فارس الشدياق — المعدد ١١٠٠ تاريخ ١٢ / ٩ / ١٨٨٢ فى عمودين كاملين من أعمدتها .

(٣) مد حادثه عامين الاول سنة ١٨٨١ .

الأعظم . أن يطيعوا أوامر الخديو المعظم الذى هو فى مصر وكيل الخليفة فى مصر

ولقد أبتهج الخديو بهذا المنشور أيما انتهاج ، وعهد إلى سلطان باشا^(١) توزيع نسخ من جريدة الجوائب التى نشرته ، والاتصال بضباط الجيش المصرى لاطلاعهم عليه ، وورع كثيرا من المنشورات بهذا المعنى . وتمقل سلطان باشا فى البلاد لدعوة العمدة والأعيان لوقف مساعدات عرابى ثم مساعدة الإنجليز إرضاء للخديو والخليفة .

ولا جرم أحدثت هذه المنشورات تأثيرا كبيرا فى حالة الضباط المعنوية بخاصة والبلاد عامة ويقول عرابى إنه رأى تأثيرها باديا فى الضباط فأفهمهم أنها دسيصة إنجليزية تمككوا من إغادها بواسطة الرشوة ، ولكن لم تؤثر بصائحهم فى أحمد عبد المعز فومندان العرسا ولا فى عمدة الرحمن حسن ولا على يوسف حمص « وأمرؤا العدر والحياة^(٢) »

وبقول فى موضع آخر^(٣) من مذكراته عن سبب الخذلان : « وأسباب هذا الخذلان هو أنه خلال تلك الأيام كانت الرسائل تدبث من قبل الخديو إلى كبار الضباط بالوعد والوعيد معللة لهم أن الجيش الإنجليزى لم يحضر إلى مصر إلا بأمر السلطان خدمة للخديو وتأيدا لسلطته .

وبعد فهذا هو مركز الخلافة الدينية^(٤) فى تلك الفترة من الزمان وما كانت له من آثار فى نفوس المصريين ، وفدرا أيضا كيف كان يستعمل عند اللزوم .

تعليق

ستخلص من هذه الدراسة ما يأتى :

- (١) أحد الدين مانوا « عرابى » وانصموا الى الخديو
- (٢) الثورة العرابية ١٨٨٤ ع . مذكرات عرابى المخطوطة (٣) المرحع السابق ١٥٣
- (٤) ولكن بعد تدخل الانجليز واحتلال البلاد أصبح هذا المركز رمزيا يتمثل فى الحرية وحطة الجمعة اما السلطان العلى فتدكان للانجليز وقد سهر تسلطهم باعلان الحماية فى ديسمبر سنة ١٩١٤ والغاء السيادة العثمانية وتعيين حسين كامل سلطانا على مصر دون موافقة السلطان لاول مرة

أولا : أن المظهر الدينى فى تلك الفترة كان امتدادا لما كان عليه فى عصور الصف
إبان العصر العثمانى :

فغاية رجل « الدين » أن يلم ببعض مسائل العقدة التى تتعاقب غالبا بفرائض الصلاة
والموايىث .

وعاية المتدين أن يؤدى الصلوات ، وأن يتقرب إلى الله بأضرحة الأولياء والصالحين
أو بتلاوة التوسلات والابتهالات ودلائل الخيرات أو تربيات الصوفية فى حلقات الذكر ،
وكان هذا حال الجمهور الأكر من المسلمين^(١)

ثانيا : أن دعوه الوهابيين التى جوهرها الدعوة إلى التوحيد الحالى وتوحيد شىء
الإسلام وإزالة ماتراكم عليه من جهالات المصور قد أحقت فى مصر فى أول الأمر لاعتبارات
سياسية ، ولم يأنه العلماء بدراساتها بل أهم كانوا يتحاشونها ثم صاروا حربا عليها
إرساء للحكام .

ثالثا : أن جهود السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده الأولى قد أحدثت بعض الوعى
الإسلامى فى هذه الفترة ولا سيما فى الثورة المرابية أما آثارها السكرى فستظهر فيما
بعد . وذلك لأن طبيعة الانقلابات العسكرية والدينية أن تتجلى أصدائها بعد ظهورها بفترة
ما من الزمن .

ومن ثم فقد تكون أصداء ذلك الوعى محدودة فى شمر تلك الفترة فى حين أننا سمح
تلك الاصداء تغمر الشعر شيئا فشيئا كلما تقدم الوعى الإسلامى

رابعا : كثيرا ما كانت تستعمل العاطفة الدينية فى تنفيذ المآرب : حرب الوهابيين اعترت
مقدسة لينعد محمد على مآربه . . وبى جمال الدين محجة أنه يرأس جمعية نفسد الدين والديا ،
ليأمن الخديو تأثيره فى إيقاظ الشعور الوطنى . والقائد والسلى يطلب الإدعان للاحتلال لأنه
سيترك مساجدهم مفتوحة .

وعرابى يمتد حارجا على الشرع الشريف عاصيا لجامعة المسلمين ليتمكن أعداء الملاد

(١) ومما يؤسف له أن آثار ذلك كله مارالت فاشية بين كثير من المسلمين ولا سيما فى الأرياف

من بث روح الفتنة والمعرفة في صفوف المجاهدين فيصلوا بذلك إلى ما يريدون من
اضمحلال المقاومة .

حامسا . لم يحد من الصحافة الدينية شيئا في تلك الفترة ، ولكن بفصل وجود الشيخ
محمد عبده في إدارة الوقائع أيام الثورة العراقية فإنها كانت تنشر صور الخطب الدينية التي كان
يلقيها العلماء في المساجد والمحافل ، والقصائد المختلفة التي تُمثِّل المصريين على الصبر والتبرع
والبدل . . للدفاع عن الدين والأعراض^(١) .

والمجالات التي أنشئت في عصر إسماعيل لم يكن لها طابع ديني ، فروضة المدارس مثلا
كانت تهتم بالمباحث الطريفة في أنعم والاجتماع والفلك . وكذلك المجالات والخرائد التي
أنشئت في أواخر أيام إسماعيل كانت تعنى بالأخبار والشئون السياسية العامة .
وطبعمي ألا يحد الصحافة الدينية ممثلة في ذلك الزمن لصالة الصورة التي كانت معروفة
عن « الدين » حينذاك ، ولعشاوة الحهل التي رأت على القلوب والأبصار .

وسرى في المصوول التالية — في الباب الثاني — كيف نشأت الصحافة الدينية وكيف
تدرحت وعت تاردياد الوصوح في الفكرة الإسلامية واتساع آفاقها ونشر الوعي
الإسلامي .

* * *

ولننتقل مدد هذا إلى الفصل الثاني لمبحث الشعر الديني والشعراء على صوء مامر بما من
دراسة العوامل الدينية في ذلك العصر .

(١) راحم أعداد الوقائع يولية — سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

الفصل الثاني

الشعر الديني والشعر

الشعر مرآة تنعكس عليها صور الحياة العامة للأمة في مختلف أطوارها وهو يتأثر بما يصطرب به تلك الحياة من عوامل دينية وثقافية وسياسية وغيرها ، وقد يكون الشعر من من أصدق المصادر وأوقاها للتاريخ في بعض المصور .

وقد رأينا في الفصل الأول مدى ظهور العامل الديني في الحياة المصرية في فترة من الزمن^(١)

وسندرس في هذا الفصل مدى تحاوب شعراء تلك الفترة وهذا العامل ، وإلى أى حد كانت الطواهر الدينية في شعرهم .

وطبيعى ألا يكون الشعر الديني عند أولئك الشعراء إلا صورة لما ارتسم في الأذهان عن الدين في تلك الفترة . وقد ذكرنا في التمهيد^(٢) أن الشعر الديني نوعان : أحدهما هو امتداد لما كان عليه الشعراء من لدن ظهور الإسلام وذلك كالدأخ النبوية فهو لا يحتاج إلى باعث جديد أو مثير للشعور الديني وإنما يتلون في كل زمان بما يستجد من الصور والأساليب ، والآخر ما كان إنشاؤه صدى لأمر تثير العاطفة الدينية — وهو يختلف باختلاف الزمن والمناسبة — وذلك كالذى نخده في بعض شعر الثورة العربية^(٣) من التحريض باسم الدين حينما اعتدى الإنجليز على ديار الإسلام ، وكالرد على هاتوتو وكرومر عند مهاجمتهما للإسلام كما سنرى في الباب الثاني^(٤) .

وبالبحث في دواوين الشعراء والصحف وجدنا أن الاتجاهات الدينية في شعر ذلك الجيل تتمثل في الموضوعات الآتية :

(٢) من ٤٧ — ٤٨

(١) ١٧٩٨ — ١٨٨٢

(٤) من (٢٤٩)

(٣) من (١٣٢) من هذا البحث

- ١ — المدائح والتوسلات النبوية .
- ٢ — مدائح آل البيت والأشراف
- ٣ — التوسل بالأولياء والصالحين .
- ٤ — مدائح الخلفاء وتهيأ الخديويين في المناسبات الدينية .
- ٥ — المناسبات العامة — الزهد والتصوف .
- ٦ — التحريض في الثورة العراقية .

وربما كان من العسير أن يستقصى كل ما قيل في ذلك أو أن يدونه هنا وذلك لكثرته من جهة ثم للمشابهة بين أكثر القصائد في الموضوع الواحد ومن ثم فسنعصر بحثنا على دراسة بعض القصائد في كل من تلك الموضوعات :

١ — المدائح والتوسلات النبوية :

لقد وحد شعراؤنا أمامهم تراثا ضخما من المدائح النبوية بدأت من لدن حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن عاصره من الشعراء الاسلاميين ثم من تلامهم بعد ذلك من الشعراء على مر الأيام والدهور وقد تلوت تلك المدائح بأدواق العصور الإسلامية المتوالية وفست من كل عصر حصائمه الفنية للشعر ، وسجت على مختلف القوافي والأوزان .

ولقد مر بنا ما كانت عليه ثقافة علمائنا — وقد كان منهم أكثر الشعراء — من ضعف وصيق ، فلم تكن لديهم وسائل التشكك أو التجديد ومن ثم فقد راحوا يحاكون سابقهم الدين ولعوا بالمحسنات اللفظية وافتنوا في صروب المديح في عصر المهالك ، حيث كانت مدرسة الفحول قد توارت وبررت مكانها مدرسة العناية بالمحسنات البدعية وبلغ الشعر من الضعف ما بلغ

فلم يكن عربيا إذا ما ستره في شعرائنا من إغراق في ضروب المديح وإهتمام بصناعة اللفظ وركاكة في سجع العبارة وضعف في المعاني . هذا وقد أحدث بعض المدائح السوية شهرة خاصة في تاريخ الأدب العربي كقصيدة كعب بن زهير (بابت سعاد) ثم الردة

والهمزية للبوصيرى ثم مدأخ الرعى^(١) وبديمية تقى الدين بن حجة^(٢) وغيرها ، فكانت تلك المدأخ وأمثالها موضع اهتمام شعرائنا جمعًا ودراسة لاشتغالها على عنصر هام يتصل بشقاقتهم وهو عنصر ذكرى الرسول عليه الصلاة والسلام وراحوا يحاكونها ويسجون على منوالها بقدر ما تسمح لهم به شاعريتهم وإمكانياتهم اللغوية وقدراتهم على الصياغة وحبك الأساليب ولم تكن المحاكاة هي السبيل الوحيد أمامهم بل كثيرا ما كانوا يمددون إلى التشطير والتخميس وما شا كلهما من ضروب الأوران .

وسنرى فيما سنسوقه من أمثلة صورا توضح لما ما ذكرنا :

١ - - في ديوان السيد على الدرويش^(٣) « الإشمار بحميد الأشعار » محدست قصائد في مدح النبى صلى الله عليه وسلم - غير التى سذكرها له في مناسبة مدح السادة المكرية^(٤) احتفالا بذكرى المولد النبوى الشريف .

وأولى تلك القصائد من الروى المقصور قال في مطلعها^(٥) :

الْحَمْدُ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ دَى السَّيِّمَا وَإِلَيْهِ تَمْدُدُ سَنَاءَ وَسَاءَ
وَصَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ أَدْنَى عَلَى حَمْدٍ وَالْآلِ فِي أَفْقِ الْمَلَا

ثم انتقل إلى الافتتان في الصناعة اللفظية بكل بيت فقال حاعلا كل حرف منفرداً عن الآخر :

أَرَاكَ : وَدَّى اِنْ أَرَاكَ وَأَنْ أَرَى

آرَامَ وَادِ رَادَهُ وَدَقُّ رَوَى^(٦)

(١) هو الشيخ عبد الرحم الرعى كان موحودا في القرن الخامس وله ديوان شتمل على الربايات والسيويات والصويبات والوعديات - الطبعة العلمية ١٣١٢

(٢) توفى سنة ٨٣٧ هـ

(٣) توفى سنة ١٢٧٠ وكان من أشهر شعراء زمانه في صروب الصاعات الأمطيه وقد قام بعيدته مصطفى سلامة الحارثى صمم ديوانه سنة ١٢٨٤ وهو تجمع شعره ونثره في ٤٨١ صفحة منها ٣٤٩ صفحة خاصة بالشعر

(٤) ن ٣٣٦ من الديوان (٥) ن ٣ من الديوان

(٦) أَرَاكَ . الهجرة الأولى للبناء والأراك شعر تؤحد معه أعواد السواك والودق : المضمر

ثم كل حرفين معاً :

كَمْ كَوَكِبَ لِي طَالِمٌ فِي حَاحِرٍ يَرَهُوْ بَوَجْهِ ضَاءَ يَالَهُ حَاىَ (١)

ثم كل ثلاثة أحرف معاً .

قَمَرٌ بَعِيٌّ فِيهِ هَمْتُ قَمَا شَفَى

ضَنَى فَتَى يَنْظَلُّ مِنْهُ عَلَى شَفَا (٢)

ثم كل أربعة أحرف معاً :

قَلْبِي يَهِيْ طَاطِيْبٌ طَاطِيْبَةٌ مُّعَمَّرٌ (٣)

طُطْبًا تَجَنَّتْ لَطْمَادٌ تَتَقَى

ثم معجماً حروف شطر ومهملاً حروف آخر :

رَيْئٌ نَبِيٌّ يَتَقَى يَتَقَى يَبِيْ هُوَ رَأْسٌ حَرٌّ حَرَمٌ كَلُّ الْمَلَا

ثم مهملاً حروف الشطرين :

وَهُوَ رَسُوْلُ اللهِ طَهَ أَحْمَدٌ وَمُحَمَّدٌ رُوحُ الْمَسْكَرِمِ وَالْعَمَلَا

ثم معجماً حروف الشطرين :

يَفِيْثٌ فِي ضَيْقٍ فَتَى دَا حَيْفَةً نَبِيٌّ فَيَنْصُرُ يَتَقَى عَيْثَ عِى

وهكذا يسير إلى آخر القصيدة مفتتاً في صوغ كل بيت بطريقة خاصة من حيث إجماع الحروف وإهمالها وترتيبها فإذا استطاع أن يسوق معنى خلال تلك الألفاظ المحشورة حشراً وفيها وإلا فالصعقة مقدمة على كل ما عداها من حصائص الشعر .

ثم يسوق بعدها خمسة أبيات من نفس الوزن ولكن على روى ممدود والبيت الأول يمكنك أن تبدأ بأي من كلماته ويكون ما بعدها معنى كاملاً .

سَمَحٌ سَنِيٌّ رَبُّ حَمْدٍ حَالِمٌ لِي حُبُّهُ دِينَ وَرَنَجٌ سَمَاءِ

(١) لون بشه صدأ الحديد ويدل على القوة س ٣ . . . وهي من عشرين بيت

(٢) صى : الصى شدة المرس (٣) معمر : فعله أعمر بمعنى ملكك الدار لتعمرها

والثاني كلياته من القلوب المستوى (تقرأ كل كلمة طردا وعكسا)
أَمَّا أَضَاءَ هُلُولُهُ لَيْلَ الْمَلَأُ وَهُوَ الْمَلَأُ يَفِي لِكُلِّ أَدَا.
والثالث كل كلمة منه مقلوب لما قبلها :

إِذْ دَاسَنَّا أَنْسَ هُنَاكَ كَانَهُ لَكَ كَكُلُّ قُرْبٍ بَرَقَ أَجْرٍ رَحَاءَ
والرابع والخامس يقرأ مقلوب نأيهما كما يقرأ أولهما :

أَيْضَامُ سَائِلُ رِثِهِ أَطْلُبُهُ لِأَيِّ إِيَّاهُ بَرُّ يَقُومُ عَنْدَ
أَنْعَمِ وَقُلْ رَبُّ هُنَاءَ يَا لَهُ كُلُّ طَاهِرٍ نَلْ نَأْمَاءَ ضِيَاءَ

وفي الديوان بديعتان في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام أحدهما ^(١) من ثلاثين بيتا ومطلعهما :

لِلطَّرْفِ مَطْلَعُ نَذْرِ الْحُسْنِ قَالَ رُمِ
حَتَّى اسْتَهْلَ وَقَلْبِي بِالْفَرَاحِ رُمِ
ومنها وهو ختامها وفيه تاريخها :

أَرْخُو قَوْلَكَ نَظْمًا فِي مُؤَرَّحَةٍ
أَهْدَى عَلَى ثَنَاءٍ شَامِعُ الْأُمَمِ

١٢٤٤

والأخرى من واحد وعشرين بيتا ومطلعهما : ^(٢)
بَدِيعُ مَطْلَعِ حُسْنِ الْفَرْدِ الْعَلِيمِ
بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الثُّورَ وَالْعَلِيمِ
ومحا كانه لبدعية تقي الدين بن حجة التي مطلعها ^(٣) :

(١) س : من الديوان (٢) س : من الديوان

(٣) توفي سنة ٨٣٧ هجرية وسدشير إلى هذه البدعية عند الحديث عن بدعية الساعاتي لأنه

عارضها معارضة تامة

لِي فِي ابْتِدَاءِ مَدْحِكُمْ يَا عَرَبَ ذِي سَلَمٍ
(بَرَاءَةٌ تَسْتَعِينُ) الدَّمْعَ فِي الْقَلَمِ

واصحة في هذه البديمية .

ومنها :

يَا عَذْلِي قَسَمًا فِيمَا تَضَمَّنَهُ
إِنَّ الْحُبَّ عَنْ الْمُدَالِ فِي صَمِّ

والشطر الثاني من هذا البيت مأخوذ من بيت البوصيري :

مَحْضَتِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ الْحُبَّ عَنْ الْمُدَالِ فِي صَمِّ
ولكن شاعرنا قد اهتم بذكر لفظ (التضمين) وهو أحد عناوين علم الدبيع .

ومنها :

قَرَدٌ مِنْ حَسَدٍ صَدْرًا عَلَى عَجَزٍ
كَنَافَةٍ لَكَ رَدُّ الصَّدْرِ فِي ضَرَمٍ
أَسْتَخْدِمُ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي لِأَصْرِفَهَا
فَرَأَجَعَ الْقَلْبُ لِي فَلَمْ يَقَالَ لَهُ
قَالُوا الْهَوَى غَيْرُ أَسْلُوبِ الْحَكِيمِ فَدَعُ
فَلَمْ تُكْذِرْ وَالتَّفَانِي عَنْكَ لِلْأَمْرِ

وهكذا مجد أسماء متعددة من علم البديع أما أين مدح الرسول الكريم الذي عنونت به القصيدة وأين الجهاد والكفاح فلا شيء من ذلك . ويلاحظ أن هاتين البديمتين على وزن وروى بركة البوصيري .

وتلك الأمثلة التي ذكرناها إنما كانت من باب « الصناعات »^(١) ولعلنا في القسم الثاني

(١) رتب الديوان على ثلاثة أبواب : الأول في الصناعات والثاني في غير الصناعات وهو مرتب على حروف المعجم والثالث في التثنية والأدوار .

« غير الصناعات » نحمد أمثلة خيرا مما رأينا .

قال بمناسبة المولد النبوى عام ١٢٦٧ يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ومطلعها^(١) :

يَا مَوْلِدَا هَلْ بِالْأَنْوَارِ فِي الْحَرَمِ
مِنْ السَّلَامِ عَلَى أَقْمَارِ ذِي سَلَمِ

وهي قصيدة طويلة من خمسة وخمسين بيتا على وزن وروى البوصيرى في برده المشهورة .
ولكننا سرى هنا لونا آخر من ثقافة شاعرنا — غير علمه بالبديع فيما مضى ذلك هو
اطلاعه على السيرة النبوية كما كان يألفها الناس على طريقة السرد دون تحليل أو تحليل — قال :

يَكْفِي السَّمَاوَاتِ تَشْرِيفًا بِوُطَانِهِ وَالْأَرْضِ جَبِيلًا فِيهَا جُمْلَةُ الْخِدَمِ
تَكُونُ الْكَوْنُ نُورًا عِنْدَ مَوْلِيدِهِ كَأَنَّهُ الْآلُ مُنْجُودٌ مِنَ الْعَدَمِ

وبعد أن يسرد الأمارات التي سبقت مولده صلى الله عليه وسلم وما جاء من صفاته في
كتب اليهود والنصارى وما كان من إنكارهم ينتقل إلى وصف الهجرة والحديث عن
أبي بكر فيقول :

سَلُوا الْحَمَامَ عَلَى مَا قَالَا صَاحِبُهُ وَصَاحِبُ الْفَارِ وَالْأَعْدَاءُ كَالرَّخَمِ
أَصَمُّهُمْ عَنْ حَدِيثٍ مِمَّا لَوْ نَظَرُوا بَرَقَ وَمُحَقَّقُ فَاغَمَى الْقَلْبَ فِي صَمِ
ثم ينتقل إلى وصف عمر وعثمان وعلى وسلالته الأطهار :

وَالْفَاتِحُ الدِّينَ وَالذَّنْبَا الْعَقَى مُعْمَرُ أَنْعَمَ بِحَمَكَ فِيهِ الْقَلْبَ تَسْتَقِمُ
حَيَاةَ الْحَيَاةِ مَصْرَعُ الْحَيَاةِ الشَّهِيدَ نَدَى مُجَهِّزَ الْجَيْشِ دِي الشُّورِينَ وَالْكَرَمِ
وَأَهْلَ كَيْتٍ عَنِ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَفَعُوا تَحْتَ السَّبَاءِ فَوْقَ النَّاسِ كُلِّهِمْ^(٢)

ثم يشير إلى برده البوصيرى وفضلها وأنه لم يبلغ درجة الكمال لها كانتها :

يَكُونُ الْأَبَاصِيرَى مَا نَالَتْ قَصِيدَتُهُ مِنْ الْقَاصِدِ فِي حُكْمِ وَفِي حَكَمِ
يُسْرَاةٍ أَبْرَأَتْهُ ثُمَّ تَسْتَقِمُ بَرُثْتُ مِنْ أَلَى إِنْ قُلْتُ وَأَلَى

(٢) يشير إلى عبادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) س « ٢٥٧ » من الديوان .

لها الساق إلى العلياء مُسعدةً تلك القصيدة بالاقفالِ والسممِ
إلى أن يقول في حتام القصيدة :

حَتَامٌ مَوْلِدِهِ مِسْكٌ مُورَخَةٌ (حَيْرُ السَّيْنِ عَرْمًا سَيْدُ الْأَمَمِ)

١٢٦٧

عليه صَلِّ وَسَلِّمْ رَدِّمْنَا وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَاتِّدَاءُ الْحَمْدِ مُجْتَمِعِي
ولكن المعارضة لم تكن تامة فهو مثلا لم يذكر شيئا عن الإسراء ولا عن جهاد
الصحابة أيام ظهور الدعوة .

✧ * ✧

٢ - ولقد شاعت في هذا العصر قصائد الرعى ^(١) في مدح النبي عليه الصلاة والسلام
فراح كثير من الشعراء يحمسون ما يروقهم منها ومن ذلك
١ - بحمسة الشيخ محمد الخطيب السالكي من علماء الأزهر ^(٢) لإحدى تلك
القصائد ومطلعها :

سَمِعْتُ سُؤْبَجَعَ الْأَثَلَاثِ عَمِّي عَنِّي مَطْلُوعَةَ الْعَدَنَاتِ رَبَّانَا ^(٣)

وهي من حمسة وسبعين بيتا وقد عرفت بالقصيدة السويجعية ^(٤) قال الشيخ الخطيب

فَوَادِي الْأَحْمَسَةِ مَا تَهَمَّا وَحِسْمِي حِينَ رَادِ الْوَحْدُ أُنَا
وَإِنِّي سَاهَرٌ وَاللَّيْلُ حَمَّا سَمِعْتُ سُؤْبَجَعَ الْأَثَلَاثِ عَمِّي
عَنِّي مَطْلُوعَةَ الْعَدَنَاتِ رَبَّانَا

ومها

لَعَلَّكَ يَا سُؤْبَجَعُ كَيْفَ شَفَعْنَا وَفَدَ أَصْحَابُ فَرْعِ الْحُبِّ رَوَعَانَا

(١) هو النح عند انجم الماعني (٢) كان موجود في سنة ١٢٨١ - وهذا نسخة من
مخطوط رقم ٤٤٤ دار سك

(٣) الألف شجرة لغاة - ومطلوعة أصابها الخلل - عدنان - أطراف العصور صفحة ١٤
من الدنوان طاعة ١٣١٢ بالمطبعة العلمية

(٤) من المخطوط المذكور صفحة ١

فإياك قد حَمَلَت النَّوْحَ كُلَّمَا تَأَنَّى وَلَا تَصِيْقُ بِالْأَمْرِ دَرَعَا
وَكَيْفَ مَالِجِحٍ يَطْفُرُ مَنْ تَأَنَّى
إِذَا زُمْتَ الْمَعِيَمَ بِحَرِّ رَطْلٍ فَقِنِ بِاللَّهِ لَا نَاسَ وَرَحْلٌ
وَدَعِ مَا شَانَ مَنْ حَسَدَ وَعَلَّ وَلَا تَعْدُ بِدَأْ سَوْأَلِ دَلِ
إِلَى عَيْرِ الدِّيِ أَعْيِ وَأَفِي

ومها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

أَتَى وَالْخَلْقُ كَانُوا فِي عَمَاهُمْ فَأَتَقَدَّمُ وَعَرَفَهُمْ مُهْدَاهُمْ
وَأَرْشَدَهُمْ لِمَا يُسَبِّحُ صَعَاهُمْ إِمَامُ الرِّسَالَيْنِ وَنُبَاهِهِمْ
وَأَكْثَرُ هَيْبَتِهِمْ طَلًّا وَمُرْنَا
لَقَدْ فَاقَ الْوَرَى طَرْفًا وَلُطْفًا وَعَطَّرَ سَائِرَ الْأَكْوَانِ عَرَفَا
وَأَعْلَى الْأَنْبِيَاءِ مَعْنَى وَوَصَفَا وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى الْمَاهُوفِ عَظَمَا
وَأَسْمَهُمْ لِدَاعِي الْحَيْرِ أَدْنَا
نَبِيُّ هَارِشَمِي رَادَّ فَضْلًا وَأَرْكَى الْفَصْلَ وَهَمَّا نَمَّ عَقْلًا
وَأَعْلَاهُمْ أَصُولًا نَمَّ سِلَا وَحَبْرُ مَهَارِسِ الْأَكْوَانِ أَصْلًا
وَاطِبُّ مَشْنَأُ وَأَعْمُّ عَصَا

الح... .

وهكذا لم نجد في هذا التجميع حديد معنى وإنما يعتبر كالشرح للآيات :

ب — وقد حمس رعاة الظمطاوى فصيده أخرى من فصائد الرعى ومطلعهها
حَبْلُ الْغَرَامِ رُصِي دَمْعُهُ دَمْعُهُ كَحِرَانِ تَوْحِدُهُ الدَّكْرِي فَتَقْدَمُهُ (١)
وال .

سُدَى الْغَرَامِ وَأَهْلُ الْمَشَى تَكْنِيهِهُ وَتَدْعِيهِ جِدَالًا ، مَنْ يَسَامُهُ

(١) بر ٣١ من الأدوار وهي من سبعة وسبعين بيتا . وكان هذا التجميع في حدود سنة ١٢٩٠
عاش الأول — توفي سنة ١٢٩٠

ما هكذا الحبُّ يامنُ ليس يفهمهُ
خلُّ الغرامِ لصبرِ دمه دمه
حيرانَ توجده الذكرى فتعده

ومها :

من في صداخته يحكيه مبتسما من في ملاحظته حاز البها وسما
كم أنعم الحقُّ باسمِ المصطفى قسما نُورُ الهدى جوهر التوحيدِ بدرُ سما
المحدُّ واصفُهُ بالبدْرِ يظلمهُ

ولم يكن رفاة في شعره من أولئك الذين يهتمون بالصناعة اللفظية أو مجرد المحاكاة^(١)
وإعما كانت له شاعرية خاصة وقد أثرت فيه الثقافة العرسية وأساليب لغتها فرق شعره
وأصبح ذا مقدرة على تصوير دات نفسه في شعره ، ويظهر ذلك في هذه المحمسة جليا حينما
التحقا إلى مقام الرسول يتوسل به بعد أن ضاقت عليه أرض السودان برحها ولم تجد توسلاته
لأولى الأمر لأنه لم يكن قد نبى لدن ارتسكه وإنما حقدا وحسدا .

قال

رفاعة يشتكي من عصاة سخرت لما رأب أئحمر العرفان قد رحرت
فارفع ظلالة نفس عدلك ادحرت وهاك جوهر أبيات بك افتخر
حات إليك محط الدن ترقة

فما كشف بحقك عنه اليوم مظلمة من المموم عدت كالليل مظلمة
واطر إليه بعين الفضل مكرمة واحمله منك برأى العين مرحة
إذا ألم به من ليس يرجه

ارحم بعيدا عريب الدار عائبه جبل النوى حمل الأثقال غاربه
فصل رعائنه وافصل عرائبه وإن دعا فأجبه واحمر جانبه
يا حير من دفت في التراب أعظمه

(١) وليس معنى هذا أن شعره قد حلا من الديدع وإنما هو لم يعتمد كالديوش

وبعد أن أكل تمحيس القصيدة راد عليها حماسيتين من إنشائه وهما :
 رفاعة ثم خمس المنظوم مُرتجلاً قريضه وهو بالخرطوم قد وحلا
 قالت هواتفه : بالله كن رجلا فان حدثك طه للخطوب رجلا
 فأمر خطبك هذا الجد يُخسّمه
 ماذا العناء وأهل البيت قد كفّلوا عودًا حملا وما عن وعديم عفلوا
 لا تمن بالغير حدوا السير أو قفلوا ثم أحصوا أمرهم لله واحتملوا
 والأمر لله ما يرصاه يُحكّمه^(١)

وهو يشير في هاتين الخماسيتين إلى انتباهه إلى آل البيت وانتباهه للرسول صلى الله عليه وسلم . « فهو مصرى صميم من الصعيد الأوسط يتصل بسنه من حمة أبيه سيدنا الحسين رضى الله عنه وقد أشار إلى هذا النسب صراحة بقوله : —

حسيني السلالة قاسمي نعطها معشري وسها مهادي^(٢)

* * *

٣ — وفي ديوان « الدر الهى المسوق لارهم بك محروق^(٣) » قصيدة مدح النبى عليه الصلاة والسلام من اثنين وستين بيتا . وأولها^(٤) :

أين الحجار ؟ وأين لى كُشناه رَعَتْ سِها بين الفلأ عرلأه
 يا حادى الأطعمان لاتعجل بها ناليت يوم الدين خضاع أوأه
 بالله لا تعجل بها بين الفضا فالصت محرق ملته يراه
 وبعد خمسة وعشرين بيتاً فى العزل والتشوق ووصف معالم الحجاز ينتقل إلى المدح :

(١) س ٢٣٩ رفاعة الطهطاوى لأحمد بدوى ص ١٢٢ حجة البيان العرب .

(٢) س ٢٠ فى الأدب الحديث ١ الطبعة الثانية ١٩٥١ .

(٣) كان أديبا طريفا وقد نوى بالسودان سنة ١٢٨٣ فى عهد اسماعيل وكان موطفا هناك .

(٤) مخطوط رقم ١٢٠ بدار الكتب — أدب صفح (٩)

يا أهل مكة نالحي حاورنكم والجار تنكريم رله حيراه
 لي بيكم ثمر شفتي محبة وصحيح وجدى مدمنى برهانه
 حر الأنام محمد أعلى الورى شرفاً يفيض عليكم إحسانه
 يا أهل مكة سدتكم بحمد فالكون طرف أنتم إلسانه

ثم يستطرد في وصف النبي عليه السلام وكراماته إلى أن يختم القصيدة بقوله :

صلى عليك الله والأملك ما قد فاح من روض الرنا ربحانه
 والآل والأصحاب ما سجع الحما م على النقا وتمايلت أغصانه
 أو قال من يهوى الحجاز وأرصه أين الحجار وأين لي كئيبانه

* * *

٤ - وفي ديوان السيد علي أبي النصر سبع قصائد « وشعر أبي النصر يمثل كذلك هذه المدرسة التي أنقل أدها بأوصار القديم وآفاته ، وهو مولى المحسمات البدعية والتاريخ التمرى والألعار والتلاعب بالألفاظ^(١) . . . »

وسنكتفي هنا بالحديث عن اثنتين من تلك المداخل النبوية الكريمة ، أما الأولى فهي على ورن وروى همزية البوصيري التي مطلعها : -

كيف ربي رفيك الأنبياء باسماء ما طاولتها سماء

ولكنه لم يسلك مسلك البوصيري في الموضوعات التي تناولتها همزته من وصف القرآن الكريم والشهائل النبوية أو ذكر الأسراء والمعراج . .

قال في مطلع القصيدة^(٢) :

أبدت من حدرها أسماء أم عن الدان أسفرت أسماء

(١) في الأدب الحديث ١٦ ص ١٠٧ - وأبو النصر طلب العلم في الأهر ثم انصرف عنه إلى الأدب وبيع فيه واصل نالائلة الحاكم ثم صار مدعياً لاسماعيل فقال عنه خطوة - في سنة ١٢٩٨ .

(٢) ص ٧ من الديوان الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠ - والقصيدة من سبعة وأربعين بيتاً .

إن بين الصلوع بيرانَ عَشَقٍ ما لها من مدامى إطماء
وبعد عشرين بيتاً في الغزل ووصف الراح يتخلص إلى المدح ذاكرًا الرسول الكريم
في ثلاث أبيات .

وإذا أطلعت دياحى مُلَمَّ فتخلص بمن به يُستضاء
وهوطه أَحَلُّ آلَ لَوَّى مَنْ به التاجُ يَزْدَهى واللواءُ
حَاتَمُ الرُّسُلِ أَوَّلُ الخلقِ طَرَأَ نَاشِرُ الفَخْرِ يومَ تَطوَى السَّما
ثم ينتقل إلى التوسل وطلب الشفاعة : إلى أن يحتم القصيدة بقوله :

وعليك السلام منى دواما يَتَوَالَى وَلَا يَلِيهِ اِرْتِها
وأما القصيدة الثانية التى احتراها هى من واحد وثمانين بيتاً^(١) وهو مع طول نفسه
ههنا كان رقيقاً وقد بدأها بالغزل وما يلاميه من المبال قال :

في اشتداء الدرع يحلو عرلى والهوى من مُوَحِناتِ المَدَلِ^(٢)
وبعد واحد وثلاثين بيتاً يتخلص إلى المدح فيقول :

إن أكن لوصلكم مقلعرا أنا مثر برصاكم وملى^(٣)
أو أكن بحكم مُتَّ صَى خياني مدحُ خيرِ الرسل
أحمد المموت من أم القري مَهْطِ الوحي مَحْطُ الرُّحَلِ

ثم ينتقل إلى سرد معجرات النبى صلى الله عليه وسلم وحصائصه من إسراء ومعراج
وشق صدره الشريف واشتقاق القمر وتسليم الضب وتسبيح الحمصى في كفه صلى الله عليه وسلم
ورى الخيش بقليل الماء وشفاء الريحى وتطليل النمامة وتسبيح العنكبوت على الغار إلى أن
يقول عن المعجزة الخالدة :

(١) صفحه ١٥٩ من الديوان .

(٢) اللوم

(٣) يعصد على - وجمعت الهمة لورن الشعر

وكنى حيرَ الورى معجزةً ما أناه في الكتاب المرل
مُنزلٌ فيه هُدًى أحكامه سَخَتْ شرعَ جميعِ اللَّيْلِ
أَمْحَرَ الخلقَ وى آياته كَمَدَحُ حيرِ العالمينِ المُرْسَلِ
من تحلىَّ بِحُلَى مدْحَتِهِ ران حيدَ الفخر كَمَدِ العَطَلِ
إلى أن يَحْمَ القصيدَ بقوله :

يا رحيم الخلق يا مَنْ فضله أطمع العاصين في الحاهِ العلى
صَلِّ ما هبَّ الصبا مُسَلِّماً صَلَّه من إمامك المتصل
وارصَ عن أصحابه مَنْ وَرَدُوا مِنْ رِلالِ الفصلِ عَدَبُ المَهْلِ
وأعْني كى أرور سره قبل موتىِ عله يشمع لى
واعدنى لطاعةٍ يصحبها توتَه قبلَ انتهاءِ الأَحْلِ
وتحاور عن مَقالىِ ناظما فى ابتداءِ المدح يحلو عرلى
هذا وله فى آخر الديوان حملة تشايطر مها هذه الأبيات^(١) فى تشطير الردة .

أمن تذكر جيران ندى سلم أَرَدْتُ حلع عذارٍ فى الهوى مهم
فمدد بمدك عن مرآى محهم مرحت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هت الريح من تلقاء كاظمة تهدى إليك عبير الصال والسلم
أم لاح بارق داك الحى فى عسق وأومص البرقُ فى الظلماء من إصم
فا لعميلك إن قلت اكففا همنا كَأَن نالحفن ما بالسحب من ديم
وما لسمك لا يصفى إلى عظة وما لقلبك إن قلت استغنى بِهيم
أيحسب الصب أن الحب مكتم والحال شاهدٌ عدلٌ غيرُ منهم
لولا الهوى لم ترق دمعا على ظلل يروى عن السفح ما يروى عن العرم

(١) صفحة ١٩٨ — وهذه الأبيات هى الموجودة فقط وقد ذكر طابع الديوان أنه رعا لم يكمله

والذى نلاحظه على شعر السيد أبى النصر فى هذه المدائح أنه بالرغم من معاصرته
لمدرسة الصناعة والمحاكاة فإن شخصيته ظاهرة فى شعره وهو لم يبالغ فى حشد الألفاظ أو
استخدام المحسنات . وفى محاكاته كان محترساً فلم يأخذ قدماً بقدم كناية ولون .

٥ — أما ديوان محمود صفوت الساعاتى ^(١) فأشهر قصيدة دينية فيه هى بديعته فى مدح
الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يمارض فيها بديعية تقى الدين بن حجة الحموى .
وبديعية تقى الدين بن حجة من واحد وأربعين ومائة بيت ^(٢) وقد ضمنها اثنين وأربعين
ومائة نوع من البديع وهى التى كانت معروفة إلى عهده ومطلعها :

لِى فِى ابْتِدَاءِ مَدْحِكَ يَا عَرَبَ ذِى سَلَمٍ (بَرَاةٌ تُسَنِّهُ لُ) الدَّمْعَ فِى الْعِلْمِ
أَخَذَهُ صَفُوتُ السَّاعَاتِ فَقَالَ ^(٣) :

سَفَحَ الدُّمُوعَ لِدُكْرِ السَّفْعِ وَالْعِلْمِ أُنْدَى الْبَرَاةِ فِى اسْتِهْلَالِ بَدَمِ
وكلاهما يشير إلى « راعة الاستهلال » ولكننا نلاحظ إحكام السج واختيار الألفاظ
فى البيت الأول دون الثانى .

ومنها :

ذَكَرْتُ نَظْمَ اللَّاتِ وَالْجَبَابِلُ (رَاعَى النِّظِيرَ) شِعْرٍ مِمِّهِ مُنْتَظَمٍ
عارضه الساعاتى بقوله :

مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ نَصَوْا أَسْيَافَهُمْ وَرَبَّوْا رَاعَوْا نَظِيرَ الْوَارِثِ مِنْ حُفُونِهِمْ
والبيت الثانى أجل لوضوح النظم :

ومنها :

قَالُوا هُوَ الْبَدْرُ وَالتَّفْرِيقُ يَظْهَرُ لِي فِى دَاكُ نَقْصٍ وَهَذَا كَامِلُ الشِّيمِ
عارضه الساعاتى بقوله :

قَالُوا هُوَ الدَّهْرُ قُلْتُ الْفَرْقُ مُتَّصِحٌ فِى الدَّهْرِ عَدْرٌ وَهَذَا حَافِظُ الدُّمَمِ

(١) هو محمود صفوت مصطفى أعا الريملى اشتهر بالساعاتى لمهارته فى إصلاحها — وكان من
مدرسة الصناعات والمحاكاة إلا أنه حاول التخلص من ذلك فى أكثر قصائده . وقد اهتم بدراسة شعر
المتنوع وعلوم النحو على الرغم من أنه لم يدخل الأهر (فى الأدب الحديث ١٠ ملحقاً — س ١١٤) .

(٢) مخطوط ١٢٨ لائحة — وتقى الدين توفى سنة ٨٣٧ هـ

(٣) الديوان صفحة ٩٦ مطبعة المعارف سنة ١٩١١ — توفى سنة ١٢٩٨ هـ — وكان نظم
المبدئية فى ١٢٧٥ فى عهد سعيد

وما هنا متساويان :

ومنها :

تَمَّتْ (مساواة) أنواع البديع به لكن تريد على ما في بديعهم
عارضه بقوله :

ساوى النسيين تشريفاً وسادهم بمحكم ناسخ أحكام شرعهم
ووق ختامها يقول :

حُسنُ انتدائه به أرجو التخلص من نار الحجير وهذا حُسنُ غنتم
عارضه بقوله :

فما استهلَّ بإخلاصٍ براعتهُ إلا وأمل فيها حُسنَ غنتم
والذى بمنيننا هو أن هذه البديعية التى احتلت مكاناً من ديوان الساعاتى تحت عنوان
« فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم » لانكاد نجد بها من المدح إلا إشارات خاطفة
فى قليل من الأبيات كقوله :

إن أوتفتنى ذوبى ليس بصمن لى حُسنَ التخلص إلا سيّد الأمم
محمد ابن عبد الله ابن أبي البطحاء عوث البوابا فى اطرادهم
ساوى النسيين تشريفاً وسادهم بمحكم ناسخ أحكام شرعهم
أما أكثر شعر الساعاتى وأرقاه فقد كان فى مدح أشراف مكة كما سنرى فى الفصل التالى .

* * *

٦ — روى ديوان « الآثار الفكرية » لعبد الله ناشا فكرى^(١) بحمد قصيدة من ستة
وأربعين بيتاً ومطلعها^(٢) :

(١) كان أديباً مثقفاً تولى عدة مناصب فى عهد سعيد وإسماعيل ثم عين وزيراً للمعارف فى عهد
الثورة العراقية بوزارة البارودى فى عهد توفيق « وكان يجتاز فى شعره مدرسة الصنعة لا مدرسة الطبيعة
ويؤرجح لكل مناسبة ويشطر ويقول الألفاظ والأحاجي . ويكثر من المحسنات ينزعها انزعاً ويحشرها حشراً
شأن تلك المدرسة التقليدية فى الأدب الحديث من ١٢٧ ج ١ الطبعة الثانية .
(٢) من ٢٨ من الديوان — الطبعة السكندرية بيولاق .

لِمَنْ كُلُّ مِطْوَعِ الْبَنَسَانِ كَرِيمٍ يَخْفُ هَلْ مَثْنِ الْغَلَاةِ كَرِيمٍ (١)
وبعد أن يسير أحيانا في وصف الفرس والمائة ومالم الطريق يتخلص إلى المدح فيقول مخاطبا الحاديين :

ويا حَادِيَيْهَا حَقَّقَا السَّيْرَ وَارْقَا يسيرا مبعض الرفق غير ملوم
غدا تذرُ اليبداءُ والسَّيْرَ والشَّرَى دَراها من الإنصاء نهب سموم (٢)
ثم يأخذ في ذكر أكثر مناسك الحج وينتقل بعد ذلك إلى ذكر القرآن الكريم :
وهذا كتابُ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ فيصُّ بِمَدْحِ وَ عِلَاةٍ عَظِيمِ
غنيَّ كَرِيمٍ لِلْمُفَاةِ مُؤَمِّلٍ رءوفٍ بِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ رَحِيمِ
ثم يشير إلى الإسراء والمراج :

وأمرى به والليلُ مُرَجَّحٌ مُسَدُّوْهُ مُرَى حَيْرٍ حَبٍّ لِلْحَبِيبِ مُرُومٍ
من البيت للبيت للقدس قادمَا إلى الرَّقْرِفِ الْأَعْلَى بِحَيْثُ تَفَاخَرَتْ
فَأَوْحَى بِمَا أَوْحَى إِلَى خَيْرِ حَاطِظٍ قَيْنٍ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ قَائِمٍ
لَهُ الْمُعْجَزَاتُ الْفَرُّ يَقْصُرُ دُونَهَا أَتَى بِكِتَابِ اللَّهِ يَتْلُوهُ دَاعِيَا
كِتَابٍ مُبِينٍ يُنْحَقُ الرَّيْبُ مُحْكَمٍ وَفِي خَتَامِهَا يَقُولُ :

إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ خِدْمَةُ مِدْحَةٍ وَحَسْبِي مُعْلَا أَنْ أُنَمَّ نَائِمٌ خَدِيمِ

(١) كريم الأول من الكرم والثانية من كلمتين كاف التشبيه والريم وهو الطيب وأصله الرَّم .

وخفضت الهمزة .

(٢) ذرلها : أعاليها . ويقصد ستانها وهي مفعول أوله ونهب سموم مفعول ثانٍ للفعل تذر .

والذى نلححه جديداً فى هذه القصيدة هو الحديث عن محاسن القرآن والدعوة إلى خصائصه ومزاياه ولم يسبقه إلى ذلك من شعراء هذه الفترة إلا السيد أبو النصر « ص ٩٥ »
أما موضوع القصيدة فهو سرد جزء من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

* * *

٧ - وفى ديوان « حلية الطرار » للسيدة عائشة التيمورية^(١) قصيدة تتوسل فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهى على وزن وروى البردة وقد بدأتها بأبيات فى الغزل :
أَعْنِ وَمَيْصِرِ مَرَى فِى حِنْدِسِ الطَّلَمِ أَمَّ نَسْمَةٍ هَاجَتْ الْأَشْوَاقِ مِنْ إِضْمٍ^(٢)
وَبَعْدَ أَيْاتٍ نَأْخُذُ فِى ذِكْرِ مَعْجَزَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَنْتَقِلُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْمَدْحِ وَالتَّوَسُّلِ :

مَدَدَتْ كَفَّ الرَّحَا أَرْحُو مَرَّاحَهُ وَقَدْ حَلَلْتُ بِهِ فِى بُهْرَةِ الْحَرَمِ^(٣)
مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى مِشْكَاةَ رَحْمَتِنَا مِصْبَاحُ حُجَّتِنَا فِى نَعْمَةِ الْأُمَمِ
يَا مَنْ هُوَ أَفْقَدَى يَوْمَ الزَّحَامِ إِذَا أَبْدَيْتُ نَاصِيَةً مَفْجُومَةَ الْوَمَمِ
أَقُولُ حِينَ أَوَاىِ الْحَشْرِ فِى خَجَلٍ إِنْ الْكِبَائِرُ اسْتُ ذُكْرَةَ اللَّصَمِ
وهذا البيت مأخوذ من بيت البوصيرى بتصريف :

يَا نَفْسُ لَا تَجْسِرْ عَلَى مَنْ رَلَّةَ عَطَمْتَ إِنْ الْكِبَائِرُ فِى الْفُفْرَانِ كَاللَّصَمِ
ثم نقول :

يَا خَيْرَ مَنْ أُرْتَحَى إِنْ لَمْ تَكُنْ مَدَدَى وَازَلْتِ يَوْمَ وَضَعَ الْقَسْطِ وَأَنْدَمَى
وهذا مأخوذ من بيت الموصيرى :

إِنْ لَمْ تَكُنْ فِى مَعَادَى أَخْذَا يَيْدَى فَصَلَاً وَإِلَّا فَقُلْ يَازِلَةَ الْقَدَمِ

(١) هى السيدة عائشة عصمت الأديبه كريمة اسماعيل باشا تيمور توفيت سنة ١٩٠٤ والديوان مطبوع ١٣٠٢ — ١٨٨٤ — والقصيدة التى ندرسها من أربعين بيتاً ولها قصائد أخرى فى التصوف والتوسل بالله سبحانه وتعالى — س ٤ الطبعة العلمية الشرقية بمصر .

(٢) المندس : شدة الظلام — وإضم : موضع بالحجاز . (٣) بهرة الحرم : وسطه .

ثم نَحْمُ القصيدَةَ بقولها :

عليك أركى صلاةِ الله ما افْتُتِحَتْ : أدْوَارُ دَهْرٍ وَمَا دَالَتْ مُجْتَمَعٌ

* * *

٨ - وللبارودي^(١) في هذا المضمار قصيدتان كبيرتان إحداهما بالديوان ومطلعها^(٢) :

يا صَادِمَ اللّٰحِظِ مَنْ أَغْرَاكَ بِالْمُهْجِ حَتَّى فَتَكَتَ هَـا طَلَمَا بَلَا حَرَجِ

وبعد أبيات في الغزل والوجد ينتقل إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

هَيْهَاتَ يَسْأَلُكَ لَوْمُ الْعَادِلِينَ إِلَى قَلْبِ يَحْيَى رَسُولَ اللَّهِ مُنْتَزِحِ

هو النسي الذي لولا هدايته لكان أعلم من في الأرض كالهَمَجِ

أَنَا الَّذِي رُبُّهُ مِنْ وَجْدِي بِرَوْضَتِهِ أَرَحْنُ شَوْقًا كَطَيرِ الْبَاةِ الْمِهْزَجِ

هاجت بذلك نفسي واكتست وَلَهَا وَأَيُّ شَوْقٍ بِذِكْرِ الشُّوقِ لَمْ يَهْجِ

فَا احْتِيَالِي وَنَفْسِي عَيْرُ مَابِرَةٍ عَلَى الْعِمَادِ وَوَهْمِي عَيْرُ مُنْفَرِحِ

ثم ينتقل إلى التوسل :

يَا رَبَّ الْمَصْطَفَى هَبْ لِي وَإِنْ عَظُمَتْ جَرَائِمِي رَحْمَةً تُغْفِي عَنِ الْخُجَجِ

وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّ يَدِي مُغْلُولَةٌ وَصَاحِي غَيْرُ مُنْبَلِجِ

مَالِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ إِذَا ضَاقَ الزَّحَامُ عُدَاةَ الْمَوْقِفِ الْحَرْجِ

وهذا البيت مأخوذ من بيت البوصيري :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مِنْ أَلُودِهِ سِوَاكَ عَمْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

مع ملاحظة أن البوصيري يتوسل بالرسول مباشرة وأن البارودي يطلب من الله متوسلاً

بجاه الرسول عليه الصلاة والسلام .

(١) هو محمود سامي بن حسن حسني بك الذي كان أميراً للمدفعات في عهد محمد علي وحده لأبيه

عبدالله بك الحركسي ولد سنة ١٨٣٤ وتوفي سنة ١٩٠٤ . والبارودي نسيه إلى إتيان البارودي وكان

أحد أجداده ملزماً لها . (٢) ١٠ ص ٥٦ - والقصيد من سبعة وعشرين بيتاً .

وأما القصيدة الأخرى فتكاد تكون ملحمة إسلامية لأنها تضمنت سيرة النبي عليه الصلاة والسلام من حين مولده الكريم إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه . وهي مطبوعة (١) مستقلة عن الديوان بعنوان « كشف الغمة في مدح سيد الأمة » وتحتوي على سبعة وأربعين وأربعمائة بيت على وزن وروي بردة البوصيري . قال في مقدمتها :

« حمدا لله لذاته آية الايمان والإخلاص ، والصلاة والسلام على النبي الأُمى وآله محجة الخلاص ، وبعد فهذه قصيدة ضمنيتها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم إلى يوم انتقاله إلى حوار ربه وقد بينتها على سيرة ابن هشام وسميتها « كشف الغمة في مدح سيد الأمة » ورغبتى إلى الله أن تكون لى ذريمة أُمّت بها يوم الماد وسلما إلى النجاة من هول المحشر اللهم محقق رغبتي إليك واكسها بفضلك رونق القبول آمين » .

وهو قد سار فيها على نهج البوصيري من حيث الموضوعات إلا أنه توسع فيما أحله البوصيري كثيرا وأكل ما تركه صاحبه في برده كبيعة الأنصار والهجرتين الأولى والثانية بالتفصيل ثم تفصيل الغزوات وأحيرا الوفود التي تدفقت على المدينة بعد فتح مكة ، وهو وإن لم يفرد فصلا خاصا بالتحذير من هوى النفس كالْبوصيري إلا أنه ذكر كثيرا من الحكم ولا سيما عقب ذكر الحوادث الهامة .

وقد بدأ البارودي قصيدته بالفرز فقال :

يا رائدَ البرقِ يَمِّمُ دَارَةَ الْعِلْمِ وَاحْدُ الْغَمَامِ إِلَى حَيِّ يَدَى سَلَمِ
وعدى أن هذا المطلع أرق من مطلع البوصيري لأنه تضمن الدعاء ولم يتضمن لفظ « الدم » .

ثم انتقل بعد ثلاثة وعشرين بيتا إلى ذكر المولد الكريم ولكنه توسع فيه إذ قدم له بثلاثة عشر بيتا فبدأ بذكر المولد من كرامات ثم وصف المولد وما تلاه من إرهابات في أثناء طفولته في ستين بيتا . ومن ذلك :

ومذ أتى الوضع وهو الرفع منزلة جاءتْ بِرُوحِ رُبُورِ اللَّهِ مُدْسِمِ

والتكليف هنا ظاهر .

ضَاءَتْ بِهِ غُرَّةُ الْإِنْبِينِ وَابْتَسَمَتْ عَنْ حُسْنِهِ فِي رُبْعِ رَوْضَةِ الْحَرَمِ
وَأَرْضَعَتْهُ وَلَمْ تَيَأْسُ حَلِيمَةٌ مِنْ قَوْلِ الْمَارِضِ إِنَّ الْبُؤْسَ فِي الْبَيْتِ
ثم انتقل إلى ذكر نزول الوحي وبدا الرسالة في اثنين وعشرين بيتاً :

وَحِينَ أَدْرَكَ سَنَ الْأَرْبَعِينَ وَمَا مِنْ قَبْلِهِ مَبْلَغٌ لِلْعِلْمِ وَالْحِكْمِ
حَبَاهُ ذُو الدَّرْسِ بَرَهَانًا أَرَاهُ بِهِ آيَاتِ حِكْمَتِهِ فِي عَالَمِ الْحُلُمِ
وبعد أن يذكر الهجرة الأولى إلى الحبشة وما كان من أمر الصحيفة ينتقل إلى الاسراء:
وَحِذَا لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ حِينَ مَرَى لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِلَا أَمٍّ (١)
ولكن أين هذا من بيت البوصيري :

سَرِيتُ مِنْ حَرَمِ لَيْلًا إِلَى حَرَمِ كَمَا مَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
ثم ينتقل إلى ذكر دعوة الأنصار واستجابتهم لتلك الدعوة الكريمة :

وَلَمْ يَزَلْ سَيِّدُ الْكَوِينِ مُتَّصِبًا لِدَعْوَةِ الدِّينِ لَمْ يَفْتَرْ وَلَمْ يَجْمِ (٢)
يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ وَيُبَشِّرُ الدِّينَ فِي سَهْلٍ وَفِي عِلْمِ (٣)
حتى استجابت له الأنصار واعتصموا بحبله عن تراض خير ممثهم
وبعد أربعة وعشرين بيتاً في وصف الأنصار وجهادهم ينتقل إلى ذكر الهجرة ...
وهنا نرى البارودي المصور البارع لقصة الغار .

وَجَاءَهُ الْوَحْيُ إِيدَانًا بِهَجْرَتِهِ فَيَمُّ الْغَارَ بِالصِّدِّيقِ فِي الْفَسَمِ (٤)
فَا اسْتَقَرَّ بِهِ حَتَّى تَسَوَّاهُ مِنَ الْجَانِمِ رَوْحُ بَارِعِ الرَّهْمِ (٥)

(١) مشقة .

(٢) يجم : فعله وحمل بمعنى سكن في شروء دهن وحوف .

(٣) علم : جبل والمراد يبشر دعوته في كل مكان .

(٤) الطلام . (٥) الفناء .

وأما القصيدة الأخرى فتكاد تكون ملحمة إسلامية لأنها تضمنت سيرة النبي عليه الصلاة والسلام من حين مولده الكريم إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه . وهي مطبوعة^(١) مستقلة عن الديوان بعنوان « كشف النعمة في مدح سيد الأمة » وتحتوي على سبعة وأربعين وأربعمائة بيت على وزن وروى بردة البوصيري . قال في مقدمتها :

« حمدا لله لذاته آية الايمان والإخلاص ، والصلاة والسلام على النبي الأُمى وآله عجة الخلاص ، وبعد فهذه قصيدة ضمنها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم إلى يوم انتقاله إلى جوار ربه وقد بيتها على سيرة ابن هشام وسميتها « كشف النعمة في مدح سيد الأمة » ورغبتى إلى الله أن تكون لى ذرية أُمّت بها يوم المعاد وسلما إلى النجاة من هول المحشر اللهم فحقق رغبتى إليك واكسها بفضلك رونق القبول آمين » .

وهو قد سار فيها على نهج البوصيري من حيث الموضوعات إلا أنه توسع فيما أجله البوصيري كثيرا وأكمل ما تركه صاحبه في برده كبيعة الأنصار والهجرة الأولى والثانية بالتفصيل ثم تفصيل الغزوات وأخيرا الوفود التي تدفقت على المدينة بعد فتح مكة ، وهو وإن لم يفرد فصلا خاصا بالتحدير من هوى النفس كالْبوصيري إلا أنه ذكر كثيرا من الحكم ولا سيما عقب ذكر الحوادث الهامة .

وقد بدأ البارودي قصيدته بالغزل فقال :

يا رائدَ الترقى يَمْتَمُّ دَارَةَ الْعِلْمِ وَأَحْدُ الْقَهَامِ إِلَى حَيِّ يَدَى سَلَمٍ
وعندى أن هذا المطلع أرق من مطلع البوصيري لأنه تضمن الدعاء ولم يتضمن لفظ « الدم » .

ثم انتقل بعد ثلاثة وعشرين بيتا إلى ذكر المولد الكريم ولكنه توسع فيه إذ قدم له بثلاثة عشر بيتا فيما سبق المولد من كرامات ثم وصف المولد وما تلاه من إدهاشات في أثناء طفولته في ستين بيتا . ومن ذلك :

ومذ أنى الوضع وهو الرفعُ منرلةً كجاءتْ بِرُوحِ بُنُورِ اللَّهِ مُنْشِئِ

والتكليف هنا ظاهر .

ضَاءَتْ بِهِ غُرَةُ الْإِنِّينِ وَابْتَسَمَتْ عَنْ حُسْنِهِ فِي ربيعِ رَوْضَةِ الْحَرَمِ
وَأَرْضَعَتْهُ وَلَمْ تَنَاسِ حَلِيمَةً مِنْ قَوْلِ الْمَارِضِ إِنْ الْبُؤْسُ فِي الْيَتَمِ
ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى ذِكْرِ زُولِ الْوَحْيِ وَبَدَأَ الرِّسَالَةَ فِي اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ بَيْتًا :

وَحِينَ أَدْرَكَ سَنَ الْأَرْبَعِينَ وَمَا مِنْ قَبْلِهِ مَبْلَغٌ لِلْعِلْمِ وَالْحِكْمِ
حَبَاءِ دُورِ الْمَرْشِ بِرَهَانَا أَرَاهُ بِهِ آيَاتِ حِكْمَتِهِ فِي عَالَمِ الْحُلُمِ
وَبَعْدَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُهْجَرَةَ الْأُولَى إِلَى الْحُشَّةِ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الصَّحِيفَةِ يَنْتَقِلُ إِلَى الْإِسْرَاءِ:
وَحِذَا لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ حِينَ سَرَى لَيْلًا إِلَى السَّجْدِ الْأَقْصَى بِلَا أَمٍّ (١)
وَلَكِنْ أَيْنَ هَذَا مِنْ بَيْتِ الْبُوصِيرِيِّ :

سَرِيتُ مِنْ حَرَمِهِ لَيْلًا إِلَى حَرَمِ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى ذِكْرِ دَعْوَةِ الْأَنْصَارِ وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِتِلْكَ الدَّعْوَةِ الْكَرِيمَةِ :

وَلَمْ يَزَلْ سَيِّدُ الْكُوفَيْنِ مُسْتَضْبَأً لِدَعْوَةِ الدِّينِ لَمْ يَفْتَرْ وَلَمْ يَجْمَعْ (٢)
يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ وَيُبَشِّرُ الدِّينَ فِي سَهْلٍ وَفِي عِلْمٍ (٣)
حَتَّى اسْتِجَابَتْ لَهُ الْأَنْصَارُ وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ عَنْ تَرَاضٍ خَيْرِ مَعْتَصِمٍ
وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ بَيْتًا فِي وَصْفِ الْأَنْصَارِ وَجِهَادِهِمْ يَنْتَقِلُ إِلَى ذِكْرِ الْمُهْجَرَةِ . . .
وَهُنَا نَرَى الْبَارُودِيَّ الْمَصُورَ الْبَارِعَ لِقِصَّةِ الْغَارِ .

وَحَاءَهُ الْوَحْيُ إِيدَانًا بِهَجْرَتِهِ قَيْمَ الْغَارِ بِالصَّدِيقِ فِي الْفَسَمِ (٤)
فَا اسْتَقَرَّ بِهِ حَتَّى تَبَوَّاهُ مِنَ الْجَانِمِ رُوحٌ بَارِعٌ الرَّئِمْ (٥)

(١) مشقة .

(٢) يجم : فعله وحسم بمعنى سكن في شروذ ذهن وخوف .

(٣) علم : جبل والمراد يبشر بدعوته في كل مكان .

(٤) الطلام . (٥) الماء .

بني به عُشَّة واحتلَّه سَكَنًا يَأْوِي إِلَيْهِ عِدَاةَ الرِّيحِ وَالرَّهْمُ^(١)
إِلْفَانٍ مَا جَمَعَ الْقُدُورُ بَيْنَهُمَا إِلَّا لَسْرٌ بِصَدْرِ الْفَارِ مُكْتَتَمٌ
كِلَاهُمَا دَيْدَنَانٌ^(٢) فَوْقَ مَرْنَانٍ^(٣) يَرَى الْمَسَالِكَ مِنْ بَعْدٍ وَلَمْ يَنْمِ

وَي هَذَا الْبَيْتُ نَزَى الْبَارُودِي الْعَسْكَرِي :

إِنْ حَنَّ هَذَا عَرَامًا أَوْ دَعَا طَرَبًا بِاسْمِ الْهَدِيدِ أَجَأَتْ تِلْكَ بِالنَّعْمِ
يَخَالُهَا مِنْ يَرَاهَا وَهِيَ جَائِمَةٌ فِي وَكْرَهَا كَرَّةً مَلَسَاءَ مِنْ أَدَمَ^(٤)
إِنْ رَهَوَتْ سَكَنْتَ ظِلًّا وَإِنْ هَمَطَتْ رَوَتْ غَلِيلَ الصَّدَى مِنْ حَائِثِ شَيْمٍ^(٥)
مَرْقُومَةَ الْجَيْدِ مِنْ مَسْكِ وَغَالِيَةٍ مُحْضَوَةٌ السَّاقِ وَالْكَفَيْنِ بِالنَّعْمِ^(٥)
كَأَنَّمَا شَرَعَتْ فِي قَانٍ سَرَبٍ مِنْ أَدْمَعِي فَفَدَتْ مُحَرَّمَةً الْقَدِيمِ
وَسَجَّفَ الْعَنْكَبُوتُ الْفَسَارَ مُخْتَفِيًا بِخِيَمَةٍ حَاكِيهَا مِنْ أَبْدَعِ الْخِيَمِ
قَدْ شَدَّ أَطْنَابَهَا فَاسْتَحْكَمَتْ وَرَسَتْ بِالْأَرْضِ لَكِنَّا قَامَتْ بِلَا دَعْمِ
كَأَنَّهُمَا سَابِرِيَّ حَاكِي لَبِقٍ بِأَرْضِ سَامُورَ فِي بَحْبُوحَةِ الْمَجْمَمِ^(٦)
وَأَرَتْ مَمَّ الْفَارِ عَنْ عَيْنِ تُلْمٍ بِهِ فَصَارَ يَحْكِي خَفَاءَ وَجْهِ مَلْتَمِ
فِيَالِهِ مِنْ سِتَارٍ دُونَهُ قَرَرٌ يَحْلُو الصَّائِرَ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظُلْمٍ
فَظَلَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ مَعْتَكِمًا كَالْدَرِّ فِي الْبَحْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ فِي الْقِسْمِ^(٧)

ذلك هو تصوير البارودي لما كان من أمر الفار وهو كما نرى رائع جميل وقد فصله
في ستة عشر بيتاً في حين أن الموصيري أشار إلى ذلك أربعة أبيات :

(١) المطر . (٢) جلد .

(٣) الرِّبَاةُ مكان مرتفع يقف فيه الراصد ليرى حركات العدو وقت الحرب .

(٤) مقيد .

(٥) الغالية نوع من الطيب والنعيم صنع أحمر

(٦) نوع من السيج العارسي

(٧) في القسم : في منتصف النهار .

وما حوى الفأر من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه نعم
فالصدق فى النار والصدق لم يما وهم يقولون ما بالنار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا المنكبت على خير البرية لم تسج ولم تحم
وقاية الله أغنت من مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
ولئن فلق البارودى صاحبه فى التفصيل والتصوير فقد فاقه صاحبه فى سمو المعنى
ولا سيما فى هذا البيت الأخير .

ثم ينتقل إلى ذكر الغزوات والسرايا وقد ذكرها جميعا من أول عروة « ودان أو الأبناء »
إلى آخر غزوة وهى « تبوك » فى ثلاثة وثلاثين ومائة بيت :

هذا وقد فرض الله الجهاد على رسول الله ﷺ فى الأمم
فكان أول غزوة سار فيه إلى « ودان » ثم أتى فى غير مضطدم
ثم استمرت سرايا الدين ساجدة بالخيال حاحمة تشتد بالجوهر
وهكذا يستمر فى سرد الغزوات وتناحها إلى أن يقول :

وحين أوى على وادى تبوك سعى إليه ساكنها طوعاً بلا رغم
ثم ينتقل إلى ذكر عام الوفود والبعوث :

وأم طيبة مسرورا بمودته يطوى النازل بالوخادة الرثم^(١)
ثم استهلت وفود الناس قاطبة إلى حماه فلامت وأمر الكرم
فكان عام وفود كلما انصرفت عصاة أثبت أخرى على قدم
وأرسل الرسل تترى للسلوك بما فيه بلاغ للأهل الذكر والمهم
ثم ينتقل إلى التوسل وطلب الشفاعة :
فهذه الغزوات العر شاملة
جَمَعَ البُعُوثِ كدُرٌ لاحٍ فى نظم

(١) الوحد : اتساع حطو الإبل ورسم الإبل : صرب من سيرها .

جَمَعَهَا رَاجِيًا نِيلَ الشِّفَاعَةِ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَاءِ وَمَوْلَى الْعَرَبِ وَالْمَجْمَرِ
هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قُبِلْتُ رَجَاةُ آدَمَ لَمَّا زَلَّ فِي الْقِدَمِ
حَسْبِي بِطَلْعَتِهِ الْفَرَاءُ مَفْخَرَةٌ لَمَّا التَّقِيْتُ بِهِ فِي عَالَمِ الْحُلُمِ
ولما كان البارودي من أصل شركسي ولم يمت إلى النبي عليه الصلاة والسلام بصلة النسب
الشريفة التمس ذلك النسب بمحبته للرسول الكريم مقتديا بسلطان الفارسي الذي استأهل أن
يقول عنه الرسول الكريم « سلمان منا أهل البيت » :

يَا سَيِّدَ الْكَوْنِ عَفِّوْا إِنِّي أَتَيْتُ فِلَى رَحْمَتِكُمْ صَلَوةً تُعْنِي عَنِ الرَّحِمِ
كُنِي بِسَلْمَانَ لِي فَخْرًا إِذَا انْتَسَتْ نَفْسِي لَكُمْ مِثْلَهُ فِي زُمرَةِ الْحُثَمِ
ولنا بعد دراسة هذه القصيدة العامرة بعض الملاحظات :

١ - فملى الرعم من أن « البارودي مطبوع على قول الشعر ، لا ينتزعه انتزاعا
أو يتمسك في بطنه بل يتدفق على لسانه تدفقا ، وتشعر وأنت تقرأه أنه يجري
في رفق وهودة ولين غير مضطرب أو متسكف^(١) وعلى الرعم من أنه « كان يهتف شعره
قبل أن يجرحه للناس ، ويصنئ اليه ليتبين ما فيه من عيوب في الموسيقى وعدم اسجام
الألفاظ بعضها مع بعض والخلل المعنوي والقافية المضطربة والحشو وغير ذلك من عيوب
الشعر^(٢) » وعلى الرغم من امتياز شعره عامة بكل تلك الصفات - على الرعم من ذلك كله
فانه كان في كثير من أبيات هذه القصيدة ناظما وحسب كما نرى من هذه الأبيات :

ومذ أنى الوضع وهو الرفع منزلة	حادث بروج ننور الله مُتَسِمِ
و فبينما هو يرعى البهائم طاف به	شخصان من ملكوت الله دى العظم
و حين أدرك سن الأربعين وما	من قبله مبلغ للعلم والحكم
و حينما ليلة الاسراء حين سرى	ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتم
و هذا وقد فرض الله الصلاة على	عباده وهداهم واضح اللقم ^(٣)
و هذا وقد فرض الله الجهاد على	رسوله ليثبت الدين في الأمم

الخ...

(١) في الأدب الحديث ص ١٦٠ > ١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦١

(٣) المصح

ولعل له عذرا فإنه إنما يتحدث شعرا عن سرد وقائع تاريخية وكيفما كان اطلاعه على سيرة ابن هشام فإنه لم يهضمها كما هضمها البوصيرى ، نعم كلاهما شاعر وكلاهما قد طرق موضوعا بعينه ولكن بردة البوصيرى أجود على وجازتها بالنسبة لقصيدة البارودى التى بلغت حوالى ثلاثة أمثالها فإن البوصيرى قد استطاع تلخيص السيرة والاشارة إلى وقائعها مع احتفاظه بسمات الشعر وحسن انسجامة ومعممايه . . . وفوق هذا فإن البوصيرى كان فى حالة نفسية أسى من حالة البارودى ولا سيما إذا ذكرنا المناسبة التى أنشأ فيها هذه الردة وهى الرؤيا التى رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وقد خلع عليه بردته الشريفة ودعا له فشفى من غلة مستعصية كانت به . . . ومن أجل ذلك نالت قصيدته الخلود وكانت نراسا لمن أتى بعده من الشعراء على مر العصور .

٢ — كثيرا ما كان يعمد البارودى إلى إرسال الحكمة عقب ذكر الحوادث فبعد أن وصف إيداء قريش للنبي عليه الصلاة والسلام ، وما كان من كيد أبى جهل قال :

لا يسلم القلبُ من عِلٍّ أَلَمَّ به يَنْتَقِى الْأَدِيمُ وَيَبْقَى مَوْضِعُ السَّحْلَمِ^(١)
والْحَقْدُ كَاللَّارِ إِنْ أَخْفَيْتَهُ طَهَرَتْ مِنْهُ عَلَامٌ فَوْقَ الْوَحْهِ كَالْخَلْمِ
لا يَبْصُرُ الْحَقُّ مِنْ سَحْلٍ أَحَاطَ به وَكَيْفَ يُنْصَرُّ نُورُ الْحَقِّ وَهُوَ عَمْرٍ

وقد بين عقيدته فى الحساب والجراء فى قوله :

كُلُّ أَمْرٍ وَاحِدٌ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِذَا اسْتَوَى قَائِمًا مِنْ هُمُوءِ الْأَدَمِ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِي الدُّنْيَا مُكَافَأَةٌ وَالنَّفْسُ مُسْتَوَلَةٌ عَنْ كُلِّ مُخْتَرَمٍ
فَلَا يَمُتْ ظَالِمٌ عَمَّا حَنَّتْ يَدُهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ يُنُ اللهَ لَمْ تَنْهَمْ

وبعد أن ذكر حوادث أحد قال :

فَكَانَ حَيْرًا وَتَمَحِيصًا وَمَغْفَرَةً لِلدُّوْمَنِينَ . وَهَلْ بُرِّئَ سَقَمٌ

٣ — لم يس فى هذه القصيدة صفاته العسكرية كما رأينا عند قصة النار من ذكر الديدان والربابة ورعاية المسالك والخيمة وأطناها . . . ودعائها . . .

(١) دودة تموت بالدمع ويبقى أثر موضعها فى الحيوان .

٤ — لم أعثر فيما قرأت من تراجم البارودي على إشارة لتاريخ هذه القصيدة وقد حاولت أن أستنبط ذلك من نفس القصيدة لمعرفة ما إذا كان قد قالها قبل النفي أو بعده فلم أصل إلى نتيجة حاسمة لأنه في توسله في آخريات القصيدة يقول :

هدى منأى وحسبى أن أفوز بها بنعمة الله قبل الشيب والهـرم
وهذا البيت يشير إلى أنه قالها في صباه أو على الأقل في كهولته قبل النفي . . ولكنى أرجح أنه قالها في المنفى مستدلا بقوله :

أُكَاكِىَ الدهرُ حتى إذْ لحأتُ لهُ حَفَا عَلَيَّ وَأَبْدَى نَفْسَ مَبْتَسِمِ
وقوله :

تَاللَّهِ مَا عَاقَنِي عَنْ حَيْثُكُمْ شَجْنٌ لَكِنِّى مُؤَثَّقٌ فِي رُبْقَةِ السَّلَمِ
مهل إلى رَوْرةٍ يَحْيَا الْفَوَاذُ بِهَا دريعةً أَبْتَمِعَهَا قَتْلَ مَخْتَرَى^(١)
شكوتَ بَشَى إِلَى رَبِّى لِيُنْصِفَنى من كلِّ نَاغٍ عَتِيدِ الْجُورِ أَوْ هَيْكِمِ
وكيف أُرَهُ حَيْنِفًا وَهُوَ مُنْتَقِمٌ يَهَانُهُ كُلُّ جَبَّارٍ وَمُنْتَقِمِ
وقد آثرت وضعها في هذا الفصل لأنها تمثل مرحلة من مراحل نهضة الشعر بعامتها كما أنها تمتاز أولى القصائد التاريخية التي استقصت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام جميعها وكانت مفتاحا لما شاع بعد ذلك من الشعر التاريخي في العصر الحديث .

٥ — هذه القصيدة صورة لأحد ألوان ثقافة البارودي فلو قد « كانت عنده الملكة الكامنة والملكة وحدها لاتسكى بل لادلها من عدة تصقلها وتنمىها وتمدها للروز باضجة قادرة حالصة . ودراسه البارودي الأدبية قد غدت هذه الملكة غذاء كاملا ، لامن دواوين الشعراء وحدها بل من كتب الأدب وطرائف القصص وأخبار العرب وقبائلهم وشجاعتهم^(٢) » .
وبعد :

فتلك هى إحدى نواحي الشعر الدينى من مطلع هذا العصر إلى عهد الثورة المرابية .

(١) قبل موت . (٢) فى الأدب الحديث ص ١٥٧ .

وقد رأينا شعراء تلك الفترة يسرون فيها على نهج سالفهم قدما يقدم ، فلا ابتكار ولا توجيه .

ولقد كان العامل الدينى أو الباطنى على هذا اللون من الشعر هو محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وما ربحى من التوسل بحاجه الكريم وشفاعته العظمى : « قل إن كنتم محبون الله فاتبعوني يحببكم الله . . » ولقد ظهرت واضحة آثار ذلك العهد من حيث الثقافة الدينية واللغوية ومدى خيال الشعراء ومقدرتهم فى هذا الشعر .

ولنتقل إلى الموضوع الثانى وهو :

٢ - مدائح آل البيت والأشراف .

ونظرا لما كان للأشراف الذين ينتمون إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلالة على رضى الله عنه وفاطمة الزهراء من مكانة فى النفوس ولما ورد عنهم من آثار كقوله تعالى « قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » وقد فسرت بالمودة لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ماورد من الأحاديث الكثيرة فى فصلهم ووجوب احترامهم . . . ونظرا لما كان يمتاز به أولئك الأشراف من صفات حملتهم موضع التحلة والاحترام فوق مايشرفون به من تكريم النسب . . . نظرا لذلك كله فقد كانوا موضع حماوة الشعراء بمدحهم فى كل مناسبة ويحذون فى مدحهم فرصة لإظهار حهم ومدحهم للرسول الكريم . ولقد كانت أهم مناسبات لذلك هى حفلات المولد التى يقيمها الأشراف فى مبارهم فى ربيع الأول من كل عام . . . ومن ثم فقد كانت الأسمار فى هؤلاء الأفاضل فرعا من المدائح النبوية التى مرت بنا .

ولقد عثرت على عماذج كثيرة لهذا اللون من الشعر وسأكتفى هنا ببعضها :

١ - فى ديوان الخشاب^(١) كثير من القصائد فى مدح الشريف محمد أبى الأنوار وفا من السادة الوفائية .

ومن ذلك أنه مدحه بقصيده جاء فيها قوله^(٢) :

(١) هو الأديب السيد أبو الحسن اسماعيل الشافعى المعروف بالخشاب توفى سنة ١٢٣٠ .

(٢) الديوان لمخطوط ٥٣٩ ص ١٢ .

ولست بمتنخِر عَرْضَا سِيفِنِي لِيَوْمِ الْعَرْضِ أَدخِرُ امْتِيَا حِي (١)
فلامه على ذلك فاعتذر إليه بأبيات منها :

يا ابن الكرام الألى بالجوْد قد غمروا هذا الوجود هَما دِ الْفَقْرُ كالْعَدَمِ
لَا تُنْصِرْ عَنِّي إِنْ جَارَيْتُ مَمْتَدَحَا إِمَامَ كُلِّ أَرْبَبٍ حَازِقُ فَهَرِمِ (٢)
أَخَذْتُ مِنْ قَوْلِهِ فِي نَسِجِ بَرْدَتِهِ فِي مَدْحِهِ خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
وَلَمْ أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَعْتُ يَدَا زُهَيْرٍ عَمَّا أَتْنَى عَلَى كَهْرَمِ
وَلَهُ قَصِيدَةُ أُخْرَى فِي مَدْحِ الشَّرِيفِ وَفَا أَيْضًا وَمِنْهَا :

وَإِنْ الدِّي سَاوَى الْوَرَى بِكَ هَاهُنَا وَهَلْ قَيْسٌ بِاللَّيْثِ الْمَهْصُورِ الثَّمَالِبُ
وَفِيمَ اتْفَاعِ الْمَرْءِ بِوَمَا يَمِينُهُ إِذَا مَا اسْتَوَى فِيهَا الضُّيَا وَالْفَيَاهِبُ
وظَاهِرُ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ مَأْخُودٌ مِنْ بَيْتِ الْمُتَنَبِّي :

وَمَا اتْفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا نَظَاظُهُ إِذَا اسْتَوَتْ عَنْهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وَقَالَ يَمْدَحُ السَّيِّدَ عَمْرٍ مَكْرَمٍ بِمُنَاسَبَةِ تَجْدِيدِهِ مَسْجِدَ الْحَاكِمِ (٣) :

أَحْيَيْتَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مُنْدَرِسًا مِنْ السَّاجِدِ مِنْ آثَارِ أَعْجَادِ
وَدَطَالَ مَا رَكَمْتُ قَبْلًا وَمَا سَجَدْتُ مِنْ الدَّرَايَا بِهِ أَعْيَارُ عُمَّادِ
أَخْلَصْتُ لِلَّهِ فِي تَجْدِيدِهِ فَقَدَا نُورُ الْقَبُولِ عَلَيْهِ لَا يَحْمَا بَادِي
إِشْرَاقِ أَوْضَاعِهِ الْحَسَنَى بِوُورْخِهِ (لَكَ الْبَشَارَةُ فَارْدَدِ جِدَّ إِسْعَادِ)

١٢٢٣

٢ - وَفِي دِيْوَانِ السَّيِّدِ عَلَى الدُّرُوشِ سَبْعُ عَشْرَةِ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ الْأَشْرَافِ مِنْهَا تِسْمَةُ

(١) امتياحي: عطائي .

(٢) يشير إلى الوصفي في الردة .

(٣) المخطوط صفحة ٣٦

في السادة البكرية وخمسة في آل عون أشراف مكة وثلاثة في السادة الوفاية ١٠٠٠ وسنكتفي
بذكر قصيدة واحدة من كل :

(١) فن مدائح للسادة البكرية^(١) قصيدة من تسعة وثلاثين بيتا قالها بمناسبة الاحتفال
بالمولد النبوي الشريف عام ١٢٦٧ . قال في أولها :

أهلاً بهذا الظهور السنيّ ومصدر الأوار في السنيّ
وبعد مدح النبي عليه الصلاة والسلام ينتقل إلى مدح السادة البكرية :

فيا بني الصديق والوصايا تزلزنا مودة الوصي
وكلكم هداية وقصّل رفيع صميم ولدفع عي
أمنكم محمد بن سمر السيد الراهي على الزهي ؟
إلى أن يختتمها بقوله :

لارنم كواكب الليالي شمس أيام دوات في^(٢)
كيف أي مدحا متى أؤرخ (في حق فضل المولد البهي) ؟

١٢٦٧

(ب) ومن قصائده في مدح آل عون قصيدة وجهها إلى الشريف محمد بن عون شريف
مكة وهي من تسعة وعشرين بيتا قال في مطلعها^(٣) :

إلى كم عقيق الدمع بالسفوح يبع ولم يخل لي الوجه الجليل ويسع ؟
ثم ينتقل إلى مدح الشريف :

وما لسوأم قد تطلمت إنما إلى حضرة المولى الشريف التطلمع
إلى رب بيت المجد والكمبة التي إليها الأمانى ساجدات وركع

(١) الديوان صفحة ٣١٦ — والسادة الكرية يتسبون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) في — و هو الطل والنم .

(٣) ص ٠ (٢١٠) من الديوان .

إلى حَرَمِ الأَمْنِ المَقَامِ إلى الصفا إلى رُكنِ دينِ الله نَفْدِيهِ أَجْمُ
فمن ذا الذى يَحْشَى منَ الدَّهْرِ سَطْوَةً وهذا ابنُ عونِ الله عون ومراجع
وبلاحظ المالعة المَقْوَتَة فى هذا البيت :

ثم يحتم القصيدة بقوله — وفيه أيضاً من المبالغة ما فيه :
قدم يا ابنَ حَر الخلقِ حيرَ زَمَانِهِ فلا رَلتَ كَمَدُوحًا تضر وتَنْفَعُ
ولست أدري كيف قبلت نفس السيد الدرويش أن يتورط فى هذه المبالغات ، لعله كثرة
العطاء . فان الله تفتَح الله كما يقولون .

(ج) ومن قصائده فى مدح السادة الوفاية قصيدة يمدح بها السيد أبا الإقبال ويهينه
بمعيد الفطر عام ١٢٥٢ وهى قصيده طويلة من واحد وستين بيتاً ومطلعها^(١) :

الشرُّ يُلْعَمُ من حَبِيبِ هَلالِ رَدَّ الصَّيَامِ لِمِيده هَلالِ
ثم يظهر أثر الصنعة فى هذه القصيدة فيذكر خمسة أبيات مهملة الحروف :
هو احمدُ الأسماءُ أسمى حامدِ هو أصلحُ الأعلامِ والأعمالِ
وَمُطَهَّرُ الأصلِ المُؤصلُ سُودَدًا ومكارما وكلُّ كلِّ كال
طالُ المؤمِّلِ وهو كلُّ مؤمِّلِ وَسِعَ اللَّيْلُ ومِهَامِةَ الآمالِ
وَمَطَالُ عَالِ أو مَطَالِمْ سَعْدِهِ داسَ الشُّمَامِ وَسَمَاءَ مَطَالِ
حَرَمٌ مَحَلُّ المَكَارِمِ دارُهُ . . .
ثم يحتمها بقوله :

ياهل دعا الساداتُ غيرَ مَسِيدِ أم فى سواه محمد التَّرحالِ ؟
يا واحدا زد فى القبول مؤرَّحٌ (قبلت سمايته أبو الاقبال)

٣ — وفي ديوان السيد علي أبي النصر قصيدتان كبيرتان ومقطوعة والقصيدة الأولى في مدح الأشراف عامة والتوسل بهم وبالنبي صلى الله عليه وسلم وهي من تسعة ومائة بيت ومطلعها^(١) :

لى فى البراعة طالع مشهودٌ ومَدائِعى فىكم لَدَى شُهُودٌ
والثانية في مدح الشريف عبد المطلب وكان قد أولم وليمة وهو بالآستانة ودعا إليها العلماء ولم يدر كها السيد أبو النصر ومطلعها^(٢) :

مَواردُ الفضل تُفنى مَن بها وَردَا عَنْ التَّخْلِصِ مَن يَأْسِرُ بِهِ وَرَدَى^(٣)
لا سِما مَوردٌ كُلِّ الوَرَى شَهِدَتْ بَأَنَّهُ بَرٌّ بِرٌّ دَائِمًا أَبَدًا
ومنها :

فهو الشريف ومدحى دون رُتْبَتِهِ لَكِنَّا الطَّلُّ يُهْدَى الْبَحْرُ مِنْهُ دَى
مَعَ أَنِّى لَوْ لَشْتَ الدَّهْرَ مُشْتَفِلًا رِمَدٌ مَا حَارَ لَا أَحْصَى لَهُ عَدَدًا
وكيف تُحْصَى سِجَايَا مَنْ لَهُ كَسَبٌ بِالْمُصْطَفَى خَيْرَ مَنْ أَتَى وَمَنْ حَمَدَا
أما المقطوعة فهي في مدح السادة البكرية وهي من أربعة أبيات :

أَلَا إِنْ لَى يَا آلَ صَدِّيقِ أَحْمَدَ إِلَيْكُمْ بِكُمْ فِى الْخَطِّ حُسْنٌ تَوْسَلُ
وإن لمن يرجو النوالَ بِبَابِكُمْ لَشَمْسٌ هَدَى مَكِّمَهَا الْكَرْبُ يُنْجَلُ
فلى منه أستاذٌ وَلى مِنْهُ مُصْرِشِدٌ بِهِ أَرْتَقَى أَوْجَ الرِّشَادِ وَأَعْتَلُ
ولى مِنْهُ كَدْرٌ يُهْتَدَى نِكَالَهُ وَلى مِنْهُ قُطْبٌ دُوَّ اتِّصَالِ وَلَى وَلِى^(٤)

* * *

٤ — أما ديوان محمود صهوت الساعاتى فهو أحمل دواوين عصره بمدائح الأشراف

(١) صفحة ٤٥ من الديوان .

(٢) صفحة ٥٠ والقصيدة من ستة وثلاثين بيتاً .

(٣) ورد الأولى من الورود . أما الأخيرة فهي من حرف الواو ثم الردى عمى الهلاك .

(٤) « ولى » الأولى من حرف العطف الواو ثم لام الحر ثم ياء التكلم أما « ولى » الأخيرة

فهى ولى من الأولياء .

إذ نجد به ثمانيا وثلاثين قصيدة في آل عون من أشرف مكة ولا غرابة في ذلك « ففي سن
المشرين بدا له أن يحج إلى بيت الله الحرام ، وهناك اتصل بأشراف مكة (آل عون)
فأكرموه واصطحبوه معهم في غرواتهم وحروبهم مع آل سعود وأمرأء اليمن وظل بجوارهم
خمس سنوات يسجل انتصاراتهم ويسبغ عليهم مديحه ، ولما عزل الأمير محمد بن عون عن
إمارة مكة ، ورحل إلى الأستانة صحبه الشاعر ثمة ، ومكث معه قليلا ثم تركه ورجع إلى
مصر ^(١) » .

ولعل في استمرار مدحه لهم حتى بعد بعده عنهم ثم عدم انضوائه تحت لواء حاشية
إسماعيل كما فعل صاحباه أبو النصر والليثي لعل في ذلك دافعا من العاطفة الدينية ووفاء منه
لسا كان من ! كرامهم إياه . وإنا لئس في مدائحه لأولئك الأشراف أنه كان يقدر فضلهم
وشرف نسهم فوق اعترافه بكثير عطاياهم .

وأولى تلك القصائد قصيدته في مدح الشريف محمد بن عون أمير مكة .

رَقَّتْ لِرِقَّةٍ حَالَتْهُ الْأَهْوَاءُ وَحَنَتْ عَلَى الدَّائَةِ الْهَيْفَاءُ ^(٢)
ومنها :

فَعَلِمْتُ أَنَّ الْأَكْرَمِينَ هُمُ الْأَلَى شَرُّوْا وَبَايَ الْعَالَمِينَ كَبَّاءَ
لَمْ يَبْقَ عَيْرُ بَنِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فِي الْأَرْضِ مَنْ يُعْرِفُ إِلَيْهِ سَخَاءَ
قَوْمِ كَهَمَتْ حَدَوَاهُمْ وَعِدَّ حِهِمْ فِي كُلِّ وَادٍ هَامَتْ الشُّمَرَاءُ

ومن تلك القصائد مدحة للسيد محمد الجبل شيخ السادة العلوية بالدينة المنورة بؤرح
بها قدومه إلى مصر عام ١٢٦٩ وأولها ^(٣) :

(تُشْرِى عَقْدَمَ سَيِّدِ السَّادَاتِ)
الْيَمَنِ وَالْإِقَالِ وَالْبِرَكَاتِ
(١٢٦٩)

ومنها :

(١) في الأدب الحديث ج ١ — ١١٥ .

(٢) صفحة « ٨ » من الديوان .

(٣) ص ١٨ من الديوان .

لأنتم بنو الزهراء أنتم أنتم من استبقوا إلى الخيرات
لخالشعون الراكمون الساجدون الماكهون أئمة الصلوات
ومن تلك القصائد قصيدة في مدح الشريف عبد الله أمير مكة^(١) :

أَرَاكَ رَى فِكْرَى عَلَى الْحَمْدِ أَقْدَرَا وَقَدْرَكَ أَجْدَى بِالْمَدْحِ وَاحْدَرَا
وهي تقول :

«وَأَنْتُمْ بَنُوهُ وَالَّذِينَ بِفَضْلِهِمْ أَتَى الرُّوحُ بِالذِّكْرِ الْمُبِينِ مُحَمَّداً^(٢)
وَمِنْذَا الدِّيُّ بِالشَّمْرِ يَلْعَقُ مَدْحَكُمْ وَفِي « هَلْ أَتَى » مَا قَدْ أَتَى وَتَصَدَّرَا^(٣)

* * *

٥ - ولرواية الطهطاوى قصيدة في مدح آل البيت ، والتوسل بهم ومطلعها^(٤) :

إِنَّمَا لَكُمْ بَصُهُو صَمَاتِي آلَ بَيْتِ الزَّهْرَاءِ أَزْهَى صِفَاتِي
ومنها :

أَنْتُمْ بِضَمَّةِ النَّبِيِّ نَشَأْتُمْ عَنْ صَفِيٍّ مِنْ بَصْمَةِ مُصْطَفَاةٍ
حَاشَ لَكَ أَنْ أَضَامَ وَأَنْتُمْ مَلْجَأُ اللَّائِدِينَ كَهْفُ الْعُمَاةِ
بِحُلُوصِي الْمَدِيحِ أَرْجُو خِلَاصِي مِنْ مَسَاوِي أَلْبَاسِي السَّالِعَاتِ
إِنْ ظَنَّمْتُ رِفَاعَةً فِي وَلَاكُمْ حَارَ صَفْوَاً مِنْ سَطْوَةِ الرُّجَفَاتِ
الخ.....

ونسكتفي بهذا القدر من هذا اللون من المدائح التي شاعت في تلك الفترة وكان المامل
الديني فيها أو الباعث على قولها إنما هو أولا وقبل كل شيء محبة الرسول وآل بيته الكرام

(١) ص ٢٩ من الديوان .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِبًا وَبَتِيًا وَوَسِيرًا ﴾ فقد رلت في سيدنا

على رضى الله عنه .

(٤) رفاة الطهطاوى لأحمد بدوى ص ٢٣٧ طعة ١٩٥٠

استجابة لنداء القرآن « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له . . » إلى آخر الحديث^(١) . .

ولنتقل إلى الموضوع الثالث ألا وهو :

٣ - التوسل بالأولياء والصالحين

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد أن أرسى قواعد التوحيد الخالص ، وبعد أن حطم الأوثان التي كان يتخذها المشركون لتقربهم إلى الله زلفى وبعد أن بين للناس أن الله قريب من عباده يستجيب لدعائهم إذا دعوه دون اتحاد وسيط يقربهم إليه . . .

وبقدر صفاء المسلمين الأولين وفهمهم رسالة الإسلام على وجهها الصحيح كانوا يدركون معنى الإخلاص في التوحيد وينتمدون عن شوائب الوثنية .

ولقد كان أئمة المسلمين في أول العهد يقضون ردود من تحذنه نفسه جهلاً بالعودة إلى مظاهر الوثنية ، فعمر بن الخطاب قد أمر باجتماع شجرة الرصوان من جذورها عند ما رأى بعض الناس يتخذونها ماراً يصلون تحتها . . . ثم تفرق المسلمون في أصقاع الأرض ونشروا الإسلام وامتزجوا بغيرهم من الأمم ، وقد كان لسكل من تلك الأمم عادات وتقاليد وثقافات ونباتات . . وبطول العهد نسي المسلمون ما سوا من صفاء التوحيد فوثت العقائد القديمة واحتلت مكانها مرموقاً في نفوس الناس وصار أكثر المسلمين في شبه وثنية « وأصبح التوحيد الصحيح المطلق المجرد عن كل شائبة من التحسيم ، المنزه عن كل تشخيص ، الذي يصل العبد بربه من غير واسطة ولا وسيلة ، مطلباً عسيراً لا يستطيعه إلا الخاصة أو خاصة الخاصة .. أما من عداهم فيشعرون بالتوحيد لحظات ثم سرعان ما يتدهورون ويشوب عقيدتهم نوع من التشخيص وأسلوب من التجسيم على نحو ما ، ثم يتخذون من الصالح وسائل ورائي^(٢) . . »

(١) تفسير الكشاف ج ٣ صفحة ٤٠٢ طبعة ١٣٥٤ هـ .

(٢) زعماء الإصلاح لأحمد أمين ص ١٦ .

وقد ظهر ابن تيمية في القرن السابع الهجري وبأدى فيما نادى به بضرورة العودة إلى حصفاء التوحيد وترك التشبه بالمشركين ولقى في سبيل ذلك ما لقي وقد قال :

« أما قصد القبور للدعاء عندها ، ورجاء الإجابة بالدعاء هناك ، فأمر لم يشرعه الله ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أئمة المسلمين ، ولا ذكره أحد من العلماء والصالحين المتقدمين ، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بمسألة المائة الثانية^(١) ... »

ثم ظهرت الحركة الوهابية في القرن الثامن عشر الميلادي مفادية بترك التوسل بالأولياء وعدم اتحاد الشفعاء والوسطاء من دون الله فلقى الوهابيون من الممت والمشفقة ما لقوا . . وقد رأينا في الفصل الأول كيف حاربهم مصر في عهد محمد علي باسم الدين والخلافة^(٢) .

ولم تتأثر مصر في أول العهد بأراء الوهابيين لطول ما قد ران على القلوب من ركامات الجهالة ولا سيما وأن التوسل بالأولياء كان عقيدة أكثر العلماء .

روى الحرثي في حوادث رمضان سنة « ١٢٢٣ » أن واعظا عربيا (بظن أنه رومي) جاء يعظ الناس في مسجد المؤيد ، وكان يهائم عن التوسل بالأولياء والتمسح بأبواب التولي ، وينفي اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ ، وأنه قد تنعم كثير من ولكن الشيوخ قد أمتموا^(٣) بطلان قوله وحرصوا عليه الحاكم حتى اختفى وقد أفتى الشيخ أحمد الزفراوي والشيخ أحمد الحليني بطلان وعظ ذلك الرجل ، ثم ذكر عقب ذلك أبياتا لأحد علماء الأزهر الشريف عن هذا الحادث :

مِصرٌ قد كُحلَّ بها واعظٌ عن مَنهَجٍ صدقٍ قد أعرضُ

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » لاس تيمية ص ٣٣٨ طعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٩٥٠ — وتوفي ابن تيمية سنة ٧٢٨ هجرية

(٢) ص ٦١ — ٦٦ من هذا البحث

(٣) لأنهم كانوا يجهلون خطأ قوله تعالى (يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) ووظنوا أنها الوسيلة بالأولياء .

أبدى جهلا فيها قولا منه الجبلى حالا تجهض
فأساء الطنَّ بسادات أحكام الدين بهم نهض
إد قال لنا : من أين لكم خنم بالخير لهم يفرض
وكرامات لهم انقطعت بالوئ زيارتهم ترفض
ثم يستمر في وصف بقظة العلماء لمثله والذهاب به إلى القاضى وما كان من أمر فراده
ثم يقول :

والواعظ فرَّ وتبيل قتل وعلميه الخزي قد استتر بض
وكفانا الله مئوته وله أرخ عيب أمرض

وترى في هذا الشعر ركاكة الفقهاء وهو بصورة ما كان يتمسك به أولئك العلماء من عقائده
وفي الغالب أن هذا الواعظ إما كان من الذين تأثروا بالمبادئ الوهابية وأراد أن يبشرها
ولكن هيهات .

وقد لاحظت أن الشعراء لم يطربوا لانتصارات إبراهيم باشا على الحجاز ولم يتجاوبوا
مع هزيمة الوهابيين^(١) ولعل ذلك راجع إلى ما تحمله نفوس المصريين من حب لبلاد
الحجاز وأهلها إذ لم يحد في دواوين أولئك الشعراء إشارة ما ضد الوهابيين . وعلى الرغم
من أن الحرثي أفرد أكثر من ثلاث صفحات سرد فيها وصف الاحتفالات بهزيمة
الوهابيين^(٢) فإنه لم يعلق على ذلك بحرف واحد ولم يسق بيتاً واحداً من الشعر :

(١) في حين أن السيد على الدرويش أشار في أربع قصائد من مدائح إبراهيم إلى انتصاراته في عكا
ومن ذلك قوله :

لم تنس عكا للحوادث حادثاً يتلى ولا الشهباء دكرا بورد
هددت من فيها فما سمعوا النداء حتى رأوا أسوارها تهدد
فألصر أدن والمدافع كرت والحصى والأعداء هاك تشهدوا
لما رأته أن الورر أمامها سجدت وكست أطرافها لا تسجد

وتلاحظ المسحة القمعية على ألفاظ هذه القطعة وأسلوبها

من « ١١٧ » الإشعار بحميد الأشعار

(٢) ج ٤ حوادث المحرم سنة ١٢٣٤ صفحة ٢٩٦ - ٢٩٨

ولقد انتثر في أصقاع الديار المصرية عدد كبير من أضرحة الأولياء والصالحين وصار لبعضها شهرة خاصة بما كان يروى حولها من قصص تستأثر بنفوس الجماهير مثل ما كان يروى من كرامات السيد البدوي والسيد إبراهيم الدسوقي والسيد فرغل بالصعيد ثم أضرحة آل البيت كالإمام الحسين والسيدة زينب . . . وصارت هذه الأضرحة مراارات وملاجئ للكرويين يعرضون فيها حاجاتهم بالقول أو الكتابة ويتوهمون الشفاء من كل داء في ترابها الناعم وفي التمسح بجدرانها .

وقد كان التوسل بهؤلاء الصالحين - مع الأسف الشديد - جزءا من العقيدة التي يتدين بها الناس ، فهؤلاء هم دوو الأنفاس الطاهرة الذين يستطيعون الاتصال بالله وفناء الحاجات لمن يلوذ بمحامهم .

وإذن فلم يكن غريبا أن يتحارب الشعراء وتلك العقائد الراسخة ومن ثم أخذوا يشنون القصائد يسجلون فيها ما شاع من فضائل وكرامات لهؤلاء (الأسياء) ويتضرعون إليهم فيما ينوبهم من حدثان الأيام فتركوا لما تراثا ضخما من الشعر حول هذا الموضوع ، وسنكتفي بذكر بعض ذلك :

١ - في الجزء الثاني من الجبرتي^(١) قصيدة لأحد العلماء^(٢) يتوسل بها إلى السيد البدوي وهي تصور النظرة السائدة إلى السيد البدوي قنيل مطاع هذا العصر والتي استمرت إلى فترة طويلة منه حتى هب جماعات من العلماء قاموا بدعون إلى محاربة التوسل وقد نجحوا إلى حد كبير كما سنرى فيما بعد . . قال الشيخ :

إليك إليك قد راد احتيارحى ومن ناداك يا بدوى فنساجى
وفما يقول :

فيا أسفى وباحزنى ووُجدى من العصيان قد زاد ازعاجى
ولسائل إسماعى وطمسى ولم ألقى لدأنى من علاجى

(١) ص ٢١٢ .

(٢) هو الشيخ عثمان حسين الشمسى توفي سنة ١٢٠٥ ودفنا بذكره مع تقدمه لأن من صدده

سجوا على مواله .

لنَحْنُو الميسوي دَلَفْتُ عَيْسَى
أَنْحَتُ ظُمُونُ أَسْقَامِي وَكَدَرِي
مِبَادِي بِأَقْصَدِي وَسُؤْلِي
دَخِيلٌ فِي حِمَاكَ وَأَنْتَ عَوْثٌ
فَأَنْقِذْهُ وَسَلِّكْهُ طَرِيقَا
فَعَمَانٌ لَهُ حُسْنٌ إِيْعْتِقَادِ
إِلَى أَرْجُو خَلَامِي وَافْتِرَاجِي
لِبَابِ كَمٍّ لَهُ فِي النَّاسِ رَاجِي
وَبَا حَامِي الْحَمَى يَوْمَ الْمَجَاجِ
وَحَاشَا أَنْ يُخَيِّبَ مَنْ يُفَاحِي
إِلَى التَّقْوَى بِعِزِّ وَاتِّهَاجِ
وَكَمْ يُصْنِي لِقَدَحٍ أَوْ لِهَاجِ^(١)

٢ — وفي ديوان السيد علي الدرويش^(٢) سورة « عرض حال » روميه إلى السيد البدوي يشكو ويتوسل :

أَضَامُ بِأَمَوْنِي وَأَنْتَ وَسِيلَتِي
بَابَ النَّبِيِّ الميسوي المُرْتَجَى
فَرَسِيلَتِي اللَّهُ جَاهُ حَبِيبِيهِ
فَحَلُّ الرِّجَالِ وَذُو الْأَشْمَافِ الَّذِينَ
وَلَقَدْ أَتَيْتُ « بِمَرَضِ حَالِي » أَشْتَكِي
وَتَطُولُ أَمْرَاضِي وَأَنْتَ طَبِيبِي
لِذُنُوبِي وَمَلْجَأُ الْكَرُوبِ
وَالِي الْحَبِيبِ أَتَيْتُ بِأَحْبُوبِ
قَدْ جَاءَ لِلدُّنْيَا بِكُلِّ عَجَبِ
فِيهِ اسْلُطَانُ الرِّجَالِ خُطُوبِي
أَشْتَكِي « بِمَرَضِ حَالِي » أَشْتَكِي

٣ — وفي ديوان السيد علي أبي النصر ثمانية توسلات منها ثلاثة للسيد البدوي ويكتفي بذكر إحداها وهي حمسة ومنها^(٣) :

مَوْلَى الْمَوَالِي إِنِّي لَكَ أَحْمَدُ
وَوَسِيلَتِي قَوْلِي رَجَاؤُكَ أَحْمَدُ
وَبَأَنَّ عَيْنِكَ لَا يُؤْمَلُ أَشْهَدُ
بِأَسِيدٍ عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِقَصْدِ

أَنْتَ الَّذِي فِي الْمَكْرُمَاتِ لَكَ الْيَدُ

إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ وَهِيَ مِنْ سَبْعِ نَحْسَاتٍ

(١) لعله يشير إلى ما كان يبهاس به عن الوهابيين أو إلى مثل بدر الحجازي التوفي ١١٢٥

(س ٥٨) من هذا البحث

(٢) من ٧٩ من الديوان .

(٣) صفحة ٦٣ من الديوان

واثنان بالسيد عبد الرحيم القنأني ويقول في إحداها^(١) :

فَمَ بِكَأْسِ اللّٰهُوعَتَّى يَبَانِدِيْمَ إِنِّي بَاكٍ عَلَى ذَنْبِيْ بَدِيْمِ
وَأَرُو عَنْ دَمْعِيْ حَدِيْثاً مُّرْسِلاً فِيْهِ مَا يَنْهَى عَنِ الرَّاحِ الْقَدِيْمِ
ثُمَّ يَأْخُذُ فِي طَلَبِ الْمَغْفُوْرِ مِنْ اللّٰهِ عَمَّا مَضَى إِلَى أَنْ يَقُولَ :

وَتَوَسَّلْ بِالشَّفِيْعِ الْمُصْطَفَى وَبِهِ مَنْ لَّهُمْ حَاجَةٌ عَظِيْمِ
سَيَا قُطْبُ الْمَهْدَى عَيْثُ السَّيِّدَى دُوْ مَقَامٍ فِي قَنَا رَحْبٌ كَرِيْمِ
وَمِنْهَا قَصِيْدَةٌ فِي مَدْحِ الْقُطْبِ الشَّيْخِ الْفَرَاغِيِّ أَبِي مَجَلَّى وَمُطْلَمَهَا^(٢) :

عَدُوْلُ الدَّمْعِ شَاهِدَةٌ بِذُلِّيْ لِفَرْطِ جَنَائِيْ عَمْدًا فَن لِيْ
وَمِنْهَا :

وَمَا لِيْ بِمَدِّ خَيْرِ الْخَلْقِ طَه سِوَى الْعِلْمِ الشَّهِيرِ أَبِي مَجَلَّى
إِمَامُ الْمَارْفِيْنَ أَوْلَى الْعَالَى وَقُطْبُ الْوَاصِلِيْنَ لَدَى التَّجَلَّى
هُوَ الْبَطْلُ الْمُهَيَّمُ وَمَنْ عَلَيْهِ قَصْرَتْ رَجَايَ فِي كَثْرَى وَقَلِّيْ
هُوَ الْبَحْرُ الْخَاضِعُ لِكُلِّ رَاجٍ فَمَا شَأْنُ أَنْ يَضِيْعَ لَدَيْهِ مِثْلِيْ

وعندما جدد الحديبو اسماعيل مسجد السيدة زينب رضى الله عنها أنشأ شاعرنا هذه

الآيات وقد نقشت على أحد أبواب المسجد^(٣) :

مَنْ آلَ طَه التَّمَسُّ مَا تَنْتَعِيْ فِيْهِمْ يَنْالُ أَقْصَى الْأَمَانِ كُلِّ ذِيْ أَمَلِ
وَلَدَ بَابَ تَسَامَى فِي الْمَلَا شَرْفًا فَكَانَ كَعْبَةً إِمْدَادًا لِكُلِّ وَلِيْ
حَيْثُ الْحَدِيْبِيُّ إِسْمَاعِيْلُ جَدُّهُ نُوْرُ الْقَبُوْلِ بِهِ كَالشَّمْسِ فِي الْحُلِ
حَبُّ النَّبِيِّ وَآلُ الْبَيْتِ أَرْوَاحُهُ (بَابُ شَرِيْفِ حَوْيَ بَيْتِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ)

« ١٢٩٤ »

وفي زيارة للسيد ابراهيم الدسوقي قال هذين البيتين أمام الضريح :

(١) صفحة ١٩٠ من الديوان (٢) ص ١٥٣ من الديوان

(٣) ص ١٦٧ من الديوان

يا كعبة الطلاب نحوك قد سمعت رُتب العلا شوقاً إليك تهيم
لا عرو أن فُتت الثريا رفعةً هذا المقام وأنت إبراهيم^(١)
والذى يلاحظ على توسلات السيد أبى النصر بالأولياء أنه كان يذكر فى توسله الاتجاه
إلى الله تعالى ثم يثنى بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم بمن يقصده من الأقطاب .

وبعد :

فذلك هو لون آخر من الشعر متأثر بلون ما من الدين ، كان العامل فيه أو الباعث على
قوله الرغبة فى الانتفاع بجاه الأولياء والصالحين وفق ما كانت تتسع له عقول أهل ذلك
الزمان وتستسيغه أذهانهم . . .

* * *

ولنعرض الآن إلى الموضوع الرابع وهو :

٤ - مدائح الخلفاء وتهانى الخديوين فى المناسبات الدينية :

١ - وعلى الرغم مما كان يربط مصر بالخلافة من العلاقة الدينية ، فإن شعراء عالم يحفلوا
كثيراً بمدائح الخلفاء ، ولعل ذلك راجع إلى ما مترج بمركر الخلافة من أمور تنافى والشعور
الدينى الدقيق كالمبالغة فى السيطرة وتسلط حاشية السلطان وعطرستهم ، وفى حنايا نفوس
المصريين كثير من الإباء والشمع والعة ، فهم إن حصموا للخلافة بعامل الدين ، فكثيراً
ما أبوا أن يحصموا للتسلط والقهر . ومعلوم أن الشعراء - كيهما كانوا - هم الذين يمثلون
أحاسيس الشعب الدقيقة ومن ثم فقد كانت أكثر المدائح التى توجه إلى الخلفاء إمعاناً تبني على
أساس بصرة الدين وعز الإسلام .

فالسيد على الدرويش حينما يهني^٢ الخليفة عبد الحميد خان بانتقال الخلافة إليه بعد
السلطان محمود يشير فى أكثر القصيدة إلى ما يرجيه للدين فى عهد الخليفة الجديد . يقول
فى أولها^(٣) :

تسبح ثمر الدهر نشرًا بما ورد وضاء سنا الأقطار والسعد قد صعد
ثم يقول بعد أبيات :

(١) ص ٢٠٠ من الديوان

(٢) ص ١١١ من الديوان .

فيا لك من عامٍ علينا مُبَارَكٌ
قد أَلَمَ تَمَلُّ الدينِ رَغَمَ حُسُودِهِ
نم يقول في ختام القصيدة :
يُحَسِّنُ سَنَاءَ الدينِ وَالْمَلِكُ أَشْرَقَا
على السابقِ المَحْمُودِ أَرَى نَحْيَهُ
وَأَرَحَ (فَنَشْرَى بِالْخِدْيُوبِ) مُؤَرَّخَا
عَاسِنُهُ فِي الدَّهْرِ تُنْتَلَى إِلَى الأَبَدِ
سُلْطَانِ بِمَجْدٍ وَالْوَزِيرِ الَّذِي أَجْتَهَدَ
بِشَمْسِ مَلِكٍ طَلٌّ فِي الْمَلِكِ بِالْأَدَدِ
وَدَامَتْ سَعَادَاتُ الْخَلِيفَةِ لِأُتْرَدَ
(مَضَى عَهْدُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ الْمَجِيدِ)^(١)
« ١٢٥٥ »

والسند على أبو النصر حينما يواجه السلطان عبد المجيد بالآسنة^(٢) يحاطبه لاعلى أنه
المجيد بن الأماجد وإنما لأنه حامي الإسلام :
نَشَرْتُ لَطَالَمَ سَمْعِكَ الأَعْلَامُ
وَكَبَدْتُ مُدُورُ العَرِّ فِي أَفْقِ المُلَا
وَعِنْدَمَا يَصْحَبُ الْحَدِيدُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى الْآسَتَانَةِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ إِسْمَاعِيلُ إِشَاءَ قَصِيدَةٍ بِمُنَاسَبَةِ
عِيدِ حُلُوسِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمْ يَسَّ أَنْ يُشِيرَ إِلَى مَرْكَرِ الْخِلَافَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلدِّينِ . قَالَ
فِي أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ^(٣) :

تَسَكَّمْتُ الأَرَهَارُ عَنْ لُؤْلُؤِ الْقَطَرِ
وَبَعْدَ أَنْ يَسِيرَ فِي وَصْفِ مَعَالِمِ الزَّيْنَاتِ وَالْمَبَاهِجِ بَدَارَ الْخِلَافَةِ يَقُولُ :
مَلِكٍ إِذَا لَاحَتْ كِتَابُ جُنْدِهِ
كَفَيْلٌ تَتَدِيرُ الأُمُورَ مُطَقَّرٌ
خَلِيفَةُ حَيْرِ الْخَلْقِ مَنْ بِاجْتِهَادِهِ
ثُمَّ يُشِيرُ إِلَى مَا فِي قُوَّةِ الْأُسْطُولِ مِنْ عِزٍّ لِلْإِسْلَامِ :

وَجَدُّ فِي عَهْدٍ قَرِيبٍ بَوَاحِرَاءَ
بَرَوْنَقَهَا تَكْسُو الْعَاقِرَ هَيْبَةً
بِهَا قُوَّةُ الْإِسْلَامِ مُنْكَمَّةُ الأَمِيرِ
وَتَمْلُؤُ بِمَا حَارَتْ عَلَى الْأَنْحَمِ الزَّهَرِ

(١) كان ذلك في عهد محمد علي
مصر في حملات ختان أحوال السلطان .
(٢) كان قد أوفد ضمن شحنة من العلماء في عهد محمد علي لتتيل
(٣) س ١٩٣ من الديوان
(٤) صفحة ٨٦ من الديوان

ثم يقول في ختامها :

وأرجو الذى أعطى الخلافة أهلها إله أحبَّ العدلَ فى مُحكمِ الدِّكرِ
لتأييد أعلام الشَّريعة سرمداً بتمكين مُسلطان السَّماحة والبشْرِ
بجاء المرجى خاتم الرُّسل بعثةً وأولهم خَلقاً أبى القاسم الزَّهرى
عليه صلاةُ الله ثم سلامُهُ وأصحابه طُرّاً وأبنائه الطَّهر
وها أنا فى الشُّرى أقول مُؤرَّخاً جلوسك عيدُ الدهر أم ليلةُ القدر

(١٢٨٩)

وقد كانت في أيام إسماعيل اشتباكات بين الروس والأتراك انتصر فيها الترك^(١)
وقد لغت هذه الحوادث نظر شعرائنا ولكن كان أكثر اهتمامهم بوصف المارك كما فعل
البارودى .

ومن ذلك ما قاله عبد الله ناشا فكرى بمناسبة هزيمة الروس واستيلاء الأتراك على ميناء
« اسباسبول » سنة ١٢٧٢^(٢) :

لقد جاء نصرُ الله وانشرح الصدرُ لأنَّ بفتحَ القمرِ هانَ لنا العَصَبُ
وقد دلتِ الأعداءُ من كلِّ جانبٍ وضاقَ عليهم من فسبح العَصَا رَحْبُ
بحرب تشيب الطفل من فرط هولها يكاد يذوب الصخر والصارم العَصَبُ

الح . . .

وقد حمل كل شطيرة من الأبيات تساوى هذا التاريخ (١٢٧٢)

* * *

٢ — أما مدائح الخديويين والحكام بمصر فقد خف فيها الشعراء ووضموا ، ينتهزون كل
مناسبة دبية وينشئون القصائد يظهرون فيها محاسن المدوح وأفضاله وأياديه البيضاء . . . دون
أن يلتفتوا إلى ما في الذكري الدبية من أفضال وإشارات تاريخية .

وقد كانت تلك المناسبات كثيرة يحتفل بها المسلمون على نوع ما من عهد الدولة الفاطمية . يقول الأستاذ حسن السندوني في كتابه « الاحتمال بالمولد النبوي »^(١) « لقد دلتى البحث والتنقيب والتحرى والاستقصاء على أن الفاطميين أول من ابتدع فكرة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف وحملوه من الأعياد العامة في كل أمة من الأمم الإسلامية . كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية التى عدت من مواسمها ... »

ثم قال : « إن الرسم كان فى موالد ستة هى : مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومولد السيدة فاطمة ومولد ولديها الحسن والحسين ومولد الخليفة الحاضر »^(٢) .

« وقد ذكر القريرى فى خططه فصلا طويلا تحدث فيه عن الأيام التى كان الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم فقال :

« وكان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة أعياد ومواسم وهى : موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم عاشوراء ومولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد على بن أبى طالب ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد فاطمة الزهراء ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وعرة رمضان وممات رمضان وليلة الحتم وموسم عيد العطر وموسم عيد النحر وعيد الندير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النبروز ويوم الفطاس ويوم الميلاد وخمس العدى »^(٣) . وأضاف إلى ذلك أيام حفلات صلاة الجمعة فقد كان الخلفاء يركبون فى كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس فى جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مرة وفى جامع الحاكم مرة وفى جامع عمرو بن العاص مرة ونال الناس من الخليفة فى هذه الجمع الثلاث رسوما وهبات وصدقات^(٤) وأضاف أيضاً أيام الركوبات التى كان فيها الخليفة يركب فى كل يوم ست وثلاثاء إلى متزهاته بالساتين والمناظر التى بنوها أنفُسهم^(٥) ويوم سفر الحجاج^(٦) وركوب الخليفة فى أول شهر رمضان^(٧) .

(١) ص ٦٢ طبعة سنة ١٩٤٨ (٢) ص ٦٧ المرجع السابق عن حطط القريرى ص ٢٩٣

(٣) حطط القريرى ص ٢٣٨ وما بعدها . (٤) المرجع السابق ص ٣٩٢ .

(٥) المرجع هه ... (٦) المرجع السابق ٣٨٨ (٧) المرجع السابق ص ٣٨٦ ...

وكل هذه الأيام التي كان يحتفل بها الفاطميون سواء أكانت أيام حزن كيوم عاشوراء أو أيام فرح تمتد فيها السمط الفاخرة وينفق فيها عن بذخ وإسراف ويصيب رجال الدولة وكل من يتصل بالقصر من الخلع والنعم مايتناسب مع مكانته ، وينال الشعب الذي يشارك أمراءه في أفراحهم وأحزانهم حظا مما ينفقه الخلفاء والأمراء . فإذا مصر كلها تحتفل بهذه الأيام التي استتها الفاطميون . وقد يطول بي الحديث لو توخيت وصف هذه الحفلات الكثيرة ^(١) »

ولقد ظل الاحتمال بالولد النضوى موضع عناية الخلفاء والحكام من بعد الفاطميين وكان موضع عناية الأنشرف في الفترة التي ندرسها يقيمون في بيوتهم الحفلات الازخرة ويقصدهم العلماء والأدباء والشعراء كما مر بنا (ص ١٠٩)

ثم كانت هناك مناسبة أول العام المحجى ^(٢) والعيدين ونصف شعبان وليلة الإسراء وأول رمضان ... وسفر حاكم لزيارة قبر النبي صل الله عليه وسلم أو عودته والاحتفال بسفر الحمل وعودته ... وفي كل تلك المناسبات وما شا كلها كانت تظهر راعة الشعراء وكثيرا ما كان يدخل شعرهم الملق رعمة في التقرب والحظوة من تلك المنافذ .

ولدينا عماد كثيرة من تلك الأنواع وهي ليست من الشعر الديني في شيء على الرغم من المناسبات الدينية التي قيلت فيها وسنكتفي بالتمثيل لبعضها فالسيد على الدرويش يهني الحديو عباسا الأول بعيد الفطر عام ١٢٦٧ بقصيدة مطلعها ^(٣) :

أعياد أيام هذا الملك أعوامُ مُرَّها بما شئتَ إنَّ السعدَ خَدَّامُ
هلال إنزال شوالٍ رَها فعلى جبينه النِشْرُ وضاحٌ وسَّامُ
ورى في هذه القصيدة ألوانا من المبالغات قد لا تستغربها إذا عرفنا أن الدرويش كان

(١) « في أدب الفاطميين للدكتور محمد كامل حسين طعة دار الفكر العربي ١٩٥٠ . وملاحظ أن بعض هذه الأعياد كانت مما يحتفل به المسيحيون في مصر قبل الفاطميين كيوم القدس وقد حارهم الفاطميون ، أطهارا للسامح أو من باب التناسل السياسي ليقتل أعدائهم على مقدار ما يملوه من بدخ وعز ورفاهية » ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(٢) اعتر عيدا رسميا في ١٩٠٩ — ١٣٢٧ كما سنرى .

(٣) صفحة ٢٥٩ من الديوان .

من أكثر مداحي هذا العباس حتى أطلق عليه لقب « شاعر عباس » .
إلى أن يقول :

بُشْرَى مَضَى رَمَضَانَ رَاضِيًا وَأَتَى بَعِيدَهُ فَهَمَّ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ
مُثْنًى وَيَدْعُو بِوَصْفِ الْأَصْفِيَاءِ قَدُمُ يَدَاوِرِي فَلَكَ الْأَيَّامُ مُخْدَمُ
أَصَحْتُ تَنَادِيكَ بِالدُّشْرَى مُوَرَّحَةً (عباس عيدك في الأعياد بسام)
« ١٣٦٧ »

والساعاتي ينتهز فرصة زيارة سميد باشا مقام النبي صلى الله عليه وسلم فيمنثه بقصيدة أولها^(١) :

لَكَ فِي سَمَاءِ الْمَكْرَمَاتِ وِلَاءٌ وَعَلَيْكَ مِنْ مُحْسِنِ الثَّنَاءِ لِرِوَاءِ
وَمِنْهَا :
مَلِكٌ تَتَوَجَّعُ بِالْوَقَارِ عَلَيْهِ مِنْ حُلِّ الْمَهَانَةِ وَالْكَمَالِ رِدَاءُ
يَسْمَى إِلَى الْحَرَمِ الشَّرِيفِ مَتِيًّا نَشْوُوقُ وَأَمَامِهِ الْأَضْوَاءُ
فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَحْوُ رَسُولِهِ قَصْدُ الْقَبُولِ وَفِي الْقَبُولِ حِرَاءُ
قَدَامَ مَهْبِطِ وَحْيِهِ مِنْ يَثْرِبَ لِلْهَاشِمِيِّ نَظْلُهُ الْآلَاءُ
وَسَجَائِبُ الْغَفَرَانِ تَقْطُرُ فَوْقَهُ وَأَمَامَهُ الرِّضْوَانُ حَيْثُ يَشَاءُ
الْح . . .

والسيد أبو النصر الذي استظل بظل إسماعيل قد أكثر من تلك الدائح منتهرا كل مناسبة ومن ذلك تهينته بالعام الهجري ١٢٩٠ بقصيدة مطلعها^(٢) :

أَرَاكَ أَرَاكَ الْخَيَّ تَحْمِلُ غُرْدًا « فَهَلْ كَلَّمَا غَنَمَكَ نَذَكْرُ خَرْدًا »^(٣)
وينتھز الفرصة للتملق والمبالغة في الدح :

(١) من ٧ من الديوان (٢) صفحة ٤٠ من الديوان
(٣) أراك الأولى فعل ومفعول والثانية ماضى وهى شجريعيدان السواك . والحرد : الحسان

له من تحي الوجودَ وجوده يُفيد من استسقى غواديه سوددا
فن كفه والمستمدين حوده ترى مصدراً للمكرمات وموردا .
أفاض على الدنيا عوائد بره وشتت شمل البغضين وبددا
ولم يشر إلى المناسبة التي صاغ من أجلها مدحته إلا آخر القصيدة :

وقد أقبل العام الجديد بسعده يقول له أبشر : فلا كانت العدا
فحق على مثلى يبشره به ويظم في بشراء ذرراً منضداً
ويدخل من باب التوسل شاكراً صنيع ملك بالقول تموداً
ومامت حياً لأرأل مؤرخاً (أهني الخديوى كل عام تجدداً)
« ١٢٩٠ »

ومن ذلك قصيدة يهيمه فيها ويبالغ في مدحه بمناسبة نصف شعبان ١٢٩١
ومطلعها^(١) :

غنصن من البان في الروض اكتفى ورقا
طار قلبى عليه صبوة ورقى
أما المناسبة الدينية التي احتفى بها فليس لها إلا آخر أبيات في القصيدة :
فإنه اعتاد إحياء الواسم في أيامه فأرانا عطفه نسقا
في كل شهر إذا ملاح طالعه سمعت كل لسان بالثنا انطلقا
ورايه مصر لارالت مؤرحة (بنصف شعبان صفو للمليك رقى)
« ١٢٩١ »

وقد وجدت بالعدد ٩٣١ من الوقائع المصرية في شوال ١٢٩٧ قصيدة للشاعر إبراهيم
الدسوقي^(٢) يهني بها الخديو «توفيق» بمناسبة الاحتفال بالحمل ومطلعها :

خديو مصر زدد في المدل وارقى ليتج يلها ذهباً وورقا

وبعد أبيات في المبالغة في المدح والملقى يقول:

قضيت الصّوم في شهر فضيل شفر فيه رأسُ التين رقبا
وقد شرفت مصر مُعَيِّدَ عَيد بعيد قدومك المألوف مُتَوَقِّ
وعدت كما تروم صحيحَ جسم حميدا في الورى عزنا وشرفا
لتحضر محمل الهادي وترضى إمام المرسلين مُفَيِّلَ مَرَقِ
فممت سنة حسنت وجلت (وهار الحاضرون بحسن ملقى)
« ١٢٩٧ »

وهكذا نجد لويا من القصائد معمومة بمناسبة دينية ولكنها مجرد الاستمالة لاسم الدين وقد رأينا أن هذا اللون من القصائد — أسوة بقصائد المدح عامة — حافل بالملق والمبالغات .

* * *

٥ — المناسبات العامة — ازهد والتصوف :

١ — ولقد كان الشعور الديني يظهر أحيانا في الشعر في مناسبات عامة تتصل بالدين وسكتفى هنا بذكر بعض الأمثلة :

١ — والسيد على الدرويش يشىء وصيدة من اثنين وثلاثين بيتا يهيم فيها رجلا كان مسيحيا وأسلم وتسمى باسم « على عبد الهادي » يشيد فيها بمصائل الاسلام ومزاياه يقول في أولها^(١) :

لا بالأوائل قد عودت والأول يدين أحمد تُدنى أُنعد الملل
ولم ترل كلنة الإخلاص غالبه تحلو ومرمت على من ضل في الأزل
ودو المروءة لا يرضى لهمته إلا بدين شريف القول والمعمل
إلى أن يقول :
ومن يكن كملى في نخاتته ومن يكن داهدى بالكفر لم يقل

(١) صفحة ٢٣٩ من الدواو

هو العظيم الذى قاتم بِعِزَّتِهِ
ولم يكن عقله نقلا من السَّعَلِ
كم اللبالي به حادت ككلماتها
وأتخففتنا بهذا المسلم الرحل
أحسن بوجهك فى الإسلام من رجل
رأى الصواب معه غير مُستَقِلِ
بك السرور وفدرك الحب فىك لنا
ملء الزمان وملء السهل والحل
شراك بالدين قد نادى مؤرجه
يا أحسن سمدك بالإسلام صرت على

٢ - وعندما يقول الشيخ المهدى مشيخة الأزهر يهتفه السيد أبو المصر بأبيات
كر فيها فصله وما يتحى على يديه للأزهر^(١) :

أرى الأزهر الممور حدث أهله
حديثا يسر المعارفين دوى الرُّشْدِ
يقول لهم : بشراكم ساداه الورى
بشيخ التقى والعلم والعصل والروى
تولى وجاء الحق إذ قال أرحوا
بنت حجة الإسلام فى رمن المهدى
وأنبياء أخرى يقول فيها

وسد حاء الحق على قدر
والمعلم لأهل الفصل ندأ
والأزهر أضحتى مستهجا
إد من بإبحار الوعد
والمعلم متمما قدرًا وعلا
يسندسفه رأى المستقد
مهدى مصر وعالمه
نشرى لك يا أزهر أرح
والشبيح العاصل دى الرُّشْدِ
وأنو الإقبال أخو الرُّفْدِ
(أشربيك فى رمن المهدى)

١٢٨٧

٣ - وعند ما ينشأ « سبيل » أو يحدد مسجد يرى الشعراء قد افتتوا فيما بكتبت
عليها ومن ذلك ما قاله عبد الله ناشا فكبرى عند ما حدد الحدبو توفيق مسجد أنى العباس .

أَخَذَ تَوْفِيقَ الْحَدِيدِيِّ مُسَجَّدًا غَدَا مِلَّةَ أَنْبِيَاءٍ وَ قُرْةَ أَغْنِيَنِ
لَأَيَّامِ تَوْفِيقِ الْحَدِيدِيِّ مُؤَرَّجٍ لِفَضْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ حَامِيهِ نَحْنُ^(١)

« ١٢٩٧ »

٤ - ويحيى السيد أبو النصر على أحد العلماء كان قد سأله أن يطم له الفرق بين
السائبة والوصيلة والحامى بالأبيات الآتية^(٢) :

يَا سَائِلِي عَنِ أَرْبَعٍ فِي السَّائِدَةِ	فِي حِفْظِهَا لِلْمُسْتَفِيدِ الْفَائِدَةِ
هَآكِ الْحَوَاقِ الْفَائِقِ الْحَيَلَا	مِنْ حَيْرِ نَحْسٍ كَمْ شَقَى غَيَلَا
بَحِيرَةٍ مَتْرُوكَةُ الْأَلْبَانِ	فِي حُبِّ مَمْنُونٍ مِنَ الْأَوْتَانِ
سَائِبَةٍ مَطْلُوقَةِ الرَّمَامِ	عَنِ تَحْمِلِ شَيْءٍ فِي رِصَا الْأَصْنَامِ
وَبَاقَةٍ قَدْ بَكَرَتْ وَتَلَّتْ	تَمَثَّلَهَا يَدْعُونَ بِالْوَصِيلَةِ
فَتَطْلُقُ الدَّهْرَ مِنَ الْعِقَالِ	مَعْتُوقَةٍ مِنْ رَنْقَةِ الْأَحْمَالِ
وَالْفَحْلُ مِمَّنْ كَمَلُ الْمَقُودَا	مِنْ الصَّرَابِ تَمَّ الْقَصْدُ وَدَا ^(٣)
يُذْعَنِي بِحُكْمِ تَمَسُّعِ الْأَحْمَالِ	عَنْهُ كَمَا قَرَّرَهُ الْحَلَالُ ^(٤)
تَطْمَنُ مَا سَطَرُهُ مَشْهُورَا	مُقْتَنِيهَا بِمَا حَكَاهُ نَوْرَا
فَاخْتَفَظَهُ فِي حِرَاقَةِ الْأَنْهَامِ	وَأَصْلَبَ لِي الْحُسْنَى لَدَى الْجَنَامِ

(ب) ولقد وجد شعراء تلك الفترة ألوانا في الرهد والحكم والتصوف والأدعية
والأوراد من أشعار سابقهم فراحوا يسجون على موالها وإن كانوا لم يراعوا في الإكثار
مها ولا سيما الأدعية والأوراد ، اكتفاء بما وحدوه منها وهو كثير ولأن بعض تلك

(١) ص ٤٧ من الديوان

(٢) صفحة ٢٣٢ من الديوان

(٣) المقودا بمعنى أضع حشرة من الابل .

(٤) احلال هو حلال الدين السوطي صاحب هذه احلال

الأدعية والأوراد كانت لها صفة تمبدية في حلقات الذكر ولأنهم كانوا يضمنون قصائدهم — ولا سيما ذات الطابع الديني — كثيراً من الحكم والتوسلات ومن أمثلة ملجاء في ذلك:

١ — أبيات للشيخ الأمير في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة^(١) :

دع الدنيا فليس بها سرور يتم ولا من الأحران تسلم
ونفرض أنه قد تم مرضا فثم زواله أمر عثم
ممكن فيها عرياً ثم عسى إلى دار البقا ما فيه تقم
وإن لا بُدَّ من لهو فلهو شئ باع . والله أعلم

٢ — ومن ذلك قصيدة للشيخ عليش حينما كانت بينه وبين الحديو توفيق جموة قالها في التوكل على الله والمعكوف على التقوى وهي تصور لنا عقيدة الشيخ في القصاص والقدر^(٢) . . .

(١) الخري ج ٤ صفحة ٢٨٦ — وهو الشيخ محمد بن الأمير من العلماء المؤلفين في النحو والكلام.
نوف سنة ١٢٣٢ .
(٢) نظمها سنة ١٢٩٩ — مخطوط ٤٠٤٤ أدب مدار الكتب . . . وهو من العلماء المشهورين . . .
وهي .

الزم باب ربك . واترك كل دون واسأله السلامة . من باب العُتُون
لا تكثر لهمك . ما قُدِّر يكون
لا تضيقْ صدركْ والزم السكون الله المَقْدَرُ . والعالم شُتُون
لا تكثر لهمكْ ما قُدِّر يكون
فكرْك واحتياركْ دَعْنُهما وَرَاكْ والتدبيرَ أيضاً . واشْهَدْ مَنْ بَرَاكْ
مَوْلَاكْ الْمُتَهَيِّمِنَ . إِنَّهُ رَاكْ فوَصِّ له أُمُورَكْ . واحسن الظنون
لا تكثر لهمك ما قدر يكون
قَضَى مَنْ تَعَالَى بِالرُّقِّ القِيَامَ فِي كِتَابٍ مَنْزَلٍ . نور للأدَامِ
فَارْضَا فريضة والسُّخْطَ حَرَامَ وَالْقُنُوعَ رَاحَةً وَالطَّمْعَ حَنُونِ
لا تكثر لهمك . ما قدر يكون

٣ — ومن ذلك قصيدة للسيدة عائشة التيمورية في استغاثة تلمس فيها حركة النفس واضطرابها وحيرتها بين الخوف والرجاء^(١) .

أين الطريق لأبواب الفتوحات أين السبيلُ إلى بيل العنايات
أين الدليلُ الذى أرجو الرشادَ به إلى سبيلِ العالى والهـدَاياتِ
أين السلوكُ الذى أسرار لمحته مصباحُ نورٍ لمشكاة المناحاةِ
أين الخلوصُ الذى آثامهُ سمقت يومَ الرحيلِ إلى دار السعاداتِ
إلى أن تقول :

فيا أولى العرم : حلوا عقد مشكلى وكيف أبلغُ أقطار السلاطات
عتتُ نفسى على ماضعٍ من عمرى فى ملهيات وغفلات وزلات
ثم تحتكما تقولها :

مار الخفون واستنَّ الثَّقاَةُ إلى دار السلام وهردوس الكرامات
وكان شغلى : خصوعى رلتى .أسفى ووضعَ خدّى على أرض الذلات
وطوع أمارتى بالسوء قيدى عن الوصول لغايات الكالات
فلم نَسْمى بِأَثقال الذنوبِ سوى ساحاتُ غُفرانٍ عَلام الحَفِياتِ

الذى إميرك لا يصلُ إليك والذى مُسِم لك . حاصل لديك
اشتمل ربك . والذى عليك وفرض الحقيقة والشرع المصون
لا تكثر لهُمك ما قدّر يكون

نحن والخلائق . كلنا عبيد والإلهُ فينا . يعملُ ما يريد
هُمك واعتمادك . ويحك لا يفيد القصصا تحتم . فاعم السكون
لا تكثر لهُمك ما قدّر يكون

٤ - ولدارودى كثير فى مصباح الحكم والأخلاق وتحليل النفس الشريفة وله كذلك قصيدة يمارس بها قصيدة أبى المتاهية فى الزهد التى مطلعها :

حانك الطوى الطموح أبها القلب الجوح
لأنه حاله فى القافية .. قال^(١) :

كلُّ حَيٍّ سَيَمُوتُ لَيْسَ فى الدِّيارِ ثُبُوتُ
حَرَكَاتِ سَوْفَ تَفْنَى ثُمَّ يَتَلَوُّهَا خُفُوتُ

ومنها :

أَيْنَ أَمْلَاكٌ لَهُمْ فى كُلِّ أَفْقٍ مَلَكُوتُ
رَأَتْ التَّيْحَانُ عَنْهُمْ وَحَلَّتْ تِلْكَ التُّخُوتُ
أَصْحَحْتُ أَوْطَانَهُمْ مِنْ كَمَدِهِمْ وَهَى جُبُوتُ
لَا سَمِيعَ يَفْقَهُ الْقَوَى لَ وَلاَ حَى يَصُوتُ
تُعْذِرْتُ مِنْهُمْ قَسُورَ وَحَلَّتْ مِنْهُمْ تُبُوتُ

ثم يحتتمها بقوله :

إِنَّمَا الدِّيارُ حَيَّالٌ نَاطِلٌ سَوْفَ يَهُوتُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهَا عَيْرٌ تَقْوَى اللَّهِ فُوتُ

هذا . ولم يطرق الشعراء القصيدة الدينية فى شعرهم فى تلك الفترة وإن كنت قد رأيت قصيدة فى ديوان السيد على الدرويش من مدائح عباس قد بدأها بدءاً قصصياً عجيباً ، إذ لخص قصة سيدنا موسى من نذائه بالطور ثم ما كان بينه وبين فومه وحادة المجل . . . ثم تخلص من ذلك إلى التوسل والضراعة إلى الله تعالى ثم إلى المدح وهى من حمسة ونمايين بيتاً قال فى أولها^(٢) .

(١) > ١ من الديوان صفحة ٥٢

(٢) صفحة ١٤٢ من الديوان . وبدو أنه قال هذه القصيدة فى الطور عند دهايه إلى الحجار

يَتَحَلَّى الثَّوْرَ عَلَى الطُّورِ وَبَسْرٌ كِتَابٍ مُسْطُورٍ
مَكْتُوبٍ بِالْقَلَمِ الْخَارِي أَزَلًا فِي رَقٍّ مَنشُورٍ
إِدْتَفِيتُ فِيهِ أَوْ نَحْوِ مَا كَانَ لَنَا مِنْ مَقْدُورٍ
هَدَى أَضْيَافَكَ قَدْ وَفَدُوا يَارَبَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ
رَحُونِ كَرِيمًا يَمْنَحُهُمْ مِنْ فِيضِ الْحَجَرِ الْمَسْجُورِ
قَدْ أَذْهَشَ عَنْ مُوسَى قَصَصٌ هُوَ عِزَّةٌ عَيْنِ التَّعْمِيرِ
فَيْسُرُ هَوَادَا مَحْرُورًا نَلْ يُخَجِّرُنْ قَلْبَ الْمَسْرُورِ
قَصَصٌ بِالْبَسْرِ الرُّوحَانِ وَدْ أَذْهَشَ عَقْلَ الْمَشْهُورِ
مَرْعُونِ عَلَا فِي الْأَرْضِ عَلَى أَسْمَاطِ الْحَيْشِ الْمَقْمُورِ
فَيَدْتَحُ أَنْمَاءُ يَسْتَحْيِي بِسَاءِ رُبُّ الرُّورِ
وَدَّ قَالَ لِأَهْلِيهِ مُوسَى آتَسْتُ مِنَ الْإِسِ الْمُورِ
مَنْ بَارِ آتَيْكُمْ مِنْهَا فَتَسَاءَ وَتَفْشَى بِالثَّوْرِ
فَأَنَابَا بُوْدَى : يَا مُوسَى أَسَى أَنَا رَبُّ الْقَثُورِ
أَحْلَعَ كَمَلِكَ فَإِنَّكَ فِي وَادِي التَّقْدِيرِ الْمَحْمُورِ

وهكذا إلى أن يتحدث عما كان من أمر موسى بعد عودته حين صل قومه :

وإلى هَارُونَ أُنَى مُوسَى رَمَّيَا لَاقِي فِي تَعْمِيرِ
أَلْقَى الْأَنْوَاحَ وَقَدْ أَلْقَى أَمْوَامًا صَلُّوا بِالثَّوْرِ
وَأَتَى بِالْمَجْلِ وَحَرَّقَهُ وَقَصَى فِيهِمُ بِالْكَفِيرِ
وَرَأَى هَارُونَ مَمْدَرَهُ وَالْحَقُّ لَهُ فِي الْمَعْمُورِ
الْعَقْلُ تَحْيِيرُ بَيْنَهُمَا فِي مُحْتَارٍ أَوْ مَحْمُورِ
فَمُوسَى اللَّهُ هَدَى وَبَعَا سَى اللَّهُ أَصْلَ تَقْدِيرِ

لكنَّ الطَّامِرَ أَيْسَرُ لِي وَالْبَاطِنُ كَيْسَرُ عَنِيسُورِ
وبعد ستين بيتاً من أول القصيدة على هذا الأسلوب القصصى ينتقل إلى التوسل
كم عين تَدْفِقُ في طُور وَفؤادُ يَخْفِقُ كالطَّيْرِ
من حمل دنوب مُتَقَلِّلة أو ترك صلاح مَأْثُورِ
وبيدك طال حَسَابُهُمْ فالطف واسمَحْ بالتحريرِ
عَرَفَاتُ وَإِنْ كَمْ نَذْرُكُهُ فالطورُ يَشِيرُ المأحُورِ
وَسَيِّئْتُ لِلَّهِ فِيهِ كَصَبَاحِ فِي ظُلَمِ الدَّيْرِ
فَتَقَبَّلَ رَبٌّ صَرَاعَتَنَا واغمرْ وارحمْ ذا التَّقْصِيرِ
الطُّفِ بِالْحَيِّ وَسَاعِدُهُ مما وارف بالْمَقْشُورِ
وانظرْ أهلَ التَّوْحِيدِ عَلَى أَهْلِ التَّشْكِيلِ الْمُنْكَورِ
ثم ينتقل إلى مدح عباس الأول :

واشرح صدرَ الإسلامِ أنا الذِّ هَامِي هُوَ أَهْلُ التَّصْدِيرِ
بِالْمَقْلِ السَّامِي وَالْمَصْلِ النَّامِي وَالنَّصْلِ الْمَشْهُورِ
إلى أن يحتم القصيدة بقوله :

وطورِ سِنِينَ مَلَأَتْكَ تَدْعُرُ بِمَقَاءِ الْمَنْصُورِ
فَلَهُ الْحَسَمَاتُ مُؤَرَّحَةٌ (تُشْرِي الصِّدْرَ فَوْقَ الطُّورِ)

١٣٦٩

وَصَلَاةُ اللَّهِ وَتَسْلِيمٌ كَأَحَادِ السُّكُونِ بِتَقَطِيرِ
وَنَحِيَاتُ كَالنُّورِ عَلَى دَاتِ الْخَلْقِ مِنَ النُّورِ
طَهْ وَالْآلِ وَأَصْحَابِ وَالْحَدِّ تَمَامُ التَّقْدِيرِ

ولقد كانت حلقات « الطرق الصوفية » ذات مكانة في نفوس العامة وفي مقدمتها الطر

المرغنية المنسوبة إلى السيد « المرعى » وكان أحد أساتمه^(١) شاعرا وله ديوان اسمه « نفعات
الطيب » « في مدح الحبيب » وقد جاء في مقدمته أنه رأى رؤيا وأسر تكلمتها وقد أجرى
في ليلة الرؤيا على لسانه مفيض الشعر وكان كثير مما في هذا الديوان شائعا في حلقات الأذكار
المرغنية المنتشرة في طول البلاد وعرضها مثل :

يَاربِّ بِهِمَّ وَبِهِمَّ وَهُمْ	تَحَلَّى بالشَّعرِ وَبِالْفَرَجِ
قُمْ نَحْوَ حَيِّ سُلِّمِ	وَامْرِغْ لِلْبَابِ وَهَيْ تَلَحَّ
وَاقْصِدْ فِي الْحَيْنِ لِسَاحَتِهِ	فَهُوَ الْمُقْصُودُ بِلَا عَوْجِ
مَوْلَايَ أَتَيْتُكَ مَنْكُسَرًا	فَاحْزَنْ لِلْكَسْرِ نَفِيسَ بَيجِ
مِنْ عَامِصِ عِلْكَ فِي مَحَلِّ	تُطْطِى الْمُقْصُودَ مِنَ الْإِحْجِ
مَوْلَايَ سَأَلْتُكَ تُنْجِئْنِي	بِرَحَالِ الْغَيْبِ وَكُلِّ شَجِ
وَتُرْقِيَنِي لِمَكَاتِهِمْ	مَحْضَارُ قُدْسٍ مَنَهْجِ
وَتَشْفَعْنَا فِي رُؤُوسِنَا	فِي كُلِّ مَهْمِلٍ بِالْفَرَجِ

الح

ومثل :

صَلَاةَ اللَّهِ رَنَى	عَلَى عَيْنِ الْحَالِ
مُحَمَّدٍ مِنْ تَحَلَّى	بِأَشْرَافِ الْخِصَالِ
بِى وَدَّ تَحَلَّى	بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ

الح . .

(١) هو السيد محمد عثمان تاج السر السرى السيد محمد سر الختم المرعى . وكانت الرؤيا في الليلة الحادية
عشرة من شهر رجب سنة ١٢٨٤ . وقصائد الديوان مصحها تصوف وبوصل باقة تعالى وبصها مدائح نبوية
وبصها مدائح للسادة المرغنية وهو في حوالى ١٢٠ صفحة طبعه ١٣٤٨ بالمطبعة النورية بالقاهرة .

٦ - التعريف في الثورة المرابية

وقبل الثورة المرابية بحوالى ثمانين عاما كانت حملة الفرنسيين على مصر وقد كان المدربون من الرجال هم أمراء الماليك وحاشيتهم ولكنهم فروا أمام الفرنسيين ولم يبق منهم إلا القليل ومن الدين ثنتوا واستشهدوا رجل يسمى الأمير أيوب الدفتردار فاستحق أن يخلده الحرق في وفيات سنة ١٢١٣ ثم بعد أن وصف تقواه وشهامته في قتال الفرنسيين ذكر قصيدة للعالم الشاعر الشيخ خليل المنير الأزهرى يبين فيها فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله وما يلقاه الشهداء من عيم الحنة . . . قال (ص ٦٦ - ٣ - تاريخ الحرقى) .

لم يندّر منهم سوى أيوب من ألم	محارب داء حصم قادم حرق ^(١)
نات له من حسان الحور قائلة :	اركض رحلك للخيرات واستبق
واترك مرادا إلى الدنيا ولُمّ بما	أنا الحياة فجلّ الروح واعتنق ^(٢)
أمّ الجهاد شهير السيف محتهدا	في كلة الحق إعلاء على الفرق
الله أكر والتوحيد يصحبها	نداؤه في عجاج مظلم غسق
مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمحا	معسلا بدم الهبيحاء لا العرق

الح

وإعما سقيا هذه القصيدة لأن الماعث عليها إعجاب الشاعر بتدين الأمير وإفداله على الاستشهاد

أما في الثورة المرابية : فبعد أن ضرب الإنجليز الاسكندرية واستولت عساكرهم عليها واستسلم لهم توفيق ومن اطوى تحت لوائه كسلطان ناشا فإن عراى لم يستسلم بل راح يجمع الجوع عساه يفلح في منع الإنجليز من دخول بقية البلاد ليتمكن من إحراجه من الاسكندرية .

(٢) تشير إلى مراد بك

(١) لم ير : لم يرأ

ومد رأينا في الفصل الأول كيف أن « الدين » قد استخدم من جانب المراهبين في محاربة الخديو^(١) ثم من جانب الخديو في محاربة عرابي^(٢) ولقد كانت الفترة ما بين ١١ يولييه ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢^(٣) حافلة بالأحداث وأهمها استجابة الأمة بمختلف طوائفها لنداء عرابي ومساعدته والوقوف خلفه وكان العلماء في مقدمة المساهمين بلقون الخطب الحماسية والقصائد المثيرة للحماسة على المنابر وفي المنتديات ثم رسلونها إلى جريدة الوقائع التي فسحت صدرها حينذاك وسجلت كثير من تلك الصور ولقد قام الشعر بدوره في هذه المعارك وكان العامل الديني أثر طاهرة في القصائد لأنه إما يضرب على الوتر الحساس .

وسكتفى هنا بذكر بعض تلك القصائد التي فيلت تحريضا للأمة على متانة الجهاد المقدس لحماية الدين والوطن والأعراض والذرائع والمقدسات . ودحر الكفرة أعداء الدين ... :

ومن ذلك .

١ - قصيدة للشيخ أحمد عبد العني من علماء الأزهر يقول في أولها^(٤) :

لعمرك ليس ذا وقت التَّصَانِي ولا وقت السَّجَاعِ على الشَّرابِ
وبعد أبيات يبي فيها كل ما تميل إليه النفس من المتع يقول .

ولكن ذا زمانُ الحِدَّةِ وإي ذا وقتُ العِتْوَةِ والشَّابِ
ووقتُ الاتحادِ مع التَّصَانِي وعقدُ عُرَا الإِحَاءِ والانتِسابِ
ثم يشير إلى عرابي ودفاعه عن الدين :

وريرٌ نال بالسَّيفِ المَالِي وأُنْقَدَ مَضْرُوبٌ مِنْ أَيْدِي الدَّهَابِ

(١) قرار المجلس العربي الوطني سنة ١٨٨٢ ص ٧٦ من الفصل الأول من هذا البحث .

(٢) قرار عصيان عرابي ص (٧٩)

(٣) من صرف الاسكندرية واستسلام عرابي .

(٤) الوقائع المصرية عمرة ١١٦٩ في ٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ص ١ (٢)

وإمام لنصر دين الله فيها بإخلاص وحرّم واحتساب
وعير الحق لم يسلك سبيلا وعير الصدق لم يذحلّ باب
وهي من أربعة وأربعين بيتا :

٢ — قصيدة للشاعر الأديب أحمد رشوان المصحح بديوان الرعاة^(١) ..

موالُ المعالي من طمان الكتابِ وبيلُ الأمانى من ثمار التساعِ
وهي أيضا من أربعة وأربعين بيتا وفيها يقول :

فهيّا بنا يا آلَ مضرٍ انصُرْهُ لتعزيرِ أوْطانٍ ودفعِ مصائبِ
فلا دينَ إن حلَّ العدوُّ بأرضكم ولا عرضَ ينقى في شبابٍ وشابِ

* * *

ومن أطول هذه القصائد وأروعها قصيدة لاشيخ محمد النجار وهي^(٢) من ثمانية وسمعين
تايصف فيها الحوادث ويستنهض المغمم مطالعها :

بالمضّر قد جاء الكتابُ بشيرا وبه أتى هادى الأنام بشيرا
وبعد أن يصف استحالة الأمة معجنتا طبقاتها إلى عرابي وما أمدوه به من مال وسلاح
فتاد يتقل إلى ما كان يخشاه رجال الدين حيث يقول :

وَرِجالُ دينٍ حيثُ قد حافوا على دُرّية منْ بَعدِهم تَكفيرا
حافوا على أوْطانِهِم من أُمَّةٍ حانتْ وكم فَضحتْ وَهَمَّتْ حُورا
خافوا على أوْطانِهِم وولادِهِم حافوا على حَمَلِ النَمى فَقيرا
خافوا على حَمَلِ المساحِدِ مرْطَطا^(٣) لَلحِيلِ أو حَمَلِ الرِحالِ حَميرا^(٤)

(١) العدد ١١٦٩ من الوقائع المصرية في ٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ص ٢ .

(٢) العدد ١١٧٩ في ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

(٣) يشير إلى حوادث الفرنسيين في الارض سنة ١٧٩٨ .

(٤) يشير إلى أعمال الانجليز في الهند .

خافوا على الكُتُبِ التي قد دُوِّنَتْ : ولكم حوت علما يزبدك نورا^(١)
 خافوا على آلِ الرسولِ وبيتهِ : واللهِ مصدِّهم عليك كثيرا
 خافوا على الدِّينِ القويمِ وأهله : مَنْ أشبهوا في الاهتداء مُدورا
 خافوا على مفتاحِ بيتِ اللهِ وال : بُتِعَ التي قد طُهِرتْ نطهيرا
 خافوا على قطعِ الفروضِ وقُطِعنا : حَمَرِ الأذانِ ومَحْمَرِما التَّكْثِيرا
 يامسلمون استشروا فعدوكم : وَلِيٍّ وأصْحَ جيشُهُ مكسورا
 وكُوفٍ يعلو قَدْرُكم ومقامُكم : يعلو وأمرُكم يُكونُ شهيرا
 وفي ختامها يقول :

عَمَّا قَرِيبِ سَوْفَ يَطْمُرُ حَيْشَكُمْ وَيَحْيِ عَرَابِيا لَيا مَسْرورا
 وَرَى الألى حَمَلُوا لَوَاءَ المِصرِ في حَفْظِ المِلادِ وانْحَرُوا المأمورا
 وَيُسْرُنا تَقْبِلُ رُبَّ مَعالِمِ : فَلَقَدْ نَسُوا لِحْجَى الشَّرِيعَةِ سُورا
 وَرَى بِهَذَا القَطَرِ أعْظَمَ رِيشَةٍ : فَرَحًا عَما قَدْ نالَهُ مَسْرورا
 وَرَى لِمِصرَ سَمادَةٍ أَدْبِيَّةٍ : وَيَكُونُ مَنْ مِها بِذاكَ مَخْجُورا
 وَتَكُونُ لِلسُّلطانِ أعْظَمُ قُوَّةٍ : وَلِها يَكُونُ مُعْضِداً وطهيرا
 يارِبا اِصْرَهُ وَرَدَ في عِزِّهِ : وَأَحْمِلِ إلهي دُنْيا مَعْمُورا
 وَأَدْمُ صِلانَكَ وَالسَّلامَ على الَّذي : أَصْحَى بِهِ هَذا الحِجَى مَعْمُورا
 واحْفَظْ عِرايَ ما تَرْتَمِ قائِلُ : بِالنَّصْرِ قَدْ حاءَ الكِتابُ شِيرا

* * *

٤ - ثم قصيدة للشيخ أحمد يوسف العبادي كاتب أول المحكمة بالحلقة الكبرى^(٢) :

إِلَامَ يَسُودُ مَعْلُ الجاهليها وممَّحَمِ بعضِل الحاء لِيما

(١) يشير إلى ما كان من هجوية التتار في أعراق كتب مكتبات بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) الوقائم المِصرِ - العدد «١٤١٢» في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

ونخفف للملوج كمنحاح دل^١ لنرفع نصنهن^٢ فيخزرونا^(١)

ثم بين فصل الجهاد وأن الشهداء أحياء عند ربهم :

وقل : لا تحسوا الشهداء هكذا كلى . والله أحياء يرقون

ثم يشير إلى ما سمع عن قرب هزيمة الإنجليز وما صمم عليه عراني وأعوانه من دحرهم وأثر ذلك في العاطفة الدينية :

وأحييت معالم دارسات^٣ فدنت شئوه الإسلام فيما

٥ - وأحيرا قصيدة للشيخ الرصعي من علماء الأزهر الشريف يشير فيها إلى ما في

مداخلة الإنجليز ودحرهم من حماية للدين ومن أبياتها^(٢) :

يا صاح : قم واشكر إلهك وأحمد فالدين^٤ مصور^٥ على يد أحمد

كطل^٦ مهمام^٧ في الخطوب مد^٨ دو هممة تسديد رأي^٩ أوحده

* * *

وبعد . فذلك هي ألوان محتلفة من الشعر ، كان للعامل الديني فيها ، من حيث البواعث

على إنشاءها أو المداخلات التي فيلت فيها آثار واصحات .

وسندرس في الفصل الثالث الخصائص الفنية لهذا الشعر .

* * *

وقبل أن نترك هذا الفصل يحذر بما أن يشير إلى قصيدة الإمام الشيخ محمد عمده التي

وصف فيها ما تحيش به نفسه عن رأيه في الثورة العربية فقد كان رحمه الله يرى غير ما يرى

عراني وأنصاره وكان يفصل أن تسير الملاد أولا في طريق الإصلاح انشربعي والاحتماعي

واللغوى قبل امتشاق الحسام

ولقد أنتت السيد رشيد رصا من هذه القصيدة في تاريخ الإمام^(٣) مائة بيت واثني

والذي يعميها هنا هو ما يتصل بموضوعنا .

(١) الملوج : العلاط القساء وهو يريد الإنجليز . ورى أثر التصاغة المجوهة في نصهن وحرهونا .

(٢) الوقائع المصرية العدد ١٤١٢ في ١ سبتمبر سنة ١٨٨٢

(٣) تاريخ الامام - ص ١٥٠ ولا أستبعد صدور هذه القصيدة من لاهم لأنها نغمه مصدر

وعليها مسحة من أسلوبه في النثر ثم هو لم يكن شاعرا اذ لم يصدر عنه من الشعر غير هذه القصيدة ثم أبيات مشهورة قالها عند ما حصرته الوفاة

فبعد أن وصف ما كان يلاقه من جود وعناء ومقاومة في سبيل نشر مبادئه الإصلاحية ثم ما كان منه من صبر وجلد . أخذ في توضيح سياسته التي كان يود أن يوحد بها وأولها التزام أحكام الشرع الشريف . قال بعد ستة عشر بيتاً من أول القصيدة :

وكان لي أملٌ في وصمِ قاعدةٍ لكلِّ نوعٍ من الأعمالِ تحوُّبه
ويوحدُ القومَ طرّاً في مناهجهم ألاَّ يحوروا عن المشروع أو فيه
حتى يكون نظاماً كلُّ سَيْرٍمْ عفتى الإلف مع فهمٍ يُركِّبه
ويأخذ العلمُ والتهذيبُ مأخذه من الشُّفوس فتزهر من دراريه
ويُضنَّبُ العدلُ ظنعمًا في حِلَّتِما ويشهد الكونُ أنا من مواليه
وتستقلُّ بلادى في حكومتها ونمغ التركُ مفروضاً نُؤدِّيه^(١)
ويشملُ الحصصُ أحماها بحُمَلِتها ويُرى القطرُ فاصيه وكأبيه
نقى ديوماً ونعشى من يُبارعنا بصوتِ فصلٍ رُجُّ الكلِّ دأويه
هذا سبيلُ حَيِّتُ السَّيرِ فيه على رعم الأوف من السُّلَّة المعاتيه

تلك هي أمانى الشيخ محمد عنده وعلى رأسها أن يسود الشرع في البلاد مع دفعة العهم لمراميه ، حتى يمكن أن يصل إلى ما يريد ولكن لم يمهله أنصار الثورة بل تمحَّلوا الأمور وكان ما كان .

وبما أنا لاهٍ في مُحَادَثِي مع المعالي أقولُ الأمر ما فيه
فامت عصاة حُسدٍ في مدينتها لعزل خيرٍ رئيسٍ كمت راحيه^(٢)
ثم يسير في القصيدة واصفا ما كان من الثورة وتناحُّها هذا مع العلم بأنه رعم معارصه لم يقف موقفا سلميا من العربيين بل انضم إليهم وسار فيما ساروا فيه حتى نهاية الشوط

(١) نشر إلى الحرية التي كانت تنفصاها تركيا من مصر

(٢) نشر إلى رياس باشا لأنه كان خير أعوان الإمام في نهيد سياسته الإصلاحية

الفصل الثالث

دراسات فنية

سنقوم في هذا الفصل بدراسة الخصائص الفنية لما سبقت دراسته من الشعر في الفصل السابق ، وستتناول هذه الدراسة النواحي الآتية :

- (أ) الموضوعات : من حيث تنوعها ، وما فيها من محاكاة ، ومذاهب الشعراء فيها .
- (ب) الظواهر الدينية في ذلك الشعر من حيث : العاطفة الدينية — ومدى الاقتباس من مواد الثقافة الإسلامية ، والمقائد التي كانت شائعة في ذلك الزمان .
- (ج) الألفاظ والأساليب وتأثرها بثقافة العصر الجويية والمديعية ومحاكاة أساليب العلماء ، ونظام القصيدة .
- (د) منزلة هذا الشعر في عالم الأدب ومدى إمكان انتفاعنا به في عصرنا الحاضر .

١ — الموضوعات :

رأينا في الفصل السابق فصائد متنوعة تتصل بالدين اتصالا ما من حيث موضوعاتها والمناسبات التي قيلت فيها ، ولكننا لم نعتز على شعراء دينيين يمكن أن يقال إن كل إنتاجهم كان ذا صبغة دينية ، ولا على قصائد دينية أثارها عمن في التصوف أو هجوم مباشر على الإسلام^(١) .

ولقد كانت تلك الموضوعات التي مرت بنا في مجموعها امتدادا لما كان عليه هذا الضرب من الشعر من سالف العصور الإسلامية ، فقد ذكرنا^(٢) أن الدائع البوية قد طرقتها

(١) كما سبى في الباب الثاني عند الكلام عن مطاعن المستعمرى في الإسلام وعن دعاة التجديد وجهات المبشرين

(٢) ص ٨٤ من هذا البحث

الشعراء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عرفت مدائح الأشراف وآل البيت منذ بدأ الصراع بين الأمويين والعلويين ومن أبور شعراء الهاشميين كان السكيت بن ريد الأسدي ، والتوصل بالأولياء والصالحين لم يكن معروفا في عصور الإسلام الأولى بعد أن عفا الإسلام معالم الوثنية ، وإما شاع واستفحل أمره في عصور التأخر^(١) حتى صار كالعقائد الواجبة الاحترام ، ومدائح الخلفاء معروفة منذ القدم وتهاى الحكام بالملامسات الدينية ناعت مدعهم الفاطميين^(٢) .

فلم يكن هناك حديد إدا في الموضوعات وإما كانت سجاء على موال السابقين
ولما أن سأل هما :

هل كانت هناك عوامل للتجديد وفصر فيها الشعراء « وإذا كان كذلك لماذا
كانت الموقلات ؟ »

ورى . أن الحملة العرسية وقد مكثت في مصر ثلاث سنوات كان من الممكن أن تشر
عاطفة الشعراء الدينية فيجتاحوا العرسيين أو يحبسوا الجماهير لقمارهم حتى لا يتصرفوا وهم كبقار
على ديار إسلامية .

ولكن لعل الذي صرف الشعراء - وهم فئة قليلة حبيدك - عن هذا أن العرسيين
لم يعلموها حربا دينية ولم يكن شعارهم الصليب كما كانت الحملات الأوروبية رماح صلاح الدين
الأنبى : أما ما حدث من انتهاكهم الحرمات المساحد وعلى الأخص الأهر الشريف ثم
ما كان من إطالهم لحفلات الموالد فإنهم رحعوا عن ذلك سريعا وأعادوا مامعوه ثم إنهم اتخذوا
وسائل تجدير الأعصاب عما كانوا يديعونه من منشورات مدعوة باسم الله الرحمن الرحيم والصلاه
والسلام على النبي الكريم^(٣) .

ومن ذلك ما ذكره الخرتى في حوادث ربيع الثانى ١٢١٣ يوم السبت ثامن عشره (ح ٣٠
صفحة ٢١) قال :

(١) ص « ١١٧ من هذا البحث »

(٢) ص « ١٢٢ » » » »

(٣) راجع الخرتى ح ٣٠ ص ٢١ وما بعدها

« وفيه كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه إلى السلطان ، وآخر إلى شريف مكة ، ثم إنهم بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق .

وحاء في هذا الكتاب أنهم من أخصاء السلطان العثماني وأعداء أعدائه وأن السكة والخطبة باسمه ، وشعائر الإسلام مقامة على ما هي عليه وباقية . بمعنى الكلام من قولهم إنهم مسلمون يحترمون القرآن والنبي وأنهم أوصلوا الحجاج الثنتين وأكرمهم وأركبوا المائتي وأطعموا الحيمان .

واتفق رأيتنا ورأهم على لس حصرة الجناح المحترم مصطفى أغا كتنخدا نكر باشا والى مصر حالا فاسحسنا ذلك لمقاء علقه الدولة العلية^(١) .

وهكذا تمكن الفرنسيون من حديعة العلماء وصرفهم عن المقاومة الجديدة .

ثم ما بدا من أكارهم من احترام العلماء وعشيان حلقات الذكر بل إن كثيران من قادتهم أعلنوا إسلامهم أو تطاهروا بذلك

مصافا إلى ذلك الجهل الفاشي في الأمة رشيوع عقيدة الجبر المسيطرة على النفوس وفكرة « القطمانية » التي تملككت الأئمة ، فالمرجع أولا وأخيرا الموقف القطب « صاحب الوقت »^(٢) .

(١) تاريخ الحربي ٣ ص ٢١ .

(٢) راجع صفحة « ٥٥ — ٦٠ » عند الحديث عن الثقافة العامة . ويعزو الدكتور توفيق الطويل ظهور فكرة القطمانية والولاية في مصر إنان العصر العثماني إلى ما كان شائعا من صروب العلم والشر والفساد مما حدا بالشعب الحامل إلى أن يتجه إلى حكام عدول في طهره قد طهرت عليهم صفات الروحانية ودعوى الرابي إلى الله . ولقد كان من أمر الأولياء أن انتشروا في أرس مصر وقسموها مناطق هود فيما بينهم ثم لهم كانوا يختارون أقوامهم شخصية وأكثرهم أتباعا وأصالح هودا وسلطانا يعلنون الخضوع له ويولوه القطمانية وتدين له الأرض عما رحمت ويصنع وحيد عصره .

وكانت العقيدة الشائعة أن الاقطاب أربعة يتداولون فيما بينهم ادارة الكون وتقرير مصائر الماد من كافة الوجوه فاذا مات أحدهم حلت بالناس النكبات واحتل نظام الدنيا إلى أن يختار حليفة له وكان القطب الذي يثول اليه الأمر يدعى صاحب الوقت

فالقبط اذا هو رعيم الأولياء يختارونه من بينهم ورصامهم ويقرون بالخضوع له ثم تسرى سيطرته الروحية بعد ذلك على سائر الناس (راجع التصوف في مصر إنان العصر العثماني للدكتور توفيق الطويل

سنة ١٩٦٧)

وقد كانت الفترة الاولى من العصر الحديث امتدادا لمقلية العصر العثماني وثقافته

وأن حرب الوهابيين التي كانت الأحاديث عنها تدور حول منم الحجاج من أداء
الريضة ، وإرجاع الحمل^(١) ، ثم هدم قباب الأولياء والصالحين ٠٠ والتي اعتبوت حربا
ضد الخارجين على خليفة المسلمين وتكملت مصر بسببها ماتت كبدت من مال ورجال وانتهت
بهزيمة الوهابيين ... تلك الحرب كان ينتظر أيضا أن تثير الماطفة الدينية لدى الشعراء
فبمجدوا أعمال محمد على وإبراهيم^(٢) في فتح طريق الحج وعودة الحمل وردع الخارجين على
سلطان المسلمين ..

ولكن لعل الذي صرفهم عن ذلك أنهم كانوا يرون حجاج الفارسية يذهبون ويمجثون
كل عام دون اعتراض منفذين تماثيل انسنة النبوة التي دعا إليها الوهابيون ، وأن منع
الضريين والشوام لم يكن لدانته وإنما كان لما يأتون به من بدع تغالب السنة ، ثم إن طبيعة
الدعوة الوهابية كانت وهاجة قوية اجتذبت إليها الجبرتي وهو من هوبين أعلام زمانه وجملته
يقف في صفها^(٣) ويدافع عنها في أكثر من موضع ، ثم أن الوهابيين لم يخرجوا عن كونهم
عربا مسلمين يعيشون في البلاد المقدسة التي تهفو إليها قلوب المسلمين ولم تسكن دعوتهم
لطلب دنيا أو لتأييد خليفة أو سلطان وإنما كانت خالصة لوجه الله تعالى ، ولا يبعد أن
يكون بعض أولئك الشعراء قد كان له هوى في تأييدهم والدفاع عنهم ومنمه ذلك سطوة
الحاكميين

* * *

وفي الإسلام مرايا ومبادئ سترتها عوامل الصعف التي أصابت المسلمين في العصر
العثماني ، وكان من الممكن أن تلفت نظر الشعراء للتحديد^(٤) في الموصوعات ، ولكن
سيطرة الدائع التي تشد في حلقات الذكر والأوراد والأدعية ، كل ذلك قد أشاع في الحو
صورة عن الإسلام صلت عقول المسلمين وصرفهم عن مراياها الأصلية ، ثم إن اشار الحمل
المطبق بمصائص الاسلام وضمف الثقافة العامة ، والإعجاب ببريق المحسنت اللعطية كبنها
كانت صورتها ... كل ذلك صرف الشعراء عن النظر في محاسن الإسلام وجملمهم بكتنفون

(١) و (٢) ص ٦١ - ٦٢ ، من الفصل الأول

(٣) كما سرى .

بما لديهم من إمكانيات في محاكاة ما وحدوا عليه آباؤهم الأقرين .

* * *

ولم يكن أنجاه الشعراء فيما ذهبوا إليه من الموصوعات بمقدار واحد في الإنتاج فبينما نجد في ديوان صفوت الساعاتى ثمانيا وثلاثين قصيدة في مدائح الأشراف لا نجد للسيد أنى النضر غير ثلاث ...

وكيفما كانت الدوافع للساعاتى في الإكثار من مدائح الأشراف فإنه قد طهر فيها بمظهر المحب لآل البيت الديع لما تروهم وأفضالهم لا تنأىهم إلى الرسول الكريم ﷺ ولأنه كما قال (١):

أحبهم مادمت حيا ديانة وأرعب لكن عن سواهم ترعنا
وقد سار شمعى بين شرق ومغرب فما احتار غير البيت والآل موصما
وما طار في الآفاق ندعا مديحهم ولكن به بشر دكى تصوعا

ولأنى النضر ثمانى قصائد في التوسل في حين أن للدرويش اثنين ٠٠ أما مدائح الحكام في مصر فقد كانت تختلف حسب بعد الشاعر أوقربه من القصر ، فبينما نجد خمس عشرة قصيدة لأنى النضر أكثرها في إسماعيل لا نجد للساعاتى إلا ثلاثا في تهنئته سعيد عماسمة ريارته لقام الرسول ﷺ وعودته منه .

أما المدائح المويبه فلم يهرطوا فيها إلا للدرويش ستا ولأنى النضر سمعا في حين أن الساعاتى لا نجد له غير بديعته المشهورة مصافا إليها ما تصمته مدائحه في الأشراف متملقا بالرسول ﷺ .

و تما كان الحديد في شعر هذه الفترة هو ما رأياه عند بعض الشعراء أثناء الثورة العرابية من غزوة إثارة العاطفة الدينية عند الجماهير وبيان ما يترتب على انتصار الإنجليز من كوارث تمس الدين وتصب المسلمين ، وذلك راجع إلى أن الوعي القومى كان قد قطع شوطا في اليقظة وأبارت تعاليم جمال الدين بعض الطريق ، وأحدثت جهود محمد عمده الأولى هزة ماقى صحرة

الجمود . وعلى الرغم من أن الإنجليز أيضا لم يملئوها حرما صليبية ، وعلى الرغم من منشورات ولسلى بتمهده بالمحافظة على المساجد وحرمت الدين ، وعلى الرغم من منشورات توفيق — وهو ولي الأمر — بتأييد الإنجليز والدعوة للكف عنهم . على الرغم من كل ذلك فقد وصف الشعراء بحرصون صد الإنجليز باسم حماية الدين وباسم حماية ما يأمر الدين بحمايته من عرس ووطن ومال .

❖ ❖ ❖

(ب) الظواهر الدينية :

ستتناول دراستنا للظواهر الدينية — أو أثر الدين — في ذلك الشعر واحى ثلاثة وهي :
العاطفة الدينية ومدى ظهورها فيه .

ومدى الاقتباس من مواد الثقافة الإسلامية كالقرآن الكريم والسيرة النبوية .
والعقائد التي كانت شائعة ولها سيطرة على نفوس المسلمين . .

* * *

(١) فالعاطفة إحدى مظاهر الشعور^(١) في الحياة الإنسانية ، وهي مجموعة افعالات نفسانية تجمعت حول موضوع معين نتيجة لامل مؤثر في الوجدان وتأخذ العاطفة مظاهر تختلف باختلاف المؤثرات ، وهي تكون قوية صادقة أحيانا وحائلة خاسية أحيانا أخرى ، وربما تصنع المرء في بعض أعماله وكساها المطهر العاطفي ليستر عجزا أو ليكسب ودا . . .

والعاطفة الدينية من أسطح ألوان العاطفة في حياة الإنسان الوجدانية لما سبق أن ذكرناه من تأصل فكره التدين في فطرة الانسان^(٢) ومن ثم فقد كان لها انعكاسات في الإنتاج الأدبي^(٣) .

(١) مظاهر الشعور هي الفكر والوجدان والتروع ، والعاطفة إحدى مظاهر الوجدان وليس المحال
منعنا تفصيل الحديث عنها
(٢) ص (١٤) من التمهيد .
(٣) ص « ٣٦ — ٤٨ » من التمهيد .

وإذا ما القينا نظرة على ما مرت بنا دراسته من شعر في الفصل الثاني لرى مدى ظهور
للماطفة الدينية وآثارها فيه ألفينا أنفسنا أمام مصوص تسكاد تكون جسما بلا روح وليس
للماطفة الدينية فيها إلا آثار هريلة ضئيلة ، وذلك يرجع لأمر كثيرة أهمها :

١ - الرغبة في إظهار الرعاية والصناعة اللفظية والمحسنات التي كانت شائعة حينذاك
كالذي رأيناه عند الدرويش في المدايح النبوية من اهتمامه بأن يكون هذا البيت منقوط كل
الحروف والآحر مهملها أو أن هذا البيت يقرأ طردا وعكسا وغيره مفكك الحروف وهكذا^(١)
أو كالذي رأيناه عند الساعاتي من الإيمان في محاكاة بديعية تقي الدين بن حجة^(٢) .

ههنا نجد مدايح نبوية أو شعرا يستطيع أن يصمعه بحسب عنوانه في إطار الشعر الديني
ولكننا نجد أن العناية باللفظ لم تدع للماطفة إلى ذكر أجداد الرسول ﷺ محالاً .

٢ - ضعف الثقافة العامة ، إذ لم يكن هناك الألف الواسع الذي يمحيط بما ينبغي أن
يكون عليه المسلمون ليثير عاطفة الشعراء ويجعلهم يتعنون بالدعوة إلى ذلك :

وفوق هذا فإن الماطفة الدينية كانت تنجيه أكثر ما تنجيه إلى حلقات الذكر وفبور
الصالحين . ولعل أظهر ألوان الماطفة الدينية في شعر تلك الفترة هو ما بدا في شعر الثورة العرابية
ويبينى ألا نسى أن الرغبة في العطاء والزلي للحكام جملة كثيرا من الشعراء بصطنعون
التظاهر بالماطفة الدينية في المدايح الموسمية بالأعياد وغيرها ..

* * *

٢ - ولقد كان القرآن الكريم والسيرة النبوية من مصادرها المختلفة التي كانت شائعة
كبيرة ابن هشام وقصة المولد للرزحى ، من أكثر مواد الثقافة الإسلامية ظهورا في ذلك
الشعر ، ذلك لأن حفظ القرآن الكريم ومنص أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته
ومغازبه من الأمور الضرورية التي تسكاد تكون عامة بين جميع المثقفين فلا غرابة أن يتأثر
الشعراء بتلك الثقافة ، فقد رأينا في إحدى قصائد^(٣) الساعاتي أثر القرآن الكريم ظاهرا
في قوله في مدح أحد الأشراف :

(١) ص « ٨٥ » . (٢) ص « ٩٧ » .

(٣) ص « ١١٥ » من هذا البحث .

أَنْتُمْ سِرُّ الزَّهْرَاءِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ مِنْ اسْتَقْبَلُوا إِلَى الْخَيْرَاتِ^(١)
الْخَاشِعُونَ الرَّاضِعُونَ السَّاحِدُونَ نَالُوا كِفْهَ أَعْمَةِ الصَّلَوَاتِ^(٢)
أَنْتُمْ وَحَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَدَيْبِهِ كَالنُّورِ وَالْمَصْبَاحِ وَالشَّكَاةِ^(٣)
وَفِي قَصِيدَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الدَّجَارِ^(٤) يَقُولُ :

بِالنَّصْرِ قَدْ حَاءَ^(٥) الْكِتَابُ مُشِيرًا وَبِهِ أَنَّى هَادَى الْأَنَامُ بِشِيرًا
شَرَاكَ بِالنَّصْرِ الْمَدِينِ وَثَقَى بِهِ وَكَبَى رَدَكَ هَادِيًا وَبَعِيرًا^(٦)
وَعَدَدَ اللَّهِ نَاشَا فَاكْرَى يَقُولُ فِي مَدْحَتِهِ :

بِى كَرِيمٌ^١ لِلْعُمَاءِ^٢ مُؤَمِّلٌ^٣ رَعُوفٌ^٤ بِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ^(٧)

أما الافتقاس من السيرة النبوية فقد كانت تظهر فيه المالمات التي كانت موضع نهى
الذي صلى الله عليه وسلم في قوله : « لا تط. ونى كما أطرت النصارى عيسى واليهود موسى » ومن
تلك المالمات قولهم إن أول ما خلق الله قضة من نور ثم منها خلق محمدا صلى الله عليه وسلم
ثم خلق من نوره عليه السلام كافة المخلوقات ، وأنه عليه الصلاة والسلام علة الوجود وأصل
الكائنات . . .

وكان البوصيرى ممن سقوا شعرا بنا في ذلك حيث يقول
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة^١ من لولاه لم تحرج الدنيا من المدم
واقعد أحدا أكثر شعرائنا هذا المعنى ومن ذلك ما جاء في قصيدة الدرويش^(٨) .
إمام كل رسول عمده بارئته مبرا لا تباريه ذوو المعهم

(١) من قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » وأطر / ٣٢

(٢) من آية التوبة ١١٢ : « الثائثون العابدون الحامدون السائحون الرَّاكعون السَّاجِدُونَ »

(٣) من آية البور ٣٥ : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصاح »

(٤) من « ١٤٠ » من هذا البحث .

(٥) سورة النصر .

(٦) الفرقان ٣١ .

(٧) التوبة ١٢٨ : « أفد حاءكم رسول من أنفسكم ... »

(٨) الديوان ص ٢٥٧ ولقد كان هذا من عقائد بعض الصوفية قبل البوصيرى .

سِرُّ الْحَدُوثِ وَمَوَالِي مَنْ لَهُ قَدَمٌ^١ صِدْقٌ وَمَادِحُهُ الْمَوْصُوفُ بِالْقَدَمِ
وَفِيهَا يَقُولُ :

وَأَنَّ لَوْلَاهُ لَمْ تَخْلُقْ مَلَائِكَهَ وَلَا الْحُجَّاتِ الدِّيَ عَمَدَ الْمَرْجِ رُمِي
وَكَانَ يَوْمَ اسْتِصْغَاءِ السَّكُونِ وَهُوَ رَحَى كَذَرًا نَدَا وَكَسِيمًا دَكَّ فِي الْقَسَمِ

وكذلك اهتموا بالقسم الأول من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وهو المتضمن
للكرامات والحوار والمعجزات كحسين الخروع وحديث الطي والحمل ولين الصخرة
وسمع الزلال من كعبه عليه الصلاة والسلام وإرواء العدد الكثير إلى غير ذلك ولعل هذا
راجع إلى سهولة الموضوع وما فيه من حيال طريف يتفق وسجع الشعر ولا عليهم أن
يحصوا أو يدققوا ماداموا قد وجدوا ذلك في كتب يتدلو لها العلماء الأخلاء دون تأويل
أو تفصيل ، ومعلوم أن تلك الحوار لم تكن مقرونة من حاشيه عليه الصلاة والسلام
بالتجدي الذي هو شرط في المعجزة وفي ذلك يقول الشيخ محمد وجع الدين^(١) « ليس ما ذكرناه
في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وحوارات العادات التي حاء بها أنها
كانت للتجدي ، وإما هي من الأحداث المؤقتة فقط ، الصادرة عن رحل من البشر أوتى
الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى حيرا كثيرا » .

وبعد أن يتحدث عن إيرات الرسول عليه الصلاة والسلام وأحده في لأسباب واستشاره
أصحابه . . يقول : « وليس ما نقره من هذا إسكارا لشيء من الوحي والنسوة ، ولا حجودا
بما كان الله يعمده به أحيانا من الملائكة المقربين ليمصره على المشركين في ظروف حرجة
ليثبت بذلك الدين آموا ويرذل أقدام الدين كفروا ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين » . .
أمثلة هذا الافتناس كثيرة ومن ذلك :

ما حاء في قصيدة الدرويش المتقدمة من ذكر الحوار التي تقدمت مولد النبي
صلى الله عليه وسلم

كَيْفَ اسْتَنْارَتْ قُصُورُ الشَّامِ إِذْ حَمَدَتْ^٢ نَارُ الْمَحْوُسِ^٣ بِالنَّارِ الْعَرَاتُ طَمَى

(١) تاريخ الفتح الاسلامي ص ٢٠٨ للشيخ محمد فجر الدين سنة ١٩٣٢

عليه فتح البار دو الإوان إد مُطِيعَتْ عِيَاءِ سَاوَةِ إِنْ بِمُفْجَحْ عَلَى صَرَم
فَكَسَّرْ إِيوانِ كَسَرَى مُقْصَرٌ أَمْلًا مِنْ قَيْنَصَرِ فِي سَبِي التَّثْلِيثِ وَالصَّيْمِ
ثم ماجاء في قصيدة السيد أنى النصر من ذكر شق الصدر الشريف وتسليم الصب ...
وحين الحدع إلا أنه أشار إلى المعجزة الخالدة ألا وهي القرآن الكريم^(١) . .

وعمد الله باشا فسكرى يشير في مدحته إلى سورة الإسراء في أبيات رقيقة يصور فيها
صمود النبي عليه الصلاة والسلام إلى أسنى مقام ثم هو يذكر أيضاً معجزة القرآن الكريم
الخالدة ويضمن أحد أبياته معنى الآية الكريمة . فلئن احتمم الأس والحن على أن يأتوا
تمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لمص ظهرا :

تَحْدَى بِهِ فِي الْأَسِّ وَالْحَى مُعْلَمًا فَلَمْ يُبْدِ غَيْرَ الْمَجْرِ كُلِّ عَلِيمٍ^(٢)

أما المارودى في قصيدة « كشف العمة » . . فقد سرد السيرة النبوية كاملة واهتم
بذكر العروات والانتصارات وكان - كما رأينا - يصور النفسيات وهتم بالمعاني
لا الألفاظ . . .

ومن الملائم هنا أن نوارن بين بعض أولئك الشعراء في تصويرهم للسيرة النبوية من
باحية ما كالحجارة مثلاً لمقف على مقدرتهم الغبية في التلخيص والصياغة .

فقد رأينا أن المارودى صور حادث الهجرة في سمة ، شرة بيتا^(٣) وكان بارعا في التصوير
في حين أن البوصيرى وهو إمام شعرائنا في ذلك - قد صورته في أربعة أبيات^(٤) وقد ذكرنا
أن المارودى قد فاق صاحبه في التصوير متأثرا بصعائنه العسكرية وما يتطلبه هذا الموقف
من اليقظة والحراسة ثم بما كان في بيئته من رجاء العيش واللوان الترف فلم يبس ذكر
العرام والطرب والحصا والعم والبسك والسارى إلا أن البوصيرى قد فاقه في التصوير
النفسى للكفار وما بدا عليهم من حيرة وبلالة فكان أعمق في المعنى من صاحبه .

(١) ص « ٩٥ » من هذا البحث

(٢) ص « ٩٩ » » » »

(٣) ص « ١٠٣ » ومن هذا البحث ٣ ص ١٠٥ من هذا البحث و ٢٥٧ من الديوان .

وإذا مارجفنا إلى أبيات الدروش^(١) وهي أربعة أيضا . وجدناه باظما أكثر منه شاعرا مصورا إذ هو لم يلمع نحو المعنى الذى وصل إليه أستاذة البوصيرى ، ولا دقة التصور التى برع فيها بمدد البارودى أما السيد أبو النصر فقد أشار إلى الهجرة فى بيتين من قصيدته التى مرت بنا^(٢) وكان باظما وحسب وقد اكتفى بهما بالإشارة دون تفصيل حيث قال :

أعين الكفار عنه عمت إذ أتى الفار مليل أليل
وعليه العنكبوت سجت وحمام عنه لم ينمصل

* * *

٦ — ولقد كان شائما بين الناس فى تلك الفترة عقائد توارثوها من عصور الصعف كان من شأنها فقدان المسلم شخصيته وحرانيه وراء أوهام ليست من الدين فى شيء . ومن تلك العقائد التوجه إلى قبور الأولياء والصالحين لكشف السكروب^(٣) وفناء الحاحات ، لما تناقله الناس من « أن الأموات فى البرج قد صارت وجهتهم إلى الآخرة وطهورهم إلى الدنيا ، فلا يسميهم حرايها ولا يهيمهم عمارها ، إلا إذا كانوا شيوخا حسنت ولايتهم ووجب الاقتداء بهم كالأئمة المهتدين . . على أن الصالحين من الموتى أحياء قد أوتوا القدرة على تربية الصادقين من المريدين وهم فى البرج كالسيد أحمد البدوى فإن مريد به يسمعون صوته مبعثا من قعره^(٤) » . . .

ولقد مررنا^(٥) أن الشعراء قد تحاوتوا وتلك العقيدة وكان لشعرهم فيها صولات وحولات وتركوا لنا صورا مسجلة فى شعرهم من ذلك الاعتقاد

(١) ص « ١٥٩ من الديوان » وهي قصيدة من واحد وثمانين بيتا ومن العريب أن السيد أنا الصغر له سبع مدائح سوبة ولكنه لم ينسخ واحدة منها على سجع الردة .

(٢) الديوان ص ١٦١ .

(٣) كما مررنا بعد الكلام عن التوسل . ص « ٥٧ — من هذا الجذ »

(٤) ١٤٦ تاريخ النصوص فى مصر فى العصر العثمانى مقولا عن لطائف المس للشمرانى ج ١ ص ٢٨٩

(٥) ص (١١٩)

وقدر أينا عالما أهرابيا يتصدى للواعت الذي يذكر الانحاء إلى القصور ثم يمرص به
و أبيات يسجل بها عقيدته لأن الواعظ. أخطأ في رعه :

فأساء الظنَّ سادابِ أحكامُ الدين همهم نهض

ورأينا فيما وحه إلى السيد البدوي والقناني والفرعلى من التملسات وعرائض ما يشمر
بنفوذ هؤلاء الأقطاب واستيلائهم على نفوس العوام والخواص^(١) . ومن العقائد التي
تملكت نفوس الناس أيضا وكانت لها آثار في توجيه حياتهم عقيدة الزهد في الدنيا وترك
السمي في عمارتها لأنها فانية ولقد صور لنا ذلك الشيخ الأمير — وهو من الأعلام حينذاك
في أبياته التي مرت بنا^(٢) .

ومنها عقيدة الجبر والحلظ بين المقصود من القصاء الذي يجب أن يؤمن الناس بحيره
وشره — وهو كل ما حرج عن طوقهم ولم تحدله مثوبات أو عقوبات — وبين ما اقتضت
إرادة الله أن يكون عليه ثواب وعقاب وهو كل ما ترك للإنسان فيه حرة الاختيار وهدى
إليه العقل الراجح والفطرة السليمة وفتحت فيه أبواب التوبة لمى رات به الأقدام^(٣) .

ولقد ظهرت آثار تلك العقيدة في شعر الشعراء ومن ذلك ما جاء في قصيدة الدرويش
التي مرت بنا^(٤) من مثل قوله :

تَحَلَّى الدُورِ عَلَى الطُورِ وَبَسَّرَ كِتَابَ مَسْطُورِ
مَكْتُوبٍ بِالْقَلَمِ الْحَارِي أَرَلَا فِي رَقٍّ مَنَشُورِ
إِذْ تَثَبَّتَ فِيهِ أَوْ تَمَحَّجُو مَا كَانَ لِمَا مِنْ مَقْدُورِ

وقوله عن موسى :

وَرَأَى هَارُونَ فَتَمَدَّرَ وَالْحَقُّ لَهُ فِي الْمَدُورِ

(١) ص (١١٦ — ١٢٢)

(٢) ص (١٣٢) .

(٣) من تحت لنا في سلامة العقيدة بالعدد ٢ من مجلة الشان المسلس سنة ١٩٤٩

(٤) ص (١٣٥) من هذا البحث

العقلُ تَحْيَرُ بِهِمَا فِي مُخْتَارٍ أَوْ مَحْذُورٍ
فَمَوْسَى اللَّهُ هَدَى وَنَمُو سَى اللَّهُ أَصْلًا تَقْدِيرُ
لَكِنِ الطَّاهِرَ أَيْسَرُ لِي وَالْبَاطِنُ لَيْسَ مَيْسُورُ

ولعل في قصيدة الشيخ عlish^(١) - وهو من هو منزلة بين علماء زمانه - لعل في تلك القصيدة ما يصور لنا تلك العقيدة أدق تصوير ومها :

فَكَرَكَ وَاحْتِيَارَكَ دَعَمَا وَرَاكَ وَالتَّوَدُّعَ أَيْضًا وَاشْتَهَدَ مَنْ رَاكَ
مَوْلَاكَ الْمُهَيَّمِ إِنَّهُ يَرَاكَ فَوَضَّ لَهُ أُمُورَكَ . وَاحْسِسِ الطُّبُورُ
لَا تَكْثُرْ لَهْمُكَ مَا قَدَرُ يَكُونُ

أما البارودي الذي تحظى مدرسة عصره الشعرية إلى عصور العربية الزاهرة ولم يخرج بها شاعر من عقائد يدمر منها الطبع السليم فقد سلمت له عقيدته إذ هو يؤمن بالمسئولية الشخصية والحرء على السيئات والحسبات :

كُلُّ أَمْرٍ وَاحِدٌ مَا قَدَمْتُ بِهِ إِذَا اسْتَوَى فَأَيْمًا مِنْهُ هَوَّةُ الْأَدَمِ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِي الدُّنْيَا مَكَافَاةٌ وَالْبَعْثُ مَسْئُولَةٌ عَنْ كُلِّ مُحْتَرَمِ
فَلَا يَنْبَغُ طَالَمٌ عَمَّا حَمَتْ يَدُهُ عَلَى الْعِمَادِ فَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَسَمِ

والحديث حول هذه الموضوعات يطول وسكتني عما سبق وسوف يعود إلى ذلك في العصول القبله إن شاء الله .

(ج) الألفاظ والأساليب

لم ينفرد الشعر الديني الذي مر بنا بمص أمثلته بميراث خاصة من حيث ألفاظه وأساليبه ومعانيه ، بل شارك كافة الموضوعات الأخرى فيما تأثرت به من خصائص العصر

اللموية العامة ، وقد كانت تلك الفترة امتدادا لمدرسة العناية بالألغام والمحسسات الديدعية التي شاعت منذ أيام القاضي العاقل في أواخر الدولة الأيوبية .

ولم تنجح عناية محمد على إلى الأدب وقد ترك الأثر يسير في نفس الاتجاه الذي ألقاه من عصر الركود أيام العثمانيين ومن ثم فإن الشعراء قد نزلوا تلك الحلي السمجة والحراف اللطيفة والمنعوية التي تصحى بالصكر في سبيل المحسن المقصود والصكر في ذاتها صجلة والحيل يكاد يكون معدوما . . .

ولم تكن عند الشعراء المقدرة على محاكاة الفحول الجاهليين أو العباسيين لصعف إمكانياتهم الثقافية بصغة عامة واللموية محاسة قدموا محاكاة شعراء المهالك بل رادوا عليهم فجاء شعرهم ضعيفا ركيكا عثا وقد توارى تحت ستار كثيف من المحسسات الثقيلة والسبح المهلهل إلا القليل النادر إلى أن ظهر الماردوى فبدأ في تمييز الاتجاه وأحيا مدرسة الفحول

ولقد مرت بنا عناية السيد على الدرويش^(١) بالافتتان في الصناعة اللطيفة وأنه أورد لنا حاصا سماه باب الصناعات « ورأياه ينسج إحدى مدانحه للرسول عليه الصلاة والسلام على الروى المقصور مفتحا في كيفية وصل الحروف وفصلها وإعظامها وأهمالها^(٢) . .

ورأياه يصوغ أخرى على نسق ديدعية تقى الدين بن حجة^(٣) مهتما بذكر أنواع المديح مبصرا عن جوهر الموسوع .

ورأياه الساعاتى في كبرى مدائحهم النبوية يحاكي ديدعية ابن حجة أيضا^(٤) .

ولقد كانوا يتكلمون إظهار معلوماتهم الجدية ، والدرويش^(٥) يذكر المقصور والمدود في مطلع مدحته النبوية الأولى .

(١) ص ٣ من الدواون — ٨٥ من هذا البحث .

(٢) ص ٨٦ وناب الصناعات تضمن أعراسا أخرى كالمدايح والتهاني (ص ١ إلى ص ٧٣ من الدواون) .

(٣) ص (٨٧) من هذا البحث .

(٤) ص (٩٧) . . .

(٥) ص (٨٥) . . .

الحمد مقصورٌ عليه ذى السَّنا وإليه ممدودٌ سَنا، وَسَنا
ولقد ظهرت أساليب الأبحاث الفقهية كما في قول العالم الذى رد^(١) على الواعظ
والواعظ فر (وقيل) فُتِلَ وعليه الخِزْيُ قَدِ اسْتَرْبَصَ
والشيخ الأمير يدكر الفعل (نعرض) ويستخدم العبارة المشهورة في أقوال الفقهاء
والفكرين (والله أعلم)^(٢) .

دَعِ الدُّنْيَا فليس بها سرورٌ يَسْتَمُ وَلَا مِنَ الْآخِرَاتِ نَسْلَمُ
و (يفرض أن قد تم فرضاً) فَتَمَّ رَوَاهُ أَمْرُهُ مُحْتَمٌ
ثم يقول :

وإنَّ لَا يُدَّ منَ لَهُوٍ فَلَهُوٌ شَيْءٌ نافع (والله أعلم)
وأبو النصر في تهنئته للشيخ المهدي يقول^(٣) :
أرى الأهرارَ العمورَ حَدَّثَ أَهْلَهُ حديثاً يُدِرُّ المارفينَ دَوَى الرَّشَدِ

واقدر كان طام القصيد — كما هو الشأن في كافة الأغراض تقريباً — أن تبدأ بالفرد
ثم تذكر الديار الحجازية والرواحل إليها . . . ثم مدح الرسول عليه الصلاة والسلام أو من
يكون موضوع القصيدة ثم تحتم بالصلاة على النبي أو الدعاء ورحاء حسن الختام .
وأحياناً كان البيت الأخير يتضمن تاريخ إنشاء القصيدة ، ولكن هذا التاريخ لم يلزم
إلا في مدائح الخلفاء والحكام بمناسبة العام الهجرى أو شهر الصوم أو الأعياد . .
وسنكتفي هنا ببعض الأمثلة .

فالدرويش يبدأ إحدى مدائحه النبوية بقوله :

للطرف مطلع بدر الحسن قال رم حتى استهل وقلبي بالنرام رى

(١) س (١١٨) من هذا البحث

(٢) س (١٣٢) د د د

(٣) س (١٣٠) د د د .

ويختمها بقوله^(١).

أرجو قولك نظما في مؤرحة (أهدى على ثناء شافع الأسم)

« ١٢٤٤ »

واراهيم مرروق يبدأ مدحته بقوله :

أين الحجار وأين لي كثنابه رنعت بها بين الحمى عزلانه^(٢)
يا حادى الأظمان لا تعجل بها ياليت يوم البين ضاع أوانه
ثم يختمها بقوله :

صلى عليك الله والأملأك ما قد فاح من روص الربا ربجابه
وأبو المصر يقول في مطلع إحدى قصائده النبوية^(٣) :

أتمدت من خدرها أسماء أم عن الذات أسمرت أسماء
إن بين الضلوع يران عشق مالها من مدامى إطفاء
ثم يختمها بقوله :

وعليك السلام مى دواما يتوالى ولا يليه انتهاء.

وهكذا لو تتبعنا كل الموضوعات الدينية التي مرت بنا نجد القصيدة لا تنكاد تخلو في نظمها
ن هذا النظام .

فالسيدة عائشة التيمورية تقول في مطلع قصيدتها التي تتوسل فيها بالنبي الكريم ﷺ
أعن وميص سرى في حدس الظلم أم سمة هاحت الأشواق من إضم
فجددت لي عهدا بالمرام مصى وشامى نحو أجباني بدى سلم

(١) ص (٧٧) من هذا البحث

(٢) ص (٨٢) » » »

(٣) ص (٨٣) » » »

وتحتمها بقولها .

فاشع مح الذي أت الحبيب له لولاك ما أبورَ الدنيا من المدم
عليك أركي صلاة الله ما افتتحت أدوار دهر وما والت بمحتم
ومن أمثلة ولوعهم بذكر التاريخ في حتام القصائد التي كانت تقال للحلفاء والحكام
في المناسبات ماحاء في حتام قصيدة الدرويش تهنئة السلطان عبد المجيد بالخلافة^(١) .
وأرج وشري الحديو مؤرجا (مصى عهد محمود وعبد المجيد حد)

١٢٥٥

وأبو النصر يحتم قصيدته في مدح إسماعيل وتهنئته بنصف شهبان بقوله^(٢) :
وراية النصر لا رالت مؤرجة (بنصف شهبان صفو للمليك رقى)

١٢٩١

ويسجل عبد الله باشا فكرى تحديد الحديو توفيق لمسجد أبي العباس بقوله^(٣) :
لأيام توفيق الحديوى مؤرج (لفصل ألى العباس حاتمته نى)

١٢٩٨

(١) ص (١٢٣) من هذا البحث

(٢) ص (١٢٨) من هذا البحث .

(٣) ص (١٣١) من هذا البحث .

(د) منزلة هذا الشعر

وبعد : فتلك هي نماذج مموعة من الشعر في فترة من الزمن^(١) قد اشتركت في التأثير بمامل الدين ولكن من نواح مختلفة ، ويمكننا بعد ما درسناه من الموائع على إرشادها ، والطواهر العامة لها أن يطلق عليها اسم « الشعر الديني » .

وقد سبق أن ذكرنا^(٢) أنه ليس من اليسير تحديد إطار محصر فيه ألوانا من الشعر يطلق عليها هذا الاسم إذا أردنا الدقة التامة في التعبير ، وذلك لانساع دائرة المدلولات التي يمكن أن تفهم من ألعاط « الدين » و « الدين » و « الدين » .

وإذا ما أردنا أن نعرف منزلة ماقد مر بنا من شعر بين فون الأدب ، ومدى ما بهيد من دراسته ، وما يمكن أن نتفع به في أيامنا هذه منه ، فيبني أولا أن نعرف مدى صلته بنفوس مشنبيه ، وعن يريدون أن يتدوقوه ثم بالحياة العامة .

من أهم وسائل حلود الأدب أن يكون ذا حيوية وصلة وثيقة بحياة الناس معالجا لمضلاتهم . وله من التأثير على نفوسهم ومشاعرهم ما يحملهم يحسون بما فيه من متع وسية .

وقد لاحظنا أن الاتحاح إلى المحاكاة كان من أقوى الموائع في ذلك الشعر ، إدام تكن هناك عوامل دينية مدوية مثيرة للعاطفة الدينية كالذي يحدث أثناء الثورات الدينية أو الدعوة إلى التجديد فيما ألف الناس من تدين .

وإذا أمكن أن تستسيع هذا الشعر أذواق الذين عاصروا أولئك الشعراء وأثرت فيهم نقاعة عصرهم العامة وتأثروا بما كان شائما فيه من ممتقعات أملاها الجهل ، فإنه لم يعد لنا اليوم قبل شيء من ذلك .

فالمدائح النبوية التي كان يكنى فيها ذكر بعض الشائل النبوية وبعض السكرامات

(١) ١٧٩٨ - ١٨٨٢ م .

(٢) ص (٤٣) من التمهيد .

والخوارق لم تعد كافية للتعبير عما يتطلبه العصر من معرفة مواقف البطولة والدراسات النفسانية والتماثيل لسرعة انتشار الإسلام في أول عهده^(١).

والتوسل بالأولياء والصالحين لم يعد له وجود في أذهان الغالبية من الأمة بعد انتشار الثقافة ، وبعد الصراع الذي احتدم — وما زال — بين فلول دعاة التوسل وبين الدعاة إلى العودة إلى صفاء الإسلام من « أنصار السنة » وغيرهم .

وهكذا لو استعرضنا تلك الموضوعات التي كانت مجالاً للشعراء ولها صبغة دينية ما ، فإننا لا نجد فيها ما يستطيع أن يحرصه على الناشئة في مدارسنا ، ولا ما يتخذه المبتدئون من شعرائنا من غمادج يستضيئون بهديها ، ولا ما يستمتع به متذوقو الأدب من متعة فنية لا مسناه من هزال في الشعرية وضعف في الصناعة^(٢).

وإذن فقيمة هذا الشعر تعتبر من وجهة الدراسات التاريخية لحسب ولا سيما عندما نسير في دراستنا على طريقة التاريخ لفنون الأدب^(٣) ، فحيث نجد الطريق معبداً أمامنا لوضع صورة الشعر الديني في تلك الفترة من الزمن .

(١) كما سنرى في الفصول المقبلة .

(٢) وذلك باستثناء شعر البارودي في هذا المضمار .

(٣) هذه الطريقة هي أن يؤخذ من بعينه كائنات أو « الشعر الديني » ويدرس متدرجاً على طول المصور ... وهي إحدى الطرق التي يسير عليها العلماء الأوروبيون في العصر الحديث للتاريخ للأدب .

البابُ الثاني

الفترة الثانية

من أول عهد الاحتلال إلى آخر سنة ١٩١٩

(١٣٣٠ - ١٣٣٨ ، ١٨٨٢ - ١٩١٩)

الفصل الأول

تصوير عام : (١) الحالة السياسية . . . (ب) العامل الديني

(١) الحالة السياسية

عندما أعلن عرابي استسلامه في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ووصلت الحنود البريطانية إلى القاهرة ، دخلت مصر في طور جديد من أطوار حياتها ، وصارت محتلة بقوات أجنبية عنها ، ولكن رغم ذلك فإن الدولة المحتلة لم تحرّج على أن تعتبر مصر مستعمرة مملوكة لها ، لأن إنجلترا كانت تؤمن بأن مصر العربية التي عالت الزمن ، وفهرت الطفانة ، وردت فريز على أعقابه في سنة ١٨٠٧ . . تؤمن إنجلترا بأن مصر هذه تستعصى على أن تكون مستعمرة مملوكة لها أو لغيرها . ثم إن مصر كانت تامة سياسيا لتركيا وفي حركات مستمرة للتخلص من استبداد الحكام الأتراك وكانت لا تنظر إلى تبعيتها لتركيا إلا استمقاء لراطة الدين التي كانت تظل العالم الإسلامي كله تقريبا حينذاك .

ومن ثم فقد اعتبرت إنجلترا أن يحى ، حدودها إلى مصر إما هولساعده تركيا في إجماد الفتنة وحماية الحديو ومصالح الأحاب ثم راحت تبدل الوعود^(١) بالحلاء ، ثم عمدت إلى سياسة الخداع واللف والدوران في بسط نفوذها ونشر ثقافتها واستغلال موارد البلاد لمصالحها ، ووضع الخطط الكفيلة بذلك في كل مرافق الدولة ولا سيما في ورادة المعارف لتضمن تخريج أحيال متشبعين بما ترسمه من مناهج لا أثر للقومية فيها ولا تهدف إلى تكوين شخصية

(١) راجع تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ص ١٦ — ٤٠ للسير تيودور روتسنبيرغ وتعبير على أحمد شكرى ١٩٢٧ — فقد ذكر مصوص الوعود والتصرحات بالحلاء للسانة الإمبراطور وقد نلت أكثر من سبعين وعدا في السنين الثلاث الأولى .

الفرد ، وكان الإنجليز يحدون لكل ذلك مايرره ويحاولون أن يوهوا الناس أنهم في عملهم هذا قوم إنسانيون^(١) .

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي :

« إن الفرض الذي أعلنته إنجلترا من احتلالها مصر سنة ١٨٨٢ هو إعادة سلطة الحديو وقم ثورة العراقيين ثم الجلاء بعد ذلك عن البلاد ولكن الحوادث التي تعاقبت بعد ثم ثورة العراقيين دلت على أن هذا الفرض لم يكن صحيحا وأن عرضها الحقيقي إنما هو استدامة احتلالها لمصر وسط سيطرتها عليها ولم يكن من سبيل لديها إلى إعلان ضمها أو فرض الحماية السافرة عليها . . .

ولكي تصرف إنجلترا أظار الدول عن تلك الحماية الفعلية وتضمف المقاومة الأهلية في مصر أخذت تكرر عهدودها ووعودها بالجلاء في حين أنها كانت تصمر بقضها وتعمل على تحقيق أغراضها بتحليلد احتلالها .

وكان سبيلها إلى تنظيم حمايتها على مصر القضاء على عناصر الاستقلال والحكومة الأهلية والسيطرة على الجيش واتحاده مطية دولا في يدها وسط سلطاتها في الوزارات والدواوين والتدخل في شئون مصر الداخلية والخارجية ثم إلغاء الدستور وإبطال المجلس النيابي وإنشاء هيئة استشارية لاحول لها ولا قوة ولا تستطيع أن تحد من سلطة الاحتلال في الاستئثار برمام الحكم^(٢) » .

ثم استمع إلى المستر إدوارد دس أحد ساستهم يقول في كتابه مستقل مصر :

« إذا ترعرع مركزنا في مصر لعجرا عن أن نوحده مسوعا لعملنا أمام محكمة دولية ، فملينا أن نكتب تاريخنا من حديد » .

« إذا كنت تاجرا ولا تريد الإفلاس ، فلا يسمعك أن تسير بتجاركت طبقا لتعاليم المسيحية الأولى ، وليست إنجلترا وحدها هي التي تعمل بهذا المبدأ^(٣) » .

(١) راجع ص (١٢١ وما بعدها) من هذا الحث .

(٢) مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال لعبد الرحمن الرافعي الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢ ص ٥٩

(٣) عن كتاب تاريخ مصر لسير نيودور رونستين ص ٢١٥

وفي سنة ١٨٨٣ في أوائل عهد الاحتلال ، وبعد أن انتهى اللورد دوفرين^(١) من وضع خطط التنظيم والإصلاح المزعومة عينت إنجلترا السير « أفلين بيرنج » الذي عرف باسم (اللورد كرومر فيما بعد) عميدا لها ونائبا عنها في مصر يهيمن على كل صغيرة وكبيرة من شئونها وقد كان من غلاة المستعمرين ، واستمر بهذه الديار إلى سنة ١٩٠٧ أى حوالى ربع قرن من الزمان .

ولقد مر بنا^(٢) أن الخديو توفيق كان قد مهد لاحتلال الإنجليز وانضوى تحت لواهم^(٣) ، وقد كان عهده فترة ركود وكبت على أثر محاكمة المراهبين والتنكيل بهم ، ثم خلفه عباس حلمى الثانى^(٤) وفي عهده حدثت أحداث حسام حيث كان الشيخ محمد عبده قد عاد من منفاه وعسكر من أن يفرض شخصيته على الدولة ويستعيد نشاطه في حركات الإصلاح ويعمل على الحد من سلطة الخديو في الأهرار أو استغلال مودته في الأوقاف . . . ثم كان الوعي القومى قد ارداد تنبها ، وظهر مصطفى كامل بدعوته القوية ونال الحرب الوطنى برعامته يدعو إلى تحرير مصر من حكم الإنجليز وعرفت البلاد صحافة وطنية كجريدة المؤيد . . ثم وقعت حادثة دنشواى في ١٣ يوبه سنة ١٩٠٦^(٥) وقد كانت من أهم الأسباب في عزل اللورد كرومر .

واستمر الصراع بقوى حيناً ويضعف حيناً ، وإنجلترا تحاول انتهاز كل فرصة لإضمار صلات مصر بتركيا ، والعمل على الافراد نهائيا بالسلطة والسيادة على مصر إلى أن كانت سنة ١٩١٤ حيث قد أعلنت الحرب العالمية الأولى وانحازت فيها تركيا إلى الألمان فاعتبرت إنجلترا هذا عداً من تركيا فسارعت إلى إعلان حمايتها على مصر وزوال سيادة تركيا^(٦) وفي اليوم التالى لذلك^(٧) أعلنت حلع الخديو عباس وتعيين حسين كامل بقلب « سلطان مصر »

(١) كان سفيراً لإنجلترا — وقت احتلال مصر — في تركيا .

(٢) ص ٧٨ من هذا البحث .

(٣) ١٨٧٩ — ١٨٩٢ .

(٤) ١٨٩٢ — ١٩١٤ .

(٥) مصطفى كامل للرافعى ص ١٩٧ .

(٦) ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ثورة سنة ١٩١٩ ح - للزاعمى مر

(٧) ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ — المرجع السابق

دون حاجة إلى فرمان بموافقة الباب العالي كما كان متمماً من قبل ، وبذلك تم لإنجلترا ما أرادت من الافراد بالسلطان في مصر وراحت توجه سياستها الداخلية والخارجية وفق الأهواء التي عليها روح الاستثمار .

ولم يدم صر المصريين طويلا على هذا الوضع الشاذ الذي تأباه الطبيعة المصرية ، وما إن أعلنت الهدنة في سنة ١٩١٨ حتى هب المصريون يعملون على التفتل من تلك القيود الثقيلة التي فرضها الإنجليز .

وفي ١٣ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ذهب سعد زعلول ورميله^(١) إلى دار الحماية يطلبون من السير « ونجت » المندوب السامي حينذاك أن يسمح لهم بالسفر إلى أوروبا لمرض قضية مصر على الرأي المالي الحر وفقا لمبادئ ولسن^(٢) التي تنادي بمنح الشعوب حقها في تقرير مصائرهما .

وبدلا من أن يستجيب المندوب البريطاني لمطالب المصريين أمر باعتقال الزعماء واستحو الأمر بنفيهم إلى مالطة ثم الإفراج عنهم والسماح لهم بالسفر إلى أوروبا بعد أن وثقت إنجلترا من أن مؤتمر الصلح سيرفض الاستماع إلى مطالب مصر وأنه سيقر الحماية البريطانية^(٣) .

ولقد كان موقف المندوب البريطاني من سعد وصحبه من الأسباب المباشرة في إثارة شعور الأمة بمختلف طبقاتها وما حدث في طول البلاد وعرضها من اضطرابات في سنة ١٩١٩ ، وقد انتهت تلك الثورة بمحاكمة عدد كبير من المصريين أعدم منهم من أعدم وسجن من سجن وشرذ من شرذ .

ولكن هذه الثورة قد أثنت وجود الشخصية المصرية المستعصية على قبول الذل ، كما برهنت على وجود الوحدة بين طبقات الأمة المختلفة واستجانتها للداء الوطن عندما يدعو داعي الجهاد .

ولقد رأت إنجلترا نفسها مضطرة إزاء إصرار المصريين واستمرارهم بعد إخماد الثورة

(١) عبد العزيز فهمي وعلى شعراوي .

(٢) الرئيس الأمريكي ولسن... وقد أديب منادته المشهورة في نهاية الحرب العظمى سنة ١٩١٨

(٣) ثورة ١٩١٩ لرافعي ص ٢٠٦ .

في تأليف الجمعيات السرية والاعتقالات الفردية. . . أن تراجع وتعلن في مارس سنة ١٩٢١ أن « الحماية علاقة غير مرضية ^(١) ، . . »

ولكن إنجلترا مع مسيرتها لنمو الروح المصرية وتراحمها قليلا لجأت إلى أسلوب آخر سارت عليه بعد سنة ١٩١٩ زمنا طويلا وما نزال تسير عليه ألا وهو أسلوب المعاوصات ^(٢)

(ب) العامل الديني

لبدع الحديث عن سياسة الإنجليز المالية والاجتماعية في فترة الاحتلال وما حوته على البلاد من شيوع الفقر والمرض والجهل وما اتخذوه من وسائل لإخماد الروح القومية وتريب التاريخ وإقامة نظام الطبقات. . . ثم تفاصيل ما كان من حركات مضادة ومحاولات عديدة قام بها أبناء الملاد الدين كانوا يترعمون الحركات الوطنية يملنون سحقهم على السلطان الأجنبي في حدود الإمكانيات التي تتيحها الظروف المختلفة . . .

لبدع ذلك كله فليس هذا مجال التفصيل ، ولتحدث عن ناحية واحدة تتصل بموضوعنا وكان لها صداها الخاص في أدب تلك الفترة والشعر منه بحاسة ألا وهي الماحية الدينية .

فمعصر الدين عامل فعال لا يمكن التغاضي عنه في كل الحركات التي قامت بها أوروبا لاستعمار الأمم الإسلامية منذ خروج الإسلام إلى الممالك خارج بلاد العرب ونشر ألوته في المالمين إلى يومنا هذا .

ولقد كانت العقيدة الإسلامية دأما هي الصخرة القوية التي تتحطم عليها آمال الأوروبيين مهما كانت أعدادهم وعدتهم ومهما حاولوا من صرف تلك العقيدة بوسائل الإغراء أو الوعيد .

ولا يستغرب إذاً أن يكون « أحوف ما يخافه المستعمرون هو قوة الشعور الديني الإسلامي في مصر ، لأن الإسلام دين يدعو إلى العزة والكرامة ، وبأبي على المسلم أن يخضع

(١) ثورة ١٩١٩ م ٤٥ .

(٢) وقد انتهت المفاوضات باتفاقية الحلاء في أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

لنؤاها أو أن يذل ، وى يقظة الشهور الدينى استراح للمضى هذه الأمة الهيد ، وتذكر .
لما كانت عليه من عظمة وقوة^(١) .

ومن ثم فإن الإنجليز قد أخذوا على عاتقهم مقاومة كل حركة ترى إلى نشر الوعى الإسلامى فى مصر ، وعملوا جاهدين على صرف الناس إلى بهرج الحضارة الأوروبية وتحسين كل ما هو عربى ، ورموا كل ما هو شرقى بالانحطاط ، وعزوا كل بلاء حل بالشرق إلى الإسلام ، ليتمكنوا بذلك من تنحية تعاليم الإسلام من طريقهم ويضمنوا أن تسلس لهم قيادة شعب وادى النيل فيستغلوا موارده لمصالحهم أطول فترة ممكنة من الزمن . .

وسيتناول حديثنا فى هذا الفصل صورا من صور النضال كان عامل الدين ذا أثر فعال فيها ، لنعود فى الفصل الثانى إلى دراسة آثار ذلك وأصدائه فى شعر تلك الفترة .

وأهم صور ذلك النضال الذى سنتحدث عنه تدور حول الأمور الآتية : —

١ — محاربة الوعى الإسلامى ...

٢ — مركز الخلافة العثمانية ...

٣ — مقاومة فسكرة الحامعة الإسلامية ...

٤ — الفارة على الإسلام ...

٥ — الشيخ محمد عبده وصدى دعوته .

٦ — فى ثورة ١٩١٩ ...

٧ — الثقافة والمعتقدات الشائمة ...

٨ — معركة السفور والحجاب ...

* * *

١ - محاربة الوعي الإسلامى

المروة الوثقى - دالوب ومناهج الدراسة - سدى الحركة القومية .

التقى السيدان جمال الدين ومحمد عبده فى أوروبا بعد أن تم للإتحاد السيطر على مصر عقب الثورة، العرايية وسمحوا لأولها بأن يغادر الهند إلى حيث شاء وبعد أن قضى ثابنها حوالى عامين فى بيروت منغيا من بلاده .

ولم يكن هذان الرجلان كسائر الرجال ، بل منحهما الله حساسية خاصة يدركان بها اتجاهات الأمور ونوايا الأوروبيين فى الشرق الإسلامى ، وجهودا لاتعرف الكلال وعزائم لا يستطيع اليأس أن يسلك إليها سديلا .

وقد أيقنا أن لافلاح لهذه الأمم التى تستطل براية الإسلام إلا بشعر الوعي الإسلامى فيها وتمصير المسلمين بحقيقة الإسلام كما عرفت من ينابيعه الصافية الأولى .

وهناك فى قلب أوروبا ... فى باريس استطاعا تكوين جمعية سرية تدرس مسائل هذا الشرق السياسية على ضوء الإسلام ، واتصلا بمن يثقان به من كبار الرجال فى مصر وغيرها . « وكان العرص البعيد من تأليف هذه الجمعية إعادة الحكم الإسلامى وهداية الدين إلى ما كان عليه من الطهارة والعدل والكمال فى العصر الأول ، بتأسيس حكومة إسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة فى الدين وما تقتضيه حالة العصر لمحد الإسلام فى أمور الدنية ، ويتسع هذا إنقاد المسلمين وغيرهم من الشرفيين من الاستعمار المذل لهم ، وأما الغرض القريب فهو إنقاد مصر والسودان من الاحتلال^(١) » .

تلك هى جمعية المروة الوثقى ، وقد كان محور سياستها حول أمور أربعة :

الجامعة الإسلامية ، الرابطة الشرقية ، المسألة المصرية ، المسألة السودانية .

ولقد كان لهذه الجمعية قانون ينظم أمورها وأهم ما فيه هو ذلك القسم الرهيب الذى يقسمه المتمعون إليها ويجدر بنا إثباته هنا وهو^(٢) :

(١) تاريخ الامام > ١ ص ٢٨٣

(٢) تاريخ الامام > ٢ ص ٢٨٧ .

« أقسم بالله العالم بالسكلى والحزنى ، والجللى والحنى القائم على كل نفس بما كسبت ،
الآخذ لكل حارحة بما احترحت . لأحكم كتاب الله تعالى فى أعمالى وأخلاقى بلا تأويل
ولا تصليل ..

ولأحبى داعيه فيما دعا إليه ، ولأنتقاع عن تلبيته فى أمر ولا فى نهى ، ولأدعون لبعثته ،
ولأقومن بها مادمت حيا ، لأفضل على الفور بها مالا ولا ولدا ...

أقسم بالله مالك روحى ومالى ، القاص على ناصيتى ، المصروف لإحساسى ووجودانى ،
الناصر لمن بعثه ، الخاذل لمن حذله ، لأبدلن ما فى وسعى لإحياء الأخوة الإسلاميه ،
ولأرلها منزلة الأبوة والبوة الصحيحتين ، ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة
المودة الوثقى وانتظم فى عقد من عقودها ، ولأراعينها فى غيرهم من المسلمين ، إلا أن يصدر عن
أحد ما يضر شوكة الإسلام ، فإنى أبذل جهدى فى إبطال عمله المضر بالدين ، وأخذ على نفسى
فى أثره مثل ما آخذ عليها فى المدافعة عن شخصى .

أقسم بهيئة الله وجبروته الأعلى ألا أهدم إلا ما قدمه الدين ، ولا أؤحر إلا ما أحره الدين
ولا أسمى قدما واحدة أتوهم فيها ضررا يعود على الدين حزنيا كان أو كليا ، ولأأخالف أهل
العقد الدين ارتنط معهم بهذا المين فى شىء يتفق رأى أكثرهم عليه ، وعلى عهد الله وميثاقه
أن أطلب الوسائل لتقوية الإسلام والمسلمين عقلا وقدرة بكل وجه أعرفه وما حلفت أطلب علمه
من المعارفين ، لأدع وسيلة حتى أحيط بها بقدر ما يسمح إمكانى الوجودى . وأسأل الله
محاح العمل وتقريب الأمل وتأييد القائم بأمره ، والناشر لواء ديبه ..

ولقد كانت مباح تلك الجمعية كلها عملية ، أساسها الإخلاص والتفرغ لما يدعو إليه
أعضاؤها ، دون أن تكون لهم مآرب خاصة أو مطامع دنيوية يبتغون الوصول إليها .

ولما كان بيل الناية على وجه أبعد من الخطر وأقرب إلى الطفر يستدعى أن يكون
للداعى فى كل قلب سليم نفثة حق ودعوة صدق فقد طلبوا عدة طرق لنشر أفكارهم بين من
خفى عنه شأنهم من إخوانهم واحتاروا أن يكون لهم - فى هذه الأيام^(١) - جريدة ناشر

لسان عندهم وهو اللسان العربى وأن تكون فى مدينة حرة كدبنة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم ، وتوصيل أصواتهم إلى الأقطار القاصية تنبيها للنافل وتذكيرا للذاهل ، فرعبوا إلى السيد جمال الحسينى الأفغانى أن يشي تلك الجريدة بحيث تتبع مشربهم ، وتذهب مذهبهم فلى رعبتهم بل أدى حقا واجبا عليه لدينه ووطنه وكلف الشيخ محمد عبده أن يكون رئيس محررها ، فكان ما حمل الأول على الإجابة حمل الثانى على الامتثال^(١) .

وفى الخامس عشر من محادى الأولى سنة ١٣٠١ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ صدر العدد الأول من جريدة «العروة الوثقى» عربيا فى باريس ولسكمه قوى وهاج استطاع أن يخترق الحجب ويعبر الدجار والقفار ويصل إلى أيادى الأحرار فى الهدم وفى مصر وفى الشام وغيرها... يحمل تلك الدعوه القوية المدوية التى تهدف إلى يقظة الأمم الإسلامية ومحاربة المستعمرين فى برنامج صريح واضح يعمل على نشر الوعى الإسلامى بين المسلمين ..

ولا يتسع المقام هنا للإفاضة فى سياسة تلك الجريدة وآثارها تلك الجريدة التى لم يقدر لها أن تصدر إلا ثمانية عشر^(٢) عددا تعتبر دستورا لكل من يحاول إصلاح شأن الأمم الإسلامية .

ولكن : ماذا كان موقف الإنجليز من تلك الجريدة ، إهم كانوا يدركون تمام الإدراك ماوراءها من نشر الوعى الذى يخشون آثاره .

ولقد كانوا يتتبعون خطواتها قبل أن تصدر ويحاولون أن يجرموها رؤية النور . . فإن مراسلى الصحف الانجليزية — وهم ليسوا من فئات المرتقة بل يعتبرون من رجال السياسة — تنبهوا لخطر مثل هذه الجريدة على سياسة الاستعمار . وأخذتهم الحدة واحتدمت فيهم نار الحمية ، وأندروا حكوماتهم بما تؤثر به هذه الجريدة فى سياسة الإنجليز وفوزهم فى الملاد الشرفية ، وألحوا فى إغرائها بها ، وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع هذه الجريدة من الدخول إلى البلاد الهندية والملاد المصرية ، بل تطرفوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية

(١) تاريخ الامام > ١ ص ٢٩٦ .

(٢) العدد الأول فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ والثامن عشر فى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٤

بالمنحصر عليها : كل ذلك كان منهم قبل صدور أول عدد من الجريدة ...^(١)

تنبهت السلطات البريطانية في مصر على أثر تلك الحملات الصحفية لمحاربة هذه الجريدة فكانت تأتي مستغففة أشد الاستغفاء ولكنهم لم يكتفوا بمجرد إعلان السخط عليها بل أزموا الحكومة المصرية بمنعها رسمياً « فانهقد مجلس النظار المصري واهتم بالبحث في شأن العروة الوثقى ثم أصدر قراره إلى نظارة الداخلية المصرية قاضيا عليها بأن تشتد في منع هذه الجريدة من دخول الأقطار المصرية وتراقب أحوالها في تلك الديار ، فصدر أمر الداخلية إلى إدارة (عموم البوسطة) يلزمها الدقة في ذلك ... » ولم يكف بلاغ الداخلية بهذا بل أمر « بأن كل من توحده عنده العروة الوثقى يفرم مبلغاً من خمسة جنيهات إلى خمسة وعشرين جنيهاً »^(٢) .

أرأيت كيف حاول الحكيمان مواصلة جهودهما في نشر الوعي الإسلامي وكيف حارب الإنجليز هذه الجهود حشية مما تسببه بقطة الشعور الديني من قوة في المسلمين يستحيل معها بقاء الاستعمار ؟ .

* * *

وهاك لونا ثانيا من محاربة الوعي الإسلامي التي عمد إليها الإنجليز :

في سنة ١٩٠٦ فرض كرومر على وزارة المعارف عتلاً إنجليزياً أسسه قسيس أسكتلندي من أولئك الذين اشتهروا بالنصب الذميمة ذلك المتل هو دوجلاس دانلوب الذي عين مستشاراً في وزارة المعارف يوجه سياسة التعليم كما يهوى الاستعمار ، وراح يهيمن على المناهج والخطط ، ويضع من الأسس ما يستحيل معه تكوين المواطن الصالح ...

وقد اجتمعت في دانلوب هدا سواتان : فهو قسيس اسكتلندي ، وقد اشتهر أهل اسكتلندا بفلوهم الاستعماري ونظرتهم إلى الشعوب الملونة نظرة ازدراء ، واعتقدوا أنهم لا يصلحون لإدارة أمورهم بأنفسهم وأن لا بد لهم من قيادة غربية حتى تستقيم أمورهم ،

(١) تاريخ الامام ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٢) العدد التاسع مايو سنة ٨٤ .

وقد جاء دانلوب خير مثل يضرب لضيق الأفق ، وقصص الثقافة ، والتعصب الدميم لأبيه وأصدق ما وصف به هذا الذي نكبت به مصر بمامة ووزارة المعارف بخاصة ما قاله عنه وعن سياسته البقيضة في التعليم (السير فالتين تشيرول) في كتابه المسألة المصرية :

« لقد كانت سياستنا التعليمية تفتقر إلى الروح المعنوية ، والإلهام القوي ، لأننا تركناها في يد مستشار وزارة المعارف مستر دانلوب ، وكان دانلوب حسن النية دهباً على الحد والعمل ، غير أن آراءه في التربية لم تعتمد ما كانت توحى به تلك الدروس التربوية التي تلقاها في حياته . » ومهما امتاز به دانلوب من صفات محمودة ، فإنه كان ضيق الفكر ، قصير النظر ، يؤمن بالسكينة لا بالنوع أى بكثرة المواد الدراسية لا نوعها وهو متربع في كرسي مكتبه بوزارة المعارف يصدر الأوامر والنظم والقوانين المتعددة كما تتصورها عقليته ، وقلما كان يأبه لرأى سواء أما نصيح المصريين له فكان — الطبع — لا يجد منه أدماً صاغية ولا يتسم له صدره^(١) .

فلا نستغرب إذاً إخفاق سياسة التعليم الإنجليزية في مصر وما جرته علينا من آثار سيئة قاسينا منها كثيراً .

والذى يميننا هو أنه حرم الناشئة من أبناء المسلمين الذين كانت تتاح لهم فرص التعليم بالمدارس المدنية — على قلتهم — أن يتذوقوا شيئاً من القرآن الكريم .

فى الثانى والعشرين من مايو سنة ١٩٠٧ استصدر قراراً من مجلس النظار^(٢) يقضى بإلغاء حصص القرآن الكريم على أن تحمل محلها خمس حصص للديانة والتهديب في كل فرقة . ولت الأمر وقف عند هذا الحد بل إنه عدل خطة الدراسة وحملها سبع حصص في اليوم بدلا من ست واشترط أن تكون الحصص السابعة للدين .

استمع إلى أمين سامى باشا يعلنى على هذا القرار :

(١) فى الادب الحديث ج ٢ ص ١٧ عن كتاب Sir Valentine Chirol. The Egyptian Problem pp. 331 — 332,

(٢) ماخص من القسم الثالث للباحثات ص ٦ وما بعدها من كتاب تاريخ التعليم لأمين سامى باشا — مطبعة المعارف سنة ١٩١٧ .

« ونشأ من تخصيص الحصة السابعة للديانة مع تحمل الناشئة أعباء الدراسة في ست حصص قبلها ، وتعدد تلقى مواد الدراسة فيها ، عدم تحقيق الرغبة في تحصيل تلك الدروس ، مع أن الرغبة في المعرفة هي الشهية العقلية . والاشراح في مثل هذه الرغبة هو أول شرط لكل نمو منتظم ... »

والذي لاشك فيه أن دالوب كان يرمى من إحراج القرآن الكريم من المناهج إلى غاية بعيدة ، فالخاذية الموجودة في القرآن حتى وهو بعيد عن كل تفسير ، لا توحد في غيره ، ثم إنه حرص على ألا تكون الحصص الدين المرعومة أبة حدودى .

والواقع أن حصص القرآن بالمدارس الابتدائية قد ضفطت منذ عهد الاحتلال لتفسح المجال للغة الأجنبية ، فقد كانت مثلاً في سنة ١٨٦٨ خمسة عشر للسنة الأولى وعشراً للثانية ثم أصبحت في سنة ١٨٩٤ ستاً للأولى وحمساً للثانية وأدخلت حصصاً للدين والتهذيب في السنتين الثالثة والرابعة إلى أن ألغيت حصص القرآن في سنة ١٩٠٧ إلى يومنا هذا^(١) .

ورعنا كانت مثل هذه الأمور تمر برحالنا فلا يلقون إليها بالا ، ولكننا من غير شك ذات أثر بعيد في إصعاف الوعي الإسلامى العام وخلق حيل أرعن لا يرعى للمقيدة حرمة .

* * *

ولسكن رعم هذه المحاولات وأمثالها فإن المستعمرين لم يستطيعوا القضاء على الوعي الإسلامى وإن تمكنوا من إصعافه حيناً من الدهر .

ولقد كان الشيخ محمد عبده يدرك أن من أهم وسائل شر الوعي الإسلامى أن تتضمن مناهج التعليم دراسات إسلامية تناسب وأسنان الدارسين وطبقاتهم ، ومن ثم فقد أنهر وهو منى بيروت فرصة إعلان الخليفة عن تأليف لجنة برئاسة شيخ الإسلام لإصلاح مناهج التعليم في أقاليم الخلافة فقدم بمشروع قيم تضمن مناهج للدراسات الإسلامية تتمشى وما

(١) وإن تعجب فعجب أن تنق سياسة دالوب الأساسية مستمرة بورلوة التربية والتعليم إلى اليوم أى بعد حروجه منها بخمسة وثلاثين عاماً « وبحسب بدل مند أعوام جهوداً مختلفة مصطرة ، لاصلاح ماأهد الإنتماء ، فلا سكاذ نونق في بعض الأمور حتى تعدو العاديات فتردنا إلى الاحقاق والحدلا » (مستقبل الثقافة > ١ ص ٧٢ طه حسين) ولقد أتاح الله لمصر حكومة الثورة وما هو ذا وزيرها الشاب يقتلع حدود الدبلوماسية لايحشى « العاديات » ١١

يحتاج إليه الخاصة والعامة من الأمور الهامة والضرورية لفضاء إرؤاوحهم وتكوين الوعي الإسلامي بينهم أحمين^(١) .

وعندما أنشئت مدارس الجمعية الخيرية برياسته ، جمل التعليم الإسلامي هو الأساس الأول في مناهجها ، لأن مناهج المعارف كانت لا تهدف إلا إلى تخريج موظفين .

ولقد كان مصطفى كامل كذلك يرى أن التربية الإسلامية هي الأساس الأول في تنشئة جيل صالح ، فحينما أنشئت مدرسة باسمه بباب الشمرية ألقى كلمة بمناسبة افتتاحها جاء فيها « وإني أتشرف اليوم بإعلان الجمهور أن التعليم في هذه المدرسة مقرون بالتربية الإسلامية لأنني أعتقد أن التعليم بلا تربية عديم الفائدة ، بل ربما كان كثير الأضرار ، وأقصد بالتربية التربية الإسلامية المحضة ، لأن أساس التربية الدين ، وكل أمة يترى أنناؤها على غير قواعد الدين تسكون عرصة للدمار والانحطاط^(٢) .

» وقد رأيت بنفسى في أغلب مدارس أوروبا اهتماما فائقا بتعليم الدين المسيحي للناشئين لذلك عولت على جمل الغرض الأول من المدرسة ترقية الملكة الإسلامية عند التلاميذ وتمكين مبادئ محبة الوطن والاتحاد والائتلاف من نفوسهم وتقديم اللغة العربية على كل لغة^(٣) . «

ولقد كان من أصداء دعوة محمد عبده ووثبة مصطفى كامل القومية ، وأنجزاته الإسلامية أن انتشر الوعي بين طلاب المدارس الثانوية بالقاهرة فأقاموا حفلا عاما في مطلع العام الهجرى سنة ١٣٢٦ الموافق ٣ فبراير سنة ١٩٠٨ بدار التمثيل العربى ألقى فيه الخطب والقصاصد المختلفة تشير إلى أمجاد ذلك اليوم وما يبين أن يكون فيه من قدوة للمسلمين في التضحية . . .

وفي العام الثانى تضاعف الاهتمام بالاحتفال بذلك اليوم الأعر وكان الإقبال عليه أشد من سابقه ، وداع أمر هذا الاحتفال في طول البلاد وعرضها وأخذ الناس يستمدون له أيما استعداد ولما رأت الحكومة هذا الاهتمام قبل أن يحل اليوم الموعود للاحتفال اضطرت إلى

(١) تاريخ الامام > ٢ قسم المنشئات ص ٥٠٥ إلى ص ٥٥٣ .

(٢) و٣) مصطفى كامل للرافعى ص ١٣٩ .

مجاراة الشعور العام وأصدرت قرارا اعتبرت فيه هذا اليوم عيدا قالت فيه : « بمناسبة أول السنة الهجرية الجديدة ستقف نظارات الحكومة ومصالحها في يوم السبت المقبل أول محرم سنة ١٣٢٧ - ٢٣ من يناير سنة ١٩٠٩^(١) » .

وهذا المظهر الرائع كان كسبا كبيرا لفكرة نشر الوعي الإسلامى . .

٢ - مركز الخليفة العثمانى

رأى الإمام محمد عبده ومصطفى كامل - محاولة كرومر لقطع الصلة الدينية - تجربة أملاك الخلافة - إلغاء سيادة تركيا . . . وستحدث عن ذلك فى إيجاز . .

رأينا فى الباب الأول^(٢) منزلة الخلافة العثمانية فى نفوس المصريين وكيف كان « عامل الدين » هو الرابط بينها وبين الشعب ، وكيف استفل هذا « العامل » أثناء الثورة العربية . « ولما انتهت إنجلترا باحتلال مصر وكثت وعودها بالجلاء وأحس المصريون بتدخلها فى شئونهم ، اشتد عظمهم على الدولة العثمانية ، وضعف ترمهم بسيادتها عليهم ، وثنت عندهم اليقين بأن دول المصرية تطارد دول الإسلام ، وقويت فيهم النزعة الدينية ، وكان من ذلك ما زاد النشاط فى بث الحضارة الإسلامية والأدب العربى فى مصر^(٣) » .

ولم ير الأستاذ الإمام مهاجمة الخلافة ، لأنها تمثل الرمز الأقدس فى الرابطة الإسلامية التى تحاربها أوروبا ، ولأنه كان يخشى إن زالت سيادة تركيا أن تحل محلها سيادة الإنجليز وهى شر على الإسلام والمسلمين ولذلك كان يقول : « إن من له قلب من أهل الدين الإسلامى يرى أن المحافظة على الدولة العثمانية ثالثة المقائد بعد الإيمان بالله ورسوله فإنها وحدها المحافظة لسلطان الدين السكافة ببقاء صورته ، وليس للدين سلطان فى سواها ، وإنا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت^(٤) » .

(١) ملحق الوقائع المصرية ١٩٠٩/١/٢٠ .

(٢) صفحة ٧٤ - ٨٠ من هذا البحث .

(٣) مقدمة ديوان شوقى لهيكل باشا ص ٥ .

(٤) تاريخ الامام ص ٢٠٦ .

ولم يكن محمد عبده في رأيه هذا من أولئك التملعين الذين يصطنعون الوسائل للوصول إلى أغراض ذاتية ، ولم يكن من المعجبين ، مجرد التبعة وقبول سيادة العثمانيين ، وإنما كان الحرص على الحفاظ على الرمز العام الذي يربط الأمم الإسلامية ، وعلى كل أمة أن تصالح شئونها الداخلية بمجد أبنائها العاملين المخلصين .

واقدر كان مصطفى كامل كذلك يرى المحافظة على السيادة العثمانية حتى تنأى الفرصة لمصر في استكمال سيادتها لأن في معاداة تركيا حينذاك تشققتنا للجهود التي يجب أن تركز في محاربة الإنجليز الفاصبين ^(١) .

وقد نادى كثيرا بضرورة المحافظة على تلك السيادة ومن ذلك قوله : « حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكام السياسات وأرسلها ولا غرو أن كنا نتألم لآلام الدولة العلية ، فما نحن إلا أبنائها المستظلون بظلمها الوريث المجتمعون حول رايها . وفصارى القول أن الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن يجتمع حولها ، ولا نتحقق وحدتنا بغير الاتحاد والائتلاف فلنتحد قلبا ولسانا ^(٢) » .

ثم أشار في إحدى خطبه إلى الدافع على الاحتفاء بتركيا وأنه لم يكن إلا للتخلص من الإنجليز لاحقا في السيادة العثمانية وذلك حيث يقول : « إن مظاهرة الأمة المصرية نحو الدولة العلية هي مظاهرة ضد الاحتلال الإنجليزي ، واشتراك أفراد الأمة على اختلافهم في الاكتتاب للحشيش العثماني هو اقتراح عام ضد الانحياز في مصر ^(٣) » .

وقد أشار في موضع آخر إلى خشيته من معاداة تركيا التي قد تؤدي إلى ضياع البلاد وتمكين الإنجليز من سيادتها فقال : « ماذا يكون مصير البلاد المصرية لو تنازلت تركيا عن حقوقها لإنجلترا أو تناهت معها على ذلك بماهدة شبيهة بالماهدة الفرنسية الإنجليزية (١٩٠٤) ألا تصير ولاية إنجليزية ، إذا فلماذا يدهش السكاتب من كوننا نجمل علاقتنا مع تركيا حسنة ، وسمى لنيل الوسائل التي قد تفيدنا وتنفعنا ^(٤) » .

(١) ملخصا من « مصطفى كامل » للراعي ص ٣٣٧ ج ٢ .

(٢) في الأدب الحديث ج ٢ ص ٨٠ .

(٣) المرحم السابق ص ٨٢ عن المؤيد ٩ يونيه ١٨٩٧ :

(٤) في الأدب الحديث ج ٢ ... عن اللواء في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٦ في الرد على خصومه .

وقد دافع كثيرا عن آرائه هذه ، إذ أخذ عليه خصومه أنه يتناقض ونفسه في طلب الاستقلال لمصر وأنه يريد تخليصها من الإنجليز ليصفو الجو للسيادة التركية . . . ومن ذلك ما جاء في إحدى مقالاته في اللواء في الرد على منتقديه : « أما دعواكم أن الوطنيين المصريين يريدون الانتقال من استبداد إلى استبداد ، وأنهم إنما يطلبون خروج الإنجليز من مصر ليدخلوا تحت حكم جديد ، فهي دعوى لا يقبلها ذواب ، ولا يسلم بها أحد من العقلاء ، فإننا نطلب استقلال وطننا وحرية ديارنا ونتمسك بهذا المطلب إلى آخر لحظة من حياتنا^(١) » .

ولقد سار رجال الحزب الوطني على خطة مصطفى كامل طالبين إحقاق الإنجليز أولا ثم الاستقلال التام من كل سيادة أخرى وقد أوضحوا سياستهم هذه في تقرير الحزب الذي أرسلوه إلى مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى وقد جاء في هذا التقرير : « على أسس الحق يقال لم نشعر قط بسيادة تركيا الإسمية بجانب السلطة الإنجليزية ، ولم نر منها من سنة ١٨٤٠ افتتاننا على استقلالنا الداخلي — لهذا كان من أسباب سكوتنا عن تركيا عدم شعورنا بثقل سيادتها ، أما الآن وقد وسلت الإنسانية إلى هذه الدرجة من الرقي وجئنا أمام محكمة عادلة تريد أن ترد الحقوق إلى أربابها ، فإن لنا أن نطلب كامل الحق — نطلب حلاء الإنجليز حالا والاستقلال التام^(٢) » .

وكيفما كان الأمر فإن الإنجليز كانوا متنبهين إلى خطر تلك الرابطة الروحية بين مصر وتركيا مدركين لآثارها ، فراحوا يتحينون الفرص لإضعافها حتى تمسكنوا من الإجهار عليها . ومن ذلك مثلا أن « قاضي القضاة » بمصر كان يمين بأمر الخليفة لخطورة مركزه الديني ، إذ كانت موافقته تعتبر شرطا لتعيين القضاة الشرعيين نيابة عن الخليفة ، فأراد كرومر أن يقضى على هذه الصلة وأوعر للخبو عباس أن يمين قاضيا مصرية مكانه دون حاجة إلى موافقة الخليفة ، وهنا منحرج مركز الخديو ، ولم ينقذه إلا الشيخ محمد عبده^(٣) .

(١) المرجع السابق ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٢ .

(٣) استغل حامية احترام الإنجليز للشعور الديني واقف الخديو عبارات أخرج بها كرومر وتراجع عن

وأيه . والسكس إلى حين » . ملخص من تاريخ الامام > ٢ ص ٥٧٦ .

ولئن أتيحت الفرصة لإنجلترا في الاستيلاء على مصر ، فقد كانت فرنسا وغيرها من أمم أوروبا تطمع في الاستيلاء على أجزاء الإمبراطورية العثمانية واقتسام أملاك « الرجل المريض » .

ولقد كانت تلك السياسة واضحة في رسالة هانوتو التي كانت لها أصداء في مصر ونصدي الإمام للرد عليها^(١) .

قال : « قد أصبحنا اليوم بإزاء الإسلام والمسألة الإسلامية .

احترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الإفريقية بسرعة لا تحارى حاملين في حقائبهم معص بقايا تمدن الميز بطيين » « إدأ فقد صارت فرنسا بكل مكان مع صلة بالإسلام ، بل صارت في قلب الإسلام وكده حيث ونحت أراضيه وأخصمت لسطوتها شعوبه وفامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين ، . . .

وبعد أن يتحدث عن الإسلام والمسلمين يشير إلى سلاح طر توس في رعه عن الإسلام : « على أنه بالرغم من كل شيء فقد حصل انقلاب عظيم في بلد من هذه الملامد فصلت فيه السلطة الدينية عن السلطة السياسية بدون حلة ولاوصاء » .

« إدأ يوجد بلد إسلامي قد ارتحى ، بل انقسم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الأخرى الشديدة الارتباط بعضها ببعض ، إدأ توحد أرض تتفقت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضي الأسوي . »^(٢)

فهو إدأ يحرص على إضعاف الروح الإسلامية في كل قطر إسلامي ليسهل استثماره ... وفي سنة ١٩٠٤ عقد الاتفاق الودي بين إنجلترا وفرنسا في معاهدة فرساي لتطلق كل منهما يدها فيما تحت يدها من أملاك الخلافة العثمانية في مصر وشمال إفريقيا . .

(١) تاريخ الأستاذ الامام > ٢ والرسالة ورد الإمام عليها منشوران تمامها « ص ٤٠٠ إلى ٤٦٨ »

(٢) من رسالة هانوتو ص ٤٠١ > ٢ ... وقد نشرت ١٩٠٠ حينما كان هانوتو وريرا الخارجية

ومنذ أن بدأت أوروبا تنشط في اقتسام إفريقيا وبعد أن استقرت إنجلترا في مصر ، وفرنسا في تونس بدأت المطامع الإيطالية في التهام طرابلس ولم يأت عام ١٩١٢ حتى هاجمتها بقواتها تريد انتزاعها من تركيا ولقد تغلب الترك والعرب عليها ولكنها مازالت بها حتى استولت عليها .

وفي الحجاز لعبت السياسة الإنجليزية دورها بالتمكين للشريف حسين — شريف مكة — ثم خدعوه بوعود براقة وأخيرا تخلوا عنه فغادر البلاد إلى قبرص ومات هناك بعيدا عن وطنه ولم يحقق شيئا من آماله المراض .

وفي الشام استولت إنجلترا على فلسطين وفرنسا على سوريا ولبنان^(١) .

« وهكذا احتل الغرب البلاد الإسلامية احتلالا تدريجيا وكانت الحروب المتوالية التي شهت على الدولة العثمانية التي يتولى عليها خليفة العثمانيين ، تعتبر لأسباب شتى حروبا دينية ..

وعلى هذا المنوال أخذوا يؤحرون حدود الإسلام ليسهل استعباد بلاد متجزئة غير مرموبة الحان ، والخلاف يعبت بسكانها بدسائس كثيرة ومصالح شخصية ، وبعد الحرب — المالية الأولى — أجهز الغرب على الشرق ...^(٢) »

* * *

ولم يهدأ بال إنجلترا إلا حين أعلنت الحرب العظمى إذ انتهزت هذه الفرصة ، واتخذت من انحياز تركيا إلى الألمان ذريعة لإعلان الحماية على مصر ؛ وزوال سيادة تركيا من عليها ، واعتبار أن كل الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديو على بلاد مصر قد سقطت عنهما

(١) وقد تم ذلك بعد أن وضعت الحرب الأولى أوزارها في سنة ١٩١٨ بمقتضى المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم التي تجيز فرض الانتداب على الأمم الصغرى (راجع الدولة العربية المتحدة للأستاذ أمين سعيد الجزء الاول طبعه الحلبي ص ٤٢٦ وما بعدها) .

وفي سنة ١٩٢٠ وقعت معاهدة (سيفر) وهي التي جعلت أمر الحماية والانتداب رسميا * إذ قضت بوصم مصر تحت الحماية البريطانية وانتداب إنجلترا في فلسطين والعراق ، وفرنسا في سوريا .. والاعتراف بالشريف حسين ملكا على الحجاز » (كتاب التاريخ للأستاذ كامل جرجس ص ٨٢ ج ٢ طعة ١٩٣٣) .
(٢) من كلام جورج يونغ — عن الإسلام والحضارة لكرد على صفحة ٥٢٢ .

وصارت إلى ملك بريطانيا .. وفي اليوم التالي لهذا الإعلان أعلنوا خلع الخديو عباس لمآلته تركيا ، وتمييز حسين كامل سلطانا على مصر دون حاجة إلى موافقة الخليفة كما كان الأمر من قبل إلغاء السيادة^(١) .

وما زالت الدسائس الأوروبية تعمل حتى ألغيت الخلافة أوائل سنة ١٩٢٤

٣ — مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية :

الجامعة الإسلامية والعروة الوثقى — المؤتمرات الإسلامية — تحريصات كرومر
ولم يكن الزعماء المصلحون من أمثال محمد عبده في مصر وعبد الرحمن السكاكبي في سوريا وغيرهما من زعماء الهند الإسلاميين بماغلين عما تدره أوربا لتقطيع أوصال الشرق الإسلامي .

ومن ثم فقد نشأت فكرة الوحدة الإسلامية لجمع تلك الأمم التي تدين بالإسلام تحت راية واحدة .

استمع إلى رأى الشيخ محمد عبده في هذه الوحدة :

(إن من أدرنه إلى يشاور دولا إسلامية متصلة الأراضى متحدة العقيدة بمجمهم القرآن لا ينقص عددهم عن حسين مليونا وهم يمتازون بين أجيال الناس بالسالة والشجاعة ، أليس لهم أن يتفقوا على الذب والإقدام كما اتفق عليه سائر الأمم ، ولو اتفقوا فليس ذلك بدع منهم فالاتفاق من أصول دينهم) ، (لا ألتبس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحدا فإن هذا ربما كان عسيرا ، ولسكني أرجو أن يكون سلطان حميمهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملسكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فإن حياته بحياته وبقائه ببقائه^(٢) ألا إن هذا بمد كونه أساسا لدينهم ، تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات^(٣)) .

(١) ملخصا من تاريخ مصطفى كامل ص ٣٤٨ وثورة ١٩١٩ ص ١٤ ج ١ للرامسى .

(٢) ولعمري هل يختلف هذا مع ما نقله أوروبا في هيئاتها السياسية كجلس الأمن وهيئة الأمم وميثاق الاعلاني .

(٣) من المقالة التاسعة من العروة الوثقى — عن تاريخ الامام ج ٢ ص ٢٧٦ — ٢٨٢ .

وهذا لا ينقص ورأيه السالف في « أن الخلافة ثلاثة المقائد » لأنه يؤمن بذلك حفظا للوحدة التي تربط بين جميع المسلمين . ولقد كان هو أول الساعين لإصلاح بلاده في حدود إمكانياته التي أتاحها له عميد الاستثمار لورد كرومر ^(١) .

ولقد كان الهدف الأول للعروة الوثقى هو الجامعة الإسلامية وتركزت أقوى مقالاتها حول هذه الغاية السامية ^(٢) .

والحديث حول الجامعة الإسلامية يطول إذا حاولنا التفصيل وقد تعرض كثير من الكتاب الأوروبيين في العصر الحديث أمثال لوثرز استودارد الأمريكي في كتابه حاضر العالم الإسلامي ^(٣) إلى هذا الموضوع وتنعموه وحلوه من جميع النواحي وكأنهم يبهون قومهم ويعينون رجالهم السياسيين في رسم الخطط الدقيقة للجيلولة دون قيام تلك الجامعة بمساها الذي يريده الإسلام الصحيح ورسمته سياسة العروة الوثقى .

* * *

ولقد كان من انوسائل التي لحأ إليها دعاة الجامعة الإسلامية عقد المؤتمرات عساهم أن يوفقوا إلى ما يريدون .

ومن الدين اهموا بمسألة عقد المؤتمرات السيد رشيد رضا ، وفي المجلد الأول من المنار ^(٤) دعا إلى تأليف جمعية إسلامية كبرى يكون مركزها مكة المكرمة حيث يجتمع المسلمون من جميع أصقاع الأرض في كل عام هناك ، وحيث تكون بعيدة عن وسائل الدس ومكايد الغربيين على أن تكون لها شعب في جميع الأقطار الإسلامية تقوم بالدراسة ... ، ولكن ، .. هيهات .

ومنهم السيد عبد الرحمن الكواكبي ^(٥) ولما رأى تعذر جمع معكبرى المسلمين من جميع

(١) راجع — في الأدب الحديث > ١ ص ٢٥٠ الطبعة الثانية .

(٢) راجع مقالات الحسنية والديانة الإسلامية بالعدد الثاني وماصى الأمة وحاصرها بالثالث والوحدة الإسلامية بالتاسع ثم الافتتاحية بالعدد الأول من العروة الوثقى

(٣) > ١ تقرير عجاج نويهض طبعه ١٩٢٥ .

(٤) ص ٧٦٤ الطبعة الثانية

(٥) سورى الأصل توفي سنة ١٩٠٢ .

الأمم والأساقع الإسلامية في مؤتمر عام ، راح يحممهم على مائدة الخيال في روايته العميقة (أم القرى)

ولقد أفرغ السكوا كبي في هذه الرواية خلاصة ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون بعد الدرس والتحريض وبعد أن أطلق مندوبى الأمم الإسلامية الذين حشدتم كل بما يتلاءم وحاجة قطره وما يتفق والوحدة الإسلامية العامة .

ولقد ذكر السيد رشيد رضا في حديثه^(١) عن هذا المؤتمر أنه سمع من السكوا كبي أن لهذا المؤتمر أصلا ولكمه راد عند التسجيل . أما الأستاذ أحمد أمين فيعلق على هذه العبارة بقوله إن ذكر الأصل الذى أشار إليه السكوا كبي إنما هو من قبيل تأييد^(٢) الخيال كما يفعل أكثر الروائيين .

ولامانع من أن يكون قد التقى في مكة بعض المعسكرين وتذاكروا حال الأمم الإسلامية فأوحى إليه ذلك الحديث تأليف هذه الرواية .

ومن الغريب أن أوروبا راحت تهم الدعاة إلى الجامعة أو الوحدة الإسلامية بالتمصب الديني والتآمر ضد المسيحيين وأحدوا يدعون أن هذا التمسب منشؤه الإسلام نفسه وأخذت صحافتهم في تحريض حكوماتهم ضد الإسلام والمسلمين وكتب مؤلفوهم الكتب المستفيضة حول ذلك^(٣) .

ولقد مرت الإشارة إلى دفاع العروة الوثقى عن تلك الغريات . ومن ذلك ما جاء في مقال لمصطفى كامل رد فيه على تمسب الأوروبيين في تفسير المقصود بالجامعة الإسلامية وبين أن المسلمين لا يرجون لإتقية شئونهم (فكل مسلم يرغب من صميم فؤاده أن يرى أبناء دينه معاملة أحسن من المعاملة الحالية ومعتبرين كجزء من الإنسانية ومحترمين في كل مكان ومن كل إنسان^(٤))

(١) المار المجلد الثانى والثلاثون ص ١١٤ .

(٢) رعماء الإصلاح ٢٦٧ .

(٣) كما ذكرنا من هجوم هانوتو على الإسلام ودعوته إلى تمزيق الأمم الإسلامية ص ١٨١ وكذا رأينا من طمس كرومر على طبيعة الإسلام ص (١٨٨) ومن إشادته بحزب الأمة لأنه لا يتعصب لفكرة الجامعة الإسلامية ص (١٨٦) وما قد نهت به الصحف الانجليزية أوروبا من خطر العروة الوثقى ص (١٧٣) الخ .

(٤) مصطفى كامل للراعى ٤٢٠

ومن دلائل فزع أوروبا من فكرة الجامعة الإسلامية ما جاء في أحد تقارير كرومر عند ذكر حزب الأمة^(١) من أن أعضائه لم يكونوا متمصبين لفكرة الجامعة الإسلامية وأنه يعلق بهم الآمال في التقريب بين مصر وإنجلترا لأنهم في نظره (فئة من المصريين قليلة لا يسمع عنهم إلا الشيء القليل ولكنهم ليسوا أقل وصفاً لوصف الوطنية من الحزب الوطنى الذى اختص بهذا الوصف . وهم يشدون رقى بلادهم ويعملون على تقدم إخوانهم فى الدين دون أن يصطبغوا بفكرة الجامعة الإسلامية .

ثم يقول . إننى أرى أن الأمل الوحيد للوطنية المصرية فى معناها العلمى الصحيح إنما هو معقود بأعضاء حزب الأمة^(٢) .

ولم يكتف كرومر بهذا بل راح ينصح لدول أوروبا أن تتجمع للقضاء على فكرة الجامعة الإسلامية لأنها فى نظره إنما تعنى اتحاد المسلمين فى العالم أجمع لمقاومة الدول المسيحية ومناجزتها العداء ، وأن الأمر يقتضى لذلك أن تدبرها جميع الأمم التى لها فى الشرق مصالح سياسية لما يخشى أن يكون من ورائها من نورات يكون منشؤها التمصب الدينى فى بعض الأقطار^(٣)

وهكذا نرى كيف كان الصراع عنيفاً بين تلك الفكرة السامية فكرة توحيد الأمم الإسلامية وبين أوروبا وكيف أن قوة أوروبا تغلبت فى النهاية ، وعسى أن يفنى المسلمون ويدركوا أن لاقوة لهم ولاعزة إلا إذا تمكنوا من قيام تلك الوحدة المقدسة قوية بميدة عن كل ضغط أو تأثير أجنبي . . .

* * *

٤ — الفارة على الاسلام

مطاعن المستمرين : هانو توو كرم — مفازم الصحفيين السوريين : فرح أنطون ومجلة الجامعة ومحاولات التفريق بين النصيرين — جمليات التبشير .
ومن الأمور التى ظهرت فى ظلال الاحتلال ونجاحها معها الدعاة الإسلاميون والكتاتب

(١) أنقى . برياسة حسين باشا عبد الرازق ثم خلفه فى سنة ١٩٠٧ محمود باشا سليمان ثم لطفى السيد

(٢) الاسلام والتجديد ص ٢١٤ .

(٣) من مقالات «اختراعات قصر الدوبارة» المؤيد ٢٤/٤/١٩٠٧ العدد ٥١٤٨ .

والشعراء — تلك الطاعن التي وجهت إلى طبيعة الإسلام^(١) .

ولقد كان رجال الاستعمار يحاولون دائماً أن ينتقصوا قدر الإسلام فالدعوة إلى الوحدة التي يدعو إليها . . . تمصب ذميم . . . والدعوة إلى الأخذ بتعاليم الكتاب والسنة . . . عود إلى قديم لا يتلاءم والحياة الحديثة . . . وهكذا .

وسنكتفي هنا بالإشارة إلى آراء رجلين أحدهما فرنسي هو هانوتو والآخر إنجليزي هو كرومر .

واقدم مر بنا أثناء الحديث عن الخلافة ما كان يراه هانوتو من ضرورة الاستيلاء على جميع الأقطار الإسلامية والعمل على عمو الإسلام منها ومحو صلتها بمكة ليسلس قيادها . . .

ولم يكتف في رسالته التي أشرنا إليها^(٢) بالنواحي السياسية بل راح يتمرض إلى الحديث عن طبيعة الإسلام ويوازن بينه وبين المسيحية ويتحدث عن القضاء والقدر ويرجع أصول الإسلام إلى مذاهب بائدة ويمزو أسباب تأخر الشريعة إلى الإسلام .

ولم يتورع عن ذكر آراء أحد فلا سفة اليونان المحدثين المتمصبين ضد الإسلام التي يشير فيها إلى نقل قبر النبي ﷺ إلى متحف اللوفر .

ولم يفتن عن هانوتو اعتذاره للاستاذ الإمام حين قابله في باريس^(٣) من أنه كان يبنى تبصير المسلمين بما يراد بهم لأنه لم يفند هذا الرأي في رسالته بل راح يبدى خشيته فقط من أن يهيب هؤلاء المجانين للدفاع عن أنفسهم والذود عن بيضة دينهم^(٤) :

ولقد أثارت تلك الطاعن الأستاذ الإمام فرد عليه ذلك الرد المفحم الخالد على الأيام بسجل إخلاص الإمام لدينه ويفصح عن غزير علمه وقوة عارضته .

(١) ولقد وجد الطاعنون على الإسلام مد طهوره لكنهم مع كثرة عددهم وتعدد جهودهم لم يبالوا منه مثلاً فكانوا جميعاً :

كإطاح صخرة بوما ليوهنها فلم يضرها وأومى فرقه الوعل
(٢) ص (١٨١) من هذا البحث .

(٣) تاريخ الامام ج ٢ ص ٤٤١ و ٤٤٠ .

(٤) تاريخ الامام ج ٢ ص ٤١٠ .

وقد في رأينا سياسة الإنجليز التعليمية كيف أنهم حاربوا القرآن الكريم^(١) وأخرجوه من مناهج الدراسة ، ومسحوا حصص الدين وجعلوها عن عمد عديمة الجدوى .
ورأينا كرومر يعقد الآمال بأعضاء حزب الأمة لأنه يعتبرهم غير مصطبغين بصبغة الجامعة الإسلامية .

وسكرة الوحدة الإسلامية بمسحها ويعتبرها دعوة إلى اتحاد الإسلام ضد المسيحية^(٢) .

ولم يكتب بكل ذلك وما هو أكثر منه بل راح يثبت في تقريره الأخير عدة مطاعن في طبيعة الإسلام لأن الإسلام في نظره — أو كما يريد هو أن يصوره للناس : « عبارة عن مبادئ وضعت منذ ألف سنة ، هديا لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة ، وهذه المبادئ منها ما يميز الرق ، ومنها ما تضمن أمرا أهم من هذا كله وهو إخراج القوايين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما أوقف تقدم البلدان الإسلامية التي دأب أهلها بالإسلام^(٣) » .

ورحم الله الأستاذ الإمام فقد كان بين طيات الثرى حينما صال كرومر في هذا التقرير وجال فلم يحط منه رد كالرد على هاتوتو . .

وجرى الله المؤيد حيرا فقد ابرت للرد على مزاعم كرومر في مقالات ممتعة جمعت في كتاب عرف باسم « مقالات فصر الدوارة بعد يوم الأربعاء^(٤) » .

* * *

وفي حوالى منتصف القرن التاسع عشر هاجر إلى مصر كثير من السوريين بسبب ما حدث بين الدور وغيرهم من أهل البلاد ولا سيما في مدايح ١٨٦٠ « في هذه السنة زاد اصطهاد

(١) من (١٧٥) من هذا الحث .

(٢) من (١٨٦) « » » .

(٣) العدد ٥١٤٨ في ١٩٠٧/٤/٢٤ من المؤيد .

(٤) جميعا عند الله حسين وصالح شكرى وهى عشرون مقالة عدا ثلاث فضاء وحطنى كرومر في

حملة وداعه بالفرنسية والانجليزية المطبعة (السلفية سنة ١٩١١) .

الأتراك المسيحيين سوريا ، وقامت مذابح في جبل لبنان ذهب صحتها عدد كبير من المسيحيين ، واضطر كثير من سكان القرى بمجل لبنان إلى الهجرة .

« ولقد كان من بين هؤلاء ، جماعة من الأدباء الذين فروا بحريتهم من الاضطهاد ، جاءوا وقلوبهم تنفس بالحق والإحسان على تركيا . وفي نفوسهم ميل إلى الحرية والتنفيس عن الآراء المسكوتة ، وقد شجعهم إسماعيل على الإقامة بمصر والإسهام في نهضتها^(١) .

ومما شجع هذه الهجرة أن أكثر هؤلاء السوريين كانوا من المتخرجين في المدارس الأجنبية التي أنشئت في سوريا قبل ذلك .

وقد كانت التركية لا تزال ذات سطوة في مصر حتى عصر إسماعيل ولكن هذا العاهل العظيم عمد إلى تمهيد الحكومة ولغتها حتى يسهل انفصاله عن الدولة العثمانية^(٢) .

ومن ثم فقد طاب المقام في مصر لهؤلاء المهاجرين السوريين لما وحدوه فيها من رخاء وسماحة وحرية وراحوا يشتغلون بالصحافة والأدب .

ومن بين أولئك الوافدين كانت أسرة أصحاب الأهرام التي أنشئت في سنة ١٨٧٥ ثم المقطم والمقطف . .

وكان أحد الذين اهتموا بالدراسات الشرقية ومقارنتها بالغربية هو فرح أنطون الذي أنشأ في سنة ١٨٩٩ مجلة « الجامعة العثمانية^(٣) » .

ولقد كان فرح أنطون من دعاة التحرر من القديم دون قيد؛ وله أن يجتار ما يحلوه ولكن دون أن يتعرض إلى مقدسات الإسلام .

فقد نشر أثناء رحلته بأمریکا قصيدة بعنوان « قصيدة الرحلة » ومطلعها^(٤) :

(١) في الأدب الحديث > ١ ص ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٨٨ .

(٣) وسميت « مجلة الجامعة » في سنة ١٩٠٢ ثم نقل إدارتها سنة ١٩٠٨ إلى نيويورك وصارت تصدر هناك إلى سنة ١٩٠٩ ثم أعادها إلى مصر .

(٤) العدد ٢٠٨ سنة ١٩٠٨ .

عُجْ بِالْجِبَالِ وَلَا تَعُجْ بِالْوَادِي إِنَّ شَتَّ رُؤْيَا هَذِهِ الْأَنْجَادِ
وبعد أن يوازن بين الحياة في أمريكا وفي الشرق وبذكر مباحج أمريكا وما فيها من حيلة
دفاقة .. يأخذ في النعي على الشرق لتسكته بالأديان القديمة ويتمرض لها في سخريه لازدعة
إذ يقول :

كَلْ أَنْكَرُ الشَّمْسِ الْجَلِيَّةِ فِي الضُّحَا وَأَقُولُ : حَيَّرَ الشَّرْعَ شَرْعُ الْفَادَى ^(١)
أَوْ شَرْعَ ذَلِكَ الرِّسْلِ الْغَازِي الَّذِي مَلَأَ الْوَرَى قِسْطًا وَحَسَنَ أَيَادِي ^(٢)
أَوْ شَرْعَ ذَلِكَ الصَّالِحِ الْمُقْطُوعِ فِي حَرْشِ يُسَائِلِ رَبِّهِ وَيُنَادِي ^(٣)
مَاتَ الْقَدِيمُ فَكَفَنُوهُ فَالَهُ مَا بَيْنَنَا مِنْ عَوْدَةٍ وَمَعَادِ
الْأَرْضُ نَحْتَاجُ الْمَرْيَمَةَ وَاللَّشَا طَ وَلَيْسَ وَهُمْ الدِّينَ وَالْإِرْشَادَ
أرأيت كيف وضع الإسلام وغيره من الأديان السماوية بجانب البوذية الوثنية ثم اعتبرها
جميعا وهما لا يجدي ؟

ولقد كانت سياسة مجلة الجامعة « أدبية علمية تهديبية سياسة » وكان منشؤها يتعرض
لأبحاث تاريخية وفلسفية ويقوم بدراسات للشخصيات البارزة من شرفية وعربية وفي كثير
من تلك الأبحاث كان يمس الإسلام من ناحية ما ولم يبال ما يكون في أبحاثه من
مطاعن ، ورحم الله الإمام فقد تصدى له وفند مزاعمه وسنكتفي هنا بالإشارة لبعض
تلك المزاعم :

١ — كان الفيلسوف ابن رشد من أوائل الذين تعرض فرج أبطون لدراساتهم —
وقد خصص المديين الحادي عشر والثاني عشر من يناير سنة ١٩٠٣ لترجمة ذلك الفيلسوف
الذي فتح بابا واسعا للأخذ والرد ، ولقد تعرض في تلك الدراسة لموقف المسيحية والإسلام
من العلم ، ومال إلى جانب القائلين بأن تعاليم الإسلام تعادي العلم والفلسفة وأن المسيحية كانت
أكثر تسامحا منه في ذلك . . .

(١) يشير إلى عيسى عليه السلام .

(٢) هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) يشير إلى بودا .

وما إن نشر هذا البحث حتى انبرى محمد عبده يفند تلك المزاعم ويبين طبيعة كل من المسيحية والإسلام ويبين أن الإسلام نصير العلم وأن ما يرى من ضعف المسلمين أخيراً ليس بحجة على الإسلام ، وكان ذلك الرد القيم هو كتاب « الإسلام والنصرانية » الذى يحدّر بكل مشغفل بالدراسات الإسلامية أن يقرأه ويتدبره .

ولقد كانت المنار والمؤيد تفسحان المجال لتفنيد تلك المزاعم مما أكسب الأدب ثروة كبرى .

٢ — ولقد ألف رواية أسماها « المدن الثلاثة » : العلم والمال والدين وقد أفرد لها الجزء الخامس من السنة الرابعة وأدار الحديث في هذه الرواية بين مندوبين عن تلك الطوائف الثلاثة وتخيّل رئيساً لهذا الحشد سماه رئيس الجمهورية . . .

وقد خصص القسم الثالث من هذه الرواية لرجال الدين ، وهو وإن لم يحدد الدين الذى يتحدث عنه فالإسلام ضمن تلك الأديان التى رماها جملة بالجلود وأسباب التأخر . ولم تسكن هذه الرواية بمجرد حديث عار وإنما هى بحث تحليلى تقدى للحياة الاجتماعية العامة ولم يتورع فى طعنه على الإمام وتمريضه به .

فمنذ ما أعطيت الكلمة لرجل الدين فى الجلسة الثانية راح يطعن على العلم والماء مما حمّله هدفاً لطعنات المال الذين آثموا به يأخذ الرشوة من رجال المال . ثم استمر رجل الدين يقول : إن أهل الضلال — يقصد أهل العلم — هم السبب فى كل هذه الفتن وهذه الاضطرابات والفتن .

وبعد أن يحتدم النزاع يتحدث شيخ رجال الدين ليهدى الثائرين ويبين لهم حقائق « الدين » ثم يقول :

« . . . فإني كنت مرة أسمع أحد المتحمسين فى الدين يدعو إلى دينه فكان يتسكلم كالرعد القاصف ويخبط الهواء بيديه خطباً متوالياً ويرفس الأرض بقدميه رفساً شديداً وينادى ملء فيه : إن البشر لا يستغنون عن الدين ، وإن دينه خير الأديان كما ورد فى كتابه

(٢) ثم أردى ذلك بأقوال عن العلة والمعلول والواجب والممكن « والماعل والمفعول » وغيرها^(١) . . . ثم يقول لبيبن حقيقته التدين في زعمه :

فلمئت في مكاني مهوتا وأما أقول : إن هذا الرجل يطلب أن يدلنا على طريق السماء ومع ذلك فإنه يغطي وجهه بالغمار الذي تثيره حدة أقواله . . . والتفت لأرى حالة سامعيه فأبصرت فتاة جاثية في راوية أمامي على نلاط الأرض ووجهها لاصق بالثرى وهي تصلى ولا تسمع من كلام ذلك المتحدث شيئا .

ثم أخذ يثني على الفتاة لأنها استسلمت إلى خالقها وتركت الدنيا إلى ما رواها . . . وهذا يتمشى وطبيعة المسيحية .

ولقد تصوّر في نهاية احتمات جمهوريته أن منشورا قد طبع ووزع وألصق على الجدران يحذر من الاقتداء برجال الدين جاء فيه :

هل تعرفون الدين خانوكم .

خاسكم أولئك الذين يسمون أنفسهم علماء معتدلين ، وما دروا أن الاعتدال لا يحصل حقا ضائما .

يقولون إنهم أهل العلم ، وإنهم خرجوا من أحشاد الشعب ولذلك يرومون خدمته .
إنهم اقتصدوا برؤساء الدين ومالوا لأصحاب الأموال ترويحاً لصالحهم وإشباعاً لبطونهم .

٣ — أورشليم الجديد أوفتح بيت المقدس : ولقد خصص لهذه الرواية الأعداد السادسة والسابع والثامن من السنة الخامسة وقد وصف فيها فتح العرب لميت المقدس العاصمة الكبرى للمسيحيين في ذلك الزمن الذي فتحت فيه .

وقد تناول حديثه سفر عمر إلى الشام وما تقدم ذلك من استشارات والذي يعيننا هذا ماغمر به رحلين كريمين هاعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب .

فقد كان رأى عثمان أن يبقى عمر . . . وكان رأى علي أن يسافر . . . فعلق الكاتب

(١) هذه الأوصاف تحملنا بحس أنه يقصد الشيخ محمد عبده .

على ذلك بقوله : « فيظهر أن المنافسة كانت موجودة بين علي وعثمان قبل وصول عثمان إلى الخلافة ، ولذلك كان علي أحياناً يتمرص لعثمان ! فاعتبر إبداء الرأي مبنياً على مصالحة شخصية وتسقيها للغير . »

هذه لمحات مما كانت عليه محلة الجامعة وسياسة صاحبها فرح أنطون حيال المفامز التي كانت توحه إلى الإسلام بدعوى التحديد وحرية الرأي سكتني بها حتى لا يطول بنا الحديث .

« ه ه »

ولم تكن تلك المحلة وحدها هي التي حملت لواء الهجوم بل أكثر الصحبيين السوريين كانوا يقومون بذلك بين حين وحين .

ولعل الذي شجعهم على ذلك وحرأهم على غمر الإسلام هو ما رأوه من اتجاه سياسة أوروبا المعادية للإسلام والمسلمين ، وما كان ينشره السياسيون الإنجليز والفرنسيون وغيرهم ثم صحف أوروبا ، ثم ما تقوم به الحكومات المسيطرة على أمم إسلامية من محاولات تهوين شأن الشرق بعامة والإسلام بخاصة .

ولقد حارى كتاب « المقتطف » تلك الفكرة التي بدرها الاستثمار وتمهدها هذا ألا وهي فكرة فصل الدين عن الدولة واعتبار أن الإسلام معوق لا يتماشى وحضارة العصر الحديث .

وقد نشرت المقتطف مقالاً حول ذلك الموضوع في عدد يونية سنة ١٨٩٩ في تقر يبط كتاب نشر بالإنجليزية بعنوان « تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدينة » ذكر فيه أن التوفيق بين الإسلام والمدينة في حكم المستحيل .

وقد تصدى الإمام للرد على ذلك بالعدد ١٤ في ١٧/٦/١٨٩٩ ، من المار وقد تلك المراجع .

وكذلك نشرت المقطع مقالتي توفيق « مسلم حر الأفكار » يطعن فيهما كاتهما على فكرة الجامعة الإسلامية وتمسك الناس بالخلافة .

ولقد رد المنار^(١) على هذين المقالين وبين رأى الإسلام في كل المسائل التي تعرضت لها المقطع في إسهاب^(٢).

* * *

ومن الهجوم الذى كان يوجهه المستعمرون إلى الإسلام ما كانوا يحاولون إلقاءه في روع المسيحيين والأقباط بمصر من أن المسلمين يحاولون الفتك بهم لأن الإسلام يدعو إلى التمسك^(٣) ومحاربة كل دين سواه، وهم يرمون من وراء ذلك إلى إحداث فتن بين المنصرين لينتأحر الفريقان ويدشغلوا بأنفسهم عن محاربة الاستعمار.

وقد استغل الإنجليز مقتتل بطرس غالى سنة ١٩١٠ وراحوا يؤلبون الأقباط ضد المسلمين.

و في ٦ مارس سنة ١٩١١ عقد مؤتمر الأقباط بأسبوط.

وبعد ذلك اجتمع المؤتمر المصرى بمصر الجديدة واستمر انتهاز العرص خمسة أيام^(٤). وقد جاء في مذكرات محمد فريد قوله: « في أثناء حصى شرع في المؤتمر المصرى الذى جمعه محمد سميد ناشا بناء على رغبة السير الدون حورست لمحاربة الأقباط وبالتالى للتفريق بين الأقباط والمسلمين^(٥) ».

ومن الغريب أن تلك الفتى لا تعرفها الأمة إلا في المناسبات التى يستغيد منها الإنجليز وعندما تتجه الأمة صمأ واحدا لمحاربة الاستعمار.

وعندما حدث تماطؤ في تنفيذ حكم الإعدام في إبراهيم الوردانى قاتل بطرس على بسبب بعض إحراءات أنداها المفتى على طريقة المحاكمة راح الإنجليز يستغلون ذلك ويعلمون على العالم أن التمسك الدينى في مصر قد أخذ أبعاد مدى وأن المفتى لا يحيز قتل

(٢، ١) العدد ٢٥ صفحه ٣٨٥

(٣) هكذا فعل الانجليز في كل مكان في مصر يحمون الاقلية المسيحية من المسلمين وفي الهدى يحمون الاقلية المسلمة من الهندوس.

(٤) دوان اسماعيل صرى ١٨٠ هامش

(٥) محمد فريد لارامى ج ١ ص ٩٢٥.

مسلم بمسيحي .. ولما طوّل معتمد الحكومة البريطاني بالدليل اضطر إلى إبراز الحقيقة^(١)
وفي سنة ١٩١٩ حاول الإنجليز إشعال النار بين المسلمين والأقباط ولكن الفريقين
كانوا متيقظين فلم يأبهوا لتلك الدسائس فمقدت المؤتمرات التي تمثل المسلمين والأقباط في
الأهر الشريف^(٢).

ولعل ما عرف عن قسوة الشيخ عبد العزيز شاويش في تعبيراته حول ذلك الصراع
لأنه كان يحشى أن يستضعف الإنجليز بعض الأقباط فيسكونون مصدر قلق دائم فأراد أن
يقنعهم عند حد لأنه تمرض لاطائفه ولم يمرض لدينها ولم يطمئن على المسيحية ذاتها .
وسرى في انفصل الثاني مدى استجابة الشعراء لتلك الحوادث .

• • •

ومن الغارات التي شنت على الإسلام في عصرنا حملات الجمعيات التبشيرية ولم يكن
عملها في مصر — أو الشرق — ارتحالاً وإنما كان عن خطط ترسم وتنظم هناك في أوروبا :
في فرنسا وفي ألمانيا وفي إنجلترا وأمريكا وغيرها ثم نمواً إلى الشرق ظاهرها الإنسانية
وباطنها التمهيد للاستعمار والوحشية .

وحتى لا يمتد بنا الحديث فمسكنتني بالإشارة إلى نشاط إحدى الجمعيات التي كان لها
نشاط خاص في هذا المضمار .

فقد كانت في فرنسا جمعية اسمها : الإرسالية العالمية المربية : مؤلفة من المستشرقين
الدين درسوا الكتب الإسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية وغيرها من لغات
المسلمين خدمة لجامعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية ، وفي سنة ١٩٠٧ أصدرت
هذه الجمعية مجلة كبرى مصورة تصدر باسم مجلة العالم الإسلامي ، ورئيس تحريرها هو السيور
ل . شاتليه — أستاذ المسائل الإسلامية الاجتماعية في إحدى جامعات فرنسا .

وكانت هذه المجلة أول أمرها تبذو في المطهر العلمي إلى أن تم لفرنسا احتلال المغرب

(١) تاريخ مصر قبل الاحتلال وسده ص ٥٣٣

(٢) من ذلك مؤتمر ١٦ أبريل سنة ١٩١٩ (ديوان محمد عبد الرزاق ص ٩ ضعة سنة ١٩٩٢

وحل ماحل بدمض الأفطار الإسلامية فظهرت في سنة ١٩١١ بظهورها الحقيقي الذي تكون فيه الدروس الدينية دربة لغايات سياسية .

وقد أصدرت هذه الحلة عدداً خاصا بمنبر كتابا فيه بحث مطول عن تاريخ التشير وأحوال المشيرين البروتستانت في الشرق ، وما بمنى لفرسا وأنجلترا عمله حيال مهمة التشير وبيان آثاره وكان هذا العدد بعنوان « افتتاح العالم الإسلامي » أو « الغارة على العالم الإسلامي ^(١) » .

ولقد قام السيد محب الدين الخطيب والسيد مسمود الياقي بترجمة هذا الكتاب ونشره في حريدة المؤيد سنة ١٣٣٠ ثم نشره محب الدين في الفتح سنة ١٣٤٩ ثم في كتاب خاص في سنة ١٣٥٠ بعنوان « الغارة على العالم الإسلامي ^(٢) » .

وقد تضمن هذا الكتاب موضوعات خطيرة للدراسة تتعلق بتاريخ إرساليات التشير في الشرق والمؤتمرات التي عقدت بالقاهرة في سنة ١٩٠٦ وفي دبرج سنة ١٩١٠ وفي لكو بالهند سنة ١٩١٣ ثم التنظيم المادي للجماعات التشير ومقاصدهم وآمالهم .
ويقول شاتليه في المقدمة :

« بمنى لفرسا أن يكون عملها في الشرق مبنياً قمل كل شئ على فواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته » .

وإعما أرحو أن يحرج هذا التعليم إلى حير الفعل لينث في دين الإسلام التعاليم المستعدة من المدرسة الحامعية الفرنسية ^(٣) » .

ثم يشير إلى الحطة المثلى للمشيرين حتى لا يصطدموا في مهمتهم بل بمنذوا إليها في رفق ولين فيقول :

« ولا شك أن إرساليات التشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تحزح العقيدة الاصلامية من نفوس متحليها ولا يتم لها ذلك إلا بث الأفكار التي تنسرب مع

(١) ملخص من المؤيد العدد الصادر في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠ .

(٢) المظعة السلفية (١٣٥٠) .

(٣) س ٩ من كتاب الغارة على العالم الإسلامي

اللغات الأوروبية فشرها اللغات الإنجليزية والهولندية والألمانية والفرنسية بتحكك الإسلام بصحف أوروبا ويتمهد السبيل لتقدم إسلامى مادى وتقضى إرساليات التبشير لئلا تأتيا من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كباها إلا بمزاتها وانفرادها (١) .

وفى الفصل الثانى يتحدث عن مؤتمر القاهرة الذى عقد فى سنة ١٩٠٦ بالمرل الذى كان يقطن به عرابى باشا، وصم اثنتين وستين من مندوبى الإرساليات التبشيرية برئاسة القس رومير رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين وقد تضمنت أبحاث هذا المؤتمر الموضوعات الآتية : (٢) .

ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالم - الإسلام فى إفريقيا وفى السلطنة العثمانية وفى الهند وفارس والملايو والصين - الشرات التى ينبغى إداعتها بين المسلمين المتورين والمسلمين العوام (٣) - التنصروالارتداد - وسائل إسماع المتنصرين المصطهدين - شئون نسائية إسلامية - موضوعات تتعلق بتربية المشرىين والعلاقات بينهم وبين غيرهم وكيفية التعليم فى الإسلام وهذه البحوث بعد دراستها جمعت فى كتاب كبير اسمه « وسائل التبشير بالمصرية بين المسلمين الخ »

وقد أصدرت « الجمعية الانجليزية » كتابا بمنوان « تنوير الأفهام فى مصادر الإسلام » تمزو فيه أصول الإسلام إلى ما تناقله العرب عن الأمم السالفة (٤) .

ثم ألف المسيو ليون روسن العرسى كتابا بمنوان « ثلاثون عاما فى الإسلام » .

قال فى مقدمته إنه تعلم العربية وفنونها وقرأ العلوم الإسلامية وأعلن إسلامه ظاهرياً ايجدع الأمراء ويتصل بهم ويعرف أسرارهم (٥) ..

(١) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٩ .

(٣) لعل من ذلك تلك الورقة التى كانت تدرس بى أيدى العوام تنويع الشيخ احمد حادم الهجرة النبوية وبها رؤيا مؤداها أن لا فائدة فى الإسلام ولا فى المسلمين ثم دعاء عبد الله بن استيطان الذى يقال فى ربح فيسب المعرفة مهما ارتسكت العصية .

(٤) المار محمد / ٧ - ١ سنة ١٩٠٤ ص ١٠٤

(٥) المرجع السابق ص ١١ - ١٩

وعبر هذا وذاك كثير وكثير جداً لا يتسع المقام لسرده والتعليق عليه هنا وإعنا هي فكرة نوضحها لنشاط تلك الحميات التنشيرية وما تدره من خطط أحذوا فيها بعد في تنفيذها دون أن يجدوا من يقوم بعمل مضاد يدهص مزاعمهم ويقف المسلمين أولاً على حقيقة الإسلام .. وإن كنا لا نسى فضل المنار ومواقفها المشهوده في تلك الحقبة من الزمان ..

٥ — الشيخ محمد عبده وصدى دعوته

سور — أثره في الأدب — مدرسته — الصحابة الدينية — الجمعية الشرعية ..

« أعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح ، لا نجد رحلاً رقيقاً في هداية القرآن ووسع صدره أدق معانيه ، الاجتماعية والعمرائيه مثل الإمام محمد عبده ، ولقد وهبه الله شروط الإمامة الدينية جميعاً كما منحه النصر في أمور الدنيا^(١) » .

و « الأستاذ الإمام في مقدمة الرجال المصريين الذين لا تزال إلى اليوم وسنقى إلى أمد بعيد متأثرين بمحاولاتهم الإصلاحية في الأدب والدين وفي السياسة والاجتماع سواء ذلك في القطر المصري وطنه العزيز وفي العالم الإسلامي الذي كان فيه حير مصلح ديني بل كان الشرق كله حيث كان يمد نصره وبصيرته في جواسه فيفزع أمام الغرب .. فإذا ذكرنا النهضة الأدبية التي أعقبت عصر احتصار اللغة العربية وآدابها ، فالأستاذ من أعلامها الخفاة وأعلامها الفاتحة ، وعقولها المفكرة وألسنتها الدارة

وأما التقويم الخلقى ، وإصلاح القوايين وبث الفكر السديدة وإذاعة الكتب النافعة ، ومغاربة البدع والصلالات والحدب على المصريين ، فلم يظفر التاريخ الإسلامي منذ قرون بمثل هذا الشيخ دائماً في ذلك عصره ، مضجياً براحتة وماله ، حتى كان رحل الأمة المرحو

(١) وري أن في هذا الحسب ماله من السيد رشيد رضا لأن هناك كثيرين قد برروا في فهم القرآن ومرايمه كل بالنسبة لعصره وكان يدعى ألا يفعل الأئمة الأربعة ولا مثل أن يوسف صاحب أن حسنة وكتابه « الحراج » الذي يعد في مقدمة كتب التشريع وكذلك يدعى ألا يفعل أمثال الامام العرالى (توفى سنة ٥٠٥ هـ) واس نيمية (توفى سنة ٧٢٨ هـ) والسيد حمان الدس الأعماني وغيرهم من العصور القديمة الحديثة .

لديها وديهاها ، والمحترم لدى حكامها ورعاياها . ولدى الشرقيين والغربيين ، فلما مات دون الستين ، كان موته موت الآمال ، ورزه الشرق والإسلام^(١) .

تلك صور عابرة موجرة عن الأستاذ الإمام ولا يتسع المقام هنا لذكر كل شيء عن حياته وآثاره فذلك ما تغنيق عنه ضخام المجلدات .

ولقد رأينا في الباب الأول^(٢) كيف كان إبان الثورة المرابية في دور العالم الصحفي^(٣)

أما في الباب الذي بدرسه فقد مر بدورين هامين من أدوار حياته :

١ - دور العالم الثائر^(٤) : وهنا كان دور النقي والتغريب إلا أنه لم تهدأ له حركة فقد كان هذا النقي خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين ، لأن أمثال هذا الرجل يصلحون في كل زمان وفي كل مكان فهو في سوريا كان العالم المباحث المؤلف .. وفي فرنسا كان السياسي الخطير الذي عرف كيف يستفيد من اجتماعه هناك بالشيخ جمال الدين وكيف يفيد العالم الإسلامي بإصدار العروة الوثقى التي فزعت منها أوروبا .

٢ - أما الدور الأخير^(٥) فقد طهر فيه بالرجل المصلح الاجتماعى الخطير ، وقد تمكن من تنفيذ مشروعات إصلاح الأهرر التي كانت قمل طهوره ضرباً من الحيال وامتد إصلاحه إلى القضاء وإلى الأوقاف وإلى التعليم ، بإدشاء مدارس الجمعية الخيرية وإلى إحياء السكتب العربية

ولقد وقف في هذه العترة أخطر المواقف للدفاع ضد المهاجمين للإسلام وقد أفسد صوم هابتو وغيره من الأوروبيين الذين اعتدوا على حرمة الإسلام ثم حطم مزاعم ورجح أبطالون وغيره من المتصمين للجديد على علاقته الطاعنين في طبيعة الإسلام

وربما كان من العسير أن يحدد أثر محمد عبده في أدبا الحديث ، ذلك لأنه أحدث نهضة

(١) الشيخ محمد عبده الأستاذ احمد الشايب .. المقدمة .

(٢) ص ٧٢ من هذا البحث

(٣) ١٨٧٧ - ١٨٨٢ .

(٤) ١٨٨٢ - ١٨٨٨

(٥) ١٨٨٨ - ١٩٠٥ (من مهج البحث في مقدمة الاسلام والتجديد) راجع صفحة ٦٤ من

شاملة في العقليّة المصريّة تأثرت بها السكتانيّة في مختلف مظاهرها كما تأثر بها الشعراء .
لقد كانت أساليب السكتانيّة قبل محمد عبده عالية على أساليب عصور الضعف التي انتابت
اللغة أيام المماليك والعثمانيين وكان فخر السكتاني من يحيل إليه أنه يحاكي القاضى الفاضل .
وكانت أساليب الشعر تقتفى آثار مدارس المديح^(١) التي شاعت في عصر المماليك
ولكن في ضعف وهزال .

فأحدثت طرائق محمد عبده في الأساليب العربيّة فتوحا جديدة كان من نتائجها انهزام
مدرسة المحسنات البديعيّة .

« وفي الحق أن النهضة الأدبيّة الحديثة لم تملع عايتها إلا بعد الحرب العظمى ومع هذا
وإن حركة الشيخ محمد عبده رادت من قوة العوامل التي كانت موحدة من قبل ، وكان لها
حظ قوى في بث روح النهضة وهي لم تعدا بالسكتاني والعلماء القادرين لحسب بل إنها
خلقت حوا صالحا يمكن أن يشأ فيه عهد من السكتانيّة جديد^(٢) » .

وإن المدرسة التي تأثرت بدعوة الشيخ محمد عبده كانت ذات أصداء مدوية في الحياة
المصريّة العامة .

فالأحزاب السياسيّة كان رجالها الأولون من تلاميذ الشيخ محمد عبده أو الذين تأثروا بدعوته
وبهت صيحاته المدوية عن الجامعة الإسلاميّة والحد من الغرب — الروح القوميّة فيهم .
وحزب النصارى^(٣) الذي ترعّمه رشيد رضا من بعده — وهو لم يكن على غلط الأحزاب
المعروفة وإعظام العثاق التي اعتنقت آراء الإمام كذهب ، أو تأثروا بآرائه على أفئدة متغاوّة
هذا الحزب كان منه الرجال العاملون الذين برروا في ميادين نهضة الحديثة وقاموا بقدر
ما مكنت لهم الظروف التي أحاطت بالبلاد

(١) ناستثناء ما أحدثه البارودي من تجديد في أساليب الشعر بإحيائه أساليب المحول من جاهليين
وإسلاميين ولا سيما العباسيين

(٢) الاسلام والتجديد ٢١٠ — وهذا الحو أفاد منه الشعر كما أفاد منه النثر .

(٣) التسمية بخارية بالنسبة لأعراف .

وقد كان منهم فريق العلماء الأهربيين من أمثال مصطفى عبد الرارق ومصطفى المرأغى وعمد العزيز شاويش ..

وفريق أصحاب المناصب والأدباء من أمثال إبراهيم المويلحى وحفنى ناصف وإسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم ..

ورجال السياسة من أمثال عماد الله نديم وحسن عبد الرارق^(١) لطفى السيد ومصطفى كامل^(٢) وسعد زعلول^(٣) .

ورجال الإصلاح الاجتماعى من أمثال فاسم أمين ..

وغير هؤلاء وأولئك كثيرون من أمثال الشيخ محمود خطاب السمكى ومن حدا حذوه من بعده ..

وربما كان فى اعتباره مصطفى كامل من حزب المنار تحوز لأنه لم يكن من المتفنين حول الإمام ولكن اتفقت آراؤه فى الإصلاح الإسلامى والدعوة إلى الوحدة وآراء الإمام وحرره من بعده .

وكذلك الشيخ شاويش فإنه لم يكن من المتمين إلى حزب المنار وإن كان قد سار فى نفس الاتجاه الذى يدعون إليه .

أما الشيخ محمود خطاب فإنه وإن انفق مع دعوة المنار فى الدفاع عن الدين إلا أنه كان عملياً فى دعوته وظهرت له آثار ملموسة فى خدمة السمة النبوية وأهمها كتاب الدين الحالى .

وينبغى ألا ننسى مدرسة الدعوة والإرشاد^(٤) التى بدل رشيد رضا جهوداً كبرى فى تأسيسها لتقوم على تنفيذ البرنامج الثقافى الإسلامى الذى وضعه محمد عبده فى المقترحات

(١) مؤسس حزب الأمة

(٢) « الحرب الوطنى .

(٣) الوفد المصرى

(٤) افتتحت فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٠ وأغلقت عند قيام الحرب العظمى (الإسلام والتحديد

التي ^(١) رفعها إلى شيخ الإسلام بتركيا حين أعلن السلطان رعبته في التجديد ...

* * *

وعد سبق أن رأينا في الباب الأول أن لا أثر للصحافة الدينية إلى عهد ثورة المرابين ، وأن الوقائع المصرية لم تكن لتنتشر الخطب والقصائد الدينية التي تحرض الشعب ضد الإنجليز لولا وجود الشيخ محمد عبده في إدارتها ^(٢) .

ولكن لم يأت عام ١٨٨٩ حتى بدأت الصحافة المصرية تنحو المنحى الديني ^(٣) ، وأول من دفع ذلك العلم الحفاح هو الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد التي صدر العدد الأول منها في أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ واستمرت إلى سنة ١٩١٣ .

ولم تكن سياسة المؤيد الدينية صريحة أول الأمر لأنه كتب عليها :

« سياسية يومية تجارية » وكان في المقدمة بنحو المنحى السياسي الوطني ... ولكن عندما بدأ الصراع بين الشيخ عبده وهاوتو فسحت المؤيد صدرها لنشر مقالات الإمام والتعليق عليها ثم عندما هاجم كرومر الإسلام في تقريره الأخير كانت المؤيد أحد لسان لدحض معتبراته هدا إلى أنه كان من الدعاة إلى الخلافة والاستمسك بأهدافها والمروحين لعكرة الجامعة الإسلامية والداعين إليها

وفي سنة ١٩٠٠ أنشأ مصطفى كامل « اللواء » وهي وإن كانت سياسية في مجموعها إلا أن « الإسلامية » والدعوة إلى الجامعة الإسلامية والدفاع عن الإسلام ودحض المفتريات الموجهة إليه كل ذلك وغيره كان من أهدافها .

ولا أدل على ما قد كان لهاتين الصخيفتين من آثار في العالم الإسلامي ما يلمسه في كتابة آدمس عهما حيث قال أثناء حديثه عن مدرسة محمد عبده :

« وكان في مصر صخيفتان كبيرتان إسلاميتان تقودان لواء ^(٤) المعارضة إحداهما

(١) (راجع ص ١٧٦) من هذا البحث

(٢) (راجع ص ٨٢ من هذا البحث

(٣) هذا تأسيس العروة الوثقى وهي وحدها « أمة » في الصحافة الدينية

(٤) يقصد المعارضة لمذبة أوربا

جريدة اللواء التي كان يصدرها مصطفى كامل ، والثانية جريدة المؤيد وكان صاحبها الشيخ على يوسف الذي كان يمثل الرأي الإسلامي المحافظ . ومن العجيب أن مصطفى كامل مع إعجابه بالمدنية الأوروبية إعجاباً تكرر ذكره في كتبه ورسائله ، لم يكن في دعوته الاحتمالية محافظاً بحسب ، بل كان واحداً من أولئك الرجعيين^(١) »

فانظر إلى أى حد يستنكر الغربيون الأنجاء الإسلامي في الزعماء الوطنيين ويرمونهم بالجمود والحفاظة والرجمية .

ثم يقول^(٢) : « ووجه الشيخ على يوسف سياسة المؤيد فجعله إلى الرأي السبي المحافظ فقط ، وكان في نظر حصومه على الأقل يهيج دهرين التعمص الديني غير أنه كان صدقاً صادقاً للشيخ محمد عبده وللسيد رشيد رضا . . وقد فتح صدر المؤيد لأشهر المقالات التي كتبها الشيخ محمد عبده في الرد على هانوتو » .

أما كبرى الصحف الدينية التي ظهرت في تلك الفترة فهي « المنار » بلا ممارع أنشأها السيد محمد رشيد^(٣) رصا الذي وصل إلى مصر من سوريا في رجب سنة ١٣١٥ وأشأ المنار في نفس السنة إذ أصدر العدد الأول منه في الثاني والعشرين من شوال المرافق ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨ .

استمع إلى مقدمة العدد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أئب » .

(١) الاسلام والتجديد ص ٢١٦

(٢) المرجع السابق ص ٢١٧ .

(٣) نشأ وتثقف في سوريا وقد تشبع بأراء محمد عبده من العروة الوثقى كما يقول هو وكان طموحاً إلى العروة الإسلامية فلما التقى بالإمام أصبح من خاصة حاصته ثم صار من أكر تلاميذه العاملين على حفظ ثرائه ونشر دعوته .

أما بعد : فهذا صوت صارح بلسان عربى مبين ونداء حق يقرع مع الناطقين بالصا
ثم يأخذ فى وصف ما عليه المسلمون ويملل أسباب تأخرهم . ثم يشرع بعد ذلك فى
مسامع جميع الشرقيين ، ينادى من مكان قريب ، بسمه الشرق والغرب ، وبطير به المخار
فيتناوله التركى والعارمى .

بيان المهاج الذى سيسير عليه والموضوعات التى سيعالجها .

« وكان الفرض الذى رمى إليه النار هو فى الجملة عين عملت له صحيفة العروة الوثقى
فقد كان من الأعراس التى تصممتها غايتها السكرى بشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية
والاقتصادية ، وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتناور مع الظروف
الحاضرة وأن الشريعة أداة عظيمة صالحة للحكم .

وكان من أعراسها أيضاً السعى فى القضاء على الحرافات والاعتقادات الدخيلة فى
الإسلام ومحاربة التعاليم الصالة والتفاسير الباطلة لعقائده ، ومحو الأفكار الشائنة عن القضاء
والقدر ، ومحاربة التعمص لمذهب من المذاهب وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد فى
الأولياء وما تأتبه طرق المتصوفة من بدع وصلالات ثم الحص على التآلف والتسامح بين
الفرق المختلفة وترمية التعليم العام ، وإصلاح كتب التدريس الخ .. »

« ونشر النار مقالات كثيرة للأستاذ الإمام ولكثير من تلاميذه الذين امتاروا
بالغربة والإعدام ، ولغيرهم من أنصار الإصلاح فى الممالك الإسلامية الأخرى^(١) » .
ولا يتسع المقام هنا لسرد مآهج النار وما أدته من رسالات قيمة فى خدمة الإسلام
والدفاع عنه وعن فكرة الجامعة الإسلامية ودحض المرائع التى وجهت إليها .

والذى سوه به هنا أن أعداد النار كانت تصل إلى أيدى الطبقات المثقفة فى مصر —
وعيرها — من الدين تشبعوا بفكرة الدعوة إلى الرجوع إلى الاسلام فى مصادره الأولى
فكان يكشف الغطاء ويبير السبل ويقشع السحب التى تراكت وبنقى الشوائب التى

امتزحت بالمعارف الإسلامية العاصية . . في أسلوب فصيح رصين واضح يفهمه الخواص ولا يستعصى على من دونهم .

ولا شك أنه كما كانت لكل ذلك أصداءه وآثاره في إصلاح العقيدة الإسلامية كانت له آثاره وأصداءه في الأدب شعره ونثره .

* * *

ولقد كان من آثار دعوة الشيخ محمد عبده والصحبات التي دوت من المنار أن تشجع عالم أهرى مصرى على تأسيس جمعية دينية في وقت كان الانحياز يرصدون فيه كل حركة فيها اتجاه ديني مهما كان يسيراً وتلك هي الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتب والسنة الحميدة ، التي أسسها الشيخ محمود خطاب السبكي^(١) رحمه الله تعالى لشكر الوعى الإسلامى الصحيح وبيان هدى النبوﷺ واقتفاء آثاره في معاملاته العامة والخاصة .

وقد حرصت هذه الجمعية على طمع المنتسبين إليها بطابع خاص هو الطابع الإسلامى الحالى^(٢) وقد صار لها أتماع من مختلف طبقات الأمة . وفروع في كثير من الأقاليم المصرية وسكتني بالإشارة إلى تلك الجمعية رحم الله مؤسسها .

٦ — في ثورة ١٩١٩

تغلب المظهر السياسى — استعمال الدين في تهدئة المواقف الثائرة ..

* * *

سبق أن رأينا في الثورة العربية مدى استعمال المظاهر الدينية وآثاره^(٣) ، ولكن في ثورة ١٩١٩ حيث كانت الملاد المصرية قد قصت زهاء أربعين عاماً تحت سيطرة الانحياز

(١) أُنشئت في عرة المحرم سنة ١٣٣١ — يناير سنة ١٩١٣ .

(٢) كان محور الاهتمام بمسائل العادات والمعاملات أما سياسة الاسلام وهل هو جمهورى أو ملكى ثم العسكرية في الاسلام ... فعمل الطاروف لم يمكن له ... وكان هذا النفس نادياً في كل ما يشهده رجل الأهر من الإسلام تقريباً

(٣) ص (٨١)

الدين ما فتئوا يحاربون الاتجاه الاسلامى فى كل مظهر من مظاهره^(١) وحيث قد نشأت طبقات مثقفة بأنوان غير تلك التى كان محور ثقافتها هو القرآن الكريم ، وحيث قد تأثر بعض من كان ناقيا من تلك الطبقات بما استجد من امتزاج العقلية الأوربية بالعقلية المصرية وتسرب إليه ضمن - ما تسرب - ريق التجديد والازورار عن القديم .. فى تلك الفترة (١٩١٩) لم تكن الروح الإسلامية كما كانت هناك فى مجموعها .

ثم إن الانجليز لجأوا إلى فتح ثغرة جديدة هى فكرة التعصب الإسلامى ضد المسيحيين لبشغل الفريقان عنهم^(٢) لولا بقطة الحكماء من الجانبين^(٣)

ومن ثم فإن « العامل الدينى » لم يظهر هنا كما ظهر هناك لأن عنصر السياسة - أى محاربة « الأمر الواقع » وهو وجود الاحتلال فعلا ومحاربة التخلص من الصنط المزاييد والاستخفاف المتوالى من الانجليز بكيان الأمة المصرية التى يحاولون محو شخصيتها باستمرار فرض الحماية عليها وكنم أنفاسها - كان مسيطرا على النفوس .

ولكن مع ذلك فقد كانت الحكومة تلجأ من حين إلى حين إلى استغلال العاطفة الدينية فى تهدئة الثائرين .

ومن ذلك أنه عندما اشتد هياج الأمة فى المقاومة والتحطيم فى طول البلاد وعرضها وهددت السلطة البريطانية بتشديد العقوبات فإن وزارة الداخلية استصدرت مذكورا أخذت عليه توقيعات شيخ الأزهر ومفتى الديار والبطريرك وشميع الطرق ونقيب الأشراف وحاء فى أوله : « لا يحفى على أحد أن الاعتداء سواء كان على الأنفس أو على الأموال محرم بالشرائع الالهية والقوانين الوضعية^(٤) » فإراهم ها استغلوا شخصية شيوخ الإسلام واسم « الشرائع الالهية »

ولما أقبل شهر رمضان والثورة ما رالت مستمرة ، والقيود مفروضة على التنقلات فى

(١) ص (١٧١) .

(٢) ص (١٩٤) .

(٣) « وقد راع الشعور الوطنى الشديد آربات العطر والاستقصاء روعا كبيرا وهالهم ثورة العصية الحسنية المصرية هولا عظيما تلك الثورة التى كان من شأنها أن وحدت جميع طبقات الأمة وألغت بين الاسلام والصراية » حاصر العالم الاسلامى > ٢ ص ١٦٣ .

(٤) حريدة الافكار ١٨ ما س سنه ١٩١٩ العدد ٢٧٩٢ .

الشوارع والطرق رأت السلطات المختصة أن تقترب إلى الجماهير برفع القيود أثناء هذا الشهر والسماح بالتجوال أثناء الليل ليخففوا من حدة التوتر فصدر منشور آخر جاء به :

« إن وزير الداخلية قد انتهى إلى الاتفاق مع السلطة العسكرية على إزالة بعض القيود لأجل زيادة التسهيل على المسلمين في التفرغ أثناء هذا الشهر المبارك إلى إحياء لياليه قراءة القرآن الكريم واستماع الذكر الحكيم وتأدية سائر العادات التي ألفوها في هذا الشهر المبارك . وأن الأوامر المؤكدة صدرت إلى رؤساء المناطق العسكرية المختلفة في القطر المصري بعدم التضييق على المسلمين في استماعهم لأنوار مساكنهم وعدم التعرض لهم في عيادهم ورواحهم . كل ذلك ليتمكن المسلمون كل التمكن من الاجتماع لتأدية الصلوات المفروضة والمسنونة وتلاوة القرآن الكريم واستماعه وقراءة ما حرت به المادة من الأدعية والأحزاب والأوراد في مساكنهم^(١)

ولم يعد في تلك الظروف مكان لاستصدار منشور من الخليفة يعلن فيه عصيان سعد وحجبه كما صدر ضد عرابي من قبل .

٧ — الثقافة العامة والمعتقدات الشائعة

رأينا في الباب الأول كيف أن الثقافة العامة كانت تستمد في مجموعها من مصادر دينية^(٢) وأن أكثر الشعراء كانوا من علماء الأزهر الشريف .

وقد استمر هذا اللون من الثقافة ، ولكن ليس بقدره الأول إذ شاعت بحاسه ألوان أخرى فإن التعليم المدني قد احتدب إليه عدداً أكثر من ذي قبل ، والاحتكاك بين العقلية المصرية والعرب قد ازداد بحكم وجود حاكم أجنبي مسيطر على البلاد ، وبما كانت تنقله الصحف من أبناء وبما كان يبشر من كتب أجنبية تحمل فلسفة ونظريات علمية ومذاهب سياسية جديدة على العقلية المصرية ، ثم تلك الحركة بين القديم والجديد^(٣) التي بدأها الصحفيون السوريون .

(١) ثورة ١٩١٩... ٢٠ ص ٣٣

(٢) صفحة ٥٥ من هذا البحث .

(٣) ستشهد هذه الحركة بعد سنة ١٩٢٠ ولا سيما بين الراعي وطه حسين

وقد كانت الثقافة الفرنسية ذات نصيب موفور في هذه الملامد منذ أن بدأ محمد على في الاستفادة من العلماء العربيين الذين أبررت الحملة العرسية مآثرهم ثم من أيام اسماعيل والعموٲ السكثيرة إلى فرنسا وما ترجم من كتب في محتلف العلوم والفنون

ولقد عمدت فرنسا لسطع بعودها الثقافى عصر إلى الإرساليات التشهيرية والتعليمية بعد أن فشلت في سسط بعودها السياسى — وراحت تؤسس المدارس والمعاهد المختلفة وكانت أول مدرسة فرنسية يعصر عى التى أسأها الآباء العرايون سنة ١٨٤٤ .

وبعد أن احتل الانجليز مصر راع كرومر ذلك البيان الصخم من الثقافة العرسية الذى شيدته همم الإرساليات وعمرتة الحكومة العرسية . هالته ككثرة المدارس العرسية بمصر وحماسه هؤلاء الدين تعلموا بها ورأى أن الفرنسيين قد بذلوا جهدهم مع هؤلاء الدين يتخرجون في مدارسهم ومن ثم أخذ في سسط الثقافة الإنجليزية وفرصها على المدارس المصرية تدرس بها كل المواد ما عدا مادة اللغة العربية والدين ، ثم راح يحارب اللغة الفرنسية وبعدها عن ميدان التعليم ، ولكن على الرغم من كل محارلات كرومر ودالموب وجهودها الحمارة فقد ظلت اللغة العرسية هى اللغة الأولى في السوق المصرية وفي منارل الطبقات الراقية من المصريين ولغة التخاطاب بين الأحاب المحتلى الجنسية المقيمين في مصر لأن فرنسا كانت فد عرفت آثار بشر الثقافة العرسية واستحابت لنصيحة نابليون التى يقول فيها « علموا اللغة الفرنسية ، وفي تلميها خدمة الوطن الحقيقية » وراحت تبدل عن سخاء وتنافس الثقافة الإنجليزية ما وسعها التنافس إلا أن نفود إنحلمترا السياسى فد حمل للثقافة الإنجليزية مكابا باررا في العقلية المصرية الحديثة ورحرح نفود الثقافة الفرنسية^(١) « هذه المافسة بين الثقافتين الإنجليزية والفرنسية قد أدت إلى نقل ككثير من آراء ومادى وفلسفات هاتين الأمتين ...

ولا شك أنه قد كانت هناك ثقافات أوربية أخرى غير هاتين كالألمانية والأمريكانية تتسلل على استحياء عن طريق مامشر إلى العقلية المصرية أو غير مامشر عن طريق هاتين الثقافتين ...

(١) ملخص من الفصل السادس من الجزء الأول والفصل الأول من الجزء الثانى من كتاب « في الأدب الحديث » .

والذى يميننا هو أن احتكاك العقلية المصرية — التى كانت فى مجموعها تعتمد على الثقافة الأثرية الشائنة فى هذه الفترة — بالعقلية الأوروبية الحديثة قد فتح أمام كثير من المصريين مجال البحث وحرية الفكر وما يتصل بدراسة الطرقات الفلسفية والمقائد الدينية وحرية الرأى والعقيدة كما فهمتها أوروبا الحديثة ، وقد كان لكل ذلك أصدائه وآثاره المعيدة المدى فى أدينا المصرى الحديث .

وكذلك أحدثت حركة محمد عمده فى مجموعها ثم محلة المنار وما كانت تنشره من آراء ونظريات إسلامية وإشارات إلى أمجاد الإسلام وكيف ينبغي أن نفهم ثم ما أحيطه من كتب قيمة قديمة كل ذلك أحدث وعيا إسلاميا فى الثقافة العامة .

ولقد كان من نتائج تبليل الأدمكار بين ما حله إليا الغرب وبين الأضواء البعيدة التى تسطع علينا من أمجاد الشرق أز و حد فريقان من المصريين بدعوا أحدهما إلى الأحد من حصاره الغرب والآخر يدعو إلى العودة إلى تراث الشرق

وكان هذا الفريق الثانى موضع السخط والمجوم والوصف بالتأخر والرحمية من العربيين ومن دعاه التجديد لأن أول ما فى تراث الشرق الذى ينبغى أن يحيا إنما هو « الإسلام » وهذا ما نخشاه أوروبا ونحس له ألف حساب وحساب ..
ثم شأ فويق وسط يدعو إلى الأحد من كل من القمبلين نصيب^(١) .

ولقد كانت لدروس الإمام ودعوته إلى التوحيد الخالص فى تفسير القرآن الكريم .. ثم لحملات المنار المتوالية على من يتخذون الشفعاء من دون الله ويتوسلون بالأولياء والصالحين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ... كل ذلك كانت له آثاره فى عدول كثير من المسلمين ولا سيما المثقفون فى مصر عن تلك الأمور ثم بدأت الأنظار تتجه إلى دعوة الإسلام لاحترام شخصية الإنسان وتحمله جزءا كبيرا من المسئولية فيما يصدر منه من أعمال ...

(١) ما حصا من حاجة « رعماء الإصلاح » لأحد أمين طبعه ١٩٤٨ ص ٣٣٨ وما بعدها .

وبدأت كذلك عقيدة الجبر التي كانت لها سيطرتها كما رأينا في الباب الأول^(١) -
بدأت تنقش قليلا عن العقول .

٨ - المعركة بين الحجاب والسفور

ولم يفعل الإمام محمد عبده شأن المرأة ونظرة الإسلام الصحيحة إليها وكان يرى أن العناية بشأنها والحرص على تعليمها من الأمور الجوهرية التي جاء بها الإسلام ، وقد دافع عن حقوقها^(٢) التي جهلها المسلمون وظن أكثرهم أن المرأة حزة نابغ للرجل مكمل له وللحياة الاجتماعية .

ولم يكن في حديث محمد عبده عن إصاف المرأة ما يثير ضجة أو يدعو إلى معارضة خاصة لأنه وقف عند حقوقها المقررة صراحة في الآيات واحاديث من وجوب العدل والمساواة والاعتراف بشخصيتها كما يسان له خطره في الحياة والعناية بتعليمها .

ولكن واحداً من أبصار الإمام ومريديه الذين تشرعوا بمبادئه وهو المرحوم قاسم بك أمين^(٣) قد عني بأمر المرأة عناية خاصة وأصدر كتابه « تحرير المرأة » في سنة ١٩٠٠ وقد أحدث هذا الكتاب هزة عنيفة في محيط الحياة المصرية وأثار حدلاً عنيفاً حول تحديد حقوق المرأة مارالت أصداؤه تردد إلى اليوم ... ثم أتبع هذا بكتاب آخر هو « المرأة الحديدة » دافع فيه عن الكتاب الأول ورد على ما وحه إليه من تحريج ونقد ..

ولقد كان قاسم أمين في أول عهده لا يهتم كثيراً بتعليم المرأة ولا بالإصلاح النسائي ، فلما أطلع على ما كتبه كاتب فرنسي من الملاحظات المهمة على حياة الأسرة المصرية ،

(١) ص ٥٨ من هذا البحث .

(٢) راجع مقالاته في النصارى الجزء الثاني عشر والوقائع المصرية ١٠٥٥ و ١٠٥٦ سنة ١٨٩٨ .

(٣) توفي ١٩٠٨ .

وبخاصة على الحجاب ، كتب بالفرنسية رد عليه ، ويدافع عن الحجاب باعتباره من حفظة الجماعة ، ونقد في شدة وعنف ما في الحياة الأوروبية من اختلاط وتفكك^(١) .

ومنذ ذلك الوقت أخذ يقرأ المصنفات الأوروبية التي تناولت الكلام على صلة المرأة بالجماعة ، وكان من نتائج ذلك أن أيقن بأن تقدم مصر الحقيقي في الناحيتين المادية والأدبية إنما يكون بالنهوض بالمرأة فكتب كتابه « تحرير المرأة » ووجه دعوته الإصلاحية إلى الطبقة المستنيرة في البلاد ، تلك الطبقة التي كان يعتقد أنها كانت تحس بالحاجة إلى الإصلاح^(٢) .

« ومن نافلة القول تكرار الكلام عن برنامج قاسم أمين في تحرير المرأة فقد تناول الكتاب هذا البرنامج بالشرح والتحليل منذ أعلنه صاحبه .

وكيفما كان الأمر « فإن دعوة قاسم أمين آتت كل ثمارها فصارت بعض عقائد الناس وآرائهم ، وإذا كان شيء مما دعا إليه ، كتنظيم تحديد الزوجات وكجعل الطلاق بإذن القاضي ما يزال موضع النظر ، فإن الرجاء منمقد بتمامه عما هرب^(٣) ..

والدى يعيننا هنا هو أن « قاسم أمين » كان في تعبيراته عن دعوته يعتمد أحيانا إلى التعميم مما جعل البعض يعتبرونه طاعنا في الإسلام ومبادئه . ومن أن فرح انطون قد استشهد^(٤) ببعض عبارات من كتاب « المرأة الجديدة » يؤيد بها آراءه في أن الإسلام يحارب المدينة — مثل : « لهذا لا نتردد في أن نصرح بأن القول بأننا أرق من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تشده الأمهات من الغناء لتبويم الأطفال »

ثم إن دعوته كانت جديدة على العقلية المصرية وهو لم يكن يقصد تلك الصيغة أن تصل المرأة إلى ما وصلت إليه الآن من هذا التمرح والخروج عن حدود اللياقة التي يأبها الذوق السليم .

(١) كان هذا الرد على « الدوق داركور » . صوان : الصربون . الاسلام والتجديد ص ٢٢٤

(٢) الاسلام والتجديد ص ٢٢٤ .

(٣) تراجم مصرية وعربية لحسين هيكل ص ٦٨ — كتاب رور اليوسف يناير سنة ١٩٥٤

(٤) مجلة الجامعة المجلد الحادى عشر يناير سنة ١٩٠٣ .

ولقد كان المسلمون أخيرا يغالون في حجب المرأة وسترها... ولو اقتصر الأمر على تعديل القيود لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه... ولكنها السياسة الاستعمارية العامة التي تهدف إلى سوق شعوب الشرق إلى الأخذ بالمظاهر دون اللباب .. قد استغلت الموقف

ولقد كانت مبادئ قاسم أمين إحدى العوامل التي أثارت الشعراء لينشثوا القصائد الطوال حول تلك المبادئ وهم بين مؤيد ومعارض ومعتدل كما سنرى في الفصل الثانى ، ولقد كان أولئك وهؤلاء يتناولون هذا الموضوع فى شعرهم مهتمين بإظهار حكم الدين فى ذلك

الفصل الثاني

الشعر الدينى والشعراء^(١)

سندرس فى هذا الفصل مدى تجاوب الشعراء بالعوامل الدينية التى مرت بها فى الفصل الأول^(٢) ونذكر نماذج مختلفة من أشعارهم ذات الطابع الدينى .

ولقد سبق أن رأينا فى الباب الأول^(٣) أن المظهر الدينى فى الشعر كان محدودا لأن العوامل الدينية كانت محدودة ، وأن الشعر الدينى هناك يكاد يكون امتدادا لما سلف من العصر العثمانى .

أما فى الفترة التى نحن بصدد دراستها فى هذا الفصل فقد تغيرت الظروف بسبب الاحتلال ، وتنوعت وسائل مهاجمة الإسلام ووسائل الدفاع عنه ... ولم يقف الشعراء مكتوفى الأيدي . بل إنهم أسهموا بنصيب موفور فى صمود الدافعين عن الإسلام وفى تصوير الحوادث واستثارة العواطف الدينية كلما دعا الداعى لذلك .

وفد بدأت حقائق الإسلام تنكشف للناس ، وأخذوا يفهمون من « الدين » معانى أوسع مما كان يعهم منه فى الفترة السابقة بعد أن تجاوبت أصداء دعوة محمد عمده وجمال الدين

ولقد صور الشعراء أمانى المسلمين وسجلوا كثيرا من محاسن الإسلام . وكذلك اتهمت الأفكار إلى أبطال الإسلام فى عهده الأول بعد أن فقد المسلمون نظراءهم وبعد أن صافت النعوس باستبداد الاستعمار ... فأسهم الشعراء فى تصوير تلك البطولة وإبرارها ...

وبمراجعة دواوين الشعراء والصحف والمذكرات التى أمكننا الحصول عليها وجدنا أن الاتجاهات الدينية فى شعر تلك الفترة تتمثل فى الأغراض الآتية :

(١) ١٨٨٢ - ١٩١٩

(٢) س ١٦٩ وما بعدها .

(٣) س ٨١ من هذا البحث .

- ١ - المدائح النبوية .
- ٢ - إحياء أجداد الإسلام :
 - ١ - من صور البطولة في الإسلام .
 - ب - العناية بذكرى الهجرة النبوية .
 - ح - رد هجمات خصوم الإسلام .
- ٣ - التأليف بين المنصرين :
 - ١ - قنن المستعمرين ..
 - ب - في ثورة ١٩١٩ ...
- ٤ - الخلافة العثمانية :
 - ١ - مدائح الخلفاء وتهيأهم ...
 - ب - صدى حوادث العالم الإسلامي ..
 - ح - مدائح الخديويين .
- المناسبات العامة :
 - ١ - تقدير العاملين على بصرة الإسلام ..
 - ب - بين السعور والحجاب ..
 - ح - مناسبات دينية مختلفة .
- ٦ - التصوف والزهد - مزايا الاسلام . . .

١ - المدائح النبوية

ظلت قصائد المدائح النبوية في أوائل هذه الفترة كما كانت في الفترة السالفة من حيث طريقة الصياغة والأفكار والموضوعات التي تناولها ، إلا أنها تخففت من أثمان الصناعة

اللفظية والمحسنات التي رأينا الكثير منها عند الدرويش^(١) والساعاتي^(٢) ولكن الشعراء بعد ذلك قد أخذوا — بوحى الظروف — في الاهتمام بإظهار صور الجهاد والكفاح في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعمدوا بقتصرون على تصوير الخوارق التي كانت تظهر أحياناً في العهد الأول للرسالة^(٣) المحمدية كما أخذوا يهتمون بإبرار محاسن الإسلام والدفاع عنه والدعوة إلى الأخذ بتشريعاته والاهتداء بهديه . . .

وسندكر هنا بمص الأمثلة :

١ — في ديوان السيد محمد النشار نضع قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ومنها قصيدة على الروى المقصور من ثمانية وعشرين بيتاً^(٤) يقول في مطلعها :

أَقْرِفِ الْمَطِيَّةَ إِن وصلتَ إِلَى مِئْنَى وَمِنْ الْمُحَصَّبِ فَأَنْتَشِقْ رِيحَ الْمُنَى
ثم يسير في الغزل ووصف الماسك إلى أن يختم القصيدة بقوله :

يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ وَمَنْ لَهُ وَبِمَرْمِهِ حَضَعَ الْهَيْزَبُ وَأَدْعَنَا
هَذَا عُيَيْنُكَ قَدْ تَوَسَّلَ حَاصِعاً لِيَمُودَ مَنْ رَوَّضَ الْقَوْلَ بِالْاجْتِنَا
يَرْجُو التَّحَاوُرَ عَنْ عَظِيمِ دُوبِهِ وَحَلَاءِ مَا حَارَ الْفَوَادُ مِنْ (الْمَنَا)
وَعَلَيْكَ أَلْفُ تَحِيَّةٍ مَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ وَمَا وَحَهُ لِرَّتْكَ قَدْ هَمْنَا
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا شَادِ شَدَا أَقْرِفِ الْمَطِيَّةَ إِن وصلتَ إِلَى مِئْنَى

وهكذا نراه يختم قصيدته بالتوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام وهذا أمر يكاد يكون عاماً في سائر المدائح البهوية سالفها ولاحقها .

(١) ص ٨٥ .

(٢) ص ٥٧ من هذا البحث .

(٣) ص ١٥٢ من هذا البحث .

(٤) ص ٦ من الجزء الأول — المطبعة القمائية سنة ١٣١٠ هـ وقد طبع الجزء الثالث في سنة ١٩٢١

وكان سكرتيراً لمخكمة الاسكندرية الأهلية وبهما أن القصيدة التي نحن بصددتها بالجزء الأول وهو مطبوع في سنة ١٣١٠ أى في أوائل الفترة التي ندرسها .

٢ - وفي ديوان السيد عبد اللطيف الصيرفي^(١) مدح - بيوت - نسجها على وزن وروى قصيدة الرعي التي حسمها رفاة الطمطاوي^(٢) والتي مطلعها :

خَلَّ الْفَرَامَ لَصَبٍ دَمْعُهُ دَمُهُ حَيْرَانُ تَوْحِيدُهُ الدَّ كَرَى فَتَقْدِمُهُ
يقول الصيرفي في مطلع قصيدته :

مداية الأمر في عشقي وكشائنه طماء طيبة حيث الحسن عابته
وبعد أربعين بيتاً في الغزل الرقيق ينتقل إلى المدح وذكر الأصحاب دون أن يعود إلى سرد القصة النبوية سرداً ناريجياً بل كان يصور الكفاح تصويراً عاماً كقوله :

وَرَزَلَكِ الصَّحْبُ أَرْضَ الْكَفْرِ فَانْفَجَرَتْ رُكْنُهَا وَعَدَا بِالْمَارِ صَهْرُهَا
وفي حتام القصيدة يرجع على ذكر الأشراف من سلالة النبي الطاهرة بقوله :

أَمَّا سَلَاتُهُ الْفَرَا وَبَصَعَتُهُ فَقِيلَ عَلَى مَنْ حَقَّاهُمْ بِذَسْ وَقَعَتُهُ
وهم محار الرضا في المازلات لِنَ قَدْ عَضَّه الدَّهْرُ أَوْ صَافَتْ حَظِيرَتُهُ
ثم ينتقل إلى التوسل وطلب الشفاعة :

وَبَانَتْ سَانِي لِنَ شَفَعْتُ لِي أَمَلُ وَادَّخَلْتُهُ حَظِيرَتِي وَخَشَعَتُهُ
وما احتراي - وفضل الله متسع إِلَّا مِنَ الرَّدِّ إِنْ لَمْ تُرْجَعْ عَطْفَتُهُ
لكن في الله ظنني عَقْدُهُ حَسَنُ وَعَدُّهُ الْمَرْءَ فِي الْأَعْمَالِ بَلَّتُهُ

وهي قصيدة رقيقة من واحد وثلاثين ومائة بيت .

وله خميس لردة البوصيري جاء في أوله^(٣) :

مَالِي أَرَاكَ أَحَا الْإِيْبَاسِ وَالسَّنَمِ أَصَحْتَ لِنَهْمٍ وَالْأَفْكَارِ فِي سَلَمِ
وَمَا لِمُسْكِبِ الْأَحْفَانِ كَالسَّلَمِ أَمِنْ تَدَكَّرِ جِرَانِ بِذِي سَلَمِ

(١) ولد بالاسكندرية وتعلم بها وتوفي في عدة مناصب إلى أن عين مستشاراً (وتوفي سنة ١٣٢٢)

الديوان طبعة ١٩٠٨

(٢) صفحة ٩١ من هذا المجلد .

(٣) ص ٦ من الديوان .

مزحتَ ومعاجرى من مُثْلَةٍ بِدَمٍ

أَمْ طَارَ نَوْمُكَ مِنْ رِقَاءٍ سَاجِمَةٍ غَنَّتْ قَهَامَتُ بِنَفْسِي مَكَ هَامَةً
وَكَيْسَتْ النَفْسُ مِنْ هَمِّ بَكَاظِمَةٍ أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ نَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
وَأَوْمَصَ الرِّقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

الخ . . .

ولكن لاحظ التكلف فى هذا التخميس . . .

* * *

٣ — وفى ديوان الشيخ محمد عبد المطلب مدحتان ببيتان إحداهما قالها فى سنة ١٨٩٩

وهى من اثنى عشر بيتاً ومطلعها^(١) :

إِلَيْكَ أَحْلَلُ الرُّسُلِينَ مَدَائِحُ تَوَافِيكَ مَا عَنَسَى عَلَى الْإِيكَ صَادِحُ

ويكاد فى هذه القصيدة أن يكون مستشفعاً أكثر منه مادحاً لأنه لم يتعرض لذكر شئ من صفات النبى صلى الله عليه وسلم أو حياته إلا ما يتعلق بالشعاعة إدا بدأ من البيت الثانى فى ذكر خطاياه وذنوبه تمهيداً لطلب الشعاعة :

إلى أن يقول ،

وَكُنْ يَا شَمِيمَ الْمَدِينِ شَمِيمَةً إِذَا شَهِدَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ
لَدَى حَيْثُ تُبْلَى كُلُّ نَفْسٍ عَا أَنْتَ وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا هُوَ حَارِحُ
لَدَى مَوْقِفٍ يُحْشَى النَّدِيونَ هَوْلُهُ وَيَرْهَهُ الرُّسُلُ الْكَرَامُ الْجَحَاجِحُ
وَيُورُنُ الْقَسَطِ لِلنَّاسِ كُلِّ مَا حَمَوُهُ فَمَرْحُوحٌ هَمَّاكَ وَرَاجِحُ
فَأَنْتَ لَنَا يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عُدَّةٌ إِذَا هَالَسَا يَوْمَ الْخُسْرِ فَادِحُ
وَصَافَتْ بِهَا الْأَرْضُ الْعَصَاءُ وَحَلَلَتْ رَفَرَاتُ لِلْجَحِيمِ لَوَافِحُ

ونرى أثر الاقتباس من القرآن الكريم ظاهراً في هذه الآيات مثل :

إِذَا شَهِدَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ ، إِذْ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^(١) .

ومثل :

لدى حيث تبلى كل نفس بما أتت ، فهو من قوله تعالى : « هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت .. »^(٢) الخ ...

وأما المدحة الأخرى وهى « ظل البردة » وهى من ثلاثة وعشرين ومائة بيت ومطلعها^(٣) :

أَعْرَى بِكَ الشَّوْقُ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

سَارِ طَوَى السَّبِيْدِ مِنْ تَجْدٍ إِلَى الْهَرَمِ

ولم يسرف في التغرل إذ ينتقل بعد حمسة أبيات إلى التأوه والتحسر والذكرى لما كان عليه المسلمون من قوة وما آل إليه أمرهم بسبب الاستعمار :

ثم ينتقل إلى وصف ما كانت عليه حال العرب قبل البعثة ثم فضل فريش ثم نسب النبي ﷺ ومولده وإرضاعه وصفاته ثم إلى ذكر إعلان الدعوة وتحمل أعباء الرسالة ولكن بلغة الشعر لا مجرد السرد التاريخي :

لَمَّا أَطْلَّ الْوَرَى إِنْ دَعَاوَتِهِ وَنَارَ بُورُ الْهَدَى يَسْطُو عَلَى الْفُجَمِ
أَوْفَى عَلَى فَلْيَبِهِ دَاعٍ أَهَابَ بِهِ

مِنْ جَانِبِ الْقُدْسِ : هَذَا بُورُنَا فَشِمِ

نُورُ مَضَاءٍ رَقَابِ صَاغَ حَوْهَرُهُ مِنْ النُّدى وَالْمَعَالِ بَارِئُ الدَّسَمِ
قَلْبَ حَرَى فِيهِ أَنَّ اللَّهَ كَحَلَّهُ عِبَاءَ الْبَرِيَّةِ مِنْ عُزْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

ثم يأخذ في وصف موقف فريش من تلك الدعوة رغم قوتها وسطوعها ثم ما كان من

(١) سورة البور ٣٠ .

(٢) سورة يونس ٣٠ .

(٣) الديوان صفحة ٢٥٧ .

حمله وصدره ، وينتقل من ذلك إلى ذكر الهجرة ولكن في أبيات قلائل :

لما تَمَدَّتْ قَرِيضٌ فِي عَدَاوَتِهِ وَيَتَوُتُوا قَتْلَهُ تَنْذِيرٌ مُنْتَرِمٌ
قَامَتْ يَدُ اللَّهِ تُخْزِيهِمْ وَتَنْصُرُهُ مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ يَنْصُرْهُ فَيَمْتَصِرُ
رَدُّ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ سَوْءٌ مَا مَكُرُوا فَلَمْ يَسْبُؤْهَُا بِغَيْرِ الْخَرَى وَالنَّدَمِ
بِاطِيبَ الْفَارِ آوَاهُ وَصَاحِبُهُ وَلِلْحَمَامِ بِمَا أَسَدَتْ مِنْ الْخِذَمِ
وَالْعَنْكَبُوتُ لَهَا فِي نَصْرِهِ عَمَلٌ عَنْ دَرْكِ آيَاتِهِ جَفْنُ الضَّلَالِ عَمِي
ولكن أين هذا من تصوير البارودي^(١) .

ثم أين قوله :

مَنْ يَحْمِيهِ اللَّهُ سَاوَى فِي حِمَايَتِهِ فِعْلُ الْجَادَاتِ فِعْلُ النَّاسِ وَالنَّهْمِ
من قول الموصيري :

وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْهُ مُضَاعَفَةُ مِنْ الْجُنُودِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطَمِ ؟
وزاء يذكر الأنصار بعد ذكر الهجرة محالفاً لفظية تسلسل الحوادث التاريخية إذ
تذكر البيعة قبل ذكر الهجرة ولعله راعى أن يكون ذكرهم بعد وصول النبي صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة وما كان من موقفهم في الاستعداد لغزوة بدر ... حيث ظهر أثرهم
وسموا أنصاراً بعد الهجرة .

ثم ينتقل في ختام القصيدة إلى ذكر غزوة بدر ويقول في آخرها :

يَا قَائِدَ الْجَيْشِ بِسْمِي تَحْتِ زَايَتِهِ مِنْ عَسْكَرِ اللَّهِ جُنْدٌ غَيْرُ مُنْهَزِمٍ
إِنْ كَانَ حَرِيلٌ مِنْ أَرْكَانِ حَرْبِكَ فِي نَدِيرٍ وَحَمَزَةٍ وَالْكَرَارُ فِي الْحَشَمِ^(٢)
فِي آلِكَ الْغُرِّ مُدُّ كَابُوا وَهُمْ بَشَرٌ مَا فِي الْمَلَائِكِ مِنْ أَيْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَيَاسِيَاءُ سَقَى الدَّيْنِيَاءُ بِمِلَّتِهِ رَوَّقَ الْحَضَارَةَ مِنْ سُلْسَالِهَا الشَّبَمِ

(١) ص ١٠٤ من هذا البحث .

(٢) الكرار — على بن أبي طالب . والأيد : القوة . وروق الحصار : أنهرها .

وبلاحظ أنه قد استوفى القسم الأول من السيرة النبوية إلى هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وإن كان لم يذكر مسألة الإسراء والمعراج ولا بيعة العقبة ولم يمرج على الحوارك والكرامات إلا في قوله (١) :

مَجْنَدُ سَاءِ الدِّيِّ فَاصِ الْوَحُودُ بِهِ نَوْرًا لَهُ قَامَتِ الدُّنْيَا مِنْ الْعَدَمِ
فَهُوَ يَحَارِي فِي هَذَا الْمَعْنَى نَبِيتُ الْمُوصِرِيِّ :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةً مَنْ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
ومن لف لعه من الشعراء الذين سجدوا على مواله .

أما القسم الثاني من حياة الرسول الكريم بعد الهجرة وما كان من كفاح وعزوات
ووفود .. فإنه لم يذكر منه إلا عروه بدر فقط .

ولا يبعد أن يكون قد استوفى بقية الموضوعات التي تكمل هذه القصيدة التي هي من
أفصح ميادين عبد المطلب ، ثم إنما يستعمل أن يحتم مثل هذه القصيدة دون أن يذكر
آل البيت والتوسل وطلب الشفاعة

ولعل ذلك قد صاع ولم يعثر عليه حامعو الديوان دليل أنهم أثبتوا بعض قصائد في آخر
الديوان عثروا عليها بعد جمعه وترتيبه ومنها مدحة سوية كبرى من أربعة وعشرين بيتاً
ومطلعها (ص ٣٠٩)

أَرَى الْعِيسَ حَسْرَى مَا بِهِنَ دِمَاؤُهُ فَمِنْهُمْ سَلَامًا لِبَنِيهِ ظَمَاءُ (٢)
وبعد مقدمة في ستة وستين وعشرين بيتاً يتحدث فيها عن وصف مبارل الوحي
وأفضالها وما تقدم مولد الرسول عليه الصلاة والسلام من كرامات ينتقل إلى المولد
الشريف :

عِظَاتُ رَاعِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَقَعْمُهَا فَطَاشَتْ بِهَا الْأَمْلَاقُ وَالْمِطْمَاءُ
وَنُورُ وَأَمْلَاقِ بَيْتِ اسْ هَاشِمٍ لَهُمْ حِلْمَاتٌ حَوْلُهُ وَزَهَاءُ
يُحْيُونَ بِالْهَلِيلِ رَهَاءَ رَهْرَةٍ عَشِيَّةً قَالُوا : إِيَّاهَا نَفْسَاهُ

(١) راجع ص ١٣٦ من هذا البحث .

(٢) دماء : بقية قليلة وسلم : موضع الخغار .

بمن أنجبت تلك البتول ، بمن أتت قريشاً ، وكل سادة محمداً ؟
 أنت قومها المجتبي رَحمة الوَرَى إذا استنَّاسَ الكافون والرَّحماءُ
 وبعد أن يستمر في وصف تربية النبی علیه الصلاة والسلام وحياته الأولى ينتقل إلى
 ذكر الفرواوت فيبديها بدر ثم يذكر أحدا والأحزاب وفتح مكة ويقف عند هذا الحد
 فلم يكمل ذكر الحروب والفرواوت أو يذكر شيئاً عن حياة الرسول التشريعية في المدينة
 أو الوفود أو غيرها .

ويحتم القصيدة بقوله - واصفاً موقف النبی علیه الصلاة والسلام من قريش عند الفتح -
 سقامهم كُثُوساً لَمْ يُرَنَّ شَرَّابَهَا عَلَيْهِم عَمَادٌ أَسْلَفُوا وَعَدَاءُ
 وَأَرْطَمَ مِنْ حِلْمِهِ طَلٌّ بَادِخٍ لَهُمْ فِي دَرَاهُ مَمَزَلٌ وَمِئَاهُ
 فَرَأَوْا إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ وَرَمَلُوا كَهَا وَدَادَ لَهُ فِي دِيهِ وَوَلَاهُ . . .
 وَنَ يَنْتَقِي بِالْحَسَنِي حَمَالَةَ قَوْمِهِ وَهُمْ يَمُدُّ أَعْوَانُ لَهُ حُلَّاءُ
 كَذَلِكَ أَحْلَامُ الْمَسِينِ إِنْ عَفَوْا وَصَفَحَ جَمِيلٌ حَامِعٌ وَوَفَاءُ
 ٤ - أما المرحوم أحمد شوقي فله أربع مدائح بوية كبرى غير مقطوعة من ثلاثة وخمسين
 ومائة بيت في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ضمن أرجوزة العرب الكبرى .

وتلك المدائح هي :

١ - نهج البردة وقد قالها تذكراً للحج الخديو عباس عام ١٣٢٧ وشرت بالمويد في
 العدد ٩٥٧٢ في ١٤ محرم سنة ١٩٢٨ و ٢٦ من يناير سنة ١٩١٠ وهي بالديوان .
 (ص ٢٣١ - ١)

٢ - « ذكرى المولد » في عام ١٣٢٩ وهي منشورة بمجريدة عكاظ^(١) بالعدد ٤٤ في
 السنة الرابعة في مارس سنة ١٩١٧ كما أنها منشورة أيضاً مع نهج البردة في كتيب مستقل
 باسم « كرامة ابن هاني » . وهي ليست في الديوان .

(١) صدر العدد الأول منها في ٩ شعبان سنة ١٣٣١ الموافق ١٣ يولييه سنة ١٩١٣ لصاحبها
 الشيخ مهيم فنديل وكانت تهتم بنشر الادب الأدنى العامة وشعر شوقي خاصة .

- ٣ - « سلوا قلبي » قالها بمناسبة ذكرى المولد النبوي ونشرت بجريدة عكاظ بالمدد ٢١ في ١٦ فبراير سنة ١٩١٤ - وهي بالديوان .
- ٤ - « الهمزية » وقد نشرت بالمدد ٤٥ من حريدة عكاظ أيضا من السنة الرابعة في مارس سنة ١٩١٧ - وهي أيضا بالديوان

١ - نهج البردة

وأول ما يلاحظه على هذه القصيدة أنها لم تتضمن مدحا للخديو عباس على الرغم من أن « شوقي » نظمها بمناسبة حج الخديو وقد ذكر ذلك صراحة في السكتاب الذي رومها إليه ، إذ يقول في مقدمته :

« الملك العظيم مولانا الحاج عباس حلمي الثاني . .
مولاي :

رأى الله لهذا العبد الخاضع : شاعر بيتك الكريم - أن يمشي بنور العلم الفرد المغفور له : البوصيري صاحب القصيدة الشهيرة بالبردة في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام فنظمت هذه الكلمة ، التي أسأل الله وأرجو من رسوله قبولها ، وجعلتها يا مولاي لحجتك تذكراها (١٣٢٧) كما تناقل الناس أخبارها »^(١)

وهذا بخلاف ما جرت عليه عادة أكثر الشعراء قليل شوقي من أمثال أبي النصر إذ كانوا ينتهرون الماسبة الدينية ليتجدوا منها محالا للفق ومذح الحاكين .

وهذه القصيدة من تسمين ومائة بيت وقد سار فيها تقريبا على طريقة البوصيري في الأعراس والموصوعات إذ بدأها بالفضل يقول في مطلعها :

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ نَبِيَّ الْإِنْسَانِ وَالْمَلِكِ
أَحَلَّ سَفْكَ دَرِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

وفهم هذا الطبع يحتاج إلى ثقافة فقهية خاصة ومن ثم فكثير من الدين يسمونه في الإذاعة لا يدركون له معنى .

(١) الدس والأحلال الأستاذ على الحدي صفحة (٢٧) طعة ١٩٤٨ .

وبعد أربعة وعشرين بيتاً ينتقل إلى ذكر النفس وخصائصها وما يمتريها من خلجات
وأثر الأخلاق الفاضلة وهو هنا يجذو جذو البوصيرى إلا أنه أنحى باللائمة على الدنيا وحذر
النفس منها إذ يقول :

يَا نَفْسُ : دُيْبَاكَ تُخْرِى كُلَّ مُبْكِبَةٍ
وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا مُحْسِنٌ مُتَّسِمٌ
فَقُتِيَ بِتَقْوَاكَ فَهَا كُلُّهَا ضَحِكْتُ
كَمَا يُفْضُ أَدَى الرُّقْشَاءِ بِالْثَرَمِ (١)

في حين أن البوصيرى يتحدث عن النفس ذاتها إذ يقول :
إِنْ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ مِنْ حَمَلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِ عَيْرٍ مُحْتَشِمِ
ثم يقول :

وَالنَّمْسُ كَالطَّنْفَلِ أَنْ تُهْمَلَهُ شَيْءٌ عَلَى
مُحِبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِنَهُ يَنْفَطِمَ
فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَادِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ
إِنْ الْهَوَاوَى مَا تُؤَلَّى يُضِيمُ أَوْ يَعْصِمُ (٢)

الح ... وبعد عشرين بيتاً ينتقل إلى مدح الرسول عليه السلام ويقدم له بطلب الشفاعة :
إلى أن يقول :

عَلِقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أَعْرِ بِهِ
فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ إِلَّا نَسَابُ وَاللَّحْمِ

(١) الرقشاء : الحية المفظة والثرم كسر الس من أصلها

(٢) يعم : فعله أصمى بمعنى قتل ويضم فعله وضم بمعنى أحدث علامة مميزة وماها شرطيه .

يَرْزِي قَرِيبِي رَهِيْرًا حِينَ أَمْدَحُهُ وَلَا يِقَاسُ إِلَى جُودِ لَدَى هَرَمِ
مُحَمَّدُ صَفْوَهُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ وَنُفْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ أَسْمِ
وَصَاحِبُ الْخَوْضِ يَوْمَ الرِّسْلِ سَائِلُهُ مَتَى السُّورُودُ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينِ طَعَى

ثم ينتقل بعد ذلك إلى السيرة النبوية والمعجزات والوحي

ولم أرى شعر من فرأت - من الدين تعرضوا لتصوير أول الوحي - من لحق
« شوقي » في أبياته هذه (١) :

وَبُودَى : أَقْرَأ . تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا لَمْ تَقْصُلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَ لَهُ بِعَمِ
هَنَّاكُ أَذُنَ الرَّحْمَنِ فَامْتَلَأَتْ أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّتِهِ النَّعَمِ
فَلَا تَسْلُ عَنْ فُرَيْشٍ كَيْفَ حَبِيزُهَا وَكَيْفَ تُفَرِّتُهَا فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ
تَسَاءَلُوا عَنْ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَ بِهِمْ رَمَى « الْمَشَايِخَ » وَالْوِلْدَانَ بِاللَّعَمِ
وهكذا لو سرنا إلى آخر القصيدة في تتبع الموضوعات التي طرقتها بمجده ينتقل من وصف
القرآن الكريم إلى ذكر الإبراء والمجزة ثم يعود إلى المدح والكفاح والجهاد ثم يوارن
بين الإسلام والمسيحية . ومن أهم ما نمجده في هذه القصيدة دفاعه عن الشريعة الإسلامية (٢)
مثل قوله :

شَرِيعَةُ لَكَ فَحَرَرْتَ الْعُقُولَ بِهَا عَنْ رَاحِرِ مَصْنُوفِ الْعِلْمِ مُنْتَظَمِ
يُلَوِّحُ حَوْلَ سَا التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهَا كَالْحِلْيِ لِلْسَّيْفِ أَوْ كَالْوَشْيِ لِلْعَلَمِ
ثم يأخذ بعد ذلك في الموازنة بين عدل العرب وما آل إليهم من الحياء والملك وبين
ما كان لكسرى ورمسيس وغيرها ولا يفوته أن يذكر أشهر الخلفاء الإسلاميين بعد الخلفاء
الأربعة كعمر بن عبد العزيز .

ويختم القصيدة بالصلاة على النبي ﷺ والرحاء أن يحفظ أمته ويأخذها إلى النهوض :

(١) إنها تبدو كالرقعة الأروحية التي يصف بها الإنجيل أروع العارات في القطعة الأدبية
(٢) ولقد تنهت في هذه القصيدة إلى ناحية هامة وهي الدفاع عن القتال في الإسلام راجع القصيدة بالديو
وكذلك الفصل الثالث من هذا الباب .

يَا رَبِّ هَبْ شُعُوبٌ مِّنْ مَّيْمَنَتِهَا
سَمْدٌ وَنَحْسٌ وَمُلْكٌ أَنْتَ مَالِكُهُ
رَأَى قَضَاؤُكَ فِينَا رَأَى حِكْمَتَهُ
فَالطَّفَ لِأَجْلِ رَسُولِ الْمَالِئِ بَنَى
يَا رَبُّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
وَأَسْتَيْقَظْتُ أَمَمٌ مِّنْ رَّقْدَةِ الْعَدَمِ
تُدِيلُ مِّنْ نِّعَمٍ فِيهِ وَمِنْ يَقَمِ
أَكْرَمُ بَوَاجِهِكَ مِّنْ قَاضٍ وَمُنْتَقِمِ
وَلَا تَرُدُّ قَوْمَهُ حَسَنًا وَلَا تَسْمِ
فَتَمَّتْ الْفَصْلَ وَأَمْنَحْ حُسْنًا مُّخْتَمَرِ

وهناك ناحية هامة تنبه إليها شوقي في هذه القصيدة ولم أرها عند غيره من الشعراء وهي مسألة القتال في الإسلام وقد دافع شوقي عند ذلك ودحض زعم الزاعمين بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف وقوة المرأة لا على الحججة والبرهان وقبول العقل وأبان أن القتال لم يكن إلا لرد عدوان المعتدين وتنحية رءوس الشر واستدلال بما لقيته المسيحية من اضطهاد أعدائها وذلك حيث قال (١):

قَالُوا: عَزَّوْتَ • دُرُّسُلُ اللَّهِ مَا تُعْشُوا
جَهْلٌ وَتَصْلِيلُ أَحْلَامٍ وَسُفْسُطَةٌ
لَّمَّا أَتَى لَكَ عَفْوًا كُلُّ دَى حَسْبِ
وَالشَّرُّ إِنْ تَلَقَّه نَالُخِيرٌ صَفَتْ بِهِ
سَلَمُ الْمَسِيحِيَّةِ الْفَاءُ كَمْ شَرْتُ
طَرِيدَةُ الشَّرِّكَ يُودِيهَا وَبُوسَمَهَا
لَوْلَا حِمَاةُ لَهَا هَشُوا لِمُنْصَرِّهَا

لِقَتْلِ نَفْسٍ وَلَا جَاءُوا لِسَفْكَ دَمِ
فَتَحَّتْ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ
تَكْمَلُ السَّيْفُ بِالْجُهْدِ وَالْعَمَمِ (٢)
ذَرَعًا • وَإِنْ تَلَقَّه بِالْشَّرِّ بِنَحْمِ
بِالضَّارِ مِّنْ شَهَوَاتِ الظَّالِمِ الْعَلَمِ (٣)
فِي كُلِّ حِينٍ قِتَالًا سَاطِعَ الْحَدَمِ (٤)
بِالسَّيْفِ مَا انْتَفَعَتْ بِالرُّقَى وَالرَّحِمِ (٥)

* * *

(١) > ١ صفحة ٢٤٢

(٢) العمم : اسم جم للعامة

(٣) العلم : الهاشع التأثير .

(٤) الحدم (بالنجريك) شدة احتراق النار

(٥) الرحم : الرقة والمهرة والتعفف ويشير في هذا البيت إلى ما لقيته المسيحية من اضطهاد في روما

ولا سيما في عهد يريون قل أن تصبح لها أنصار يدافعون عنها بالقوة .

٤ - ذكرى المولد : (قالها في عام ١٣٢٩ هـ) .

وهي قصيدة من تسمة وتسمين بيتا ، وليست بالدوان ومطلعها (١) :

ه هَجْرُهُ يُتَيَّمُهُ كَلَا جَفَيْنِكَ بَعْلُهُ
ه هَا كَادَا لِهَجَّتِهِ وَمِنْكَ الْكَيْدُ مُعْظَمُهُ

وبعد أبيات في الغزل ينقل إلى مدح الرسول ﷺ :

نَبِيُّ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى مَنَارُ الْحَقِّ مَطْلَعُهُ (٢)
مَعَانِي اللُّوحِ أَشْرَفُهَا رِسَالَتُهُ وَمَقْدُمُهُ
لَهُ فِي الرُّسُلِ أَكْرَمُهُمْ عَرِيقُ الْأَصْلِ أَكْرَمُهُ

* * *

وبعد أبيات في وصف النبي ﷺ ينتقل إلى الشريعة الإسلامية :

بِطَامُ الدِّينِ وَالْأَدْبَا أُنْبَحَ لَهُ يُتَمَّمُهُ
تَطَلَّمَ فِي بَنَائِهِمَا عَلَى التَّوْحِيدِ يَدْعُهُ
بِشَرْعِ هَامَ فِيهِ النَّاسُ سُ هَاشِمُهُ وَأَعْجَمُهُ
كُصُومِ الصَّحْحِ بَيْنَهُ وَكَالْبُسَيْنِ مُحْكَمُهُ
بَيَانُ جَلِّ مُوَحِّيهِ وَعِلْمُ عَزِّ مُلْهِمُهُ
وَكَمْ لِلْحَقِّ مِنْ غَابِ رَسُولُ اللَّهِ صَنِيعُهُ
لَهُ الْفَرَوَاتُ لَا تُخْصَى وَلَا يُخْصَى تَكْرُمُهُ

ثم يتحدث عن الإسراء :

فَلَمَّا حَاءَ سِدْرَتُهُ وَكَانَ الْقُرْبُ أَعْظَمُهُ

(٦) من كرمه ابن هانء صفحة ١٣ - الطبعة الرحمانية ١٩٢٣

(٧) يلاحظ أن الغاية ميبية ولكن هذا البيت بالعين وقد وحدته كذلك وعليه علامة استفهام ولعلها في الأصل تكون (معلمة) من العلامة وهي تناسب كلمة (مزار)

دَنَا فَرَأَى فَخَرَّ فَكَانَ مِنْ قَوَسَيْنِ رَجَمْتُمَا

وفي نهاية القصيدة ينتقل إلى الشعاعة :

لَوَاءُ الْحُسْرِ بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْمَ الدِّينِ تَقْدُمُهُ
شَفِيعًا فِيهِ يَوْمَ يَلُودُ بِالْشُّفَعَاءِ مُجْرِمُهُ
هَفَى يُنَنَّاكَ جَنَّتُهُ وَوَيْ الْيُسْرَى جَهَنَّمُهُ

* * *

وتلاحظ أن هذه القصيدة من وزن سهل ولم يعمد في ألفاظها إلى غير السهل المألوف .

ولم يفت « شوقي » أن يتحدث عن الإسلام والتشريع الإسلامي كما رأينا ذلك في نهج البردة^(١) .

* * *

٣ - « سلوا قلبي . . »

قالها أيضا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف وقد نشرت بحريدة عكاظ في سنة ١٩١٤ وهي من واحد وسبعين بيتا ومطلعها^(٢) :

سَلُّوا قَلْبِي عِدَاةَ سَلَا وَتَابَا لَعَلَّ عَلَى الْجَمَالِ لَهُ عِتَابَا

وبعد عشرة أبيات في الغزل ينتقل إلى الحديث عن الدنيا وحدثان الأيام :

وَلَا بُدِّيكَ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي كَمْ فَقَدَ الْأَحْيَاءُ وَالْمُتَحَابَا

أَخَا الدُّنْيَا أَرَى دُبَاكَ أَفْعَى تُبَدِّلُ كُلَّ آوَةٍ إِهَابَا

وبعد سبعة أبيات يتخلص بهذا البيت الذي يدل على مقدرة شوقي الفنية :

فَلَمْ أَرْ عَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا وَلَمْ أَرْ دُونَ نَابِ اللَّهِ بَابَا

(١) ص (٢٢٢)

(٢) الجزء الأول صفحة ٧٠

ثم نرى بعد ذلك شاعرنا يقف واعظاً كأرق ما يكون الواعظ . مشفقاً على قومه يرجو لهم
صلاحاً ويرسم لهم أقوم سبيل :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ سَمْعِ الْمَالِ دَاءَ وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا
فَلَا تَقْتُلْكَ شَهْوَتُهُ ، وَزُنْهَا كَمَا تَزُنُّ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَا

* * *

تَجَنَّبْتُ لِمُشْرِ صَلُّوا وَصَامُوا ظَوَاهِرَ خَشْيَةٍ وَتَقَى كِذَابَا
وَتَلَفِيفِهِمْ حِيَالَ الْمَالِ صَمًّا إِذَا دَاعَى الزَّكَاةَ بِهِمْ أَهَابَا
لَقَدْ كَتَمْتُمُو نَصِيبَ اللَّهِ مِنْهُ كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُخْصِرِ النَّصَابَا
ويحتم هذا الوعظ الذى ساقه فى ستة وثلاثين بيتاً بقوله :

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّغْنَى وَلَكِنْ تُوْخِذُ الدُّنْيَا عِلَابَا
وَمَا اسْتَمَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا

* * *

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر المولد :

ثم يقف وقفة الحاشع الملتمس :

أَبَا الزَّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِي انْتِسَابَا
فَمَا عَرَفَ الْبَلَاءَةَ دُوبَيَّانَ إِذَا لَمْ يَتَّحِذْكَ لَهُ كِتَابَا
مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ قَرَدْتُ قَدْرًا فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدْتُ السَّحَابَا

ثم يأخذ فى التوسل أن يحفظ الله المسلمين ويميد إليهم ممدحهم ولكنه ينحى باللائمة
عليهم لتنافلهم عن شريعتهم السمحاء ..

سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أُنْبَاءِ دِينِي فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَحَابَا
وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا

الح

ولم يختم هذه القصيدة بطلب الشفاعة كسابقتيها ..

* * *

٤ — الحمزية : وقد نشرت بجريدة الأفكار في سنة ١٩١٧ .

وقد أراد شوقي هذه القصيدة محاكاة البوصيرى في همزته التي مطلعها :

كيف ترقى رقيقك الأندباءُ باسماءَ ما طاولتها سماءُ

إلا أنه أخذ منها القافية ولم يأخذ الوزن ، كما أنه لم يستوف الموضوعات التي وردت في همزية البوصيرى لأن همزية البوصيرى ستة وخمسون وأربعمائة بيت في حين أن هذه واحد وثلاثون ومائة بيت أى أنها أقل من ثلث سابقتها ...

وقد بدأ شوقي همزته بذكر المولد الشريف ولكنه اهتم في هذه القصيدة اهتماما زائدا بذكر الشمائل النبوية وتصويرها تصويراً جامعاً لأكثرها بارعا دقيقا ، كما أنه عنى بالحدث عن الإسلام ومحاسنه ومزايا تشريعانه ...

قال في مطلعها^(١) :

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ صِيَاءُ وَقَمُ الزَّمانُ تَبَشُّمُ وَنَمَاءُ
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَأَ نِكَ حَوْلُهُ لِلدِّينِ وَالْأَنْبِيَاءِ بِهِ بُشْرَاءُ

وبعد أن يصور فرح الملأ الأعلى بنشرى ميلاد الرسول الكريم في ستة أبيات ينتقل إلى تحية الرسول الكريم : —

يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ تَحِيَّةُ مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهُدَى كَ جَاءُوا
بَيْتُ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا يَلْتَقِي إِلَّا الْخَنَائِفُ فِيهِ وَالْخَفَاءُ

ثم ينتقل بعد سبعة عشر بيتا إلى ذكر الشمائل حيث يبدوها بقوله :

يَأْمَنُ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا تَهْوَى الْعُلَا مَا يَتَمَشَّقُ الْكِبَرَاءُ
ويتحدث عن سخاء الرسول وعفوه وكرمه ووفائه في اثنين وعشرين بيتاً متسلسلة
في قوة ووضوح .

وَإِذَا سَخَوْتُ بَلَغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى وَفَعَلْتِ مَالاً تَقْمَلُ الْأَنْوَاءُ
وَإِذَا عَفَوْتُ فَقَادَرَا وَمُقَدَّرَا لَا يَسْنَمُ بَيْنُ رِمْفُوكِ الْجَهْلَاءُ

* * *

ويشقل إلى ذكر الإسلام وخصائصه فيفتحج ببيانا قويا في ستة وثلاثين بيتاً^(١) يتناول
فيها ممجزة القرآن الكريم وموقف قريش منه ثم يصور حديث الرسول وعذوبته وإصالة
رأيه ، ثم يتحدث عن أساس التشريع الإسلامي ويوازن بينه وبين تشريعات السابقين
ومذاهب المحدثين من الأوروبيين الذين يطنون أنهم قد سبقوا بنظرياتهم في الاشتراكية
أو غيرها :

يَأْيُهَا الْأُمِّيُّ حَسْبُكَ رُتْمَةٌ فِي الْعِلْمِ أَنْ دَأَتْ بِكَ الْعُلَمَاءُ
اللَّهُ كُرْ آيَةُ رَبِّكَ الْكُبْرَى الَّتِي فِيهَا لِبَاغِي الْمُنْجِرَاتِ عَسَاءُ

* * *

بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَتْ سَمْنَةٌ مَالِحٌ مِنْ مِلَلِ الْهَدَى عَرَامُ
بَنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَهِيَ حَقِيقَةٌ كَادَى بِهَا سَقَرَاطُ وَالْحُكَمَا
وبلخص مزايا تلك الشريعة — بعد أن يسطرها — في قوله :

وَالِدِّينَ يُسْرُّهُ ، وَالْخَلَاءُ نَيْعَةٌ وَالْأَمْرُ شُورَى وَالْحَقُّ قَضَاءُ
ويرد على دعاة التجديد في المذاهب الاجتماعية :

الْإِشْتِرَاقِيُونَ أَتَ إِمَامُهُمْ كَوْلَا دَعَاوَى الْقَوْمِ وَالْفُلُوكَا

دَاوَيْتَ مُتَّئِدًا وَدَاوُوا طَفْرَةً وَأَخَفْتُ مِنْ بَمُضِ الدَّوَاءِ الدَّاءِ

ثم ينتقل إلى الإبراء والمراج في عشرة أبيات ويتحدث عن الروح والجسد فيهما ...
ثم يتحدث عن جهاد الرسول عليه الصلاة والسلام وحروبه وأثر ذلك في تثبيت الدعوة ونشرها في العالمين :

كَمْ مِنْ غَزَاةٍ لِلرَّسُولِ كَرِيمَةٍ فِيهَا رِضًا لِلْحَقِّ أَوْ إِغْلَاةٍ
كَانَتْ لِجُنْدِ اللَّهِ فِيهَا شِدَّةٌ وَ إِزْهَاءٌ لِلْمَالِكِينَ رَخَاءُ
صَرَبُوا الضَّلَالَةَ ضَرْبَةً ذَهَبَتْ بِهَا فَعَمَلُ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ عَفَاءُ
دَعَمُوا عَلَى الْحَرْبِ السَّلَامَ وَطَالَمَا حَقَنْتَ دِمَاءً فِي الزَّمَانِ دِمَاءُ

ثم ينتقل في ختام القصيدة إلى الشماعة والتوسل وطلب الهداية والعزة للمسلمين :
إلى أن يقول :

ظَلَمُوا شَرِيعَتَكَ الَّتِي بَلَّغْنَا بِهَا مَالَمَ يَنْزِلْ وَ رُومَةَ الْفُقَهَاءِ
مَشَتْ الْحِصَارَةُ فِي سَنَاهَا وَاهْتَدَى فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهَا السُّمَدَاءُ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَحَّبَ الدُّجَى حَادٍ وَحَنَنْتَ بِالْفَلَاحِ وَجَنَاءُ^(١)
وَاسْتَقْبَلَ الرِّضْوَانَ فِي غُرْفَاتِهِمْ بِجَنَانِ عَذْنِ آلِكَ السُّمَدَاءِ
خَيْرُ الْوَسَائِلِ مَنْ يَقَعُ مِنْهُمْ عَلَى سَبَبِ إِلَيْكَ فَحَسْبِي (الزُّهْرَاءُ)

وبعد ، فتلک ہی عرر أربع من قصائد شوق في موضوع واحد هو مدح النبي عليه الصلاة والسلام ولم يقتصر فيها على ذكر أوصاف النبي عليه السلام وشماله وملخص سيرته بل إنه ضمنها جميعا مزايا الإسلام وآثاره في الحياة الإنمائية وتحدث في ذلك حديث المؤمن

الدارس التألم لما أصاب المسلمين بسبب بعدهم عن شريعتهم الراجى لتلك الشريعة أن تحتل مكانها اللائق بها .

أما ما جاء عن « السيرة النبوية » في أرجوزة العرب الكبرى فسشير إليه عند الكلام على أبطال الإسلام لأنه على فيه أكثر ما على بالناحية التاريخية .

* * *

ومن الغريب أننى لم أجد فى ديوان حافظ لوباً من تلك القصائد ، ولا أعرف علة معقولة أفسر بها تلك الطاهرة .

٢ - إحياء أجداد الإسلام

ولقد ساد مصر فيما بين ثورة عراقى ١٨٨٢ وثورة ١٩١٩ تياران فكرىان قويان ، أحدهما : من وحي الاستعمار و سطوته وقوة القائمين به المتسلطين على الرقاب . . . فقد أوحى ذلك بأن الإنجليز هم الأبطال الأقوياء وأن لا قومة لنا بجانب سطوتهم وقوتهم .

والآخر : من وحي دعوة جمال الدين ومحمد عبده فقد صوروا فيما كتباه وبشراه أن الإنجليز بخاصة والأوروبيين بعمامة إن هم إلا ظلمة عادرون محادعون نهازون للفرص وأن البطولة الحققة ليست إلا فى المسلمين أيام أن كانوا يفهمون الإسلام ، ويستمسكون بعروته الوثقى ، وأنه لا بأس فلو عادوا لما كان عليه أسلافهم لمادت لهم قوتهم وعزتهم ولهبات أمامهم قوى الأرض جميعاً . وقد أوحى ذلك مصور للبطولة غير التى أوحى بها الاستعمار ، ولكن بطولة المستعمرين ماثلة أمام الأعين فأتى للمسلمين بالبطولة الأخرى . . ؟ إذا فلتصطنع هذه البطولة من زوايا التاريخ ، ولتبرر ذكرى أى نكر وعمر وخالد وعبد الرحمن الداخل . ولتذكر أهم مناسبات تمثلت فيها البطولة كحدث الهجرة النبوية . . . ولتذكر مزايا الإسلام الذى كوّن هؤلاء الأبطال وجعلهم قادة فاتحين ينشرون المدل والمساواة بين الشعوب . . . وسنرى فى هذا الفصل نصيب الشعراء من ذلك فيما يأتى :

(أ) من صور البطولة فى الإسلام . .

(ب) العناية بذكرى الهجرة .

(ج) رد هجمات خصوم الإسلام : هانوتو — وكرومر — وفرح أنطون ...
(هـ) فضائل الإسلام ...

١ - من صور البطولة في الاسلام

يقول الأستاذ عبد الحميد المبادى : « ولا ندرى بالدقة الباعث لحافظ على نظم قصيدته ^(١) فلعل الباعث له ما رآه من التياث حال العالم الإسلامى إبان الحرب العالمية الأولى ، وفساد أمر الخلافة فأراد أن يجلو على المسلمين صورة لأقوى شخصية ظهرت فى الدولة الإسلامية وهى شخصية عمر .. فيكون للناشئة منها مثال يحتذى ريدسجون على منواله ، وقد يكون حافظ أراد بنظم هذه القصيدة أن يجرى فى غبار شوق ولا سيما بمد أن نظم شوق نهج الردة ^(٢) .

وحن رجع الباعث الأول لأنه هو الذى أوحى به الظروف وزجج أن هذا الباعث هو الذى أوحى إلى عبد الحليم النصرى ^(٣) بنظم البكرية وإلى عبد المطلب بنظم العلوية وإلى شوق بنظم أرحوزة العرب السكرى وإلى غيرهم بسلوك هذه السبيل ، فقد جاءت كل هذه القصائد متقاربة التواريخ متشابهة الروح الموحية معنية بإظهار نواح خاصة فى أولئك الأبطال دون اهتمام بسر توارىخ حياتهم أو أنسابهم وقائلهم .

١ - وعمرية حافظ من سبعة وعشرين ومائة بيت ومطلعها :

حَسْبُ الْقَوَايِ وَحَسْبِي حِينَ الْقِيَمَا أَنَّى إِلَى سَاحَةِ الْفَارُوقِ أَهْدِيهَا ^(٤)
نم يبدوها — بعد مقدمة فى أربعة أبيات — بذكر مقتل عمر ولست أدرى لم اختار هذا الترتيب ولم يترك هذا الحادث إلى آخر القصيدة . ولعله أراد أن يمه إلى حطار الشعوبية التى حمل العرس لواءها ضد العرب ودولة الإسلام .

وبعد أن يتحدث عن حادث القتل وأثر الموالى فى ضمف الدولة الإسلامية يبدأ سيرة عمر من مند إعلانه إسلامه إلى آخر خلافته متناولا أهم شئائل عمر وسجاياء وحصائمه

(١) الضمير إلى « العربية »

(٢) حافظ وشوقى لحسن كامل الصيرفى صفحة ٦٩ مطبعة المقتطف سنة ١٩٤٨

(٣) توفى سنة ١٩٢١ .

(٤) الجزء الأول صفحة ٧٧

التي امتاز بها من العدل والسوية بين الرعية وبعد النظر وقوة الشخصية وحبه للشورى ...
ومن أروع ما جاء في هذه القصيدة وصف عمر عندما جاءه رسول كسرى فوجده نائماً
على الرمل أمام بيته وقد كان يظن أن له قصرافضاً كهده بملوك الفرس وذلك في الأبيات
المشهورة التي يحتمها بقوله :

أَمِنْتَ لَنَا أَقْمَتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَابِهَا
ثم يسجل حرصه على إصلاح حال الرعية وتفقدته أمورهم بنفسه . في مسألة القدر
والمرأة العجوز :

وَمَنْ رَأَاهُ أَمَامَ الْقِدْرِ مُنْبَطِحاً وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يَذْكُهَا
وَقَدْ تَخَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ مِنْهَا الدُّخَانُ وَقُوهُ غَابَ فِيهَا
رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَالٍ تَرْوَعُ -- لَعَمْرُ اللَّهِ -- رَائِيهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي عَيْدِهِ وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةِ سَالَتْ مَا قَيْهَا

ويسجل حرص عمر على عقيدة التوحيد بإزالته شجرة الرضوان التي تم تحمها صلح
الحديبية بعد أن بايع المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتال ... وقد أخذ
المسلمون بعد ذلك بطوفون بها ويجلسون تحمها فخشى عمر أن تعود بهم إلى فكرة التحسيم
فأمر باجتنائها .

ويحتم قصيدته بما يؤيد أن هذه الأول إنما هو لتكون في سيرة عمر قدوة يهتدى
بهديها أهل عصره ومن يلونهم ، وفي إبراز مثل هذه الشخصية إرضاء لنفس الشاعر .

هَذِي مَنَاقِبُهُ فِي عَهْدِ دَوْلَتِهِ لِلشَّاهِدِينَ وَاللَّاعِقَابِ أَحْكُمُهَا
وِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ نَالَةٌ ^(١) مِنَ الطَّمَائِمِ تَفْذُو نَفْسَ وَاعِيهَا
لعل في أمة الإسلام نَابِتَةٌ ^(٢) تَحْلُو لِحَافِهَا مِرْآةَ مَاضِيهَا

(١) نالة : سجية شريفة

(٢) النابتة : الناشئون

حَتَّى تَرَى بَعْضَ مَا شَادَتْ أَوَائِلُهَا مِنْ الصُّرُوحِ وَمَا عَانَاهُ بَانِيهَا
وَحَسَنُهَا أَنْ تَرَى مَا كَانَ مِنْ عُمْرٍ حَتَّى يُبَيِّهَ مِنْهَا عَيْنَ غَافِيهَا^(١)

* * *

٢ — ولمصطفى صادق الرافعي قصيدة في عمر من أربعة عشر بيتا ساقها نموذجاً للرجل
المهذب الذي ترفه أخلاقه ورجولته إلى أعلى مصاف الرجال ومطلعهما^(٢) .
لَا زِينَةَ الْمَرْءِ تُعْلِيهِ وَلَا الْمَالُ وَلَا يُشْرِفُهُ عَمُّ وَلَا حَالُ
وَأِنَّمَا يَنْتَسِي أَيْ لِلْعُلَا رَجُلٌ مَاضِيَ الْمَزِيَّةِ لَا تُقْنِيهِ أَهْوَالُ
يُرِيكَ مِنْ نَفْسِهِ فِيمَا يَهْمُ بِهِ أَنَّ النُّفُوسَ تُظِلُّ وَالنَّاسُ أَنْطَالُ
الْح

٣ — ولأحمد محرم قصيدة^(٣) بموأن «عدل الفاروق» ومطلعهما .
أَرَى الْمَدْلَ دَعَا يُجِيبُ النَّاسُ حُسْنُهَا وَيَخْجِدُهُمْ عَنْهَا الْحَدِيثُ الْمَلْفَقُ
أَكَاذِبُ يُرْجِيهَا الْفَتَى وَهُوَ عَالِمٌ إِذَا مَا ادَّعَاهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَدَقُ
فَسَمَا الظُّلُمُ بَيْنَ النَّاسِ وَاهْتَزَّ أَهْلُهُ وَبَاتَ صَعِيبُ الْقَوْمِ يُؤْذَى وَيُرْهَقُ
حَلِيًّا مِنَ الْأَعْوَانِ يُفْصَبُ حَقُّهُ فَيُعْصَى وَيُرْمَى بِالْهَوَانِ فَيُطْرَقُ
رَأَيْتُ مُلُوكَ النَّاسِ لَا يُسْمَعُونَهُمْ وَحَيْرُ الْمُلُوكِ الْمُنْصَبُ الْمَتَرَقُ
يُقِيمُونَ صَرْحَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ إِذَا مَلَكُوا وَالْعَدْلُ نَالِكُ الْخَلْقِ
ولا شك أن هذه المقدمة قد أوضحت بها الظروف الاستبدادية التي كانت تسيطر على
الدلا وهو ما يكاد يصرح بما يريد ثم ينتقل بعد ذلك إلى رسم صورة الحاكم العادل
في عمر .

(١) العاقب : النائم

(٢) الجزء الأول صفحة (١) — المطبعة العمومية سنة ١٣٢١

(٣) الجزء الثاني ص ٨٦ مطبعة الفتوح بدمههور سنة ١٩٢٠

ثم يعود إلى تصوير حال الأمم الإسلامية وما آل إليه أمرها بعد أن فقدت عمر وأمثاله :

تَوَتَّ أَمُّ الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدَ مَا مَضَى تَرَاغُ بِأَهْوَالِ الْخُطُوبِ وَتُصْنَعُ
تَفَانَتْ مَوَالِبُهَا وَطَاحَ حِمَائُهَا كَمَا طَاحَ مُرْفُضُ الْحَمَى بِتَلَمُّقِ (١)
تَحَكَّمَتْ فِيهَا الْقَاسِطُونَ فَأَصْمَحَتْ (٢) تَقَادُّ بِأَسْبَابِ الْهَوَانِ وَتُوثِقُ
الح ...

٤ - أما نكزية عبد الحليم المصرى فعلى من تسعة ومائتى بيت وقد شرت بجريدة
عكاظ بالمعدد ٤٩ فى يوبه سنة ١٩١٨ .

وفد تضمنت سيرة أنى بكر من منذ ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام وتصديقه
بالإسراء ومرافقته للرسول فى الهجرة ورأيه فى صلح الحديبية ورأى النبى فى أبى بكر ...
ثم خلافة أنى بكر وأعماله .. يقول فى أولها :

أَفِصْنِي أَنَا تَكْبِيرَ عَلَيْهِمْ قَوَائِمًا وَأَمْطِرْ لِسَانِي حِكْمَةً وَمَعَارِيًا
وَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ : لَا يُجْنِرُ رَلَّتِي إِذَا لَمْ أَكُنْ فِيهِ بِقَوْلِي بَادِيًا
مَقَامُ رَسُولِ اللَّهِ فَوْقَ قَصَائِدِي وَهَلْ شَرَرُ النَّعْرَسِ يُجْدِي الدَّرَارِيَا

ومنها يصف استحلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى بكر فى الصلاة :

وَمَا بَعْدَ مَا قَالَ النَّبِيُّ لِزَوْجِهِ وَأَعْصَاؤُهُ يُنْصِتُونَ لِمَوْتِ رَامِيَا :
مُرِيهِ بِقُومِ الْمُسْلِمِينَ مُصَلِّيًا فَإِنْ كُنْتُ فِيهِمْ أَوَّلًا كَانَ ثَانِيًا
فَقَالَتْ : أَبُو تَكْبِيرِ رَقِيقٌ مُؤَادُهُ إِذَا قَامَ بَيْنَ النَّاسِ هَاجَ النَّبَوَا كِيَا
وَلَمْ يَدَّ كُرْىَ قَضِيَّةِ الْمَوْتِ عَيْرَهُ طَبِييًا لِأَذْوَابِ الْإِمَامَةِ شَافِيَا

(١) بقايا ماء السيل الذى بقى فى الأودية غير متدفق

(٢) القاسطون الظالمون وعمله قسط . أما المقسط فهو العادل وعمله أقطط

ويقول في ختامها :

وَمَا الْحَقُّ إِلَّا حَائِطٌ بَيْنَ قُوَّةٍ وَضَعْفٍ، وَلَيْسَ الْمَدْلُ إِلَّا تَقَاضِيَا
أَرَبٌ أَبِي بَكْرٍ: سَتَخْلُقُ مِثْلَهُ فَيُدْرِكُ مِنْ بُنْيَانِهِ مَتْرَافِيَا؟
ذَكَرْتُ أَبَا بَكْرٍ لِقَوْنِي وَلِقَيْتِي بَلَفْتُ بِهِ فِي الْقَوْلِ مَا كُنْتُ رَاجِيَا
لَعَلَّ سَرَاةَ الدَّهْرِ تُدْرِكُ مَجْزَرَهُ فَإِنِّي أَرَى الْأَصْبَاحَ تَقْلُو الدَّاجِيَا
وظاهر من هذه الخاتمة ما كان يرحوه الشاعر من وراء استشارة مثل هذه الذكريات
ومن تصوير مثل شخصية أبي بكر رضى الله عنه .

* * *

والشيخ محمد عبد المطلب قصيدتان عرفتا بالملوبتين إحداهما من سبعة وأربعين بيتا
وعنوانها « العلوية الأولى » ومطلعها : (١)

أَصْغَرَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مُقَامًا فَاعْتَلَى بِضَرْبِ السُّحُوبِ الْخِيَامَا
وبعد أن يتحدث عن صعود على إلى ما فوق السحب وسيطرته على جواء السماء (٢)
ثم بعد أن يتحدث عن بلاد الحجاز ويتمنى لو لم يراه ينتقل بعد واحد وعشرين بيتا إلى
الحديث عن زهد على في الدنيا وكرمه للخالد :
إِنَّ مَنْ يَتْلُو النَّوْرَى : « هَلْ أَتَى » (٣)
مَدْحُهُ جَلٌّ عَنِ الشُّمْرِ مَقَامَا
ثم يأخذ في ذكر بعض صفات على ولكنه لم يسرد سيرته كاملة بل يقف بها عند حادث
الهجرة إذ يقول في ختامها .

وهو النسائب عن أَحْمَدَ إِذْ وَدَّعَ الْبَطْحَاءَ وَالْبَيْتَ الْحَرَامَا
بَاعَ فِي نَهْشِيرِ رَسُولِ اللَّهِ نَهْ سَاءَ لِمَنْ يَرَى اللَّهَ جَلَّتْ أَنْ تُسَامَا

(١) الديوان صفحة ٢٦٨

(٢) من المآخذ على عبد المطلب أن يعتمد إلى مثل هذا التصوير المستمد من الإسرائيليات أو من
العقائد الفارسية لأنه يتصل بعقيدة المهدي المنتظر
(٣) يشير إلى قوله تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » فقد روى أنها نزلت
في علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم لإيثارهم المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم

ولم نفت عبد المطلب أن يذكر ما عليه حال الأمة المصرية في هذه القصيدة على مجالتها :
 هَلْ دَرَى أَهْلُ الْمُصَلَّى أُنْسَا بَرْدُ الْعَيْشِ بِوَادِنَا مُنْمَاً^(١)
 تَطْلُبُ الْمِرْزَةَ فِي ظِلِّ الْمُنَى إِنَّ فِي ظِلِّ الْمُنَى مَوْتاً رُؤَاماً
 ويلمس في هذين البيتين تصوير الشاعر للحالة السياسية التي كانت عليها مصر وأثر
 السيطرة الأجنبية .

* * *

٦ — أما العلوية الأخرى وهي التي ألقاها في حمل أقيم بالجامعة في سنة ١٩١٩ برئاسة
 المرحوم إسماعيل صبرى وتسكاد تكون ملحمة كبرى حاصة سيدنا على رضى الله عنه إذ
 ضمها سيرته منذ صباه وإسلامه والغزوات التي اشترك فيها وجهاده وشمائله ثم خلافته
 وحروبه مع أهل الشام إلى أن قتل رضى الله عنه بيد ابن ملجم ثم حتم القصيدة بما يعتر
 رثاء للإمام ومطلعها :

أَرَى ابْنَ الْأَرْضِ أَصْفَرَهَا مُقَامَا فَهَلْ جَمَلَ النُّجُومَ بِهَا مَرَامَا^(٢)
 ثم سار ستة عشر بيتاً على نفس المعاني والعلوية الأولى وانتقل إلى على في صباه وإسلامه :
 تَبَصَّرْ هَلْ تَرَى إِلَّا عَلِيّاً إِذَا دُرِكَ الْهُدَى ذَاكَ الْمَلَامَا
 عَلَامٌ يَنْتَفِيسُ الْإِسْلَامَ دِيبَا وَلَمَّا يَعْدُ أَنْ بَلَغَ الْفِطَامَا ...
 إِذِ الرُّوحُ الْأَمِينُ دُ « قُمْ فَأَنْذِرْ » أَتَى طَهَ لِيُنْذِرَهُمْ فَقَامَا
 الح

ثم يصف استخلافه ليلة الهجرة وما كان من شجاعته في مواجهة قريش .
 الح

(١) أهل المصلى : أهل الحرم والسمام جمع سم

(٢) صفحة ٢٣٠ من الدواو

وبعد أن يتحدث عن قتاله واستبساله يمرج على شمله ومن ذلك حديثه عن
قيام الليل :

وَكَمْ أَجْرَى عَلَى الْمِحْرَابِ دَمْعًا لَخَوْفِ اللَّهِ يَنْسَجِمُ انْسِجَامًا
إِذَا مَا قَامَ فِي الْمِحْرَابِ قَامَتْ لَهُ زُمَرُ الْمَلَائِكَةِ احْتِشَامًا
صَلَاةُ اللَّيْلِ يَجْمَعُهَا سَحُورًا إِذَا مَا فِي الْمَدَاةِ نَوَى الصِّيَامَا
تَرَى صَبْرَ الْقَنُوعِ لَهُ عِدَاءُ حَرَى دَمْعُ الْخُشُوعِ لَهُ إِدَامَا
رَأَيْنَا فِي الْكُفُولِ مِنْهُ شَيْخًا حَوَى الْمَجْدَ اشْتِيَالًا وَاعْتِمَامَا

* * *

ولقد أظن وفصل في مسألة الخلاف بينه وبين معاوية ، والتحكيم وكيف ركب القوم
رءوسهم ولم يصيخوا للنصح على ثم ختم القصيدة بهذه الأبيات :

بَيْيَّ : الْمَدَلُ إِنْ شِئْتُمْ قَسَاصًا كَوَى بَكْتَابِ رَسْكُمُ إِمَامَا
كُتَابُ اللَّهِ لَا تَمْلُؤُوا ؛ فِرَاسِي أَخَاؤُ عَلَيْكُمْ أَلَا يُقَامَا
مَضَى رَمَنْ الْمَحَاةِ فِي سَبِيلِ إِلَيَّ مَسَلٍ بِحَيْرَتِهِ اسْتَهَامَا
إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَضَى عَلَيَّ وَجَاوَرَ فِي مَنَارِهَا السَّلَامَا

* * *

وهذه القصيدة من سبعة وثلاثمائة بيت وقد وسعت حياة على تفصيلا وإحالا وتمتر
من أبرر شعر عبد المطلب إذ صمناها كثيرا من المفردات العربية وأودعها معارفه الواسعة
بالتاريخ الإسلامي وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ...

٧ — ولشوقي في هذا المضمار أرحورته الكبرى «دول العرب وعطاء الإسلام» . وقد
نظمها وهو منقو بالأندلس إبان الحرب الكبرى وهي من ستة وعشرين وسبعمائة
وألف بيت ..

ولشوقي حين يتكلم عن تاريخ العرب وعطاء الإسلام لا يتكلم كلام الشاعر لحسب

وإنما هو كلام الرجل السياسى ذى المسكة المرموقة ، فإنه كان فى قصر الحكم وكان ينسب إلى جدسية الخليفة والخديوين وكان فوق هذا وذاك خبيراً بأمور سياسة الأمم لسمعة اطلاعه ثم هو الشاعر الفياض الدرف الإحساس المتألم على ما يراه فى الشرق والشرقيين والمسلمين بخاصة من عوامل الانهيار . .

ولقد تصمّنت هذه الأرجوزة وصف حال الأمم الإسلامية من منذ ظهور الإسلام إلى نهاية دولة الفاطميين بمصر .

ولعله راعى ذلك لأنه عندما نظم قصيدته السكرى « كبار الحوادث فى وادى النيل » ^(١) لم يذكر شيئاً عن الأمم الإسلامية إلا من الدولة الأيوبية ، إذ إنه بعد أن انتهى من ذكر قدماء المصريين ثم ذكر مزايا الإسلام ومدح رسوله صلى الله عليه وسلم إجمالاً انتقل مباشرة إلى بنى أيوب حيث قال :

وَادْكُرِ الْمُرَّ آلَ أَيُوبَ وَامْدَحْ فَنِّ الْمَدْحِ لِلرَّحَالِ حَزَاءُ

الح ثم قال :

وَادْكُرِ التَّرِكَ لِمَنَّهُمْ لَمْ يُطَاعُوا فَيَرَى النَّاسُ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
حَكَمَتِ دَوْلَةُ الْحَرِّ اكْسَ عَمَّهُمْ وَهِيَ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ عَشْرَاءُ

الح ثم قال :

وَادْكُرِ الْعَادِلَ الْكَرِيمَ سَمِيداً الح . .

وقد جاء فى مقدمة هذه الأرجوزة قوله ^(٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِ دِى الْعَرْشِ وَالسَّعِ الْعُلَا الطَّبَاقِ
الْمَلِكِ الْمُتَفَرِّدِ الْحَبَّارِ الدَّائِمِ الْجَلَالِ وَالْإِكْبَارِ
وَارِثِ كُلِّ مَالِكٍ وَمَا مَلَكَ وَمُتَمَلِّكِ الْحَيِّ وَمُخْخِي مَنْ هَلَكَ

(١) الديوان ١٠ صفحة ١٢ وقد نظمها سنة ١٨٩٤ وألقاها فى المؤتمر الدولى الشرقى بخنيف

(٢) هذه الأرجوزة مطبوعة مستقلة فى ١٠٩ صفحة بمطبعة مصر سنة ١٩٣٣ .

١٥ — مقرر قریش (عبد الرحمن الداخل) من اثنين وثلاثين ومائة بيت .

١٦ — الزبير بن العوام من أربعة وحسين بيتاً .

ومطلع هذا القسم :

وَصَاقَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَرَأَيْهِ الْوَضَاءُ فِي الْخَطْبِ الْحَلَكِ

ولقد نظم المرحوم مصطفى المنفلوطى قصيدة فى عبد الله بن الزبير بعد أن نشر شوقى أرجوزته وهى تعتبر أيضاً مجازاة فى إبرار شخصية من المسلمين الأولين الذين آثروا التضحية على حب الدنيا ولم يعبأوا بتهديد ولم يفرحهم وعد ولا رغبة فى نعم (١) .

١٧ — خلافة السفاح من خمسة وثلاثين بيتاً .

١٨ — أبو مسلم ودعوته من ثلاثة وعشرين بيتاً .

١٩ — الدولة العباسية من خمسة عشر بيتاً .

٢٠ — المنصور من واحد وسمعين بيتاً .

٢١ — دولة العاطميين من سبعين ومائة بيت ...

(١) حريدة الثمرات بالعدد الصادر فى ٢٢/٢/١٩٢١ وأشربا إليها لأنها تعتبر صدق لأرجوزة

شوقى . وقد عقدت موارنة بينهما فى كتاب الشعراء الثلاثة (شوقى ومطران وحافظ) ص ٢٤٨ طبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٢٢ . قال المنفلوطى فى أول قصيدته .

صنعت فى الوداع حير صنيع	إن أسماء فى الورى خير أنى
تحت درع مسبوحة من بحيم	حاءها ابن الزبير يسحب درعا
بن أسمر مر وقتل فطيمع	قال : يا أم قد عيبت بأمرى
صاحب غير سيقى المطموع	حاشى الصبح والبرمان فمالى

...

لك من قبل موطناً للدمو	فأحاث والحسن قهر كأن لم
صادعاً من مؤاذا المصدوع :	واستعالت تلك الدموع بحاراً
هيكلاً شأنه وشأن الخدوع	لا تسلم إلا الحياة وإلا . .
لك من عيش دلة وخسوع	إن موتاً فى ساحة الحرب حير

...

بعد لآى بدمعها المصوع	وأنى أمه المعى لحادت

وقد ساقها جميعا على بحر الرجز دون مراعاة للقافية إلا مقطوعتين اثنتين أولاهما الخاصة
بعمد الرحمن الداخل فقد نظمها على طريقة الموشحات الأندلسية والأخرى الخاصة بدولة
الفاطميين فقد أحرأها على الروى القصور وحده .

ولقد كان السرد التاريخى فى هذه الأراجيز كمّ الشاعر الأول ومن ثمّ فلم نجد فى حديثه
عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الفيض الذى رأيناه فى المدائح النبوية السالفة عن
مزايى الإسلام وخصائصة ..

فانظر مثلا وصف بدء الوحى هنا ووازنه بما جاء عنه فى نهج البردة ترّ هناك ^(١) الشاعر
وترّ هنا الناظم :

لَمَّا أَخَالَ الرَّشْدَ وَالْهَدَايَةَ	وَأَنْقَشَعَ الضَّلَالُ وَالْفَوَايَةَ
دَعَا دَاعٍ لَمْ يَكُنْ فَاثْبَالَ	إِلَى انْتِيَابِ أَرْوُسِ الْجَبَالِ
يَصْنَعْدُ مِثْلَ (الْمَجْم) فِيهَا مُوَيْبَا	وَيَنْزِلُ (السَّكَم) بِهَا مُسْتَمْخِيبَا
وَكَمْ أَوَاها حَالِيَا بِسَفْسِهِ	وَقَارَ مِنْ وَحْدَتِهِ بِأَسْمِهِ
عَالَجٍ فِي (الْمَعَارِجِ) (الْإِسْرَاءِ)	وَكَدَلِ (الطُّورِ) (أَرْتَقِ حِرَاءِ)
بَاتَ عَلَى (الْإِحْلَاصِ) وَ (الْإِيمَانِ)	وَطَالَتِ (السَّجْدَةُ) (لِلرَّحْنِ)
وَ (السَّكَاوُونِ) وَ (قُرَيْشِ) وَ (الْبَلَدِ)	(لَمْ يَكُنْ) الْأَمْرُ لَهُمْ عَلَى خَلْدِ
حَتَّى أَتَى (الْفَتْحُ) وَحَاءِ (الْمَصْرِ)	وَاسْتَقْبَلَ (النُّمَأ) الْعَظِيمِ (الْمَصْرِ)
وَهَمَطَ (الشُّورُ) عَلَيْهِ وَحَيَا	وَنَزَلَ (الْقُرْفَانُ) فِيهِ مَحْيَا

الخ كما ترى أثر الصنعة فى تضمين أسماء السور .

وكان يعمد بحكم السرد والبطم إلى البديع كقوله فى مقدمة أرجوزة معاوية :
فى الدهر لم تُصنَعْ قِيُونُ الْهِنْدِ وَلَمْ يُسَلَّ الشَّرْقُ كَأَنَّ هِنْدَ
الْمَقْرَى الْمَلِكِ الْحَلِيفَةَ السَّمْدُ كَانَ أَبْدَأَ حَلِيفَةَ

أما ما نظمته عن عبد الرحمن الداخل فكان موشحاً رائعاً رائعاً جمع إلى عذوبة اللفظ وقوة السبك عنصر الأنيب الذي أكسب المعنى قوة ... يقول في أوله .

مَنْ لِنِضْوٍ يَتَنَزَّيْ أَلْمَا رَّحَّ الشَّوْقُ بِهِ فِي الْفَلَسِ^(١)
حَنْ لِّلْبَانِ وَنَاجَى الْعَلَمَا أُنْبِ شَرْقُ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدَلُسِ

بُلْبُلٌ عَلَّمَهُ الْبَيْنُ الْيَبَانَ بَاتَ فِي حَمْلِ الشَّجُونِ ارْتَبَكَ
فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مَخْلُوعَ الْعَيْنَانِ ضَاقتْ الْأَرْضُ عَلَيْهِ شَبَكَا
كَلَّمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجَنَانِ جُنَّ فَاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَ
ارْتَدَى بِرُئْسِهِ وَالتَّمَا وَخَطَا خَطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَسِ^(٢)
وَيُبْرَى ذَا حَدَبٍ إِنْ جُمَا فَلِنْ ارْتَدَّ بَدَا دَا قَعَسِ^(٣)
الخ ...

وقد يطول بنا القول إذا أردنا توفية هذه الأراجيز حقها من التحليل وإنما أردنا ذكرها هنا إيمان أن فكرة إحياء أمجاد الإسلام قد تملكست الشمراء استجابة لصدى الحوادث ومن الغريب أن عمرية حافظ وعلوية عبد الطالب الكبرى وكبرية عبد الحليم المصري نشرت جميعاً في سنة ١٩١٩ وأرجوزة شوقي نشرت حوالى هذا التاريخ أيضاً ...

وهناك قصائد كثيرة حول هذا الموضوع لنير من ذكرنا لا يتسع المقام لسردها جميعاً^(٤) ...

٨ — ومن هذا الوادى مقصورة كبرى للسيد رشيد رضا من أربعة وتسمين ومائتى

(١) النضو : المزيل — يتنزى أَلْمَا : يسرع الألم إليه — والفس : الطلام .

(٢) رعى الرجل : مشى صغيلاً .

(٣) القس صد الحذب وهو تنوء الصدر .

(٤) من ذلك قصيدتان للرافعى إحداهما عن « محمد المأمون » ص ١٦ > ١ والأخرى عن

« تفجعه على أمجاد الشرق » ص ٢٦ > ١ .

بيت ... والأصل في نظمها أنه أراد أن يهني صديقه الشيخ عبد القادر المغربي بمناسبة زواجه وقد نظم منها في هذه المناسبة تسمة وعشرين ومائة بيت ومطلعها :

تَدَارَكَ الْبَارَى مُبْدِعُ الْوَرَى بِحِكْمَةٍ تَرُوقُ أَرْبَابَ الْحَجَا

ولكنه زاد بعد نشر هذا القسم من القصيدة أبياتاً بلغت خمسة وستين ومائة بيت ضمَّنها مزايا الشريعة الإسلامية والدفاع عنها وتفنيد مزاعم خصوم الإسلام ... ثم انتقل بعد ذلك إلى الإشادة بفضل السيدين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وما كان لهما من آثار في الإصلاح وما ينبغي أن يسلكه المعاصرون من طرق موصلة إلى المجد على ضوء دعوة هذين السيدين .

والدى دعانا إلى ذكر هذه القصيدة ها هو ما جاء فيها عن هذين الحكيمين باعتبارهما من الأبطال الإسلاميين في العصر الحديث قال في مطلع هذا القسم الثانى :

كَمْ لَيْلَةٍ أُبَيْتُهَا مُفَكِّراً يَمِى لِي السُّهْدُ وَيُخْلِفُ الْكَرَى.

وبعد أبيات في الأبن يقول :

وَمِلَّةٌ حَكِيمَةٌ رَحِيمَةٌ قَدْ تَرَكْتُ لِلْجَهْلِ كَالْتَّى اللَّقَا

وقال فيها الآخرون : إنها علة هذا الانحطاط والشقا

وكيف كانت علة السعادة التى مصت لها وداك الارتقا

ثم يتحدث طويلا عن جهل المسلمين وتقاعد العلماء وما أدى إليه من تدهور ثم يدعو إلى القوة والوحدة في قوله :

وَالشَّمْسُ : إِمَّا يَتَّحِدُ فَإِنَّهُ

أليس اجتماع ذرات الحب

ثم ينتقل إلى ذكر السيد جمال الدين

داك جمال الدين فيلسوفنا

(والتَّجْهِمُ يُهْتَدَى بِهِ إِذَا هَوَى)

(ما ضلَّ) في دعوته وما عوى

الح ..

وبعد أن يتحدث عن شخصيته وعلمه وآثاره في اليقظة الإسلامية ينقل إلى محمد عبده :
 نعمة بالإصلاح قام بهـ مريدُه الوارثُ كُلُّ مَا حَوَى
 من حكمة تكشفُ أخلاقَ الدُّخَى وغيره نأكلت فيها الجِدَا^(١)
 وهمّة إن جُرِّدَتْ لجادِثُ تريكِ أَسْرَارَ تصاريِفِ القَصَا
 إذا تَحَدَّتْ الحُسَامُ المنتَضَى أعْيَا مضَاوُهَا الحُسَامُ المفتَضَى
 ويقول في ختامها :

ولا زى الأوهامَ أسباباً . كنْ يُلجأُ للطلم منبها والرُّقى)
 ومن يحى القبر أو يستنئى الطَّيْرَ رَحِطَ الرَّمْلَ أو صَرَبَ الحَصَى
 فالنَّافَة أعْقِلْ وتَوَكَّلْ واستشر فإن عَزَمْتَ فامض من غير وى
 فإن تَوَكَّلْتَ بلا عَقْلٍ ولا عَزَمْتَ فقد ضللت هَدًى المصطوى
 وهذه المقصورة مشورة تمامها في كتاب المرحوم شكيب أرسلان « السيد رشيد رضا
 أو إخاء أريمن عاماً » بمطبعة ابن ريدون بدمشق ١٩٣٧ فى صفحة ٢٨٥ وما بعدها^(٢)

(١) الحداء . حم حدوة وهى أصل الشجرة . يقصد أنها عيرة متأججة .

(٢) ولم يذكر هذا المرحع تاريخ الريادة فى المقصورة ، وقد رجعت إلى السيد مح الدين الحبيب فى ذلك فلم يذكر بالتحديد ، وإنما كان المرحع أن ذلك كان قبل سنة ١٩١٠ .

ب — العناية بذكري الهجرة النبوية الشريفة

لقد كان رأس السنة الهجرية في أوائل هذه الفترة من المناسبات العادية التي ترفع فيها
النهائي للخديويين والحكام دون التفات إلى ما يوحى به هذا اليوم من دكریات التضحية
والكفاح ...

١ — فإسماعيل صبرى يهنيء الخديو « توفيق » بمطلع عام ١٣٠٤ بهذه الأبيات^(١) .
توفيق مصر : العام وافى سمدُهُ وَسَمَى إِلَيْكَ بِفَيْضِهِ التَّكَارُّ
فَاهْنَأْ بِهِ وَاخْلَعْ عَلَى أَعْطَافِهِ مُحَلَّلاً مُطَرَّرَةً بِمُحْسِنٍ مَآثِرِ
وَاجْمَلِ بِلَادَكَ فِيهِ رَوْضَ سَمَادَةٍ تُنْمِسُ وَتَصْبِحُ فِي رَبِيعٍ نَاضِرِ
حَتَّى يَسْوَدَ عَلَى سَنِينٍ قَدْ مَضَتْ وَيَكُونُ عَامَ فَصَائِلٍ وَمَآثِرِ
مَوْلَايَ : هَذَا السَّعْدُ قَالَ مُؤَرِّخًا : (بُشِّرَى أَبَا الْعَبَّاسِ عَامُ بَشَائِرِ)

١٣٠٤

٢ — ومثل ذلك قصيدة من ثلاثة وخمسين بيتاً للشاعر إبراهيم رزى من الفيوم يهنيء
توفيقاً بالهجرة عام ١٣٠٧ ويقول في مطلعها^(٢) :

تَبَدَّتْ فَقُلْتُ : الشَّمْسُ بِاسْمَةِ الثُّغُورِ وَمَا سَتْ فَقُلْتُ ؛ الْفَصْنُ قَد مَاسَ بِالْبَدْرِ
وبعد أبيات في العزل يخاطب الخديو دون إشارة إلى أجداد هذا اليوم ثم يختمها بقوله :
كَرِيمٌ لَهُ مِنْ سَوْدَدِ الْجَدِّ عَرَّةٌ يَسِيرُ بِهَا فِي الْقَطْرِ كَالْكُوكَبِ الدُّرِّيِّ
يُهْنِئُهُ عَامٌ أَنَّى مُهَلَّلًا يَجْرُ ذِيُولَ الْكَرِّ مِنْ مُحَلِّ الطَّافِرِ
تَجْلِيٌّ قَامَ الْفَكْرُ يَجْلُو كَنَاءَهُ وَيُهْدِيهِ لِلتَّوْفِيقِ وَالطَّالِعِ الْبَسْذِيِّ
وَيَنْظُمُ دُرَّ الدِّحِّ فِي عَقْدِ حَمْدِهِ فَيُزِي بِمَا يُتْلَى مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

(١) الديوان ص ٢٣ .

(٢) جريدة الآداب للشيخ على يوسف العدد الأول ١٨٨٧/٢/٣ .

وَيُبَشِّرُ بَشَرَى الْعَدْلِ فِينَا مُؤَرَّخَاً (نَدَاً لِلْخَدِيوِ الْعَالَمُ فَلَيْسَ بِالْيُسْرِ)

١٣٠٧

* * *

٣ — وحافظ إبراهيم يهنيء عباساً بالعام الهجري ١٣٢٣ بقصيدة مطلعها (١) :

قَصُرْتُ عَلَيْكَ الْعَمْرَ وَهُوَ قَصِيرٌ وَغَالَبْتُ فِيكَ الشَّوْقَ وَهُوَ قَدِيرٌ

ولم يشر فيها إلى شيء من ذكريات الهجرة بل أكثر من هذا فإنه يذكر نفسه ويتهزئ هذه المناسبة ويستجدي الخديو بعد أن يخلم عليه من صفات التمجيد والملق الشيء الكثير :

عسى ذلك العالمُ الحديدُ يَسْرَتُنِي بِبَشَرَى وَهَلْ لِلْبَائِسِينَ بَشِيرٌ

وينظرُ لِي رَبُّ الْأَرِيكَ نَظْرَةً بِهَا يَنْجَلِي كَيْلُ الْأَسَى وَيُنِيرُ

مَلِيكَ إِذَا غَنَى الْبِرَاعُ بِمَدْحِهِ سَرَتْ بِالْمَالِ هَرَّةٌ وَسُرُورُ

ثم يعود إلى المغالاة في مدح الخديو :

أُمُولَايَ : إِنْ الشَّرِّقُ قَدْ لَاحَ نَجْمُهُ وَأَنْ لَهُ بِمَدِّ السَّمَاتِ نُشُورُ

تَقَامِلْ خَيْرَا إِذْ رَأَاكَ تُمَلِّسُكَ وَفَوْقَكَ مِنْ نُورِ الْمُهَيَّمِنِ نُورُ

الخ

* * *

أما بعد أن أخذ الوعي الإسلامي مكانه إلى النفوس رغم مقاومة المستعمرين ، وبعد أن ضاق الحناق بالناس بما كانوا يسمعون عن أمجاد أوروبا ، وبعد أن أثار مصطفى كامل الوعي القومي والحمية الوطنية في نفوس المصريين ، فقد اتجهت الأنظار إلى أيام الإسلام الخالدة — كما اتجهت إلى أبطاله الخالدين — وركزت الأنظار حول يوم الهجرة النبوية وبدأ الشباب يعنون بالاحتفال بذكرى هذا اليوم كيوم حدث فيه أروع مشهد للبطولة والتضحية .

وقد كانت ظاهرة الاهتمام بهذا اليوم في مطلع عام ١٣٢٦ لأول مرة قبيل وفاة مصطفى كامل ، حيث قد تجمع طلبة المدارس الثانوية بدار التمثيل العربي وأقاموا حفلا فنيا مثلت فيه مدارس القاهرة الثانوية وأقيمت فيه الخطب المناسبة والقصائد .

ومن القصائد التي أقيمت في هذا الحفل قصيدة الطالب عبد الغنى عثمان مندوب المدرسة السعيدية وجاء فيها ^(١) :

٤ — قاموا لإحياء عاداتٍ لهمُ وُهمُ يردُّون : أتاكِ النَّصرُ بِمِصرُ
وَدَبَ فيهمُ شعورُ الدِّينِ فانتبهوا ليعملوا عملاً يسمو به القدرُ
لعضل هجرة نور الكون قد عقدوا حفلاً فلاحَ على وُجوههمُ شرُ
ولعل هذه الأبيات وحدها تعبر أصدق تعبير عن التغير الذي قد أحدثته الحركة القومية وتأثير الوعي الإسلامى .

٥ — ولقد أثار هذا الحفل هموس الشعراء ومن ذلك ما نظمه أحمد الكاشف بهذه المناسبة تقديراً لهؤلاء الشباب ^(٢) :

رهورُ البلاد اليوم أبطأ لها عدأ عليكم سلامُ الله بأيتها الصَّحْبُ
سرورُكمُ بالعام مُشرى فابه ليصحبكم لاخوفَ فيه ولا حدْبُ
رصيتُهمُ عن الأيامِ والصِّلحُ بينها وبينكمُ ألا يمودَ لها دَنُ
لئن سرَّنى أن يسقى البيلُ غرسكمُ وتحممكمُ آمالكمُ فيه والحبُ
فقد ساءتْنى أنى تحلَّفتُ عنكمُ كمن ناه فى يدهاء غادرها الرُّكْبُ
وفى حتامها يقول :

يمرُّ على الأحرار ألا يهزَّم بغير الشكاياتِ الرسائلُ والكتبُ
متى يرعوى الباغى علينا ويستعفى ويصبح حربُ المخلصين هو الحربُ ^(٣)

(١) تذكُّار الاحتفال بالهجرة لعام ١٩٢٦ — مطبعة مدرسة أم ماس ص ٣٢ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ١١٤ .

(٣) يشير إلى الحزب الوطنى .

قُصَارَى جِهَادَى أَنْ أَرَى مِصْرَ حُرَّةً وَلَا زُنُزِلَتْ أَرْضُهُ وَلَا وَقَعَتْ حَرْبُهُ

* * *

ولقد داع أمر الاحتفال بهذا اليوم وانتشر في طول البلاد وعرضها وأخذ الناس يستعدون والشعراء يصوعون القصيد ولكن على أسلوب آخر غير الذى كان في الأعوام السالفة .. وقد اضطرت الحكومة - وكان على رأسها بطرس غالى - أن تعترف بهذا اليوم^(١) محاراة للشعور العام وتجملة عيداً رسمياً تعطل فيها مصالحها .

وقد أقيم في مطلع عام ١٣٢٧ بدار التمثيل العربى حفل عام جاء أفخم من سابقه في عام ١٣٢٦ وألقى فيه حافظ قصيدته المشهورة التى مطلعها :

٦ - أَطْلُ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْحَلَقُ تَنْظُرُ هِلَالُهُ رَأَى الْمَسْلَمُونَ فَكَبَّرُوا^(٢)

وهى من حمسة وستين بيتاً ولكنها لم ز فيها حافظاً التهالك على تمجيد الخديو عباس المصور له رمز المطولة .. وإعاً رأينا فيها حافظاً الذى يتحدث عن هجرة حير الورى وعيد الأقطار الإسلامية محيماً فيذكر حوادثها ومصائبها ، فلا يترك تركيا ولا الفرس ولا مراكنس ولا الهند بل ويتحدث عن جاوة والجزائر وتونس وبلاد الأفغان .

نعم لقد جرف تيار الشعور الإسلامى حافظاً فيمن حرف فلم يعد في مثل هذه المناسبة يستطيع أن يقصر حديثه على النيل وحده أو على عباس وحده لأن الشعر مجاله الخيال ولا بد للشاعر أن يخلق في أوسع الأحواء . قال بعد المطلع :

تَحَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ رَادُ حُسْنِهَا عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهُ تَتَكَرَّرُ
وَبَشَّرُهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينِهِ وَغُرَّتِهِ وَالْفَاظِرِينَ مُدَشِّرُ

وبعد أن يتحدث عن جهاد نيارى وأنوو تركيا في بيل الدستور ثم عن مناوأة شاه الفرس لطلاب الدستور ثم ما أصاب عبد العزيز سلطان مراكنس ثم عن النهضة في الأفغان والهند وحاوه وتونس والجزائر . يقول :

(١) ذكرها من القرار بصيغة ١٧٧

(٢) الديوان صفحة ٣٧ ج ١ .

وفيه سَرَتْ في مِصْرَ رُوحٌ جَدِيدَةٌ مُبَارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَمَّرُ

مَضَى زَمَنُ التَّنْزِيمِ بِأَنْبِلٍ وَانْقَضَى فِي مِصْرَ أَنْقَاطٌ عَلَى مِصْرَ نَسْهَرٍ
إِذَا اللَّهُ أَخْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّهَا إِلَى الْمَوْتِ قَهَّارٌ وَلَا مُتَجَبِّرٌ
نَمْ يَحْتَمِ الْقَصِيدَةُ بَيْتَيْنِ عَنِ الْأَمِيرِ عَبَّاسٍ .

ثَقُّوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ : إِنَّهُ بِكُمْ وَمَا تَرْجُونَ أَذْرَى وَأَخْبَرُ
فَلَا رَالَ عَمْرُوسَ الْأَرْبَكَةَ حَالِسًا عَلَى عَرْشِ وَادِي النِيلِ بِنَهْى وَبَأْمُرٍ

٧ - وفي هذا العام أقيم احتفال بهذه المناسبة « لكاريدو حلوان » وقد ألقى فيه
عبد الحليم النعري قصيدة كبرى من ستين بيتاً ذكر فيها أيضاً حوادث العالم الإسلامي
قطراً قطراً ثم تحدث عن الهجرة وعن الأحوال السياسية في مصر وأصداء الدستور في تركيا
وتشجيع مصر على المضي في طلبه .. قال في مطلعها .

وَصَمُّوا الْقَرْيَصَ مَوَاصِعَ التَّبِجَانِ فَلَا تَسْحَنَ نَيَانُهُمْ يَبْيَانِي (١)
وَلَا تَظْمَنَ إِلَى الزَّمَانِ بَيْتِيْمَةً لَتَرَى الزَّمَانَ مُرَدِّدًا الْحَانِي
وَدَّعْ بِهَا السَّيْمَةَ الْقَدِيمَةَ وَابْدِ السَّنَةَ الْجَدِيدَةَ تَفْخَرُ السَّنَتَانِ
إِنْ كَانَ مِنْ دَنَبِ الْقَدِيمَةِ أَنَّهَا أَنْحَتْ عَلَى الْأَفْوَامِ فِي طَهْرَانِ (٢)
وَقَضَتْ عَلَى مِصْرٍ بِخَسْفٍ هَلَالُهَا وَطَنِي بِهَا الزُّلَالُ فِي الطَّلِيَانِ (٣)
فَلَقَدْ يُكْفِّرُ هَذِهِ الْآثَامَ أَنْ بَالَتْ مَا رَبَّهَهَا بَنُو فُهَانِ ... (٤)

(١) ص ٤٩ من الديوان .

(٢) مقاومة الشاه للدستور .

(٣) موت مصطفى كامل .

(٤) إعلان دستور تركيا .

وبعد أن يتحدث عن تهنئة الدولة العلية بالدستور وعن مطامع الإنجليز في السودان وعن حوادث مرا كش وإيران وتونس ينتقل إلى الحديث عن الهجرة :

يَا حَرِيقَةَ سَطَمَتِ دَارَةَ أَخْتِهَا كَلَّتَا كُفَّيَا فِي الْعَيْنِ حَسَسْنَا وَان
سَمِيًّا لِيَوْمٍ فِي ظِلَالِ رَبِيعِهِ نَزَلَ الرَّسُولُ بِأَشْرَفِ الْبُلْدَانِ

ولم يكتف بمجرد سرد الحوادث والوقائع بل كان الحديث عن وحى الهجرة ثم ينتقل إلى ذكر محاسن الإسلام :

إلى أن يقول :

مَا كُنْتُ أَتَّبِعُ دِينَ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي إِبْنِي أَنَّمَنْتُ سَوَاطِعَ الْبِرِّ
تَالَهُ لَوْ مُجِّمْتُ مِنْ دَمٍ كَافِرٍ لَحَمَلْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ دَبْدَبَانِي

ثم ينتقل إلى الحديث عن الأحوال السياسية في مصر :

ثم يختمها بقوله :

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ حَسْبُكَ مَا مَضَى الْقَمَرُ وَالْإِسْـانُ مُلْتَقِيَانِ
إِنْ كَانَ أَمْسُكَ مِنْكَ وَلَّى سَاحْطًا فَدَدُّهُ أَحَقُّ الدَّهْرِ بِالْإِحْسَانِ

٨ - وفي عام ١٣٢٨ قصيدة الحافظ مظلما^(١) :

لِي فِيكَ حِينَ كُنَّا سَنَاكَ وَأَشْرَقَا أَمَلٌ سَالَتْهُ اللَّهُ أَنْ يَتَحَقَّقَ

وهي من خمسة وأربعين بيتاً ويلخص فيها حوادث العام العاشر من سقوط عهد الحميد ومساومة الإنجليز في مد امتياز قناة السويس ثم يحاول أن يشجذ عزائم الشباب وبطرد اليأس من النفوس ويحثهم بالإشارة إلى تأييد الحديو عباس .. ويكتفي بالإشارة لهذه القصيدة .

٩ — ولأحمد نسيم قصيدة أيضا في هذه المناسبة ومطلعها^(١) :

طلع الهلالُ فأتَّجِدُوا وَأَغَارُوا وبدأ النَّبِيُّ فكَبَّرَ الأنصارُ
ألقوا عَصَا التَّسْيَارِ حَيْثُ تَبَدَّجَتْ للمُهْتَدِينَ وللْمُهْدَى أنوارُ
يا أَسْمَدَ الأيامِ فيكَ تَثَبَّتْ للمُصْطَفَى دَعْوَى وَفَرَّ قرارُ
فيكَ أطمأنَّ على الهدايةِ مَعَشَرٌ دَرَجُوا على نَهْجِ الرِّشَادِ وَسَارُوا
وَأَنيمَ للدينِ الخفيفِ دَعَائِمُ لكَ تَجَنَّتْ أنوارُهَا الأقطارُ

ثم نأخذ في الدفاع عن الحزب الوطني .

عجزوا فقالوا : أُرْمَةُ زَلْتُ بِنَا فتساقطت رَوْبٌ وَحَلَّ دِمَارُ
وَقَتَوُوكُوا : إنا نحاولُ نُورَةَ هَمَزَتْ فيها للسيفِ شِفَارُ
قالوا : سخرتم بالصَّليبِ وَحَنَمَ عهد الجوارِ فليسَ سَمَّ حَوَارُ
الخ ...

أفريدُ : لا تَحْذُلْ بلادك بعدما مُجِئَتْ لَدَيْكَ أولئك الأنصارُ
هذي الشَّيْبَةُ قُلْ لَهَا : لا تَحْجَمِ ماى ثَبَاتِ المُقَدِّمِينَ شِفَارُ

دَعَوْهُمْ كما شاءُوا لِيَوْمِ حسابهم فلمْ كما شاءَ الهوى أَطْوَارُ
إِنَّا قد اختبرناك خيرَ مُدافع يَرْضَى به الرِّجْمُ والْخِتَارُ

١٠ — ولشوقي في مطلع عام ١٣٢٩ قصيدة عامرة من واحد وأربعين بيتا ومطلعها^(٢) :

(١) الديوان ج ٢ صفحة ٣ — وقد ألفت ملحمة الحرب الوطنية بولاق في مطلع عام ١٣٢٧ —
وكان أحمد نسيم من الأدباء الشعراء وعين بدار الكتب في القسم العربي وتوفي سنة ١٩٣٨ .
(٢) الديوان ج ١ ص ٢٢٤

العامُ أَقْبَلَ قُمْ نَحْيْ هَلَالًا كالتَّاجِ في هامِ الوجودِ جَلَالًا
ويتحدث عن الهلال حديث الشاعر ولم يسرد قصة الهجرة سرد مؤرج :
إلى أن يقول :

أَمَ الْهَلَالِ ، مَقَالَةً مِنْ صَادِقٍ وَالصَّدُوقُ أَلْبَقُ بِالرَّحَالِ مَقَالًا
مُتَلَطِّفٍ فِي النَّصِيحِ عَيْرُ مُجَادِلٍ وَالنُّصِيحُ أَضْيَعُ مَا يَكُونُ جَدَالًا
مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا وَيُسَوِّدُ الْقَدَامَ وَالْفَعْلَالَا
طَلَمَتُهُ السَّنَةُ تُؤَاخِذُهُ بَكُمْ وَظَلَمَتُمُوهُ مُفَرِّطِينَ كَسَالِي
هَذَا هَلَالِكُمْ تَكْفَلُ بِالْهَدَى هَلْ تَعْمَلُونَ مَعَ الْهَلَالِ صَلَالَا
إِلْخ . ولم يفت شوق في هذه الأبيات أن يذكر مزايا الإسلام .

واسكن الذي يلاحظ أن شوقيا لم يتعرض في هذه القصيدة لما تعرض له غيره من
حوادث العالم الإسلامي .

١١ - ولأحمد محرم في مطلع عام ١٣٣٨ قصيدة عامرة مرة من سبعة وثمابين بيتا
ومطلعها^(١) :

حَيُّوا الْهَلَالِ وَحَيُّوا أُمَّةَ الدَّيْلِ وَاسْتَقْبَلُوا الْعِيدَ الْعَصْرَ وَالْحَيْلِ
وفي ذلك العام كانت الثورة^(٢) قد أخذت من مصر مأخذها وكانت الحرب المظلمى قد
وضعت أوزارها وأعلنت مبادئها .. وكان المصريون يتطلعون إلى نسيم الحرية بعد
أن صبروا طويلا وبعد أن دوى انفجار ثورتهم في الحائقين ... ومن ثم فسنبجد في هذه

(١) الديوان > ٢ صفحة ١٩٥ وقد نشرت بالعدد ٤٤ من الأفكار الجديدة سبتمبر ١٩١٩

(٢) ثورة ١٩١٩

القصيدة لونا جديداً من الأمانى التى أوحى بها الظروف :

يأبها العامُ يزجى كلُّ مُرتقبٍ من الرّجاء ويذنى كلُّ مأْمولٍ
بشّرٍ بأُصدق أبراءِ السّنى أمّا أنْحى الزّمانُ عليها بالأباطيل
ضاق الرّجاءُ فمات كلُّ تسليةٍ من الأساة وملّت كلُّ تمثيلٍ
اكشف لنا من حُبابِ الغيب ما كنتم تُحجبُ الحوادث من مُرْحى ومسدولٍ
إنى أرى الأمرَ قد لاحَ مخايله فى صادق من عهود الله مَسْئُولٍ
يمشى النّبىُّ بهِ والآلُ هاتفةٌ والرّوحُ ما بين تكبيرٍ وهليل^(١)

وبعد أن يتحدث عن الحماد والكفاح وآثار العزيمة القوية فى ظلال الهجرة ينتقل إلى وصف الحالة بمصر :

يا حِجَّةً وَقَفَتْ مِضْرُودٌ عَمَّا تُخدى مَكَانَكَ خَلْفَ الدّهرِ أَوْ زُولِ
كم فادح عَمَكٍ لولا ما يُؤَيّدُنا من قُوَّةِ الله أضْحى غير محمُولٍ
لم تُتركى مَنزلاً أمّا ولم تُدرعى لمدمن الحوف عيشاً غير ممطُولٍ
ما تُصرُّ العينُ من شىءٍ يلوّحُ لها إلا رأى عندهُ تمثالٍ عرِبلٍ
إذا المايا ارتمت حيرى أَهَابَ بها تهادُرٍ حادٍ على الآحَالِ مدُولٍ

* * *

من كان يَحْذُرُ تَسْكِيلَ الخطُوبِ بهِ لا يَرَحُ الدّهرَ مغمُوماً تَتَسَكَّلِ
قالوا : السلامُ ، ههنا السكونُ صارخهم عن مَنهلٍ بدم الأَطالِ معلولٍ
واسترسلت ترفعُ النّجوى وتنفضُهما أيدى اليَتامى وأفواه الرّاميلِ
وبشّروا بما سنَّ الرّئيسُ لنا من شرّعةٍ داتِ تَيانٍ وتفصيل^(٢)

ثم يتحدث عن وعود الإنجليز بالخلاء :

لو قيل : يومُ يقومُ الناسُ مُوعِداً قالوا : مساريعُ راعونا بتمجّيلٍ

(١) الروح : سيدنا حبريل عليه السلام

(٢) الرئيس ولس صاحب المادى المشهورة عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى .

اللَّهُ يَمْنَعُ مَا شَاءَتْ عَنَانُهُ أَلَّا يُبَاحَ وَيَأْتِيَ كُلُّ مَدْخُولٍ
أَنظُرْ إِلَى الْبَيْتِ هَلْ ضَاعَتْ عَارُمُهُ لَمَّا أَغَارَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفِيلِ ٠٠؟

* * *

يَا مِصْرُ عَاثُكَ عَاثُ الْخَيْرِ فَارْتَقِبِي فِيهِ الْمُنَى وَتَقَى مِنْهُ بَنُو بِل
اللَّهُ حَوْلَكَ النَّعْمَى الَّتِي عَظُمَتْ هَلْ يَسْلُبُ اللَّهُ نَعْمَى بَعْدَ تَخْوِيلِ
مَاءَ خَلْفِ اللَّهِ مَنْ وَعَدَ وَلَا كَذَبَتْ آمَالُ شَعْبٍ بَلَطَفَ اللَّهُ مَشْمُولِ

* * *

وبعد فتلك هي نماذج من القصائد التي قيلت في مناسبات ذكرى الهجرة النبوية
ولدينا من أمثالها عدد وفير ولا يتسع المجال هنا لسرده جميعاً ٠

وقد رأينا فيما ذكرنا من هذه القصائد كيف أنها تلونت بالظروف بعد أن كانت تنزه
هذه المناسبة لمَدح الحُكَمَاءِ وإظهار المُنَى. وأصبحت ميداناً يظهر فيه أُنين الأُمِّ الإسلامية
وتذاع فيه الأحوال السياسية لِمُتخالف تلك الأُمِّ ويصور الشعراء فيه حلال الهجرة
وما فيها من عبرة .

ولم يكن ذلك ؛ ثم ما رأيناه من قبل في إحياء ذكرى الأنطال — إلا صدى للبعث
الإسلامي الجديد الذي وضع بذوره جمال الدين ونماها تلميذه محمد عبده ولئن امتزج هذا
الوعى الإسلامي بالبعث القومي فما ذلك إلا لأن الدعوة القومية والعزة الوطنية ليست إلا من
صميم الدعوة الإسلامية ومن ثم فقد كانت دعوة محمد عبده إسلامية وطنية ودعوة مصطفى
كامل وطنية في ظلال الإسلام .

* * *

ج — الرد على المطاعن الموجهة للإسلام

وقد سبق أن رأينا عند الحديث عن « الغارة على الإسلام » كيف^(١) أن المستعمرين

كانوا يوجهون الطاعن إلى طبيعة الإسلام ويحاولون الغض من قيمته . ورأينا كيف أن «هانوتو» الفرنسي «وكرومر» الإنجليزي كانا على رأس أولئك الطاعنين ، كما رأينا أن موجة المدينة الحديثة التي بدأت تتمر الشرق من أوروبا قد جرفت بعض الكتاب السوريين الذين وفدوا إلى مصر فراحوا يعرضون بالإسلام .

ولم يقف الشعراء مكتوفين إزاء كل ذلك بل راحوا يردون تلك المراءم .

١ — ومن القصائد التي أنشئت بمناسبة رسالة «هانوتو» قصيدة لأحمد محرم ومطلعها^(١) :

غَضِبَ الْحَمَاءُ لِلدِّينِ أَحْمَدَ غَضِبَةً نَصَرَ الْإِلَهَ بِهَا وَعَزَّ الدُّنْصَحُ^(٢)
ومنها :

قَدَفَتْ بِهَا نُوتُو فَصَاحَ بِهَبَبَةٍ قَرَمَى بِأَبْطَالِ الرَّحَالِ وَتَقَذِفُ
مَا لَقَصَّ يَرْمِي الْمُسْلِمِينَ بِمَسْمَةٍ حَتَّى انْتَبَرَى الْقَدَرُ الَّذِي لَا يُسْمَعُ
هَاجَ الْحَمَاءُ هَاجَ كُلُّ مُشَبِّعٍ عَمَلُ الْوَقَائِعِ بِالْوَقَائِعِ يُقْصَمُ
جَبْرِيلُ يَذْلِفُ بِاللَّوَاهِ وَأَحْمَدُ^(٣) بَيْنَ الْوَمَى وَبَيْنَ حَمْرَةِ يَذْلِفُ^(٤)
ومنها :

أَيُّهُمْ هَانُوتُو رَقَبَرُ مُحَمَّدٍ وَيَسُوعُ حَوْلِيهِ يَطُوفُ وَبِمُكَمِّ؟
أَقُولُ تِلْكَ . فَلَا تَمِيدُ بِأَهْلِكَ بَارِسُ مِنْ قَرَعِ وَهِنُودِ التُّسَحَمِ^(١)
فَلَسَوْفَ يَنْظُرُ أَيُّ مُدْنِكَ يَنْطَوِي وَلَسَوْفَ يَمْلِكُ أَيُّ عَرِيشِ مَخْسَفِ
وَيَحْنِي عَلَى الْإِسْلَامِ هَانُ وَزَلْزَلَتْ أَيُّ الْخَطُوبِ شَعُوبَهُ فَاسْتَنْصَفُوا
لَوْلَا التَّمَصُّبُ لَمْ تُرْعَ فِي ظِلِّهِ أَمُّ تَمِيدَ وَلَا تَمَالِكُ قُرْجَفُ

(١) الجزء الثاني ص ٧١ .

(٢) يشير إلى رد الامام .

(٣) الوصى — على بن أبي طالب .

(٤) يشير إلى ما جاء في مقال هانوتو من ضرورة قتل من النى عليه الصلاة والسلام إلى متحف اللوفر وفي بقية الأبيات يشير إلى رد محمد عمده على هذا المثال .

ومنها وفيه إشارة إلى رد الإمام :

كَشَفَ الْكِتَابُ عَنِ الْحُجَّةِ فَانْظُرُوا وَأَرَى الْحُجَّةَ عِنْدَكُمْ أَنْ تَصْنِدُوا
لَوْذُوا بِأَرْوَعٍ مَا تَخَافُ نُفُوسُكُمْ إِنَّ الْكِتَابَ عَلَى النُّفُوسِ لِأَخَوْفُ
إِنَّ الَّذِي قَهَرَ الْجَبَابِرَ مَالَهُ مِثْلُ بُعْدٍ وَلَا شَيْبَةٍ يُوصَفُ
تُزْجِي أَسَاطِيلَ الْقَضَاءِ سَطُورَهُ وَتَقُودُ حَيْلَ اللَّهِ مِنْهُ الْأَخْرَفُ
الخ ...

٢ - ولقد أشار الشعراء في مراتبهم للإمام إلى موقفه من هانوتو ومن ذلك ما جاء في قصيدة الشيخ محمد عبد المطلب التي مطلعها (١) :

إلى الله في رسوائه سار عسده مجدا فأبكي أعين المحدث فقهده

* * *

فَكَمَّ مِنْ بَيْدِ الدِّينِ أَسْدَى وَمَوَظِنَ تَبَيَّنَ فِيهِ لِلَّذِي ضَلَّ رُشْدُهُ
وَمَا نَسِيَ الْأَقْوَامُ مَوْقِفَهُ الَّذِي بِهِ رَدَّ هَانُوتُو وَقَدْ ضَلَّ كَيْدُهُ
وَكَانَ يَظُنُّ ابْنَ الْفَرَنْسِيِّ أَنَّهُ أَتَى بِالَّذِي لَا يُمَكِّنُ النَّاسَ حَاجِدُهُ

* * *

٣ - وما جاء بقصيدة للأديب محمد أبو طالب الإسكندري (٢) :

وَرَدَّ هَنْتُو حِينَ شَطَّ بِهِ النَّوَى وَصَالَ بِسَيْفِ الْحَقِّ وَالسَّيْفِ مَرْهَفُ
فَكَانَ لِلدِّينِ اللَّهُ أَعْظَمَ آيَةٍ بِهَا طَرَفُ أَعْدَاءِ الْمَدَايِةِ يُطَرَفُ

٤ - وما جاء في قصيدة « ملك أحفنى ناصف » (٣) :

رَدَدَتْ هَانُوتُو وَالْقَوْمَ الَّذِينَ نَحَّوْا مَشْجَاهُ مَهْنُ فِرْيَةٍ فِي دِينِنَا رَعَمَا

(١) منشآت الامام ج ٣ صفحة ٣٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٠٠ .

حَمَلَتْ مِنْ خُطْبِ الْأُمَمِ أَكْثَرَهَا إِنْ الْمَظَاهِمَ فِي الدُّنْيَا لَنْ قَطُّمَا
وما جاء في قصيدة الأديب نصر الدين زغلول الهامى^(١) :

أُحْمَدُ : طَوَّقَتْ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْتَانَفَيْلَهَا إِلَهُ حُصَامَا
فَنَصَرْتَهُ وَخَذَلْتَ هَانُو وَمَا أَعْلَنْتَ حَرْبًا أَوْ أَخْفَيْتَ سَلَامَا
وَرَمَيْتَ عَنْ قَوْسٍ بَرَاهُ مُحَمَّدٌ قَرَشَفْتَ مُهْجَةً عَائِينَ سِيهَا
وَكَشَفْتَ لِلدَّيْنَيْنِ مِرًّا حَقَائِقَ مَكَشَفْتَ حَيَا كَمَنْوُهُ وَزَامَا

ولقد أشار حافظ إبراهيم إلى ذلك في إحدى مرثياته للإمام حيث قال^(٢) :

وَوَثَّقَتْ سَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْحِجَا فَأَطْلَعَتْ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
وَقَفَّتْ لَهُ هَانُو وَرَيْفَانٌ وَقَفَّةً أَمْدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالذَّفَفَاتِ
الخ ...

ونكتفي بهذا القدر عن « هانوتو » لرى ماذا قال الشعراء عن مطاعن كرومر .
ومن أهم العوامل التي أثارت الشعراء على كرومر وجملته هدفهم ما جاء في تقريره الأخير^(٣)
ومن القصائد التي أنشئت في الرد على مزاعم كرومر قصيدة لأحمد محرم مطلعها^(٤) :

١ - رُوِيْدَكَ أَهْهَا الْجَبَارُ فِينَا قَبْلَ الرَأْيِ إِلَّا تَزْدَرِينَا
وفيها يقول :

رَعَمْتَ الدِّينَ وَالْقُرْآنَ جَاءَا بِمَا يَشْفِي حَيَاةَ الْمُسْلِمِينَ
وَعَمَتِ مُحَمَّدًا لَمْ يُؤْتَ رُشْدَا وَلَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ الْمُصْلِحِينَ
فَلَيْتَكَ كُنْتَهُ لَلنَّاسِ قُرْعَا يُجَلِّسُنَا مَكَانَ السَّاقِينَ

(١) منشآت الإمام ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) ص ١٤٥ ج ٢ من الديوان .

(٣) ص ١٨٦ .

(٤) ج ٢ صفحة ١٥ .

سَفَنَّا الرِّشْدَ لِلْأَقْوَامِ طُرًّا ولولا الدينُ لَمْ نَكُ رَاشِدِينَ
ولولا مَعَشَرُهُ صَلَّوهُ مِنَّا لَكُنَّا السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ
أَنْزَعُمُ مَا جَنَى الْجَهْلَاءُ دِينًا وَتَأْخُذُنَا بِمَحْمَلِ الْجَاهِلِينَ ؟
رُوَيْنَكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ فِينَا فَمَا أَنْصَفْتَنَا دُنْيَا وَدِينَا

الخ ...

٢ - وللشاعر أحمد نسيم قصيدة في هذا الموضوع ومنها^(١) :

يَا لَوْرُدُ : هَلْ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ غَرَضٍ تَرْمِي إِلَيْهِ بِسَهْمٍ مِنْكَ مَسْنُونٍ ؟
أَنْسَدْتَ مَدْحَكَ لَوْلَمْ تَرْتَكِبْ شَطَطًا فِي أَخْرَابِكَ مِنْ حِينَ إِلَى حِينَ
هَجَوْتَ قَوْمِي وَمَا فَارَقْتَ أَرْضَهُمْ حَتَّى تَجَرَّاتَ أَنْ تَنْحُو عَلَى الدِّينِ
أَلَمْ يَكُنْ دِينُ طَهَ حَيْرَ مَا هَمَّتْ بِهِ الْبِلَادُ إِلَى عِلْمٍ وَتَمْدِينِ
فَكُلُّ مُتَتَبِقٍ لِلدِّينِ مُعْتَقِدٍ هَاجَتْ قَوَائِرُهُ مِنْ بَعْدِ نَسِكِينَ

٣ - ويشير حافظ في قصيدة وداع كرومر إلى تلك الزاعم^(٢) :

وَأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الْوَدَاعِ مَفَامِرًا رَأَيْنَا حَفَاءَ الطَّبَعِ بِهَا مُجَسَّدًا
فَمَزَتْ بِهَا دِينَ النَّبِيِّ وَإِنَّا لَنَنْفَضُ إِنْ أَعْضَبَتْ فِي الْقَبْرِ أَحَدًا
بِفَادِكَ : أَيْنَ الْنَائِفُونَ بِعَهْدِكُمْ وَأَيُّ نِفَاذٍ شَامِخٍ قَدْ تَجَدَّدَا .. ؟

ويشير شوقي في قصيدة وداع كرومر أيضا إلى ذلك :

إِنَّا نَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَوْتِ وَاللَّهُ كَمَا نَبْتَغِيهِ كَفِيلًا

(١) ج ١ ص ٨ — مطبعة الإصلاح بشارع محمد علي .

(٢) مجلة الجامعة الجزء الخامس من السنة الرابعة أغسطس سنة ١٩٠٣ .

مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ قُتِلَ مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الْإِلَهِ مَكِينًا

أما مزاعم فرح أنطون^(١) فقد كان صدورها أظهر ما يكون في شعر الرافعي والكاشف :

أما الرافعي فقال قصيدة مطلعها :

يَمَى الْأَفْلَاكُ لَا تُثْمُ الْقِيَابِ وَلَا كَالْفُلْكِ تَجْرَى فِي الْعُبابِ
ومنها :

وَلَوْلَا الدِّينُ كَانَتْ كُلُّ نَفْسٍ رَأَيْتُ الدِّينَ وَالْأَرْوَاحَ فِينَا
كَمَا صَحِبَ الْفَرِيبُ أَخَا اغْتِرَابِ غَلَا رُوحٌ بِلَا دِينَ وَمِنْ ذَا
تَسْكُنُ اللَّوْنَابِ رَأَى رَاحًا تُصَبُّ بِلَا مُحَبَّابِ؟
بِكُونِ وَرَأَاهُ عَجَبُ اللَّشَابِ لِيَجْعُدَ مِنْ بَشَاءٍ مُرَبٍّ قَشِيرِ
أَخُو الْأَسْفَارِ عَنْ طَرِيقِ الْمَسَابِ إِلَى اللَّهِ الْمَأْبُوكِ كَيْفَ يَنْمَى
تَدْفَقُ بَيْنَ قَلْبِي وَالْحُجَابِ وَمَا ظَمْتِي فِي جَنْبِي نَهْرٌ

وأما قصيدة أحمد الكاشف فطلعها :

سَلَامًا مُحِبَّةَ الْإِسْلَامِ فِينَا وَرِضْوَانًا رَجَاءَ الْمُسْلِمِينَ

ويقرب في هذه القصيدة مقالات محمد عبده في الرد على فرح أنطون :

مُعْتَبَتْ عَمَّا كَتَبْتَ فَكَانَ وَخِيَا يُؤَيِّدُ وَحَىٰ مُلْهِمَكَ الْمِينَا
فَلَمْ تَتْرُكْ لِمُتَّبِعِهِمْ مَكَانًا يَرَى فِيهِ الْمَزَامَ وَالظُّنُونَا
فَمَا بَطُلَ مَخْضُوعُ الْحَرْبِ قُرْدَا وَمَا يَدْعُو بِأَخْرَ مُسْتَعِينَا
جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْدَى بِعُمُجَّتِهِ الْمَوَاطِنَ أَنْ تَهْوُونَا

بِأَذْقَى مِنْكَ آثَاراً وَذِكْراً وَقَدْ رَأَى فِي قُلُوبِ الْعَالَمِينَ
ومنها :

وَمَا صَرَّ الصَّلَالُ الْخَلْقَ حَتَّى نَفَعْتَهُمْ وَأَوْضَحْتَ الْيَقِينَ
فَرَفَقاً بِالْكَابِرِ قَدْ كَفَاهُ مُجَادَلَةً وَأَوْشَكَ أَنْ يَدْرِينَا
وَدَعَاهُ فِي تَأْمُلَةِ عَسَاهُ بِجَيْشِكَ بِاعْتِرَافِ الْمُتَعَدِّدِينَ

ولإسماعيل صبرى قصيدة في رثاء الإمام يشير فيها إلى هذا الموضوع^(١).

محمّدٌ : مَنْ لِلدِّينِ يَحْرُسُ حَوْضَهُ وَيَدْرَأُ بَيْنَ النَّاسِ عَمَ الْمَوَادِيَا
تعرض قومٌ لِلْكَتَابِ وَأَتَخَضُّوا صِرَاحَتَهُ نَرْحَا عَنْ الْقَصْدِ نَابِيَا
فَارْسَلَتْ فِيهِمْ نَظْرَةً نَفَذَتْ إِلَى صَمِيمِ كِتَابِ اللَّهِ إِذْ مُقَّتْ هَادِيَا
وَوَقَّتْ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ نَعْدَمَا قَدْ اعْتَقَدَ الْإِلْفَانِ أَنْ لَا تَلَا قِيَا
الخ ...

ونرى كثيراً من أمثالى هذه العمانى مثنائراً في مرأى الإمام . والذى لفت نظرى
أنى لم أحد قصائد شائعة في تلك الفترة عن مؤتمرات الشمرين وتحركاتهم وأمل ذلك راجع
إلى أنهم كانوا في طور الدراسة ولم تقع منهم حوادث تصير كما سنرى فيما بعد اللهم إلا
قصيدة كبرى من مائة وحسين بيتاً^(٢) بعنوان : تحذير المسلمين والمسلمات من مدارس
النصارى والاستشعيات قد ضمنها أعمال الشمرين في المدارس^(٣) الأجنبية تحت ستار التعليم
وفى الاستشعيات تحت ستر الملاج وأبان خطر أعمالهم على عقائد الناشئين ثم حذر المسلمين

(١) الديوان صفحة ٢٠٧ .

(٢) للشيخ احمد على الملبى المكتبي مطبوعة في سنة ١٩١١ في ١٦ صفحة .

(٣) كان أثر ذلك خطيراً قبل رقابة الحكومة على هذه العمامة وقبل نشر الوعى الاسلامى بين
طبقات الشعب ... ثم إن هذه الجماعات كانت تباشر أعمالها تحت حاية المستعمرين .

من أن ينساقوا في تيار الغفلة ويلقوا بأناسهم إلى تلك المعاهد وأخذ يشرح مزايا الإسلام ويدعو إلى الأخذ به ... وقد قدم لهذه القصيدة مقدمة شرح فيها أغراضه ثم بقصيدة من أحد عشر بيتاً ومنها :

إِلَيْكُمْ بَنَى دِينِي الْقَوِيمَ وَمِلَّتِي أَقْدَمْتُ تَحْدِيدِي بِقَصْدِ الْمَدَائِفِ
وَلَا أَرْجِي مِنْكُمْ لَهُ عَمَّا سِوَى قِرَاءَتِهِ إِنْ مِنْ بَدْنِهِ لِلنَّهَائِفِ
وَلَكِنْ بِإِيمَانٍ وَحُسْنِ تَدَبُّيرٍ لَأُقَدِّمَ حَوَائِجَ مِنْ جَلِيلِ النَّصِيحَةِ
ومطلع القصيدة الكبرى هو :

إِنِّي أَحْذَرُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ إِذَا كُتِبَتْ لِي مِنْ أَوَّلِ الْأَرْحَامِ
ومنها :

يَأْتِيهَا النَّاسُ : انظُرُوا وَتَدَبَّرُوا فِيمَا لَكُمْ أُنْبِيَاءُ مِنْ الْهَامِ
ظَهَرَ النَّصَارَى بِالْمِدَاءِ وَحَاوَلُوا تَحْوِيلَكُمْ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ
وَسَمِعُوا بِسُوءِ الْقَصْدِ فِيمَا بَيْنَكُمْ سَمِعُوا الذَّنْبَ بِسَاحَةِ الْأَغْنَامِ
فَاسْتَأْجَرُوا فِي كُلِّ وَادٍ مَنَزِلًا لَتُبَيِّنَ فِيهِ دَسَائِسُ الْأَوْهَامِ

وبعد أن يذكر الوسائل التي يلجأون إليها ويبين سوء مقاصدهم يقول :

وَإِذَا تَصَادَفَ أَنْ تَلْمِيزًا لَهُ عَقْلٌ ذَكَرَ لَمْ يَكُنْ يَتَعَامِ
أَبْدَى اعْتِرَاضاً لِنَسْ فِي إِيكَانِهِمْ عَنْهُ الْإِجَابَةُ سَفَسَطُوا بِغَلَامِ :
وَلَنْ رَأَوْهُ عَيْرَ مُكْتَرَثٍ بِمَا أَبْدَوْهُ قَالُوا : يَا خَا الْأَسْمَامِ :
« الدِّينُ فَوْقَ الْعَقْلِ » جَاءَ فَلَا تَكُنْ لِلْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ ذَا إِقْدَامِ
فَإِذَا تَكَرَّرَ عَاقِبُوهُ بِطَرْدِهِ كَيْمَا يَكُونُ سِوَاهُ ذَا اسْتِحْلَامِ

وهكذا ...

« قد مضى عليها بقرب من عشرة أبيات قال فيه :

بِحَمْدِ اللَّهِ تَحْذِيرِي لَالِ بَدَا بَزْهُو كَعَفْرِ مِنْ لَالِ
وَأَضْحَى صَوْنُهُ فِي كُلِّ نَادٍ يُنَادِي يَيْنَهُمْ بِلسان حال :
أَلَا يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ إِنِّي أَقُولُ . وَلَسْتُ مِنْ خَصْمِي أَلِي :
أَفِيقُوا وَاقْبَلُوا نُصِيحِي فِيهِ سَعَادَتَكُمْ تَدُومُ بِلَا زَوَالِ . .

ونلاحظ في هذا الشعر أسلوب الفقهاء والتكاف .

٣ — التأليف بين العنصرين

لقد رأينا^(١) كيف كان المستعمرون يحاولون إيجاد الفوقة بين عنصرى الأمة وبستغلون كل فرصة ليشغلوا الفريقين بخلافات متوهمة حتى يصفو لهم الجو ويأمنوا القوة الناشئة من الاتحاد .

ولقد كان الشعراء متذهبين لتلك السياسة الاستعمارية فكانوا دائماً يقفون موقف المهدر فأكثرُوا ، وقد نشرت صحف تلك الفترة ولا سيما في سنة ١٩١٠ الكثير من ذلك حينما قتل بطرس غالى وقد رأى الإنجليز في ذلك الحادث أسنح الفرص .

ولعل أحمد شوقي كان من أوائل من تدبها إلى ذلك الأمر فراح يدعو إلى التآلف والوحدة من وقت مبكر قبل أن تحين الفرص للاستعمار .

ففى سنة ١٩٠٦ عندما أقيم حفل لتكريم واصب غالى ألقى شوقي قصيدة مطلعها^(٢) :

غَالٍ فِي قِيَمَةِ ابْنِ بَطْرُسْ غَالِي عَـلِمَ اللهُ لَيْسََ فِي الْحَقِّ غَالِي
وقبها يقول :

يَا بَنِي مِصْرَ . كَمْ أَقْلُ أُمَّةِ الْقَبْرِ طِ هَذَا تَشَبُّثٌ بِمِحَالِ
وَاحْتِيَالٍ عَلَى خَيَالٍ مِنَ الْمَجْدِ بِرٍ وَدَعَاوَى مِنَ الْمِرَاضِ الطُّوَالِ
إِنَّمَا نَحْنُ — مُسْلِمِينَ وَقِبْطًا أُمَّةٌ وَخُذْتُ عَلَى الْأَجْيَالِ
سَبَقَ النَّيْلُ فِي الْأَبْوَةِ فِينَا هُوَ أَصْلُ وَآدَمُ الْجَدُّ نَالِ
ومنها :

يَا شَبَابَ الدِّيَارِ ، مِصْرُ إِلَيْكُمْ وَكَوَاهُ الْعَرِينِ لِلْأَشْبَالِ
كَلَّمَا رُوِّعَتْ بِشُبُهَةِ يَأْسٍ جَعَلَتْكُمْ مَمَاقِلَ الْأَمَالِ

(١) ص ١٩٤ و ٢٠٦ .

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٢٤ .

هَيْبَتُهَا لَهَا يَلِيقُ بِمَنْعِهِ وَكَرِيمِ الْآثَارِ وَالْأَطْلَالِ
الْحُجَّ ..

وعندما قتل بطرس على بيد الورداني في سنة ١٩١٠ وثارَت نائرة القبط ،
وعقدت المؤتمرات من الأقباط في أسبوط ثم من المسلمين في مصر الجديدة .. وكادت
الفتنة تعم البلاد كُتِبَ واصف غالي رسالة إلى الشاعر إسماعيل صبري يرجوه فيها أن يسهم
في إطفاء الفتنة وقدحاء في هذه الرسالة قوله :

« قيل إن الشعراء أنبياء ، إذهم ساسة الأمكار ، وقادة الشعوب فغسى أن يتبعك
شعب مصر فيسلك مسلك الحق والشرف .. »

فاستجاب إسماعيل صبري لهذه الرغبة وأنشأ قصيدة من واحد وعشرين بيتا
ومطلعها (١) :

مَغْشَرُ الْقِبْطِ يَا بَنِي مِصْرَ فِي السُّرَرِ قَدْ كُنْتُمْ وَفِي الضَّرَرِ
ومنها :

خَفَّفُوا مِنْ صِيَّاحِكُمْ لَيْسَ فِي مِصْرَ لَأَبْنَاءِ مِصْرَ مِنْ أَعْدَاءِ
دِينِ عِيسَى نَمِ دِينُ أَخِيهِ (أَحْمَدِ) يَا مُرَاثَنَا بِالْإِخَاءِ
وَيُنَحِّكُمُ ، مَا كَذَاتُ كَوْنِ النِّصَارَى رَاقِبُوا اللَّهَ بَارِئَ الْمَذَرِّاءِ
ثم يشير إلى دسائس الاستعمار ويحذر من الانخداع بأساليبهم :

لَا تُؤَلِّثُوا وَجُوهَكُمْ شَطَرًا مَنْ عَكَّرَ مَا فِي قُلُوبِنَا مِنْ صَفَاءِ
إِنِ دِينَ السَّيِّئِ يَأْمُرُ بِالْمُصْرِفِ وَيَنْهَى عَنْ خُطَّةِ الْخَمَلَاءِ

ولشوقى فى مناسبة مقتل بطرس غالى قصيدتان إحداهما بعنوان إخوان الدهور ومطلعهما^(١) :

بَنَى الْقَبْطُ : إِخْوَانَ الدَّهْرِ رُوِّبِدَ كُمْ هَبُّوهُ (يَسُوعَا) فِي الْبَرِّيَّةِ قَانِيَا
وفىها يقول :

قَمَالُوا عَسَى نَطْوَى الْجَفَاءَ وَعَهْدَهُ وَتَفِيدُ أَسْبَابَ الشِّفَاقِ نَوَاحِيَا
أَلَمْ تَكْ مِصْرُ مَهْدَا ثُمَّ لَحْدَا وَبَيْنَهُمَا كَاتٌ لِكُلِّ مَغَانِيَا^(٢)
ويختتمها بقوله :

وَمَا زَالَ فِيكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا رَالَ بَاقِيَا
فَلَا بَنِيكُمْ عَنْ دِمَّةٍ قَتَلُ بُطْرُسُ

(فَقَدِمَا عَرَفْنَا) الْقَتْلَ فِي النَّاسِ قَانِيَا
وأما الأخرى فى رثاء بطرس غالى ومطلعهما^(٣) :

بِرَّالْوَرِيرِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامَا اِلْحُلْمُ وَالْمَعْرُوفُ فِيكَ أَقَامَا
وفىها يقول :

الْحَقُّ أَنْلَجَ كَالْمَصْبَاحِ لِنَاطِرِ لَوْ أَنَّ قَوْمًا حَكَّمُوا الْأَخْلَاقَا
أَعْمَدَتْنَا وَالْقَبْطُ إِلَّا أُمَّةٌ لِلْأَرْضِ وَاحِدَةٌ تَرُومُ مَرَامَا
(نُغَلَى) نَمَالِمَ الْمَسِيحِ لِأَحْلَامِ وَيُوقِرُونَ لِأَجْلَانَا الْإِسْلَامَا
الَّذِينَ لِلدِّيَانِ حُلٌّ حَلَالُهُ لَوْ شَاءَ رُتْكَ وَحَدَّ الْأَفْوَامَا
يَا قَوْمُ : فَإِنَّ الرُّشْدُ قَانَصُوا مَا جَرَى وَحَدُّوا الْحَقِيقَةَ وَازْرُكُوا الْأَوْهَامَا

(١) ج ٤ ص ٥٥ .

(٢) « مغاني » جم معى وهو مكان الإقامة

(٣) ج ٣ ص ١٤٤

أما في ثورة ١٩١٩ فقد صال الشعراء صولات أفسدت الكثير من سموم المستعمرين وفوت عليهم الكثير من الفرص التي كانوا يرجونها من استغلال الخلافات الدينية .

ومن الذين أسهموا بنصيب موفور في ذلك الشاعر محمد عبد الرازق فقد وجه إلى صاحب الأهرام قصيدة ينشده ألا يوسع هوة الخلاف ومطلهما^(١) :

مَلَأُ الْقُلُوبَ سَكِينَةً وَسَلَامًا يَرْقُ أَضَاءَ فَبَدَّدَ الْأَوْهَامَا
ومنها :

يَا صَاحِبَ الْأَهْرَامِ إِنَّ بِلَادَنَا	لِلنَّاسِ خَيْرٌ مَوْثَلًا وَمُقَامًا
إِنْ عَمَّتِ الْأَفَاقُ أَعْلَامُ الْوَعَى	رَفَعَ السَّلَامُ بَعْضِرِمَا الْأَعْلَامَا
إِنَّا عَلَى مَا تَأْمَلُونَ سَكِينَةً	وَرَوْبَةً وَحَصَافَةً وَوِثَامَا
يَا آلَ عِيسَى إِنَّا إِخْوَانُكُمْ	فَدَعُوا الْوُشَاةَ وَكَذَّبُوا النَّعْمَامَا
هَذِي أَبَا دِينَا وَذَاكَ ذِمَامُنَا	وَجِيئُكُمْ لَا تَنْقُضُونَ ذِمَامَا
يَا مَعْرُ إِنَّا فِيكَ شَمْبٌ وَاحِدٌ	يُنْحِي السَّيْحَ وَيُفْعِلُ الْإِسْلَامَا
عَارٌ عَلَيْنَا وَالْبِلَادُ بِلَادُنَا	الْأَنْصُونُ الْفَيْلُ وَالْأَهْرَامَا

وفي تلك الأثناء زار الشيخ بحيث مفتي الديار حينذاك الأب كيرلس بطريرك الأقباط توكيدا للإخاء وقد رد البطريرك على هذه الزيارة بوفد من رجاله إلى الأزهر فسجل عبد الرازق ذلك في قوله^(٢) :

عَزَتْ عَلَى هَذَا الْحَيِّ الْهَرَمَانِ	كُلُّ تَصَافَحٍ فِيهِمَا الدِّينَانِ
جَمَعَتْهُمَا نَفْسٌ تَرَى آمَالَهَا	حُبَّ الْبِلَادِ وَرِفْقَةً الْأَوْطَانِ
قَدْ مَدَّ بَيْتُ الْقُدْسِ فِيهِ وَمَكَّةُ	أَيْدِيَهُمَا وَتَصَافَحَ الْهَرَمَانِ

(١) الديوان طبعة مطر سنة ١٩٢٠ م ص ٩ .

(٢) ديوان عبد الرازق ص ١٣ .

وَمَكَنْتُ بَيْنَ الْقُلُوبِ صَلَاتُهَا لَنَا التَّقَى وَتَزَاوَرَ الشَّبَّانُ
وَإِذَا تَكَانَفَتِ الشُّمُوبُ عَلَى الْمَلَا قَالَسْلُونِ وَغَيْرُهُمْ سِبَّانُ
مُحِبُّ الْبِلَادِ مِنَ الْقُلُوبِ فَرِيضَةُ كُبْرَى وَرَفَعَتْهَا مِنَ الْإِيمَانِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ مَسِيحِيكُمْ وَنَبِيِّنَا فِيهِ وَلَا الْإِنْجِيلَ وَالْمُرْقَانِ
كَامِضُ إِلَّا دَارُنَا. وَالْدَّارُ لَا... تَزُوهُ بغير قَضَائِلِ السَّكَنِ

وفى صبيحة الأربعاء ١٦ من إبريل سنة ١٩١٩ انعقد مؤتمر فى الأزهر الشريف حضره مندوبون عن مختلف طوائف الأمة من مسلمين وأقباط ويهود يمثلون مختلف الهيئات من الموظفين والتجار والطلاب وغيرهم ... وقد سجل الشعر هذا المظهر الراعم ومن ذلك قصيدة عبدالرازق التى مطلعها^(١) :

هَزَّ قَلْبَ الْمُتَيَّمِ الْوَلَهَّانِ مَشْهُدٌ قَدْ رَأَى جَمَّ الْمَنَانِ
وفىها يقول :

لَيْتَ لِي فِي الْبَيَانِ نَاعًا طَوِيلًا فَشُهُورِي يَضِيقُ عَنْهُ بَيَانُ ...
إِنَّ فِي الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ رَجَالًا جَمَلُوا الْحَقَّ كَأَصْحَ الْبُرْهَانِ
مِنْ كُهُولٍ وَفَتِيَةٍ وَشِيْوَحٍ وَرَجَالٍ مِنْ خَيْرِ الشُّبَّانِ
وَيَهُودٍ وَمُسْلِمِينَ وَقَبِطٍ لَمْ يَضُرُّهُمْ تَبَايُنُ الْأَدْيَانِ
قَطَعُوا دَابَرَ التَّنَابُذِ وَالْحَقْدِ وَشَرَّ الْعِدَاءِ وَالْعَدْوَانِ
رَبَطَتْهُمْ عَرَا الْوُثَامِ فَأَصْحَا فِي رَوْفَاقٍ قَاصِبِهِمُ وَالْدَّانِ
وَتَفَانُوا فِي حُبِّ مِصْرَ فَأَحْيَا أَمَلَ الْيَائِسِينَ هَذَا التَّفَانِ
ولأحد طلبة الحقوق وهو حسين السيد قصيدة فى هذا المؤتمر ومنها يخاطب القبط :

أَنْتُمْ أَعِزَّتْنَا وَأَنْتُمْ قَوُّمُنَا مَا فِي الْحَبَّةِ نَحْوَكُمْ لِإِبْرَاهِمَ^(١)
 أَوْ مَيَّ النَّبِيِّ بِمُحِبِّكُمْ وَبَنَصْرِكُمْ وَوَدَّادُكُمْ يَقْضِي بِهِ الْإِسْلَامُ
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُنْصَرِّينَ تَكْرُمًا أَبْدَأُ مَا هَلُ الْمُنْصَرِّينَ رِكَامُ
 اللَّهُ دَرُّهُ الْقَوْمُ مُحِبُّ تَأَزَّرُوا يَرْجُونَ نَصَرَ الْحَقِّ وَهُوَ مَرَامُ

ثم قصيدة للشاعر محمد حبيب ومطلعها^(٢) :

يَا مِصْرُ : إِيَّاكَ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ وَلَكَ السَّمَادَةُ فِي الزَّمَانِ الْقَادِمِ
 ومنها :

وَلْتَفْرَحِي تَالِبِ وَتَأَرُرِ وَظُهُورِ وَدُ خَالِصِ وَمَكَارِمِ
 مَا بَيْنَ إِسْلَامٍ وَنَصْرَانِيَّةٍ وَسَوَاهُهَا مِنْ كُلِّ دِينٍ آدَمِ
 فَالْكُلُّ يَسْمَى كَيْ يَنَالُوا مَقْصِدًا يَسْمُونَ فِي إِذْرَاكَه نَزَاحِمِ
 بَتَاهِبٍ وَشَجَاعَةٍ وَتَدَبَّرِ وَبِهِمَّةٍ عُلْيَا وَقَلْبٍ حَارِمِ
 يَارَبِّ أَيْدِيهِمْ حَمِيمًا إِيَّاهُمْ فِي الْحَقِّ لَا يَحْشُونَ لَوَمَةَ لَأَمِ

ولما انتهت الثورة سنة ١٩١٩ وبص على من مبص ، استمرت الأمة في جهادها وحفلاتها السلمية ظاهريا ، الثائرة باطنا ، تتلمس الحيل في هذه الاجتماعات واشتدت الأحكام العسكرية فخرج الشعر من التصريح إلى التلويح ، وجاء احتفال الأمة القمطية بميد النيروز في السنة المذكورة فكان نيروزا في ظاهر الأمر : ولكنه في الواقع اجتماع سياى كبير جمع المسلمين والأقباط ساء ورحالا^(٣) .

(١) العدد ٢٨٠٧ من الأفكار سنة ١٩١٩

(٢) العدد ٢٨١١ من الأفكار سنة ١٩١٩ .

(٣) ديوان عبد المطلب صفحة ١٠٤

و في هذا الحفل ألقى محمد عبد الطلب قصيدة كبرى كان لها أحسن وقع في جميع النفوس ومطلها :

تَنَكَّرُ مَا بِي مِنْ هَوَاهَا ؟ لَهَا الْعَذْرُ زَاهَا الْعِصَا وَالْحُسْنُ وَالْحَسْبُ الْوَفْرُ
وبعد أبيات في الغزل وذكر ماضي الأمة المصرية وما كان لها من أجداد سجلها
القاريخ يقول :

فَنَحْنُ الَّذِينَ أَوْرَثُوا كُلَّ أُمَّةٍ مِنْ الْفَضْلِ مَا بَقِيَ بِهِ الْخَيْرُ وَالشُّكْرُ
إِذَا اعْتَرَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتِ بِنَا مَكَارِمُ فِي طَلْقِ الزَّمَانِ لَهَا تَشْرِ
بَنَيْنَا عَلَى آدَابِ هَيْسَى وَاحِدٍ مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّسْرُ
فَدَنَحْنُ عَلَى الْإِيجِلِ وَالذِّكْرِ أُمَّةٌ يُؤَيِّدُهَا الْأَجِيلُ بِالْحَقِّ وَالذِّكْرُ
كِلَا مَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ وَلَكِنْ حَدَلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكَفَرُ
إِذَا مَا دَعَتْ مِصْرُ أَبْنَاهَا نَهَضَ ابْنَاهَا لِنَجْدَتِهَا سَيَّانَ مُرْقِصُ أَوْ صَحْرُ
فَلَا يَحْسِنُ النَّاسُ أَنَا تَزَلَّتْ نَا قَدَمٌ أَوْ مَسَّ وَحَدَّثَنَا الضَّرُّ
أَلَمْ تَرَ نَا فِي كُلِّ عَهْدٍ وَمَوْنٍ حَلِيقِي وَقَامَ لِأَحْفَاءٍ وَلَا مُجْبِرُ
إِذَا كَانَ عِيدُ الْفَطْرِ فَالْكُلُّ مُفْطِرُ يَهْلُلُ بِالشُّرَى وَيَزُومُ بِهِ الْبَشْرُ
وَإِنْ حَاءَ بِالنَّيْزِ يَوْمٌ تَزَاوَتْ عَلَيْهِمُ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَانْتَمَشَ الْقَطْرُ
ولم يفت أحمد عزم أن يولي هذا الميدان اهتمامه وله في ذلك قصيدة بعنوان : نفى التمعب
جاء فيها ^(١) :

كَذَبَ الْوَشَاةُ وَأَخْطَأَ اللُّوَامُ أَنْتُمْ أَوْلَوْ عَهْدٍ وَنَحْنُ كَرَامُ
مُحْ تَجِدُ الْحَادِثَاتُ عُمُودَهُ وَتَزِيدُ فِي حُرْمَتِهِ الْأَيَّامُ

ثم يشير إلى العلاقات التاريخية بين المسلمين والقطر .

(١) من مذكرات الأستاذ إبراهيم نعيم عن المرحوم أحمد عزم — مخطوطة

وَصَلَ الْقُدُوسُ بِالنَّبِيِّ حَبَّالَهُ فَإِذَا الْحَبَالُ كَانَتْهَا أَرْحَامُ
وَحَرَى عَلَيْهِ خَلِيفَةٌ فَخَلِيفَةٌ وَإِمَامٌ عَدِلَ بَعْدَهُ وَإِمَامٌ
ثم يشير إلى وحدة الأهداف :

مُدُّوا الْقُلُوبَ مُصَافِحِينَ يَمُوقِفِ عَكَفَ الصَّلِيبِ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ
عِيسَى وَأَحَدُ الْأَعْمَةِ كَاهِنُ بَيْنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيهِ قِيَامُ
أَعْلَى الْبِنَاءِ لِكُلِّ شَعْرِ نَاهَضِ مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى الْإِخْوَانِ يُقَامُ
الَّذِينَ لِلَّهِ الْمَلِكِ وَإِمَامِ دِينُ الْحَيَاةِ تَوَدُّدُهُ وَوِثَامُ
إِنْ كَانَ لِلْوَاثِيِ الْمَرْقِيِّ مَأْرَبُ فَلَنَا كَذَلِكَ مَأْرَبُ وَمَرَامُ

* * *

وله أبيات أخرى يقول فيها^(١) :

يَا أُمَّةَ الْإِنْجِيلِ آمَنَّا بِهِ مَا بِالنَّبِيِّ وَلَا يَسُوعَ جُجُودُ
الَّذِينَ فِي أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَاحِدٍ وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْعُبُودُ
دُنْيَا الْمَالِكِ لَا تُحَدُّ وَدِينُهَا وَتَفُّ عَلَى دِيَانِهَا مَحْدُودُ

* * *

واعمل في أصداء تلك الحوادث ما يفسر لنا إكتثار شوق من ذكر المسيح في شعره .

فهو إلى جانب فيضه في الإشادة بمحاسن الإسلام ورسول الإسلام وكتابه وأبطاله . .
بما لم يبلغ شأوه فيه شاعر معاصر ، فإنه كان يعرج في كثير من قصائده على ذكر
المسيح والمسيحية . . ولكن في حدود أن تدرج الأديان يجعل للتأخر منها فضل
الاستيفاء والكمال :

(١) من مذكرات الأستاذ إبراهيم نعيم عن الرحوم احمد محرم — مخطوطة .

الذكرُ أَجْزَأُ رَبِّكَ الْكَبِيرِ التي فيها لبغى المسجراتِ عناهُ
صدرُ البيانِ له إذا التفتِ اللَّيْى وَتَهْدَمُ البُلُفَاءُ وَالْفُصْحَاءُ
نسختُ بهِ التَّوراةُ وَهِيَ وَضِيئَةٌ وَتَحْلَفُ الْإِنْجِيلُ وَهُوَ ذِكَا^(١)

* * *

وُلِدَ الرَّفِيقُ يَوْمَ مَوْلَدِ مُوسَى وَالْمُرَوَّاتُ وَالْمُهْدَى وَالْحِيَاءُ
وَأَزْدَهَى الْكَوْنُ بِالْوَلِيدِ وَضَاءَتْ بَسَاءً مِنَ الثَّرَى الْأَرْحَاءُ
وَسَرَتْ آيَةُ الْمَسِيحِ كَمَا يُسرى ن الفجرِ فى الوُجُودِ الضيَاءُ

* * *

أَشْرَقَ النُّورُ فى العوَالِمِ كَمَا بَشَّرَها بِاتِّحَادِ الْأَنْبِيَاءِ
بِالْيَتِيمِ الْأُمَى وَالْبَشِيرِ الْمَوْحَى إِلَيْهِ الْمَلُومُ وَالْأَسْمَاءُ
أَشْرَفَ الْمُرْسَلِينَ آيَتُهُ النُّطْقُ مُبِيدَ نَا وَقَوْمُهُ الْفُصْحَاءُ

* * *

تَلَكْ أَيْ الْفَرَقَانِ أُرْسَلَهَا الـ صِيَاءَ يَهْدَى بِهِ مَنْ يَشَاءُ
نَسَخَتْ سُنَّةَ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ لِكَيْ يَنْسَخَ الضيَاءُ الضيَاءُ^(٢)
الخ ...

* * *

وهو فى ذلك لم يَعدْ أن يسد السبل أمام نهارى الفرس من المستعمرين وأذناهم
الذين يحاولون إثارة التمهص وخلق الفس فى كل حين وفوق هذا فقد كان شوق رقيق الطبع
محبا للوداعة والهدوء وكان متأثرا إلى حد بعيد بما قرأه عن السلام فيما كتبه الفلاسفة
الفرنسيون .

(١) من قصيدة « ولد الهدى » ج ١ ص ٣٩ .

(٢) من قصيدة كبار الحوادث فى وادى النيل ج ١ ص ٢٨ . ونرى مثل هذه المصانئ فى كثير

من قصائده .

٤ — الخلافة العثمانية في الشعر المصري الحديث

(١٨٨٢ — ١٩١٩)

لم يكن موقف الشعراء في مصر بعد الاحتلال بإزاء الخلافة ، كما كان من قبله ، وذلك لأن سيطرة الاحتلال ومحاولة قضم المرا بين الخلافة ومصر وغيرها من الأمم التي تظلمها الراية الإسلامية الموحدة لها تحت سلطان الخليفة ، ثم الفتن التي كانت تحدث بين حين وحين في ممتلكات الخلافة بأوروبا من الأرمن واليونان^(١) . ثم ما وقع في دار الخلافة من أحداث جسام مثل إعلان الدستور العثماني^(٢) ثم إعلان خام السلطان عبد الحميد^(٣) وتولية السلطان محمد رشاد ثم موجات التجديد التي عمرت الشرق وكانت تحمل بين طياتها التهوين من شأن الروابط الدينية وكرّمي المسلمين بالتمعصب . . كل ذلك وأمثاله جعل الترابط الروحي يرداد بين المسلمين في مختلف المقام وأطبق ألسن شعرائنا بالتعبير عن ضرورة المحافظة على تلك الروابط المقدسة بين مصر والخلافة لأن في تلك الروابط قوة للإسلام والمسلمين .

ولا نكاد نجد شاعراً واحداً من شعرائنا^(٤) حلا شمره من الإشارة إلى مركز الخلافة سواء بالتعني والإشادة أم بالأنين والالتم . . .

ولقد كان المرحوم أحمد شوقي في مقدمة أولئك الشعراء الذين تنفّسوا بالخلافة ثم أسوا وتألّوا المساكن يصيبها من كوارث .

وكيفما كانت الدوافع عند شوقي^(٥) في الإكثار من الإنشاد عن الخلافة فإنه ترك لنا

(١) ١٨٩٦ وما بعدها

(٢) يولية سنة ١٩٠٨

(٣) ١٩٠٩

(٤) في الفترة التي نحن بصدددها . بين الاحتلال وثورة ١٩١٩ .

(٥) يعال الدكتور هيكال ذلك في مقدمة ديوان شوقي بأنه من تمعصب شوقي لجنسه التركي ولصلته ببيت الإمارة مصر ولكن الذي يتنفس اللون الديني في شعر شوقي صفة عامة يرى أنه قد وزق إلى جانب شاعريته الفذة شعافية دينية حساسة .

تأثنا ضحكا سجال فيه كثيرا من مظاهر الصراع وقد أفرغ فيه عبقرية الشعرية وصور لنا نماذج حية عن أحوال الخلافة في فترة من الزمن طويلة .

ولقد سجل شوقي في آخر قصيدة له عن الخلافة^(١) الدوافع التي حمزته طوال حياته إلى التجاوب مع حوادث الخلافة في مختلف أطوارها ولمس فيها الصراحة والقوة والوضوح الذي امتاز به شوقي .

وفي الجزء الأول من ديوان شوقي ثمان عشرة قصيدة تتعلق بالخلافة وفي الجزء الثاني أربع قصائد وفي الثالث قصيدة واحدة .

وتسميها للفائدة أثبت هنا عناوين هذه القصائد ومطالعها :

(١) هذه القصيدة لم تنشر بالديوان وهي منشورة بجريدة عكاظ بالعدد ١٢١ في يولية سنة ١٩٢٦

ومطلعها :

يا رب ناك في طواهر شادى	غنيتها لحماً تغلغل في البكا
عند الحيد ومي حناح رشاد	ونصرتها بصر المحاهد في درأ
معها وطال بقرها لإنشادى	ودبتها ودفنت حير قصائدى
صدقوا. هوى الأبطال مله فؤادى	حتى اتهمت فقبل : تركى الهوى
أدنى إلى من العربى العادى	وأخى القريب وإن شقبت بطله
صورت شعرى من شعور الوادى	والله يعلم ما انهدت وإنما

الح ...

وهى من ثلاثة وستين بيتا .

من الجزء الأول :

الصفحة	الآيات	الموضوع	المطلع
٣٣٠	٨٠	نحية الترك سنة ١٣١٤ وسنة ١٨٩٦	بِمحمدِ الله ربِّ العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين
٤٤	٢٥٩	صدى الحرب اليونانية سنة ١٨٩٧	سيفك يعلو الحق والحق أعلى وينصر دين الله أبان تضرب
٢٥٢	٣٩	ضج الحبيب سنة ١٩٠٤	ضج الحجاز وضج البيت والحرم واستصرخت رها في مكة الأم
٩٧	٥٢	نجاة سنة ١٩٠٥	هنيئاً أمير المؤمنين وإياها بجانتك للدين الحنيف مجاة
٢٨١	٦٠	ضيف أمير المؤمنين في عهد عبد الحميد	رضى السلوف والإسلام فرع عثمان دُم فداك الاوام
٣٣٥	٥١	الدستور يولية ١٩٠٨	بشرى البرية قاصها ودابها حاط الخلافة بالدستور حاميا
١٤٣	٨٠	الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩	سل بلدرا دات القصور هل جاءها بيا البدور
٢٠١	٥٧	عيد الدهر سنة ١٩١٠	الملك بين يديك في إقباله عودت ملكك بالنبي وآله
٢٦٨	٤٧	الأسطول العثماني سنة ١٩١٠	هرا اللواء بمرك الإسلام وعنت لفارم سيفك الأيام

الصفحة	الآيات	الموضوع	المطلع
٢٦٧	١٩	تحية الترك في عهد رشاد	الدهر يقظان والأحداث لم تنم وا رقادكم يا أثرى الأمم يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام قالها : بمناسبة سقوط «أدرنة» في يد البلغار سنة ١٩١٢
٢٧٢	١٠٥	الأندلس الجديدة سنة ١٩١٢	
٢٨٧	٢٩	الهلل الأحمر سنة ١٩١٢	يا قوم عثماني والدنيا مداولة تماونوا بينكم يا قوم عثماني
١٧٥	٣٤	في سبيل الهلال الأحمر سنة ١٩١٦	جبريل : هلل في السماء وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطر
٢٥٦	٣١	استقبال سنة ١٩١٤	يا راكب الريح حي النيل والهرم وعالم السفح من سيناء والحرما ^(١)
١٨٣	٥٠	وداع مروق سنة ١٩٦٤	تحلّل للرحيل فما استطاعا وداعا حنة الدنيا وداعا

وهذه القصائد الخمس عشرة كانت قبل هجوم أوروبا الأخير على الخلافة وقبل ظهور
الكاليين أما بعد ذلك فلم أجد في الديوان غير ثلاث قصائد وهي :

(١) استقبال سالم وكامل بك اللذين وصلا بطيارتهما سالمين من تركيا بعد أن سقطت طيارة زميليهما
السابقين فتحي بك ونوري بك التي كانت سبباً في هلاكهما ومنها :
فيا رعي الله وفداً بين أعيننا ورحم الله ذاك الوفد مراحا

الصفحة	الآيات	الموضوع	المطلع
١٩٦	٦٦	تسكيل أقمرة	قم ناد أقمرة وقتل يهنيك ملك ^٣ نيت على سيوف نيك
٦١	٨٨	انتصار الترك	الله أكبر كم في الفتح من عجب ياخالد الترك حدّد خالد العرب
١١٤	٤٥	حلافة الإسلام	عادت أغاني العرس رجع نواح و مبيت بين معالم الأهرام
		سنة ١٩٢١	
		سنة ١٩٢٣	
		سنة ١٩٢٤	
		« بعد إلقاء الخلافة »	

وهذه القصائد الثلاثة : دير تلك التي أشرنا إليها في هامش (٢٧٥) وهي التي قيلت بعد إلقاء الخلافة أيضا ...

أما بقية قصائده في الجرائن الثاني والثالث عن الخلافة فجميعها قبل الانقلاب الأخير . وفي الجزء الثاني أربع قصائد وهي :

الصفحة	الآيات	الموضوع	المطلع
١٣٥	١٤	حسر السفور (رفعت لعمد الحميد)	أمير المؤمنين : رأيت حسرا أمر على الصراط ولا عليه
٤٨	٥٤	السفور (وصف)	على أي الجنان لنا تمر وفي أي الحقائق تستقر
٣٢	٢٠	المرأة العثمانية (مدح)	يا ملكا تمبدا : مصليا موحدا
٢٧	٣٧	مسجد أيا صوفيا (سنة ١٩١٨)	كنيسة صارت إلى مسجد نحية السيد للسيد

أما القصيدة التي في الجزء الثالث في رثاء الطيارين الممانيين فتحى ونورى الذين سقطت بهما الطائرة في سنة ١٩١٤ وهى من أربعة وستين بيتا ومطلعها :

انظروا إلى الأتار كيف زولوا وإلى وجوه السعد كيف تحولوا

وبعد قتلك هـ أربع وعشرون قصيدة لشوقي^(١) تتصل بالخلافة غير ما ذكر في مدائح الخديويين وى صدى حوادث أملاك الخلافة كمنسكة بيروت فى سنة ١٩١٢ . ولم يكن حديث شوقى عن الخلافة مقصورا على تلك القصائد وإنما كان يتلصص كل مناسبة باستطيع النفاذ منها إلى الحديث عن الرابطة المقدسة التى تربطه بالخلافة ... كان يعمل ذلك فى كثير من قصائده فى المناسبات الأخرى .

فنجده مثلا فى القصيدة التى حيا بها السلطان حسيدا حينما ولى الأمر بعد حلع عباس — يعرج على علاقة الخلافة^(٢) :

ألقوهم حين دها القضاء عقوقهم كسروا بأيديهم لمصر علولا
هدموا وادى النيل ركن سيادة لهم كركن العنكبوت ضيلا
وهو يشير « ما قوم » إلى الترك ، فإنهم بإعلان دحولهم الحرب ضد إنجلترا أتاحوا الفرصة لإلغاء سيادة تركيا^(٣) على مصر ، وهو حسن تعليل مقبول ، والروح العام الذى يربط بين قصائد شوقى فى الخلافة هو الروح الإسلامى وهو فى قصيدته الكبرى عن صدى الحرب اليونانية ، يرى أن فى مصر السلطان نصرا لدين الله وإعلاء للحق :

بسيوفك يملو الحق والحق أعلى وينصر دين الله أيا ن تضرب
وما السيف إلا آية الملك فى الورى ولا الأمر إلا للذى يتغلب

(١) وقد رأيت تنقش شعر شوقى فى الخلافة إلى نهاية الفترة التى ندرسها ثم الإشارة إلى ما قاله عنها بعد ذلك حتى تكمل لنا الصورة العامة التى رسمها شوقى لهذا الموضوع العام .

(٢) ومن ذلك : حتام قصيدة « تكريم » ألفها فى سنة ١٩٢٤ بمناسبة الإفراج عن المعتقلين السياسيين حيث قد أشار إلى استئثار الكالبيين بقرار إلغاء الخلافة :

خلعت دون المسلمين عصاية لم يحملوا للمسلمين وجودا

س ١٤١ ج ١ .

(٣) وهذا ما كان يخشاه محمد عبده ومصطفى كامل ١٧٨ — ١٨٣ من هذا البحث .

وبعد أن يتحدث عن أجداد آل عثمان وأبوة عبد الحميد يقول :

وَسَدَّتْ مَنَارًا لِلْخِلَافَةِ فِي الْوَرَى تُشْرِقُ فِيهِمْ شَمْسُهُ وَتُقَرِّبُ
مَهْرَتِ وَنَامَ الْمَلَمُونَ بِغَبْطَةٍ وَمَا يُزْعِجُ النَّوَامَ وَالسَّاهِرُ الْأَبُ؟
فَنَبَّهَمَا الْفَتْحُ الَّذِي مَا يَفْجُرُهُ وَمَا بِكَ يَا فَجَرَ السَّلَامِ مُكَذِّبُ

وبعد وصف مستفيض للمعارك بين الترك واليونان وبيان البطولة التركية يختم القصيدة

بقوله :

فَلَا زِلْتَ كَهَمَ الدِّينِ وَالْمَادِي الدِّي إِلَى اللَّهِ بِالْإِثْنِ لَنِي لَهُ نَتَقَرَّبُ

وفي القصيدة الأخرى عن تلك الحرب يطرب لنصر الترك لأن في ذلك حماية دماء المسلمين في أرواح الخلافة وذلك بفضل نقطة الخليفة وسهره على رعاية شئون رعيته :

بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَدِّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَقِينَا فِي عَدُوِّكَ مَا لَقِينَا لَقِينَا الْفَتْحَ وَالنَّصَرَ الْبَيْنَا

جَمَعَتْ لَنَا الْمَلَائِكُ وَالشُّعْبَا وَكَانَتْ فِي سِيَاسَتِهَا ضُرُوبَا
فَلَمَّا هُتِ (حورحيمهم) (١) هَبُوبَا تَلَفَتْ لَا يُصِيبُ لَهُ مُعِينَا

رَأَى كَيْفَ السَّيْلُ إِلَى كَرِيدِ وَكَيْفَ عَوَاقِبُ الطَّيْشِ الزَّيْدِ
وَكَيْفَ تَنَامُ يَا عَيْدَ الْحَمِيدِ وَتَنْفُلُ عَنْ دِمَاءِ الْعَالَمِينَ

وبعد أن يصف المعارك أيضا باستعاضة يختم القصيدة بقوله :

بِئْسَ عُثْمَانُ : إِمَّا قَدْ قَدَرْنَا فَتَوْحَكُمُ الْكِبَارَ وَقَدْ شَكَّرْنَا

سألنا الله نصرًا فانتصرنا بكم والله خيرُ الناصرين

• • •

وهو حينما يهني الخليفة في سنة ١٩٠٥ لنجاة من القذيفة التي ألقيت عليه إعايته
لأنه رمز الرابطة الإسلامية ولأن الذين كانوا يقصدونه بالسوء لم يكونوا يقصدون شخصه
وإنما كانت ضربتهم موجهة إلى ذلك الرمز :

هنيئًا أميرَ المؤمنين فإنما نجانك للدين الحنيف نجاة
هنيئًا لطفَ والكتاب وأمة نقاؤك إلقاء لها وحياة
ثم يعود بعد أبيات فيقول :

فلولاك ملكُ المسلمين مُصَيِّعٌ ولولاك شملُ المسلمين شَتَاتُ
لقد ذهبت رايانهم غيرَ راية لها النصرُ وسمَّ والفتوحُ شياتُ
تَظَلُّ على الأيامِ غرَاءَ حرةٌ مُحَجَّلَةٌ في ظلِّها الفزواتُ
حَيِيَّةٌ قد عَزَّها ، وأَعَزَّها ثلاثون ملكًا فأمحون غزاةً

وحينما ينزل السلطان عبد الحميد على مطالب الشعب التي طال عليها الأمد وهي إعلان
الدستور في يولييه سنة ١٩٠٨ يقدر شوق هذا العمل الجليل ويرفع للسلطان تهنئة كبرى
يقول في أولها :

بشرى البرية قاصمها ودانها حاط الخلافة بالدستور حاميا
لما رآها بلا ركنٍ تداركها (بعد الخليفة) بالشورى وناديا
وفيها يقول :

أُسَدَى إلينا^(١) أميرُ المؤمنين بدأ حَلَّتْ كما جَلَّتْ في الأملِكِ مُسَدِّها
يُصَاءَ ما شأبها للبرياء دم ولا نكدرَ بالآثام صافيا

(١) برأى أن الدستور منح للأحرار فقط . وقد كان معه سبباً في تشجيع مصر على المطالبة
بمستور أيضاً ، وإن كان شوقى بغير منح الدستور لترك يعم خيره جميع أجزاء الخلافة .

وليس مُستعظماً مُفضلٌ ولا كرمٌ من صاحب (السكة الكبرى) ^(١) ومشبها

أما ترى المُلْكَ في عُمرٍ وى فرحٍ بدوْلَةِ الرأى والشورى وأهلِها
لما استمدَّ لها الأقوامُ جثَّ رِيبها كلاءٍ عندَ غليلِ النفسِ سادِها
مُفضلٌ لذاتِكَ فى أعناقنا ويدٌ عندَ الرِّعْيَةِ وأسنى أبادِها
حِلافةُ الله حرٌّ الذيلَ حاضرُها بما منحتَ وهزَّ العطفَ بادِها
وتراه فى هذه القصيدة بعالمٍ ناحيةٍ دقيقةٍ وهى اختلافُ الدينِ فى رعايا الخلافة :

الدينُ لله من شاءَ الإلهُ هدى لكلِّ نفسٍ هوى فى الدينِ داعِها
ما كان مُختلفُ الأديانِ داعِيةً إلى اختلافِ البرايا أو تعادِها
الكتبُ والرُّسلُ والأديانُ قاطبةً خرائنُ الحكمةِ الكبرى لواعِها
عمَّةُ الله أسلُ فى مرآشدِها وحشيةُ الله أس فى مبابِها

ياشمعَ عثمانَ من نُوركِ ومن عَرَبٍ حَيَّاكَ من يبعثُ الموتى (وُجَّهها)
صبرتَ للحقِّ حينَ النفسُ جارعةٌ والله بالصبرِ عندَ الحقِّ مُوصِها
ولم يس أن يشيد ببطولة أنور وبارى الذين كان لها أكبر الفضلِ فى حلِّ الخليفة
على إعلان الدستور .

فلتَ الذى لم يَنْلَهْ بالقنا أحدٌ فاهْتَفَ «لَا نُودِها» واحمَدُ «يازيها»

وفى العام التالى لإعلان الدستور وبعد التهانى التى أنشأت على الخليفة من شعر
الشعراء . . نشد ثورة حزب تركيا الفتاة ويطعمه النصر نبيل الدستور . . فيخطو الزمراء

(١) سكة حديد الحجاز تمت فى عهد عبد الحميد وكان قد بدى العمل فيها سنة ١٩٠٠ وم ١٩٠٨

خطوة جريئة ويخلمون السلطان عبد الحميد بعد أن حكم ثلاثين عاماً لم يكن لينال فيها ما ناله من تقدير واحترام وتأييد إلا عن طريق رابطة الدين فأمام هذه الرابطة كانت تتلانى سيئاته وسيئات حاشيته وكانت النفوس تكظم عيظها وتصبر على مضض إبقاء على الرمز الدينى ولكن ذلك لم يحد آخر الأمر فكان ما كان من خلمه وتشريده .

وهنا محمد شاعرنا يشدو قصيدة يسجل فيها مآثر عبد الحميد^(١) ويتألم لما أصابه ، ويودعه خير وداع . ثم يهنيء الخليفة الجديد « محمد رشاد » ويرجو للخلافة على يديه الفوز والنصر .

ويبدأ قصيدته بوصف ما كان فيه عبد الحميد من عر وعيش رغيد وسمعة كبرى ومطلعا :

سَلِّ « بَلَدِرَا » دَاتَ الْقُصُورِ هَلْ جَاءَهَا نَأْ (السُّدُورِ)
ومنها :

عَبْدَ الْحَمِيدِ حِسَابُ مِثْلِكَ فِي يَدِ اللَّهِ الْفُجُورِ
سُدَّتْ الثَّلَاثِينَ الطُّوَا لَ وَكُنَّ الْحَكِيمَ الْقَصِيرِ
وبعد أن يمدد مآثر الجيش يتجه إلى تحية رشاد :

الْمُؤْمِنُونَ يَهْدُونَ السَّلَامَ إِلَى الْأَمِيرِ
وَيُبَايِعُونَكَ يَا (مُحَمَّدُ) فِي الصَّمَانِ وَالصُّدُورِ
قَدْ أَمَلُوا لَهْلَاهِمُ حَظَّ الْأَهْلَةِ فِي السَّيْرِ
فَأَنْفَعُ لَهُ أَوْجُ الْكَمَا لَ قُوَّةُ اللَّهِ الْقَصِيرِ

الخ . . .

(١) ولم يكن شوقي جريئاً في مهاجمة عبد الحميد كأحمد نسيم . وهنا ندس آثار الدم التركي في شوقي وكذلك ندس تأدب شوقي الرفيع مع رحلى كان موضع تحلة الجميع .

وهو لا يرى في قوة الأسطول التركي إلا قوة للإسلام ومنعمة للمسلمين ، فحينما رأى
بارجيتين اشتريتهما الحكومة التركية في أوائل عهد محمد رشاد طرب وأشاد بذلك العمل
المجيد وسجله في قصيدة رائعة قال في أولها :

هَزَّ اللّوَاءَ بِعِزِّكَ الْإِسْلَامُ وَعَظَمْتَ لِقَائِمَ سَيْفِكَ الْأَيَّامُ

وبعد أن يتحدث بمآثر الخلافة على وحدة الأمة ويصف البارجتين يتجه إلى المسلمين
يستحثهم على السخاء لتقوية هذا الأسطول :

بِمَنْشَرِ الْإِسْلَامِ فِي أَسْطُولِكُمْ عِزَّ لَكُمْ وَوَقَايَةَ وَسَلَامُ

جُودُوا وَاهْلِهِ بِمَالِكُمْ وَاقْضُوا لَهُ مَا تُوجِبُ الْأَعْلَاقُ وَالْأَرْحَامُ^(١)

لَا الْمُنْدُ قَدْ كَرُمْتَ وَلَا مِضْرُ سَخَتْ وَالْقَرْبُ قَصُرَ عَنْ نَدَى وَالشَّامُ^(٢)

سَبِيلُ الْمَالِكِ حَارٍ مِنْ شِدَّةِ وَقَوَى ، وَأَتَمَّ فِي الطَّرِيقِ نِيَامُ

ثم يوجه الأنظار إلى صلة الدين بالقوة والعزة :

مُحِّثُ السِّيَادَةِ فِي شَمَائِلِ دِينِكُمْ وَالْجِدُّ رُوحٌ مِنْهُ وَالْإِقْدَامُ

وَالْعِلْمُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى إِذَا رَجَعْتَ إِلَى آيَاتِهِ الْأَقْوَامُ

لَوْ تُقْبِرُونَ صِفَارَكُمْ تَارِيحُهُ عَرَفَ الْبَنُونَ الْمَجْدَ كَيْفَ يُرَامُ

كَمْ وَائِقٍ بِالنَّفْسِ نَهَاضٍ بِهَا سَادَ الْبَرِّيَّةِ فِيهِ وَهُوَ عِصَامُ

وحينما يشور الملعار في سنة ١٩١٢^(٣) ويحاصرون مدينة أدرنة ثم يستولون عليها يُنْشِئُ
شوق ويتوجع لحفوت صوت الإسلام في تلك البقعة ولنزول راية الخلافة عنها وتثور

(١) الأعلاق : فئاس الأشياء . وهو يريد العلاقات والصلات .

(٢) الغرب : شمال أفريقيا .

(٣) في الوقت الذي كانت إيطاليا تضرب فيه طرابلس الغرب وبيروت وكانت فيه فتنة باليمن ضد
الخلافة .

في نفسه ذكريات الية لما أصاب الأمة الإسلامية في سقوط الأندلس التي أدمت قلوب
المخلصين ...

يقول في مطلع تلك القصيدة :

يَا أُخْتِ أَنْدَلُسِ عَلَيْكِ سَلَامٌ هَوَتْ خِلَافَةُ عَنْكَ وَالْإِسْلَامُ
رَكَلَ الْهَلَالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْبَتْهَا طُيُوتُ وَعَمَّ الْعَالِينَ ظَلَامُ
أَزْدَى بِهِ وَأَرَأَاهُ عَنْ أَوْجِهِ قَدَرُهُ بِحُطَّةِ الْبَدْرِ وَهُوَ تَمَامُ
مُحَرِّحَانِ تَمْضِي الْأُمْتَانِ عَنْكُمَا^(١) هَذَا يَسْبِلُ ، وَذَلِكَ لَا يَسْلَامُ

وبعد أن يتحدث عن تلك النكبة ويصف بعض الممارك التي لا يقرها دين .. يعود
إلى الأبين لما أصاب الإسلام :

صَبْرًا أَدْرَيْتُ ، كُلُّ مُسْلِكٍ زَائِلٌ بَوْمًا وَيَبْقَى الْمَالِكُ الْعِلَامُ
حَفَّتِ الْأَدَانُ فَمَا عَلَيْكِ مُوَحَّدٌ يَسْنَعِي وَلَا اْلْجَمْعُ اْلِحَسَانُ نِقَامُ
وَحَبَّتْ مَسَاحِدُ كُنَّ نُورًا جَامِعًا تَمَشِي إِلَيْهِ الْأُسْدُ وَالْآرَامُ ...
يَدْرُحُنَّ فِي حَرَمِ الصَّلَاةِ قَوَائِمًا بِيضَ الْإِرَارِ كَأَهْنٍ حُسَامُ
الخ . . .

وهكذا لو تتبعنا بقية تلك القصائد الفياضة التي تعتبر سجلًا حافلًا لتطورات الأمور
في الخلافة في فترة معينة من الزمن لأفينا صورة واضحة لما نكته نفس شوقي من حب
خالص للإسلام وخلافة الإسلام وإن تغاضى كثيرًا عن سيئات عبد الحميد ،

أما حافظ إبراهيم فلم نجد عنده ذلك الفيض الغزير عن بني عثمان وخلافة الإسلام كما
أنفص في ذلك شوقي .

(١) الأمتان : العرب في فقد الأندلس والترك في فقد أدرنة — لا يلتام : لا يلتئم .

ومجموع قصائد حافظ المتعلقة بالخلافة عُمانية أى حوالى ثلث قصائد شوق مع تفاوت
فى طول القصائد عند شوق كبير

ومن الغريب أن قصائدهُ فى نهائى الخلفاء ومدائحهم كانت جميعا قبل سنة ١٩١١
أى قبل أن يدخل دار الكتب ويصير من طوائف الموظفين ، ومجموع تلك القصائد ست :

اثنتان فى مدح عبد الحميد قبل إعلان الدستور .

وواحدة بمناسبة إعلان الدستور فى سنة ١٩٠٨

واثنتان بمناسبة الانقلاب فى سنة ١٩٠٩

وواحدة بمناسبة شراء الأسطول فى سنة ١٩١٠

أما القصيدتان الأخرى فإنهما بمناسبة مقدم الطيارين العثمانيين سنة ١٤ والأخرى
بمناسبة مسجد « أيا صوفيا » سنة ١٩١٨

١ - والقصيدة الأولى كانت فى سنة ١٩٠١ تهنئة السلطان عبد الحميد بميد حلوسه
وهى من ستة وعشرين بيتا ومطلعها ^(١) :

لَكُنْتُ حَلَالَ الْعِيدِ وَالْقَوْمِ مُهَيَّبُ فَمَلَمْسِي آيَ الْعُلَا كَيْفَ يُكْتَبُ
وَمَثَلِ لِي عَرْشَ الْخِلَافَةِ خَاطِرِي فَأَرْهَبَ قَلْبِي وَأَلْهَلَهُ تُرْهَبُ

وبعد أن بصف دار الخلافة وتحدث عن مجد الخليفة ينتقل إلى أثر عبد الحميد فى المحافظة
على الإسلام :

نَحْمَا قُوَّتَهُ ، وَالشُّرُفَ حَدْلَانُ شَيْئِيْ اِطْلَعَتْهُ وَالْفَرْحُ حَدْلَانُ يَرْفُفُ ^(٢)
فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعْرَعَتْ بِهِ دُوحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشُّرُكُ مُجْنَبُ
وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّشًا إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَتَنْفَعُ الْقُرُورُ ^(٣)

(١) ص ١٥ من الجزء الأول .

(٢) الضمير فى (قوته) إلى العرش — وحدلان : عدول — وأدق منها : خزيان .

(٣) يشير إلى سكة حديد الحجاز .

وَكَمْ حَاوَلُوا مِى الْأَرْضِ إطفاءَ نُورِهِ وإطفاءَ نور الشمس من ذلك أقرب^(١)
فَرَأَوْهُمْ مِنْهُ بِحَيْشٍ مُدَجَّجٍ له فى سبيل الله والحق مذهب^(٢)
ثم يَحْتَمِها بقوله :

وَأَنْظَرُ مِى بُسْتَانِهَا النَّجْمَ مُشْرِقًا قَمَلُ اتِّ بِبُسْتَانِ أَفُقٍ مُّكْوَكَبُ
وَأَسْمَعُ مِى الدُّنْيَا دُعَاءَ بِنَصْرِهِ يُرَدِّدُهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَبَثَرُ

٢ - والقصيدة الثانية كانت فى سنة ١٩٠٦ بمناسبة عيد تأسيس الدولة العلية وهى
من ستة وعشرين بيتًا ومطلعها^(٣) :

(أُيَخْصَى) مَمَائِكَ الْقَرِيبُ الْمَهْدُ ؟ على أَنَّ صَدْرَ الشَّمْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
لَقَدْ مَكَنَ الرَّحْمَنُ فِى الْأَرْضِ دَوْلَةً لِمَنْ لَا تَعْفُو وَلَا تَنْشَقُّ^(٤)
وبشير فى هذه القصيدة إلى ما أسداه بنو عثمان من خدمات للإسلام :

وَقَامَ رِحَالٌ بِالْإِمَامَةِ بِمَدَّةٍ فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَنًا
وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ صَدْرَ شَبَابِهِ وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا بِرُحَى وَبُرْهَبِ
ثم يَحْتَمِها بقوله :

وَيَادْهَرُ إِنْ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ وَيَطْفُو بِهِ تَبَارُ الْقَصَاءِ فَيْرُسُ
أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِّمِينَ كَأَنَّمَا عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِ أَشْعَبِ

٣ - والقصيدة الثالثة كانت بمناسبة إعلان الدستور وهى من سبعين بيتًا ومطلعها^(٥) :

(١) يشير إلى الحرب اليونانية سنة ١٨٩٦ .

(٢) راعهم : أفرعهم

(٣) ص ١٧ ج ٢ .

(٤) عثمان : هو عثمان أرطول مؤسس الدولة العلية سنة ٦٩٩ هـ لاسمو : لا تهد

(٥) ص ٤٤ ج ١ .

أثنى المحجج عليك والحرمان وأجلَّ عبدَ جلوسك الثقلان
أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذَا جَمَلْتَ طَرِيقَهُ أَمْنًا وَكُفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
وبشير في هذه القصيدة إلى منح الدستور وأثره :

راعيتهم حتى علمت بأنهم بلفوا أشدَّهم على الأزمانِ
فَجَمَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ سُورَى بَيْنَهُمْ وَأَقْتَّ كُرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيَّانِ
ويقول في ختامها :

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا اسْتَوَتْ أَلْسِنُهَا بِاللِّدِّحِ تَبِجَانًا عَلَى تَبِجَانِ

٤ — أما الرابعة والخامسة فقد جاءتا صدى للاقتلاب وخلع عبد الحميد وتولية محمد رشاد في سنة ١٩٠٩ .

يقول في مطلع الأولى^(١) : وهى من واحد وحسين بيتا :
لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ جُدُودٍ كَيْفَ أُمْسِيتَ يَا ابْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ
ولم يتخرج حافظ عن التمرىض بعد الحميد ، وإظهار الشماتة كما تخرج شوق^(٢) إذ
يتصل بال حافظ عن الشامتات في استفهام يشعر أنه يشك في موقف عبد الحميد :
أَصْحِيحٌ مَا قِيلَ عَنكَ وَحَقٌّ مَا كَمَعْنَا مِنَ الرُّوَاةِ الشُّهُودِ
أَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ قَدْ هَدَمَ اللَّهُ مَرْعَ وَأَرْبَى عَلَى فِئَالِ الْوَلِيدِ^(٣) ؟
إِنْ بَرِيئًا وَإِنْ أَنْبِيَا سَتَحْزَى يَوْمَ تَجُزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
ثم يختتمها بقوله :

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ عَهْدَ رِشَادٍ خَيْرٌ قَالِ بِرَدِّ عَهْدِ الرَّشِيدِ

(١) ص ٤٣ ج ٢ .

(٢) ص ٢٤٦ .

(٣) يشير إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك وقد كان مشهوراً بالاستهتار .

٥ — ويقول في مطلع الأخرى^(١) وهي من ثلاثة وخمسين بيتاً :

أَجَلْ ، هذه أَعْلَامُهُ وَمَوَاجِبُهُ هَنِيئاً لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الدَّلِيلَ سَاحِبُهُ
هَنِيئاً لَهُمْ فَالْكَوْنُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ مَشَارِقُهُ وَمَصَاءُهُ وَمَغَارِبُهُ
ثم يصف حرص عبد الحميد ووسائله :

وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ خَطَايَاهَا بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُرْ رَاكِبُهُ
فِي كُلِّ قُفْلٍ لِلْمَنِيَّةِ مَكْنَنٌ وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَسَاءٌ يُرَاقِبُهُ^(٢)
وَفِي كُلِّ رَكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمْتُ لَنَا شَكٌّ فِي عَبْدِ الْحَمِيدِ خَطَايَاهُ
إلى أن يقول :

سَلُّوهُ : أَلْعَنَتْ عَنْهُ فِي يَوْمٍ خَلِيعُهُ عَجَائِبُهُ ، أَوْ أَحْزَرَزَتْهُ غَرَائِبُهُ

ثم يختم القصيدة بمدح رشاد والدعاء له وآخر بيت هو :

مَمَّا لَكَ مَحْرُوسَةٌ وَتَوَرُّهُ رَكَائِبُهُ مَنْصُورَةٌ وَمَرَاكِبُهُ
ويقول في أول قصيدته عن نجمة الأسطول العثماني في سنة ١٩١٠^(٣) وهي من أربعين بيتاً :

بِالَّذِي أَحْرَاكَ بِأَرْبَاحِ الْخَزَائِمِ بَلَّغْنِي السَّفُورَ عَنْ مَضَرِّ السَّلَامَا

وهي يقول مشيراً إلى سياسة محمد رشاد :

أَيُّهَا الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ لَقَدْ قُتَّ فِي النَّاسِمِ فَأَحْسَنْتَ الْبِقِيَامَا
حَرَّدَ الرَّأْيَ فَكَمْ رَأْيٍ إِذَا سُلِّ مِنْ غَمْدِ النَّهْمَى قُلُّ حُسَامَا
وعندما يطير أول طيارين من تركيا إلى مصر في سنة ١٩١٤ يشيد حافظ بذلك ويعتبر
هذا من الأمور التي يفخر بها المسلم^(٤) :

(١) ص ٤٨ > ٢ أُلْقِيَتْ بِمُنَاسَبَةِ عِيدِ الدِّسْتُورِ فِي يُولْيَةِ سَنَةِ ١٩٠٩ .

(٢) إشارة إلى ما كان يعمل من أفعال بطريقة خاصة تقتل اللصوص .

(٣) ص ٦٢ > ٢ .

(٤) ج ٢ ص ٧٦ .

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ فِي الشَّرْقَيْنِ عَلَاوَطَارِ
النَّيْلُ وَالسُّفُورُ فِيكَ لَكَ تَجَادُّ تَادِيلَ الْفَخَارِ
يَوْمَ امْتَطَيْتَ بِرَأْفَتِكَ الْيَمُونَ وَاجْتَزْتَ الْقِفَارِ
وَفِيهَا يَقُولُ :

يَأْهِمُ الطَّيَّارُ : طِيرُ فَإِذَا نَلَفْتَ مَدَى الطَّارِ
فَزُرْ السَّهْمَ وَالْفَرْقَدَ نِينَ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ^(١)
وَسَلِ النَّجُومَ عَنِ الْحَيَا فِرْفَقِي السُّؤَالَ لَكَ اعْتِبَارِ
هُمْ يُسَيِّئُونَكَ أَنَّ كُلَّ الْكَائِمَاتِ إِلَى بَوَارِ^(٢)
ثُمَّ يَخْتَمُهَا بِقَوْلِهِ : وَهِيَ مِنْ تِسْمَةِ وَخْسَيْنِ بَيْتًا :

وَلَكَسَوْفَ يَمْلُؤُ نَجْمُهُمْ وَيَسُودُ دَبَّكَ الشُّمَارِ^(٣)

* * *

٨ - وأخيرا قصيدته عن مسجد « أياصوفيا »^(٤) في سنة ١٩١٨ ولم تنشر إلا

سنة ١٩٣٢ :

« أياصوفيا » حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكِرِي عَهْدَ كِرَامِ فَيْكِ صَلُّوا وَسَلَّمُوا
إِذَا عُدْتِ يَوْمًا لِلصَّلَيبِ وَأَهْلِهِ وَحَلَّ وَاحِيكَ السَّيْحُ وَمَرْيَمُ
وَدَقَّتْ نَوَافِيسُ وَقَامَ مُزْمَنُ مِنْ الرُّومِ فِي غَحْرَابِهِ يَبْتَزُّ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَادِنِ إِنَّهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ الْفَوَاقِيسِ أَكْثَرُ
تَبَارَكَتْ (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَذْلَانِ آمِنْ وَلَا يَأْمُنُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُحَرَّمُ

(١) السها : كوكب نال في العدد . والعرقدان : بحان يهتدى بهما .

(٢) هلاك .

(٣) الثعار : يريد به الهلال رمز الدولة العثمانية .

(٤) ص ٨٨ ج ٢ .

يُوضِيكَ أَنْ تَفْشَى سَنَابُكَ خَلِيهِمْ حَمَاكَ وَأَنْ يُنْفَى الْحَطِيمُ وَزَمْرُمْ ؟
 هَوَكَيْفَ يَذِلُّ السَّلْمُونُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابُكَ يُنْخَلِ كُلُّ يَوْمٍ وَبُكْرُمْ
 نَبِيَّكَ عَزُونَ وَبَنِيَّتُكَ مُطَرِّقُ حَيَاءٍ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نَوْمُ
 عَصَبِنَاوَحَالُ فَنَفَا مَا قَبْتُ عَادِلًا ٠٠ وَحَكَمْتُ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ بَرَحُمُ

وللشاعر أحمد نسيم عدة قصائد عن الخلافة يرصد فيها تطور الأمور :

هيبا زاه يمدح السلطان عبد الحميد في قصيدة سنة ١٩٠١ التي يقول في مطلعها (١) :

أَقَاتَ عَرَشُكَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالشَّدَدِ قَرَادَةَ اللَّهِ تَشْمِينًا إِلَى الْأَبَدِ

ثم يشير إلى انتصار عبد الحميد على الخارجين إلى أن يقول :

خَلِيفَةُ اللَّهِ يَا ابْنَ الْقُرْ مِنْ نَحْسٍ لِلَّهِ دَرُكٌ يَوْمَ الرُّوعِ مِنْ عَضْدِ
 حَادَتْ فِي الْمُلْكِ تَحْمِيهِ وَنَحْفَظُهُ جِهَادَ طَلَبِهِ مَعَ الْأَنْصَارِ فِي أَحْدِ
 وَالسَّيْفُ يَكْتُبُ آيَ الْفَتْحِ مُنْكَرَةً عَلَى الْبِلَادِ بِنَفْسٍ مِنْ دَمِ حَسِيدِ
 وَقَدْ أَعْدَدْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ نُضْرَتَهُ حَتَّى ارْتَدَّ هِيَ بِكَ وَاسْتَدْرَى إِلَى سِنْدِ (٢)
 عِشْ لِلْخِلَافَةِ تَرُقُلُ فِي سَرَادِقِهَا مَا سَيْنَ مَطَرٍ مِنْهَا وَمُتَلِيدِ
 الخ

إذا بنا راه بثور في سنة ١٩٠٥ حينما يطول أمد الشعب في المطالبة بالدستور ويصاح

الخليفة بما تسكنه النفوس ويحدره العواطف (٣) :

أَبِينْ - بعد إحقاق الأسمى - مَا نَكْتَمًا هُوَ الْحَقُّ أَوْلَى أَنْ يُقَالَ فَيُفْلَمَا
 أَرَى الظِّلَمَ مَسْهُمًا طَالَ كَانَ مُقَوَّضًا وَبَاعِيهِ مَسْهُمًا عَاشَ كَانَ مُدْمَمًا

(١) ج ١ صفحة ١٦ طعة ١٩٠٨

(٢) استندى : لحأ إلى دراه أي احتسب به .

(٣) ج ١ ص ٢٧

إلى أن يقول :

جدودك قد شادوا الخلافة فاحتفظ
فهل لك أن تجزى العدالة بينهم
دع العلم يفسو في البلاد لعله
وأقص الحواسيس الذين تالبوا
إذا جاء يوم المر ليس نافع
ثم يتلو هذه القصيدة بأخرى بعنوان — أجب الشعب يا أمير المؤمنين^(١) .

ومطلعها :

إلى الله يرفع هذا الأنين ليضرب فوق يد الظالمين
ويسير فيها كما سار في سابقتها من التحذير من بطانة السوء التي كانت ترين الاستبداد
لعبد الحميد .

* * *

ثم يضطر عبد الحميد لإعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وبعد عام واحد يعزل هذا الخليفة
ويولى محمد رشاد فإذا بالشاعر (نسيم) يصور في صراحة كل ما كان يقال عن عبد الحميد
مما أدى إلى سقوطه ثم يستقبل الخليفة الجديد بالنصيحة الخالصة الصريحة حتى لا يحل به
ما حل بمبد الحميد^(٢) :

هون عليك ولا تظن خلوداً عهد الظالم لا يطول بعيداً
وبعد أن يفيض في وصف حاشية عبد الحميد وما حرته من مكات . . . يتجه
إلى الخليفة الجديد في صراحة :
أحمد يا صاحب العرش الذي أصبحت سلطاناً عليه جديداً

(١) > ١ ص ١٢٤ .

(٢) > ٢ ص ١٤ طبعة سنة ١٣٢٧ وقد نشرت بالعدد ٢٩٥٩ من جريدة اللواء سنة ١٩٠٩

حَدُّ رَمَانَ الرَّاشِدِينَ وَعَدُّهُمْ لَتَمُدَّ بَيْنَ السَّالِكِينَ رَشِيدًا
وَإِذَا بَعَثَ عَلَى الشُّرَكَى وَسَابِقَ عَهْدِهَا لِيَكُونَ عَضْرُكَ بِالْوَفَاءِ سَعِيدًا
فَلَقَدْ عَرَفْتَ عَنِ الثَّرِيمَةِ أَنَّهَا سَاوَتْ لَدَيْهَا سَيِّدًا وَمَسُودًا

ثم يلوح للخليفة الجديد بأن المدح مرهون بالعدل :

وَأَيْنَ عَدْلٌ فَسَوْفَ تَسْمَعُ شَاعِرًا لَمَقًّا يَنْفَسِقُ الثَّنَاءُ مُحِيدًا
يُطِيرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَجْتَلِي يَوْمَ التَّيْمُنِ وَخَنَهَ الْمُسْمُودَا
الخ . . .

* * *

ومن القصائد التي سجلت مع الدستور العثماني قصيدة للشاعر عبد الحليم المصري يقول في أولها^(١)

تَهَلَّلَ الْحُجُّ وَالِدُ الدُّسْتُورِ فِي رَحَبِ وَطَلَعُ الْعِيدِ لَاحَتْ نُهُمٌ لَمْ تَغِبِ
عِيدُ الْخِلَافَةِ عِيدُ الدِّينِ زَاهِمًا عِيدُ الْمَالِكِ مِنْ عُنْجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ
ومنها .

مَدَدَتْ مَا بَيْنَ مَضَرٍّ لِلنَّجَاحِ وَكَأَمَّا بَيْنَ الْخَطِيمِ سَبِيلًا غَيْرَ مُنْقَضِبِ^(٢)
وَأَصْحَتْ مَكَّةُ تَسْمَى الشُّعُوبُ لَهَا لِكُلِّ سَاعٍ بِهَا ضَرْبٌ مِنَ الْأَدَبِ
هَذَا يَطُوفُ نَبَيْتِ اللَّهِ مُعْتَمِرًا وَذَلِكَ مِنْ بَفَحَاتِ الْقَدْرِ عَجَبِ
ثم يشير إلى سبب تمسكه بالخلافة :

إِنْ قِيلَ لِي فِي مَضَرٍّ : إِنْ التَّرَكُّ قَدْ ظَلَمُوا كَفَرْتُ ظَلَمَهُمْ أَخَذَلِي مِنَ الْفَضْرِ^(٣)
مَا أَعْدَدَ الْقَتْلَ مِنْ سَيْفِ الصَّدِيقِ وَمَا أَمْرُهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ عَيْرِ مُنْطَحَبِ
بَلَوْتُ يَا مَهْرُ مِنْ ظَلَمِ الْحَبِيبِ وَمِنْ عَدْلِ الْعَدُوِّ فَكَا يَخْلُو لَكَ أَطْلَسِي

(١) الديوان صفحة ٢٣ وهى من ٤١ بيتاً .

(٢) يشير إلى سكة حديد الحجاز .

(٣) راجع هامش ص ٢٧٥ والضرب : الضل .

ثم يحتملها بقوله :

قالوا: انتسب. قلت: حسنى أنى رجل^١ بينى وبين الممالى أقرب التَّسْبِيرِ

* * *

وإلى الجزء الأول من ديوان مصطفى صادق الرافعى قصيدة يهين فيها عبد الحميد فى سنة ١٩٠١ بميد جلوسه ويشير إلى مؤتمرات أوروبا ضد الخلافة ويبدوها بالفرد^(١) :

أَرَاكَ الْحَيَّ : هَلْ قَبَّلْتَكَ ثَمَرُهَا قَالَتْ بِأَعْطَافِ الْعَصُونِ حُورُهَا ؟
وَعَنَّتْ إِلَى سَجْعِ الْحَكَامِ كَأَنَّهُ .. رَبِّينُ الْحُلَى إِذَا لَعَبَتْهَا صُدُورُهَا ؟

* * *

وَأَصْبَحَتِ الدِّيَا تُضَاحِكُ أَهْلَهَا وَيَنْسِيمُ فِيهَا إِشْرُهَا وَشِيرُهَا
تَتِيهُ بِأَعْيَادِ الْمُلُوكِ . وَكَيْفَ لَا وَعَيْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُهَا ؟
أُمَحَادَ بِهِ رُوحَ الْخِلَافَةِ رَبُّهَا وَهَاءَ لَهَا بِالنَّصْرِ فِيهِ نَصِيرُهَا
فَرَاغَتْ صَادِدَ الْمُلُوكِ وَمَاسُوَى مَلِكِ الْبَرَآيَا قَدْ أَقْلَّ سَرِيرُهَا
وَحَارَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ شُعْثًا حُطُّوهُ فَهَبْ لَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ يُحْيِيهَا^(٢)
بَصِيرُ سُرُورِ اللَّهِ فِي كُلِّ أَرْمَةِ تَرُدُّ عَيْنَ الصَّيْدِ حَسْرَى سُدُورُهَا
الح ...

أما الشيخ محمد عبد المطلب فله فى الديوان خمس قصائد فى الخلافة أولاها فى تهنئة السلطان عبد الحميد بمناسبة الدستور التركى سنة ١٩٠٨ ويقول فى أولها^(٣) :

يَا عَيْدُ حَيٍّ وَأَنْتَ خَيْرُ نَهَارٍ عَبْدَ الْحَمِيدِ يَدَوَّلُ الْأَخْبَارَ
وفىها يشير إلى حال الخلافة قبل إعلان الدستور إلى أن يقول :

(١) ص ٣٣ .

(٢) يشير إلى حوادث البلقان وتدحل فرنسا .

(٣) ص ٩٣ من الديوان

لولا أمير المؤمنين يحوطها لأبتها حبراً من الأخبار
جاء الخلفاء لا قرار لعرشها لحادث تجري لغير قرار
فجئاً بصرف خيزرانة ملكه تصرف لا وكل ولا خوار
الخ ... وهي من واحد وعشرين بيتاً .

وثانيها في ثورة البلقان التي اعتدوا فيها على الأطفال والنساء وقد بدأت سنة ١٩٠٨
ولم يأل الجيش جهداً في تأديبهم والانتقام للمعتدى عليهم ومطعمها^(١) :

صريف المنايا أم صليل الصوارم ولا يلد الردى أم تقع تلك اللاحم
وفيها يقول :

فإن حسبوا الإسلام لانت قناته فما زال دين الله صلب المتاجم
عدوا طورهم فاستصنفوا لئث عابه وعاثوا فساداً في القرى والمواجم
يسومون ضعفاها المذاب مبرحاً وبملون بغياً في انتهاك المحارم
فمن حرقة تمسكى عفاً هفت به يذ البنى من تلك الأكف الظالم

* * *

تعالى بنو البلقان عن منهج النهى لخوض غماب الفتنة المتلاطم
وأعزى بأنا حفيظنا عهدهم ولا عهد إلا للخفاف الصوارم
ثم يصف شجاعة الترك وما أبدوه من بسالة في القتال ... وهي من أربعة
وثلاثين بيتاً ..

* * *

والقصيدة الثالثة كانت في تهنئة الطيارين النمانيين « سالم » و « كمال » ورناء الطيارين
« فتحي » و « نوري » في سنة ١٩١٤ وهي من سبعة وحسين بيتاً ويقول في أولها^(٢) :

(١) ص ٢٧١ من الديوان

(٢) صفحة ٩٥ من الديوان .

وَقَفْتَ لَكَ الدُّنْيَا فَسِيرِي مَسْرَى الضَّبَابِ مِنَ الْأَثِيرِ
يَا أُخْتَ سَابِحَةِ الشَّجْوِ مَرِّ وَرِدَتْ سَابِحَةِ الضَّمِيرِ

وبعد نصف القصيدة في الوصف والتفنن في اللغة ... يأخذ في المدح :
يَا سَارِيَيْنِ مُرَرَى الْهَلَا لِي عَلَى الْمَشَارِفِ وَالْقُصُورِ
أُخْيَيْتُمَا مَيِّتًا مِنْ آلِ مَالٍ فِي قَلْبِ كَسِيرِ
ذَكَرْتُمَا بِالْبُرِّ اقِرِّ وَعَظْمِيهِ حَيْرَ الْعُصُورِ ...
أَهْلًا بِمُعَلِّيَةِ الْهَلَا لِي عَلَى الْكَوَاكِبِ وَالْأُدُورِ

وبعد أن يشيد هذين البطلين يقول في ختام القصيدة :

يَا دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ : هُبْنِي يَا كَوَاكِبَهُ أُبْرِي
مُدَى جَوَاحِيهِ عَلَى النَّسْرَيْنِ وَالشُّمْرَيْنِ الْعُصُورِ
فَلَعَلَّ دَائِرَتَهُ تَجِدُ عَنْهُدَهُ بَعْدَ الدُّنُورِ

أما القصيدتان الأخيرتان فقد كانتا بمناسبة انتصار الكمالين في الحروب الأخيرة على
اليونان في سقاريا ومطلع الأولى^(١) :

رُوْبِدَكَ لَا عِدَاءَ وَلَا أَحْالَا وَحَسُنُكَ لَا طِرَادَ وَلَا بَزَالَا
وهي من خمسة عشر بيتاً .

وأما الثانية فقد صاغ منها ستة أبيات ولم يكملها لما تناقلته الأخبار من انحراف
الكمالين وترصهم بالخلافة . ومطلعها^(٢) :

هَذَا مَقَامُكَ شَاعِرَ الْإِسْلَامِ فَقَرِيبَ الْقَرِيبِ عَلَى أَجَلٍ مَقَامِ

(١) من الديوان ١٩٨

(٢) ص ٢٥٣

وقيتها :

عادتْ صَوَارِئُنَا إِلَى أَغْصَادِهَا من بعدِ مَا ظَفِرَتْ بِخَيْرِ مَرَامٍ
هَذَا الْحَنِيفُ يَسِيرُ تَحْتَ ظِلَالِهَا فخمَ الْجَلَالَةِ سَارِي الْأَعْلَامِ
صَحِيحُ الْهَلَالُ لَهَا الْفِدَاءُ وَرُبَّمَا أَجْرَى مَدَامَ مَعَهُ شُئُونُ عَمَامِ
قِفْ بِالْهَلَالِ عَلَى السَّنَامِ مِنَ الْعَلَا فَكَأَنَّهُ مِنْهَا بِكُلِّ سَفَامِ
وَقِفْ الْأُسْنَةَ وَالصَّوَارِمَ تَحْتَهُ ظَمْنَاى وَكُلِّ مُقَدِّفٍ مِرَامِ^(١)

وعند ما سحث عن الخلافة في شعر أحمد محرم نجد ذلك النبع الصافي الصادر من قلب مؤمن بمجد الإسلام ، قد وقف حياته على الدفاع عنه والإشادة بحجاسنه والدعوة إلى الرجوع إلى تعاليمه . وهو عند ما يتحدث عن العلماء إنما يتحدث عن العاطفة الدينية الحاممة التي يرى في المحافظة على الخلافة خير مصداق لها .

ولقد بدأ حياته كشاعر تلك الوجهة الإسلامية الخالصة ، فقد أنشد وهو في السادسة عشرة من عمره قصيدة في عيد حلوس السلطان عبد الحميد في سنة ١٩٠١ كانت موضع الإعجاب وشرق دكرها وعرب في عداد القصائد الخالدات .

وذلك أن السيد « أنا النصر السلاوى » شاعر دار الخلافة قد رأى أن يجمع أشهر قصائد عصره في كتاب يسميه « عكاظ العرب » وقد كانت قصيدة محرم التي مطلعها^(٢) :

مَنَازِلُ سَلَمَى : لَا عَدَدَتْكَ الْغَنَائِمُ وَإِنْ دَرَسَتْ بِالْجَزَعِ مَكَ الْمَمَالِمُ
ضمن القصائد التي اختارتها لجنة أدبية برئاسة المرحوم أحمد زكي ويقول في هذه القصيدة :

لَعَمْرُؤِ أَبِى مَا آلُ عُمَانَ حُضِعَ وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَادِثَاتِ ضَرَاعِمُ

(١) قوى .

(٢) مقدمة الجزء الأول طبعة سنة ١٩٠٨ .

مَلِكُهُمْ عَبْدُ الْحَمِيدِ وَإِيَّاهُ لَخَيْرُ مَلِكٍ فِي الْمَلَائِكَةِ حَازِمٌ
 كَحَمَى بَيْتَةِ الْإِسْلَامِ عَنْ يَدِ لَامِسٍ فَأَصْبَحَ مِنْ كَيْدِ الْعِدَا وَهُوَ سَالِمٌ
 وَصَانَ ذِمَارَ الدِّينِ وَالْدِّينِ حَوْلَهُ أَيَّامِنُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَشْأَمُ
 هُوَ الذَّائِدُ الْأَعْدَاءَ عَنْ حَوْضِ مَحِيدِهِ بِصَارِمٍ عَزِمَ لَا يَحَاكِيهِ صَارِمٌ

وملاحظ أنه يمدح الخلافة في شخص الخليفة لأنه « صان الذمار ...

وكانت هذه القصيدة عقب أحداث اليونان التي انتصر فيها الترك والتي قال شوقي
 قصيدته الكبرى : سميعك يملو الحق ... في وصفها .

وله في الجزء الثاني^(١) أبيات يبين فيها سبب اعتزازه بالخلافة :

لَوْلَا بَنُو عُمَانَ وَالسَّنَنُ الَّذِي شَرَعُوا لِمَا وَصَّحَ السَّبِيلُ الْأَقْوَمُ
 سَطَعُوا بِآفَاقِ الْخِلَافَةِ فَانْحَلَى عَنْهَا مِنَ الْحَدَثَانِ لَيْلٌ مُظْلِمٌ
 مَعَهُمْ وَلَاؤُ أُمُورِهَا وَكَفَاتُهَا وَهُمْ حَيَاةٌ تُفْجَرُهَا وَهُمْ مُهْمٌ
 تَعْتَرِّ آيَا السَّلَامِ وَتَارَةً بِالْحَرْبِ يَرْحَرُ فِي وَاحِيهَا الدَّمُ
 مَبْتَلِكُ يَكْمِي الْمَلِكُ دَا تَحْنَانِهِ وَيُصَانُ مِنْ كَيْدِ الْخَطُوبِ وَيُعْصَمُ

وله قصيدة أيضاً بمناسبة سكة حديد الحجاز^(٢) جاء فيها بعد مقدمة عزلية :

يَا ابْنَ الْخِلَافِ ابْنَةً وَأَكْلًا مَسْقِيَةً^(٣) شَمَاءَ نَادِحَةٍ عَانُوا وَلَمْ (تَفِ)
 لَقُمْتَ فَيَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُرْتَقِيًا تَرُدُّ عَنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ مُرْتَقِبٍ
 وَرُبَّ ذِي عَلَّةٍ دَاوَيْتَ عِلَّتَهُ نَالِ الشَّرَفِ فَلَمْ تَقْلَمْ وَلَمْ تَحْبِ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَوْ صَكَّتْ عِزَّائِمَهُ نَوَائِبُ الدَّهْرِ ذِي الْحَدَثَانِ لَمْ تُسَبِّ

(١) > ٢ صفحة ٤٢ .

(٢) > ٢ ص ٤٢ .

(٣) يريد به السلطان عبد الحميد .

يُشْرِى الحَجِيجَ إِذَا سَارَ الْبُخَارُ بِهِ غَدَاً فَأَنَسَاهُ سَيَرَ الْأَيْتَنِ الشَّجْبِ
تَشْكُو النَّوَى وَالْوَجَى إِنْ كَلَّفَتْ خَبِيئاً وَمَنْ لَوْ أَهِنَتِ الْأَعْصَابُ بِالْخَبَبِ ؟
هَذِي الْخَلَاةُ طَابَتْ نَفْسُهَا وَغَدَتْ قَرَحَى وَلَوْلَاكَ لَمْ تَفَرَحْ وَلَمْ تَعَلْ
وعند ما برئ أباه « حسن عبد الله ^(١) » بقصيدة مطلعها :

بَأَى مَنَازِلِ الْقُومِ الثَّوَاءُ وَهَلْ يُرْجَى التَّحَاوُرُ وَاللِّقَاءُ ؟
يضمن هذه القصيدة حديثاً عن الخلافة يشير فيه إلى غناؤه وما يخشاه من الخلفاء ^(٢)
ويتوعد ويفتخر ...

نَحِبُ مُحَمَّدًا ^(٣) وَنَدْبُ عَنْهُ وَمَعْصَبَ حِينَ يُؤْذَى أَوْ يُسَاءُ
وَرَفْعُ لِلْخَلَاةِ حَاسِنُهَا وَتَدْفَعُهَا إِذَا مَالِ الْبِنَاءُ
تَصُونُ دِمَارَهَا بِالْبَاسِ أَمَا (وَالْمُحَمَّدِ) فِيهَا سَوَاءُ
ومها :

يَرُونَهُ لَمْ عَلَى الْإِسْلَامِ دِيناً وَنَابَى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَدَاءُ ^(٤)
وَمَنْ سَمِعَ الزَّيْرَ فَلَمْ يَرُغْهُ فَكَيْفَ يَرُوعُ مَسْمَعُهُ الْعَوَاءُ
يَفَارِعُنَا رَحِمَى عُمَانَ قَوْمٌ هُمُ الْمَكْرُوهُ وَالْدَاءُ الْعِيَاءُ
وَلَوْ مَلَكَوا الْخَلَاةَ لَأَسْتَبِيحَتْ مَحَارِمُهَا وَأَعْوَرَهَا الْوَقَاءُ ^(٥)

(١) توفي سنة ١٣٣٨ — > ٢ صفحة ٢١٢ ، وأمل عنصر الأس هو الذى جمع من حربه على أبيه ونحوه على مصير الخلافة .

(٢) كانت هذه القصيدة عقب الحرب الكرى عند ما اظهرت ألمانيا واحتل حلفاء العرب تركيا قبل حركة التحرير التى قام بها الكماليون .

(٣) وحيد الدس . .

(٤) كان الحلفاء يرون فى احتلالهم لتركيا إيقاداً لها . وكان ذلك قبل ثورة الكماليين

(٥) يندى غناؤه من أوائك الحلفاء المخادعين . ولأحمد محرم « قصيدة جامعة » لأحداث الخلافة قبيل إلغائها من ٤٨٢ بيتاً وهى مخطوطة وسندبر إليها فيما بعد ومطلعها :

ردوا غمراتها فى الوارديسا وسبروا فى الملك ماتمبها

وَبِعَ السَّلْمُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ . . . كَمَا بَعِيَ الْعَبِيدُ أَوْ الْإِمَاءُ
إِذَا حَلَفُوا عَلَيْنَا فَان سَيُوفِنَا مِنْهُمْ بَرَاءُ

* * *

وبعد : فتلك هي نماذج مختلفة لشعراء مختلفين في موضوع واحد هو : الخلافة الإسلامية
في بني عثمان وعلاقتها بمصر والإسلام^(١) وقد رأينا أن الساعث الأول للشعراء المصريين في
التحدث عن الخلفاء وحوادث الخلافة إنما هو رابطة الدين التي تتفرع عنها بقية الروابط
القومية والسياسية والاجتماعية . .

وقد رأينا في تلك النماذج أساسيس مختلفة أملتها الظروف وأنواعاً مختلفة من الرعاية
الفنية عند أولئك الشعراء — سنعود لدراستها في الفصل الثالث إن شاء الله .
وسكتفي بهذا القدر من تلك النماذج لاسعاع الموضوع وكثرة ما أوحى به من
إن شاء الشعر .

* * *

وانتقل الآن إلى موضوع آخر يتصل بالحديث عن الخلافة ألا وهو :

صدى حوادث العالم الإسلامي في الشعر

المصري الحديث

وربما كانت هذه الحقبة التي يدرسها من أحفل العترات التي تدعو إلى الالتجاء إلى
استشارة العاطفة الإسلامية للتقريب بين شعوب الإسلام . فقد كان هناك ضغط الاستعمار
في مصر والاشتباكات التي كانت بين الترك واليونان والمغار وغيرهم من رعايا الخلافة .
ولقد كان في كل بقعة تستطل برأية الخلافة فن وأطباع للأوروبيين « وفي شهر نوفمبر

سنة ١٩١١ أعلن ملك إيطاليا أن طرابلس قد أصبحت جزءا من إيطاليا ^(١)

وكان هذا الإعلان أنشاء ثورة قامت في اليمن بدسائس الأوروبيين فاضطرت تركيا لسحب بعض حيوشها من ليبيا فانتهز الطليان تلك الفرصة وقد ظل الصراع بين المهاجرين من العرب والمصريين ثم الطليان حقبة من الزمن وانتهى الأمر باقتطاع طرابلس ^(٢).

وكان هذا الحادث من العوامل المثيرة للمعاطفة الإسلامية عند شعراثنا وراحوا يثنون ويتألمون ويصورون هذا الأني ودلك الألم في قصائدهم .

وللشيخ محمد عبد المطلب في ذلك قصيدتان كبريان ، إحداهما من أربعة أبيات ومائة يقول في مطلعها ^(٣) :

بني أمنا : أين الخيلُ المذربُ وابن الموالِ والحسامُ المذربُ
إذا اهترَّ في نصيرِ الحنيفِ تساقطتْ نفوسُ العِدا من حدهِ تتحلَّبُ

وبعد ستين يتنا يسأل فيها عن المطولة والأبطال في الإسلام ثم يتحدث عن جهاد النبي وصحبه في العروات . . ينتقل إلى الحدث الجديد الذي هز مشاعره .

خَلِيلِي : مالى إذ تذكرتُ برقةً بِحَسْبِي بيرانُ الأُمى نَتَلَمَّبُ
نَعَمْ رَاعِي من نحوِ برقة صارحُ يَهيبُ بأصايرِ الهلال : ألا أركبوا
دعا صارحُ الإسلام : يَأَلَمْنِي الهُدَى أعارَ العِدا ، أين الحُسامُ المُشَطَّبُ ؟
أرادتُ رَحِمَى الإسلامِ روما فأفسكتُ راعِنُفها في نَفِها تَتَلَمَّبُ

وبعد أن يصف جند الطليان وحبثهم وما لقوه من قدهم في البحر . . يهكم عما يدعو به من التسامح في ظلال المسيحية .

(١) المسألة الشرقية للأستاذ حسن ليب طعة ١٩٢١ .

(٢) « أن طرابلس العرب وبي عارى معرستان اليوم لحط عظيم واقدر بها عن حسم الوطن المقدس عدو (لا يعرف عدلا) ولا إنسانية » عن تقرير محمود بك ناحي إلى رئاسة مجلس النواب العثماني .
[راجع استثمار إيطاليا لطرانس من ٢٥ إلى ٥٠٠ من تاريخ الدولة العربية لأمين سعيد ج ٢ طعة الحلبي]

(٣) ص ٢٥ من الديوان

إِذَا وَقَفَ الْبَابُ بِبَارِكِ جُنْدَكُمْ فَمَا كُلُّ بَابٍ لِنَسِجٍ مُقَرَّبُ
 سَلَوَهُ : أَوِ الْإِنْجِيلِ لِلْحَرْبِ آيَةٌ إِذَا كَانَ فِي الْإِنْجِيلِ لَيْسَ يَكْذِبُ ؟
 لَكُمْ حَنَةُ الْبَابِ مَاتُ وَإِنَّمَا مَفَاتِحُهَا مِنْ أَرْضِ بَرَقَةٍ تَطْلُبُ
 وَإِنَّ لَدَى أَسْيَافِنَا وَرِمَاحِنَا أَبْوَابَهَا عِلْمًا : هَلُمُّوا فَجَرُّوا

ثم يأخذ في التحذير من قوة المسلمين وتوثبهم في كل قطر إسلامي إلى أن يقول :

حَدَارِ فَلَا سَلَامَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ دَهَاءُ إِذَا مَا أَظْلَمَ الرَّأْيُ انْقَبَبُوا
 حِرَاصُ عَلَى مُلْكٍ « الرَّشَادِ » إِذَا هَفَا بِهِ حَادِثٌ ثَارُوا لَهُ وَتَحَزَّبُوا^(١)
 بَنَى مِصْرًا : هَذَا الدِّينُ يَدْعُو فَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ فِي تَأْيِيدِهِ وَتَقَرَّبُوا
 بَنَى مِصْرًا : قَدَرَامُ الْخِلَافَةِ مَمْشَرٌ تَنَادَوْا عَلَى غَدْرِ بَيْتِهَا وَتَأَلَّسُوا
 وَمَهَا :

إِذَا مَا تَنَادَى الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّمَا لَسَحَدَتِنَا كُلُّ الْمَالِكِ تَرُقُبُ
 وَكَمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَرْيَحِيَّةٍ لِمِصْرَ بَيْتِهَا رَأَى الْخِلَافَةَ يُشْعَبُ

* * *

أما القصيدة الأخرى من واحد وعشرين ومائة بيت ومطلعها^(٢) :

هِيَ الْهَيْجَاءُ كَمْ طَحَنَتْ قَرُونَا وَكَمْ سَحَنَتْ حَوَادِثُهَا قَرُونَا
 سَلَوْنَا عَنْ مَشَاهِدِهَا سَلَوْنَا إِذَا كُنْتُمْ بَيْتًا لَا تَعْلَمُونَا
 وَهِيَ لَا تَخْرُجُ فِي مَعَابِهَا عَنْ سَابِقَتِهَا .

* * *

(١) هو الخليفة محمد رشاد الخامس

(٢) ص ٢٨٥ من الدواوين .

ولحافظ إبراهيم قصيدة في هذه المناسبة من خمسة وأربعين بيتاً ومطلعها^(١) :

طَمَعٌ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ الدُّثَامَا فَاسْتَفِيقْ يَا ثَرْقُ واحذرْ أَنْ تَنَامَا
وبعد أن يصف فظائع الطليان في الاعتداء على النساء والأطفال والمعزة من المرضى
والمسنين . . يتجه باللوم والتهكم إلى البابا الذي كان يؤدي حركة المدوان ويبارك الجند
قبل مسيرهم للقتال :

بارك المطرانُ في أَعْمَالِهِمْ فَسَلُّوْهُ : بَارِكِ الْقَوْمَ عِلَامَا^(٢) ؟
أَهَذَا حِوَاءِمْ إِنْجِيلُهُمْ أَمِراً يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سَلَامَا
وبعد أن يصف رسالة العرب والترك في رد الأسطول وهلاك أكثر جنده يشير إلى
قرار ملك إيطاليا في نوفمبر سنة ١٩١١ بضم طرابلس إلى أملاك إيطاليا . ثم يتحدث
الأسطول الإيطالي بأن يتجه إلى « السفور » حيث حصون الخلافة المنية وبنهم بما أصاب
الطليان . . الخ . . وينتهر الطليان تلك الحوادث في طرابلس واشغال الأتراك والعرب
الليبيين والصريين بها ثم يوجهون أسطولهم إلى بيروت فيلقى عليها بقذائفه في غير رحمة
ولا شفقة فيمزع الآمنين وهنا تنور عاطمة شوقي فيسجل ذلك المدوان في قصيدة من سبعة
وعشرين بيتاً ومطلعها^(٣) :

يَا رَبُّ أَمْرُكَ فِي الْمَمَالِكِ نَافِذٌ وَالْحُكْمُ حَكْمُكَ فِي الدِّمِّ الْمَسْفُوكِ
وفها يعرض بالحروب الصليبية وكيف كانت حصون سوريا في الماضي سدا منيعاً يحول
دون تدفق أولئك الطامعين .

أَنْتَ الَّتِي بَحْمِي وَيَمْنَعُ عَرْضَهَا سَيْفُ الشَّرِيفِ وَحَسْبُكَ الْعَشْمُوكِ
إِنْ يَجْهَلُوكَ فَإِنَّ أَمَّاكَ سُرُورِيَا وَالْأَنَاثُ الْفَرْدُ الْأَثْمُ أَوْكَ

(١) ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) المطران « نافنج والكسر » رئيس الكهنة وهو دون الطرق وفوق الأقف .

(٣) ج ٢ ص ٦٩ .

والسابقين إلى الفاجر والمُلا بَلَدَه المكارم والنَّدَى أهْلوكِ
الخ ...

ولحافظ إبراهيم في نكتة بيروت تلك منظومة تمثيلية من خمسة وثمابين بيتاً تصورهما
بين عربيٍّ جريحٍ من أهل بيروت الذين نكبتهم ضربات الطليان الانتقامية بجانبه زوجته
« ليلي » وبين طبيب مسيحي قام يعالج هذا الجريح ثم رجل عربي شهد الحوادث ولازم
الجريح ، ولكن حافظاً ينتهي هذه التمثيلية ب وفاة هذا الجريح ويقول في أول هذه التمثيلية
على لسان الجريح مخاطباً زوجته^(١) :

ليسلاى ما أنا حتى^١ رُجِىَ ولا أنا مَيْتُ^٢
لم أقصر حقَّ بلادى وهأنا قد قَضَيْتُ^٣
شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَسَى^٤ لما رَمَيْتُ رَمَيْتُ^٥

* * *

لكن رماكِ حَبَّانُ^٦ كَو بَانَ لى لاشْتَفَيْتُ^٧

ويقول فيها على لسان العربي :

أفَّ لَقَوْمِ حِباعِ^٨ قد أزعَجُوا المَالِينَا^٩
قَرَأَهُمُ ابْنَ حَلَّوَا^{١٠} ضَرْبُ بَقْدُ التُّوَا^{١١}
عَقَّوَا المُرُوَّةَ هَدَّوَا^{١٢} مفاخر الأولينا^{١٣}

* * *

فَيَا أَرْبَةَ مَهْلًا^{١٤} أين الذى تَدْعِينَا^{١٥}
ماذا تريدن مِنَّا^{١٦} والداءُ أُمْسَى دَمِينَا^{١٧}

* * *

يحتتمها بأبيات على لسان العربي أيضا في رثاء الجريح :

أَسْتَوْدِعُ اللهَ شَهِمَا نَذْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ^(١)
 أَسْتَوْدِعُ اللهَ رُوحَا كَانَتْ رَجَاءَ الْبِلَادِ
 فِيهَا شَهِيدًا رَمَنَهُ قَدَرَا كُرَّةُ الْأَعَادِي
 نَمَ هَانَا مُطْمَئِنًّا فَلَمْ تَنَمَ أَحْفَادِي
 فَسَوْفَى يُرْضِيكَ نَارُ يُذِيبُ قَلْبَ الْجَمَادِ

* * *

ولقد كان المغرب الأقصى من حوالى منتصف القرن التاسع عشر فى قبضة الفرنسيين ، فالجزائر ضمت فى سنة ١٨٤٧^(٢) وتونس فى سنة ١٨٨١^(٣) وأخذ بعض حكام تلك الأصقاع يصطبغون بالدينى الفرنسى ولا يزالون بالشعور الإسلامى العام ، ومن ذلك أن السلطان عبد العزيز^(٤) بن مولاى السلطان الحسن قد ركن إلى المجون واللاهوتى أنه طلب فرقة من المطربين والمغنيات التى كانت لها شهرة بمصر فسأرت إليه وكان اندماجه فى اللهو وترك الأمر لأعداء البلاد سببا فى سقوطه^(٥) وتولية أخيه السلطان عبد الحفيظ .

وقد أثارت تلك الأفعال من سلطان مسلم عاطفة الشعراء بمصر فأسهموا بنصيب فى توجيه النصيح له ثم التأم لما أصابه ثم توجيه النصيح لخلفه السلطان عبد الحفيظ . وقد أشار حافظ إلى طلب المغنيات فى أبيات ثلاثة نشرت بانؤيد فى سنة ١٩٠٤ وهى^(٦) :

(١) رجل يدب ؛ كء لما يوكل إليه من أمور .

(٢) المسألة الشرقىة ص ١٠٧ و « الدولة العربىة المتحدة » لأبى سعيد « فقد كان سمر الأمير عبد القادر ورحاله إلى الشرق حادثة نصال عنيف بين الجزائر وفرنسا استمر عشرين سنة كاملة (١٧٢٨ — ١٨٤٧) وانتهى باستيلائها على هذا القطر العربى الحجيل وإحصاءه فكان أول قطر سقطى مران الاستعمار الغربى » ج ٢ ص ٢٠٩ مطبعة الحلبي .

(راجع قصة هذا الضال بهذا المرجع من ص ١١٧ إلى ص ٢١٥) .

(٣) أعلنت فرنسا حمايتها على تونس بمقتضى معاهدة القصر السعيد فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ (المرجع السابق ص ٢٢٨) .

(٤) ١٣١١ — ١٣٢٦ هـ .

(٥) كان ذلك فى سنة ١٩٠٨ وفى عهد عبد الحفيظ (٢١ مايو سنة ١٩١١) جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه السلطان يوسف فى ١٩١٢ . وذلك فى سلطنة مراکش التى ضمت نهائياً لفرنسا بمعاهدة الجنتلمان بين إنجلترا وفرنسا فى سنة ١٩٠٤ .

(٦) ج ٢ ص ٦

عبد العزيز : لقد ذكرتنا أئماً كانت جوارك في لهو وفي طرب
ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس في الحرب في الباب والسلطان في اللب
فاخذز على « التخت » أن يسرى الخراب له

فَتَخْتُ « سُطَاةٍ » أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ ^(١)

ولقد أشار حافظ أيضاً في قصيدته الكبرى عن مطلع العام الهجرى (١٣٢٧)
التي مطلعها :

أَطْلُ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقُ تَنْظُرُ هَلَالٌ رَأَى الْمُسْلِمُونَ فَكَبَرُوا.

إلى حادث سقوط (عبد العزيز) عند ما عُدَّ حوادث العام السابق :

وفيه ^(٢) هوى عبد العزيز وعرشه وأخى عليه الدهر والأمر مُدْبِرُ
ولا تحب أن تُلَّ عرشُ مُمْلِكٍ قوائمه عودٌ ودَفٌّ ومزهرُ
فألقى إلى (عبد الحفيظ) يتاحه ومرة على أذراحه يتعمرُ
وقام بأمر المسلمين مُؤَفَّقٌ على عهدِه مُرَاكَشٌ تَتَحَصَّرُ

ولأحمد محرم قصيدة كبرى من ستين بيتاً يصف فيها مصير « عبد العزيز » ويتألم لفلة
ملوك الشرق التي أطعمت فيهم الغرب وينسح الملك الجديد ويقول في أولها : « وهى
بعنوان : صرير المغرب » ^(٣) .

كفعت العروشُ وزُلْزِلَتْ رِزَالَا عرشُ هوى وقديمُ مُلْكٍ زالا
رُبِعَتْ لِمَصْرَعِهِ الْمَشَارِقُ إِذْ مَشَى فِيهَا النَّيْمُ وَأَجْفَلْتُ إِجْفَالَا
مَلِكِ الْمَوَالِي : كَيْفَ طَاحَ بِكَ الرَّدَى وَسَطَا عَلَى دَاكِ الْجَلَالِ وَمَالَا

(١) سلطنة .. إحدى معيات مصر جيداك وفى كلمتى « عت » حاس تام .

(٢) أى العام العائت (١٣٢٦ — ١٩٠٨) .

(٣) ٢٠ ص ١١ .

بِفِدَسَتِ حَيَاةَ حَمَلَتِكَ خَطْلُوبُهَا دَاءَ يَهْدُ الرَاسِيَاتِ عِضَالاً
مَمْتِ الْمَالِكُ حَوْلَ نَمَشِكَ مَخْشِماً وَمَشَى الحَفِيطُ وَرَاءَهُ مُخْتَالاً
يَمْشِي بِسِيلِ الزَّهْوِ مِنْ أَعْطَافِهِ لَوْ كَانَ ذَا قَلْبٍ يُحْسُ قَرَالاً
ومنها :

إِيهِ مُلُوكَ الشَّرْقِ : إِنَّ وَرَاءَكُمْ قَوْمًا يُوَالُونَ الْمَفَارُ عِجَالاً
سَدُّوا الْفَضَاءَ وَإِنِّي لِأَخْلَهُمْ رَجَبًا بِأَرْضِ الشَّرْقِ أَوْ أَعْوَالاً
وَكُنَّ دَا الْقَرَبِينَ مُعْجَلِ سَدِّهِ وَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَحُولَ مَحَالاً
ومد أن يصف تكاسل الشرقيين وآثاره في تأخرهم يقول :

أُنْحَى عَلَى الْمَلِكِ الشَّرِيدِ نَسْكَبُهُ تَرَكْتَ مَعَانِي مُلْكِهِ أَطْلَالاً
هَلَّا تَأَسَّى بِالْحَوَاقِبِ الْآلِيَّ مَلَأُوا الزَّمَانَ مَهَابَةً وَجَلَالاً
الْحَافِظِينَ الْمَلِكَ بِالْأَسْرِ الَّذِي كَهْدُ الْمُلُوكِ وَزُلُكُ الْأَفْئَالِ ؟

* * *

نم يتجه بالدعاء إلى الله أن يبعث في الشرق الحياة ..

يَا بَاعَتْ الْمَوْتَى لِيَوْمِ مَعَادِهَا تَنَسَّاتُ مِنْ أَنْجِدَانِهَا أَرْسَالاً
أَعِدِ الْحَيَاةَ لَأَمَةٍ أَوْكَتْ بِهَا عَمَلُهَا فَتَوَتِ رِسْمِينَ رِطْوَالاً
وَأَصَىءْ لَهَا سُمْلَ النِّجَاحِ لِيَهْتَدِي مِنْ رَاغٍ عَنْ وَصَحِ الطَّرِيقِ وَمَالاً
وَتَوَلَّهَا بِالصَّالِحَاتِ وَلَقَهَا ٠٠٠ مِنْكَ الْأَمَانَ وَوَقَّعَ الْأَوْجَالَ
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ نَقْوَةً نُوهَى الْقِيُودَ وَتَصَدَّعُ الْأَعْلَالَ
لَا تَحْمِلْنَا فِي الْمَهَانَةِ آيَةً تُحْزِرِي الْوُجُوهَ فِي الْجُمُودِ مِثَالاً
وَاجْمَعْ عَلَى صِدْقِ الْأُخُوَّةِ جَمْعَنَا فَلَقَدْ تَفَرَّقَ بِمُسَّةٍ وَشِمَالاً

* * *

هذه ألوان من الشعر المصري الحديث أنشدت في مناسبات مختلفة تتصل بالخلافة^(١)
بدافع من العاطفة العامة بين المسلمين ، فن مبادئ الإسلام أنه إذا اشتكى عضو من
جسد المسلم تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحلم . وكأني بشوق قد جتمع هذه المعاني
في بيته ، الخالد :

كَلَّمَا أَنَّ بِالْمَرَاقِ جَرِيحٌ لَمَسَ الشَّرْقُ جَنْبَهُ فِي عُمَانِهِ^(٢)
وبيته الآخر :

وما الشرقُ إلا أسرةٌ وعشيرةٌ نُلِمَ بِبِهَا عِنْدَ كُلِّ مُصَايِرِ

* * *

ولقد بقيت نقطة أخيرة مما يتصل بالخلافة نشير إليها إشارة مستقلة ألا وهي

(مدائح لخديون في المناسبات الدينية)

ولقد مرت ما في الباب الأول^(٣) ألوان من الشعر في مثل هذا الموضوع وقد رأينا
هناك كيف أن الشعراء كانوا ينتهزون المناسبات الدينية ليكيلاوا المدح للحكام دون أن
يهتموا بموضوع المناسبة التي يرفعون التهنية باسمها كالهجرة والمولد النبوي الشريف
والأعياد ..

ولقد ظل الأمر كذلك في أوائل الفترة الثانية التي ندرسها بعد الاحتلال وظلت
التهاني ترفع للخديو توفيق ثم عباس في أول عهده دون أن يظهر الاهتمام بالموضوع
أو المناسبة الدينية^(٤) :

(١) فقد كان أكثر تلك الأصناف من ممتلكات الخلافة العثمانية واستطاعت أوروبا أن تجزئ
تلك الممتلكات متبرة كل فرصة وفي سنة ١٩٠٤ عقد اتفاق الجنتلمان المشهور بين إنجلترا وفرنسا على
أن تخل فرنسا بين إنجلترا ومصر . ولا تعارض لإنجلترا في احتلال مراكش وتطلق كل منهما يدها فيها
تحت سيطرتها من مستعمرات . راجع « الدولة العربية » ج ٢ لأمين سعيد .

(٢) من قصيدة ألقاها بدار الأوبرا في حملة تكريمه من ٤٠ ج ٢ .

(٣) من ١٢٢ .

(٤) راجع قصائد الهجرة من ٢٤٧ وما بعدها .

ولكن بعد أن أخذ الوعي الديني في القوة والظهور وبعد أن بدأت دعوة محمد عبده تتوقى ثمارها وبعد أن ظهرت القومية المصرية في الحركات السياسية — والدين من مقومات القومية المصرية — عند ذلك أخذت الدأخ يظهر فيها صدى المناسبة الرفوعة من أجلها أكثر من ظهور شخصية المدوح بل كان الحديث عن المناسبة في بعض الأحيان هو كل شيء في القصيدة ولا مكان للمدوح .

ومن ذلك ما رأيناه من صنيع شوقي في نهج البردة ، فقد انتهز مناسبة دينية وهي عودة الخديو عباس من الحج في سنة ١٩١٠ فرفع إليه تهنئة كانت تخالف كل التهانى السابقة للخديوين ، نعم إنها كانت نهج البردة^(١) التي سجلت صوراً رائعة عن حياة الرسول الكريم ومصائل الإسلام ولم يشر فيها بيت واحد إلى الخديو .

ولقد كان لحافظ كثير من المدأخ في مناسبات الهجرة والأعياد للخديو عباس ...

وربما كانت مناسبة حج الخديو عباس من أحفل المناسبات التي أثارت مواطن الشعراء ، ونرى أن نكتفي في هذا الفصل ببعض ما قيل في هذه المناسبة لأن فيه غناء إذ يصور الكثير من اتجاهات الشعراء .

فشوقى بشيء قصيدة من ثلاثة وستين بيتاً بمناسبة حج عباس ولكنه لم يقصرها على تهنئة الخديو أو وصف الطريق .. وإنما يضمنها أموراً دينية ذات أثر كبير إذ يتحدث عن العبرة من الحج ثم يصف حال المسلمين وما آلت إليه أمورهم^(٢) .

يقول في أول القصيدة :

إلى عرفات الله يا ابن محمد عليك سلامُ الله في عرفات
ويوم نُولى وجهه البيت ناضراً وسيم مجالى البشر وأقسامات
على كل أفقٍ بالحجاز ملائكة تنزفُ تحايا الله والبركات
ثم يأخذ في الحديث عن مناسك الحج ثم يقول : بعد أن يمدح الخديو :

(١) س ٢٢٢ .

(٢) ١٠٣ من ١٠٣ .

إِذَا زُرْتَ يَا مَوْلَايَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ
 وَفَاسَتْ مِنْ الدَّمْعِ الْعَيُونَ مَهَابَةً
 وَأَشْرَقَ نُورٌ تَحْتَ كُلِّ نَبِيَّةٍ
 لِيُظْهِرَ دِينَ اللَّهِ فَوْقَ تَنَوُّفَةٍ
 فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ يَا حَيُّ مُرْسَلٍ
 شَمُوبِكَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
 يَا بَيْمَانِهِمْ نُورَانٍ : دِكْرُهُ وَسُنَّةُهُ
 وَدَلَالُ مَا رَضَى مَجْدِهِمْ وَفَخَارِهِمْ
 وَهَذَا زَمَانٌ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ ..
 مَشَى فِيهِ قَوْمٌ فِي السَّمَاءِ وَأَنْشَأُوا
 فَقُلْ : رَبِّ وَفَّقْ لِلْمُعْظَامِ أُمِّيَّتِي

وعند ما وصل عماس إلى الحجار أرسل شوقى إلى أمير مكة بريقة تصممت أربعمائة
 جمعت مدح الشريف والخديو والإشادة بالإسلام والأمة الإسلامية (١) :

دَامَتْ مَعَالِيكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةٍ
 قُلْ لِلْخَدِيوِ إِذَا وَافَيْتَ سُدَّتُهُ
 وَدَامَ مِنْكُمْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ بَرَّاسُ
 تَمْشِي إِلَيْهِ وَيَشَى حَلْعُكَ النَّاسُ
 وَالْعَوْدُ وَالْعَيْدُ أَفْرَاحُ وَأَعْرَاسُ
 فَلْيَحْيِ سُلْطَانُنَا ، فَلْيَحْيِ عِمَاسُ
 فَتَحَى مِلَّتُنَا ، فَتَحَى أُمَّتُنَا

(١) التوبة . الغلاة وهى الأرض الواسعة البعيدة الأطراف .

(٢) ج ٤ ص ٣٤ .

ولمبد المطلب قصيدة بمناسبة عودة الخديو من الحج من أربعين بيتاً ومطلعها^(١) :
 ركبَ الميزرَ : بعثَ خيرَ ركابٍ من مصرَ تُزجِها لِخيرِ جنابٍ
 وبعد أن يصف مواكب الخليفة وطرق الحج ومناسكه يتجه إلى ذكر المآثر التي
 كانت في مصر من سياسة الإنجليز وضمهم المستمر على الخديو :

يدعو لمصرَ بأن يراها أحرزتْ في دولةِ العلياءِ كلَّ نصابِ
 بلدٍ عرفناه بهم بحبِّه مُنذُ الشبابِ وقبلَ عصرِ شبابِ
 وهو الغياثُ لمصرَ إن عثتْ بها أيدي ثمالٍ في الورى وذئابِ
 وهو الذي وقف المواقفَ كلَّها في نصرِ مصرَ وقوفَ آيتِ الغابِ
 وللشيخ حسين الجمل^(٢) تهنئة للخديو أيضاً بمناسبة حججه ولكنه يهتم فيها بتوجيه
 النصح للأثرياء أن يبادروا بتأدية فريضة الحج وإصلاح الأراضي الحجازية . يقول
 في أولها^(٣) :

اليومِ حجتنا أقوى الداهينِ فالحمدُ لله للدنيا وللدنِ
 حُجَّ الأميرِ أعزَّ الله أمته مجدُّ الزمانِ وإرشادُ السلاطينِ
 وقصائدُ الشعراءِ في هذا الموضوع كثيرة وسكتفي بما ذكرنا ...

ه — المناسبات العامة ذات الصلة بالدين

ومن عادة الشعراء أن ينتهزوا المناسبات العامة ، كتولية عظيم منصباً حطيراً ،
 أو موت شخصية كبيرة ، وكتأييد فكرة مخالفة للألوف أو معارضتها ، وكالتفاء
 والإشادة بمن يقوم بعمل جليل كاستشفى أو ملجأ .. إلى غير ذلك .. ينتهز الشعراء
 أمثال ذلك ويرسلون شعرهم يصورون به موضوع المناسبة والشخصيات الموحية ..

(١) الديوان ص ٢٣ .

(٢) هو من علماء الأزهر الشريف .

(٣) العدد ٥٩٧٣ من المؤيد — ٢٧ يناير سنة ١٩١٠

حسباً تلميه شخصية الشاعر ، ومن ثم فإننا نجد في أكثر الأحيان صوراً متناقضة في الموضوع الواحد ^(١) .

وبعض تلك المناسبات يكون ذا صلة بالدين إما من ناحية الموضوع كما في مسألة السفور والحجاب وكالدعوة إلى التعليم الديني في رسالة مصطفى كامل ^(٢) وإما من ناحية الموضوع والشخصية المتحدث عنها مما كالحديث عن الشيخ محمد عبده ودعوته .

وسنقصر حديثنا هنا على مدى أهم المناسبات ذات الصبغة الدينية في الشعر ^(٣) وذلك فيما يلي :

(أ) تهاى ومرأى أعظم الرجال .

(ب) معركة السفور والحجاب .

(ح) مناسبات مخالفة .

١ - تهاى ومرأى أعظم الرجال الإسلاميين

ونقصد بالأعظم هنا من يكونون قد شغلوا منصباً دينياً كبيراً أو كانت لهم صبغة دينية ممتازة بحكم ثقافتهم وأعمالهم وكذلك المفكرين الذين لهم مبادئ اجتماعية أو سياسية وتتصل بالدين صلة ما .

فمثلاً عندما أعيد الشيخ المهدي إلى منصب الإفتاء ^(٤) في عهد توفيق أثار ذلك عاطفة بعض الشعراء فراحوا يمرون في شعرهم عن هذا المظهر ومن ذلك قصيدة للشيخ سليمان العمدة ^(٥) يقول في مطلعها :

أُعِيدَتْ لك الفتوى فلاح فلاحها وعاد توفيق العزيز نجاحها
ومنها :

(١) كما سرى في موقف الشعراء من فاسم أمى لإراء معركة السفور والحجاب .

(٢) راحم ص ١٧٧

(٣) في الفترة التي ندرسها ١٨٨٢ - ١٩٠٩ .

(٤) كان ذلك في سنة ١٣٠٦ و ١٨٨٧ وكان قد عزل إمام الثورة العربية .

(٥) حريدة الآداب للشيخ علي يوسف العدد ٨٢ يوليو سنة ٨٩ .

خيا بجرمٍ لم يعمّ كلا بأنعم
أياديه لا يُحصى لذينا سَمّاها
فلا زلتُ لافْتَتَوَى مُمَزّاً مُؤَيِّداً
ولا زال في ظلِّ الخديوى نجاحها
جزاءُ إلهِ العرشِ كلِّ مَسْرُورٍ
وخَلْدِه في مصرٍ فهو رَبّاحها
وفي ختامها يقول :

فحذها رعاك الله واكسُ قَواَمَها
ثياباً من الإجلال يزهر وشاحها
وهذى عروسُ الفكرِ بالشكرِ أَقْبَلَتْ
مُحَمَّلَةً بالشرِّ يَحْضُلُو أَفْتراحها
وَقُرْزُ بالهاني فالسمودُ مُؤَرِّخٌ
(أَعِيدَتْ لك الْفَتَوَى فلاح فلاحها)

ونلاحظ على هذا الشاعر أنه اتخذ من هذه المناسبة الخاصة بتهنئة عالم وسيلة لدح الخديو وأنه في شعره ظاهر عليه التكاف .

والشعر في مثل هذه المناسبة كثير ولكن لا بد لنا من أن نشير إشارة خاصة إلى ما كان من الشعراء حول شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده ، فلقد كان في حياته مصدر إلهام للشعراء بأعماله المجيدة وآرائه المستنيرة وفتوحاته العظيمة في الدراسات الدينية وعلى الأخص تفسير القرآن الكريم ، ولقد كان بعد موته أيضاً مصدراً فياضاً في إلهام الشعراء من سنة ١٩٠٥ إلى يومنا هذا .

ولقد جمع السيد رشيد رضا مرأى الإمام في جزء خاص^(١) ، وأما الذي قيل بعد ذلك فهو جمع لكان أضعافاً كثيرة لذلك الجزء ولأصبح سجعاً ضخماً حديراً بالدراسة لأنه يصور ناحية خاصة من تاريخنا الحديث .

وعندما أسند منصب الإفتاء^(٢) إلى الشيخ محمد عبده في عهد الخديو عباس أنهالت عليه الهاني من الشعراء ومن ذلك قصيدة حافظ إبراهيم التي مطلعها^(٣) :

(١) الجزء الثالث من تاريخ الإمام في ٢٢ ؛ صفحة منها ١٣٠ صفحة خاصة بالشعر .

(٢) في سنة ١٣١٧ - سنة ١٨٩٩ .

(٣) ١ ص ٥

بَلِّغْتُكَ لَمْ أُنْسُبْ وَلَمْ أَتَفَزَّلْ وَلَكِنْ أَقِفْ بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّذَلُّلِ
وَمِثْلُهَا يَقُولُ : -

رَأَيْتُكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشِعَ
وَحَفِظْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَّةٍ
طَلَمَتْ بِهَا بِالْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ
وَحَرَّ دَمٍ لِلْفَتْيَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ
مَحَوَتْ بِهِ فِي الدِّينِ كُلَّ ضَلَالَةٍ
لَنْ ظَلِمَ الْإِفْتَاءُ مِنْكَ نَفَاصِيلَ
فَمَا حَلَّ عَقْدَ الْمَشْكَلاتِ بِحِكْمَةٍ
وَلِحَافِظِ قِصَائِدِ أُخْرَى (٢) فِي مَدْحِ الْإِمَامِ وَالْإِشَادَةِ بِأَفْضَالِهِ عَلَى الدِّينِ وَحُلِّ مَشْكَلاتِهِ
وَسَكْتَنِي بِمَا ذَكَرْنَا .

وَاللَّشَيْخَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قِرَاءَةَ قَعْدِيدَةٍ فِي تَهْنِئَةِ الْإِمَامِ عِنْدَ نَحْصِ الْإِفْتَاءِ أَيْضًا وَمَطْلَعُهَا (٣)
بِهَيْدِكَ فِي الْعَتَوَى إِلَى الْحَقِّ نَهْتَدِي وَمَنْ فِيصِ هَذَا الْفَضْلُ نَجْدِي وَنَجْدِي
وَعَمْدُ أَنْ يَصِفَ مَصَائِلَ الْإِمَامِ وَأَثَارَهُ وَأَيَادِيهِ عَلَى الْعِلْمِ يَقُولُ :

إِلَيْكَ أَرُفُّ الدَّحْ شَمْرًا مَقْصِدًا عَلَى بُعْدِ عَهْدِي بِالْقَرِيبِ الْمُقْصِدِ
لَأُبْلَغَ نَفْسِي بِامْتِدَاحِكَ سُؤْلَهَا وَأَقْصَى حَقًّا لَمْ يَكُنْ دُحْدُودِ
فَجَاءَ عَلَى قَدْرِي وَلَكِنْ شَارَفِي لَدَى مَدْرِكِ السَّامِيِّ بِإِلَاقَةِ مَقْصِدِي
وَهَنَاتُ نَفْسِي ثُمَّ هَنَاتُ مَعْشَرِي وَهَنَاتُ أَوْطَانِي بِمَا نَالَ سَيِّدِي

(١) اس مقبل رجل من جاهلية العرب واسمه تميم بن مقل شاعر محصرم وكان كثير المقامرة وقد
وُزَّ قَدَحُهُ سَعِينَ مَرَّةً مُتَوَالِيَةً .

(٢) من ذلك قصيدة في صفحة ٢١ > ١ .

(٣) من تاريخ الإمام ج ١ صفحة ٦٠٤ .

وقلت لمصر هنيئاً وأزخى ربهديك في الفتوى إلى الحق نهدي.

ولمصطفى صادق الرافعي قصيدة في مدح الإمام ومطلعهما^(١) :

لو كنت راضية رَعَيْتِ وفاءى بعد العواذل فيك والرقباء
خالفهنَّ غداة علمنى الهوى أن النساء ضرائرُ الحسناء
وبعد أبيات في الغزل يقول :

أذكِتَ لِلشُّرْكِ البَيَانَ قَدَرَهُ والنارُ لا تُنْقَى عَلَى الحَذَفِ^(٢)
وَأَرَبْنَا الخُلَفَاءَ فيكَ وإِنَّا لنقولُ عَنْكَ خَلِيعَةُ الخُلَفَاءِ
مَنْ مُبْلِعُ الدُّبَا بِأَبْكَ مَحْدُهَا والدينَ أَبْكَ مُرْعَمُ الأَعْدَاءِ
كَشَفْتَ لَكَ الأَشْيَاءَ عَمَّا أَطْنَتْ حَتَّى اجْتَلَيْتَ بِوَاطِنِ الأَشْيَاءِ
الح

وللشاعر أحمد سيم قصائد أيضاً يشيد فيها باجتهاد الإمام وفتح باب الفتوى . . . ومن ذلك هذان البيتان في احتجاده في تفسير القرآن الكريم :

شَأَتْ يَا خَادِمَ الإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ لَوْلَاكَ فِيهِ لَكَانَ الدِّينُ مَعْدُومًا
مَارَاتُ تُبْدِعُ فِي التَّفْسِيرِ مُتَكْرَرًا حَتَّى حَمَمَتْ كِتَابَ اللَّهِ مَرْقُومًا

أما شعر الرثاء الذى فاصت به قرأخ الشعراء عند وفاة الإمام وفي حملات التأبين والدكرى فهو أكثر من أن يتسع له هذا البحث ومن ثم فسكتنى بالإشارة إلى ما يعرض موصوعنا في بعض القصائد . . . ومن ذلك :

(١) ح ١ من الديوان طبعة سنة ١٢٢١ — المطبعة العمومية من ٣٨ .

(٢) يشير إلى ردوده على فرح أهلون وهابوتو وغيرها .

قصيدة حافظ إبراهيم التي مطلعها^(١) :

سَلامٌ على الإسلامِ بعدَ محمدٍ سَلامٌ على أيامهِ النُصْرَاتِ
على الدينِ والدينِا على العلمِ والحِجَا على الرُّ والتقوى على الحُسنَاتِ
وفيها يشير إلى منزلة الإمام بين العلماء ومواقفه في الدفاع عن الإسلام :

لقد كنتَ فيهم كوكباً في غياهٍ ومعرفةً في أنفُسٍ نكراتِ
أبتَ لِمَا التَّنْزِيلَ حُكْماً وحكمةً ووفقتَ بين الدينِ والعلمِ والحِجَا
ووفقتَ لِمَا نَوَتْهُ وريثانَ وقفةً أمدَّكَ فيها الروحُ بالنفحاتِ

ثم يشير إلى حزن العالم الإسلامي كله لعقد الإمام

بكي الشرقُ فارتاحتْ له الأرضُ ووَحةً وفاصتْ عيونُ الكونِ بالمبراتِ
مَنيَ الهندُ محزونٌ وفي الصينِ جارِعٌ وفي مصرَ بالكِ دائمُ الحُسرَاتِ
وفي الشامِ منجوعٌ وفي الفرسِ نادِبٌ وفي تونسٍ ماشئتَ من رَفَرَاتِ
بكي عالمُ الإسلامِ عالمَ عصرِهِ سراجُ الدُّبَا جِي هادمُ الشُّبُهَاتِ
الح

وقصيدة أحمد نسيم التي مطلعها^(٢) :

أُحْنِي الجِسامَ على أُرْ إمامٍ فكأنه أحنى على الإسلامِ
ومها يقول :

مَنْ لِلشَّرِيعَةِ ؟ مَنْ بَيْنَ لِقَوْمِهَا حُكْمِي حلالٍ بينهم وحرامٍ ؟

(١) > ٢ ص ١١٤ وهي من ٥٢ بيتاً وقد نشرت في أغسطس سنة ١٩٠٥ .

(٢) ص ٨٣ ج ١ من الديوان .

مَنْ لَقِيتُ وَقد رآكَ هَلَاهَ إِنْ شَكَ فِي فطِيرِ لَهُ وَصِيَامِ ؟
 دَفَنُوكَ فِي تَرْبٍ وَلَسْتَ بِنَامِصٍ فَاتَّبِرْ بوجْدٍ فِي قُرَى وَرَعَامِ
 يَالَيْتَهُمْ قَدْ غَسَلُوكَ بِمَنْبِمْ طَهَّرْ كُثُيُوبَ السَّحَابَةِ هَامِ
 أَوْ كَفَّنُوكَ بِمُصْحَفٍ فَسَّرْتَهُ مِنْ غَامِضِ الْآبَاتِ وَالْأَحْكَامِ
 وقصيدة أحمد الكاشف التي مطلعها^(١) :

هَلْ بَمَدِّ خَطْبِكَ أَسْتَفِيحُ فَأَنْشُدُ لَأَهْمَ وَجْدًا أَوْ تَمُودَ مُحَمَّدُ
 ومنها :

وَتَفَسَّرُ الْقُرْآنَ تَسْمِدِي بِهِ أَبْنَاءَ دِينِكَ عَصْرَهُمْ وَتُرُودُ
 وَتَجَادُلُ الْبُلْغَاءَ عَنْهُمْ بَيْنَا يَخْشَى الْجُرْيُ وَيَهْمُدُ الْمُتَوَقُّدُ
 وَتُرَوِّجُ الْإِفَّةَ الصَّحِيحَةَ فِيهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَشَقُوا الرِّكِيكَ فَأَكْسَدُوا
 ويقول في حتامها :

هَذِي حَيَاةُ الْجِدِّ فِي الْقَوْمِ الْآلِي هَزَلُوا وَجَدَّ سَوَاهُمُ بَتَصِيدِ
 يَأْمَكِرِينَ مُحَمَّدًا سِيرُوا عَلَى آثَارِهِ إِنَّ الطَّرِيقَ مُمَهَّدُ
 الْيَوْمَ يَجْلُو الشَّعْرُ عِرَّةً أَمْسَكُم فَاسْتَجْمَعُوا لِغَدٍ يَكُنْ لَكُمْ الْغَدُ
 ثم قصيدة الشيخ محمد عبد المطالب التي مطلعها^(٢) :

إِلَى اللَّهِ فِي رِضْوَانِهِ سَارَ عَبْدُهُ مُجَدِّدًا فَابِكِي أَعْيَنَ الْمَجْدِ فَقْدَهُ
 وقد أشرنا إلى جزء من هذه القصيدة^(٣) عند الكلام على الدفاع عن الإسلام

مزاعم كرومر

(١) ١٢١ من الديوان .

(٢) تاريخ الإمام ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) ص ٢٥٦ .

ومن هذه القصيدة :

ويوم رَمَى الإفرنج دينَ محمدٍ بمنكر قولٍ أعجزَ القومَ رُدُّهُ^(١)
وقالوا صلالا : دينٌ ظلمٌ وقسوةٍ قضى بهما فيه حسامٌ وحدهُ
فجردَ فيهم مِقْولا داذُوبةٍ صقبلا بنور الحق يزهر فرندهُ
وصال عليهم صولةً رحموا بها يمافِرَ دَوْثُ تَقَتَفِيهِنَّ أُنْسُهُ
ثم قصيدة أحمد محرم التي مطلعها^(٢) (وهي من نسمة وحسين بيتا) .

حَفِضَ الصَّوْتُ أَهْذَا النَّاعِي رَحْمَةً بِالْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ
أَمِيتَ الْإِمَامَ يَمْتَصِمُ الْإِسْلَامُ مَهْ شَاهِقٍ دِي امْتِنَاعِ ؟

أَعْرَمَ شَتَّ عَيْرَهُ وَلَكَ الْحُكْمُ وَمِنَا الرِّضَا بَنِي رِاعِ
إِلَهُ الصَّنْ وَالْإِبَاءُ وَمَا لَيْسَ بِنَسْتَهْلِ وَلَا مَسْتَطَاعِ
إِلَهُ السَّيْدُ الْبَعِيدُ مَدَى الْهِمَّةِ وَالْأَيْدِ الطَّوِيلِ الْمَاعِ
إِلَهُ الْمَصْلُحُ الَّذِي يَرَأُبُ إِذْ مَرَّ إِذَا هُمْ سَمَدُغُهُ مَاتَسَاعِ
إِلَهُ الشَّارِعُ الَّذِي يَجْمَعُ الْحَيْرَ بِرَأْيٍ يُغْنِي عَنِ الْإِحْمَاعِ
إِلَهُ الْمُرْشِدُ الْمُسَدَّدُ لَا مُرْشِدَ أَوْلَى مِنْهُ بِحَسَنِ اتِّمَاعِ

وعندما وقعت الدلائل عوت مصطفى كامل في سنة ١٩٠٨ ثارت عواطف الشعراء وراحوا يصورون تلك الشخصية العظيمة التي أيقظت القومية المصرية بعد أن حاول الاستعمار طمس معالمها ولقد كان لمصطفى كامل اتجاهات إسلامية^(٣) وقد تناول الشعراء

(١) يشير إلى مراغم فرج أنطون وهابوتو وريبان وغيرهم — واليعاقبة : الأطباء . والدؤى : الصحراء .

(٢) تاريخ الإمام > ٣ ص ٣٥٨ .

(٣) وكان من دعاة الجامعة الإسلامية .

هذه الاتجاهات وتألوا الحرمان الإسلام والمسلمين منها ونشير هنا إلى أبرز القصائد التي خاضت بها قرائح الشعراء ومن ذلك قصيدة أحمد شوقي التي يقول في أولها^(١) :

المشرقان عليك بِنْتِ حَبَّانٍ قاصيهما في مآثرهم والدَّانِي
يا خادِمَ الإسلامِ أَجَرَ مُجَاهِدٍ في الله من خلد ومن رضوان
لما نُعِمْتَ إلى الحجاز مَشَى الأَسَى في الزَّائِرِينَ وَرُوِّعَ الحَرَمَانِ
السَّكَّةُ الكَرَى حَيْثُ رُبَاهُمَا مِنْكَوسَةُ الأَعْلَامِ والقَضَبَانِ^(٢)
لَمْ تَأْلُهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ خِدْمَةً في اللهِ والمُحْتَارِ والسلطانِ
يَا لَيْتَ مَكَّةَ والمدِينَةَ فارتَا في الحُفْلَيْنِ بِصَوْتِكَ الرَّنَّانِ

ألا ترى في هذا المطلع الدارع وفي تلك الأبيات صورة الزعيم المسلم العامل على خدمة الإسلام ؟ ثم إنك تجد في بقية القصيدة مآثره المتعددة .

ثم قصيدة حافظ التي ألقاها في حفل الأرمين^(٣) ومطلعها .

ومها :

فَمَنْ وَاوَجُّ مَا حَطَّتْ يَمِينُ كُرُومِي حَمَلًا بِدِينِ الواحدِ القَهَّارِ^(٤)
قَدْ كُنْتُ تَغْصُنُ لَلْكَسَاةِ كُلِّهَا هَمَّتْ وَكَمْ رَجَاؤُهَا بَعْنَارِ

* * *

جَزَعُ الهَلَالُ عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ مَا بَيْنَ حَرِّ أُمِّي وَحَرِّ أَوَارِ^(٥)
مُتَلَفَتًا مُتَحِيرًا مُتَخِيرًا رُجُلًا يُفَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ وَجَارِ

(١) ح ٣ وهي من ٦٤ بيتاً .

(٢) سكة حديد الحجاز وقد كان من العاملين على تميمها

(٣) ح ٢ ص ١٥٠ وهي من ٥٢ بيتاً .

(٤) يشير إلى مآثر كرومر في تقاريره وكتابات مصطفى كامل في الدفاع عن الإسلام .

(٥) الهلال : يشير إلى الخلافة لأن شعارها هو الهلال . والأوار : لعل البار .

ثم يَحْتَمِلُهَا بقوله :

فَاهُنَا بِمَنْزِلِكَ الْجَدِيدِ وَنَمَّ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَانْمَ بِخَيْرِ جَوَارِدِ
وَاسْتَقْبِلِ الْأَجْرَ الْكَبِيرَ جَزَاءَ مَا ضَحَيْتَ لِلْأُوطَانِ مِنْ أَوْطَارِ
نَعَمَ الْجَزَاءُ ، وَنَعَمَ مَا بُلُغْتَهُ فِي مَنْزِلِكَ وَنَعَمَ عُقْبَى الدَّارِ

وهكذا نجد في مرأى السيد جمال الدين الأفغانى والسيد عبد الرحمن السكوكي والشيخ سليم النشري وغير أولئك من الذين كانت لهم آثار في خدمة الإسلام والمسلمين نجد في تلك المراتى عامل الدين من أبرز العوامل التى تستثير عواطف الشعراء ويزى صور مجيهاودانهم في خدمة الإسلام واضحة قوية .

ب — معركة السفور والحجاب فى الشعر

وبعد أن داعت آراء قاسم أمين فى المرأة ، ووقف المفكرون إزاءها بين مؤيد يرى أنها لا تتناقى مع الإسلام ومعارض يرى أن فى كسر الحجاب خروجاً على الإسلام وآداه^(١) . عند ذلك لم يقف الشعراء بعيدين عن ذلك الميدان^(٢) بل كانت لهم أيضاً صولات وحولات وكابوا أيضاً بين مؤيد ومعارض وقد صور كل فريق ما ذهب إليه فيما أنشأ من القصيد .

واقدر كان الشاعر أحمد محرم يذهب إلى غير ما ذهب إليه قاسم أمين ويرى أن الإسلام قد وصم حدوداً لآداب المرأة يبينها ألا تخرج عليها . وله فى ذلك قصيدة كبرى فى الجزء الثانى^(٣) من الديوان بعنوان « الحجاب » يقول فى أولها :

أَغْرَكَ يَا أُمَمَاءُ مَا ظَنَ قَاسِمُ ؟ أَقِيمِي وَرَاءَ الْخِطْرِ . فالمرء وام

(١) راجع ٢١٠ — ١١٢ .

(٢) كان أكثر شعراء تلك الفترة من أهل الرأى والفكر ولم يكونوا مجرد نظامين

(٣) ص ٦٢ ج ٢ .

وفيه يقول :

سلامٌ على الأخلاق في الشرقِ كُلِّهِ
أَقاسِمُ : لا تغذِفِ بِجِيشِكَ تَبَنِي
لَنَا مِنْ بِنَاءِ الْأَوَّلِينَ بَقِيَّةً
أَسْأَلُ نَفْسِي : إِذْ دَلَفْتَ زَيْدُهَا
وَلَوْلَا اللُّوَاتِي أَنْتَ تَبْكِي مُصَايَبَهَا
نَبَذْتَ إِلَيْنَا بِالْكِتَابِ كَأَنَّمَا
فَفِي كُلِّ سَطَرٍ مِنْهُ حَتْفٌ مُفَاجِئٌ
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

لَنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَجْدٌ مُؤَتَّلٌ
إِذَا نَحْنُ شَفَعْنَا زَلْزَلِ الْأَرْضِ بَأْسُنَا
وَمُنْكَ عَلَى الْحِدَتَانِ وَالذَّهْرِ دَائِمٌ
وَدَامَتْ لَنَا أَقْطَارُهَا وَالْمَوَاسِمُ

هَمَمْنَا بِرَبَاتِ الْحِجَالِ زَيْدُهَا
وَإِنَّ أَمْرًا يُلْقَى بِلَيْلٍ بِعَاجِهِ
وَكُلُّ حَيَاةٍ تُسَلِّمُ الْمَرَضَ مُسَبَّةً
أَتَانِي الثَّنَايَا الْمُرَّةُ وَالطُّرُرُ الْمَلَا
فَلَا ارْتَفَعَتْ سُفُنُ الْجِبَاوِ بِمَصَاعِدِ
عَفَا اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ تَمَادَتْ ظَنُونُهُمْ
أَطْلَعِ تَرَعَى الْعَيْشَ وَهِيَ سَوَارِثُ
إِلَى حَيْثُ تَسْتَنْئُ الذَّنَابُ لَظَالِمُ
وَلَا كَعِبَاةٍ جَلَّلَتْهَا السَّائِمُ
يَمَا عَجَزَتْ عَنْهُ اللَّحَى وَالْمَنَامُ
إِذَا حَلَقَتْ فَوْقَ الرُّومِ الْحَمَامُ
فَلَا التَّمَنُّجُ مَأْمُونٌ وَلَا الرَّأْيُ حَازِمُ

(٤) يشير إلى كتاب تحرير المرأة

أَلَا إِنَّ بِالْإِسْلَامِ دَاءً مُعَامِرًا وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ لِلدَّاءِ حَاسِمٌ

ولم يهاجم حائط إبراهيم فلما في قصيدة الرثاء ووقف من دعوته موقف المنتظر
ليرى المواقف ثم يحكم وقد اعتدرا قاسم فيما نسب إليه من شطط في الرأي .. ومطلع
القصيدة (١) :

لِلَّهِ دَرْكٌ كَتَمَ مِنْ رَحْلِ لَوْ أَنَّ مَهَكَتَكَ عَوَائِلُ الْأَحْلِ
وفيها يقول :

إِنَّ رَبِّي رَأْيًا فِي الْحُجَابِ وَلَمْ تُغْصَمْ فِتْلَكِ مَرَاتِ الرُّسْلِ (٢)
الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرَحْمُهُ فِيمَا رَأَيْتَ قَمَمٌ وَلَا تَسَلِ
وَكِدَا طَهَاءُ الرَّأْيِ تَتْرَكُهُ لِلدَّهْرِ يُنْصِجُهُ عَلَى مَهَلِ
فَإِذَا أَصْبَتْ فَأَتَ حَيْرٌ مَتَى وَصَمَ الدَّوَاءَ مَوَاصِعَ الْعِلَلِ
أَوَّلًا مُحْسِنُكَ مَا طَعِرَتْ بِهِ وَتَرَكْتَ فِي دِيَاكَ مِنْ عَمَلِ

وللشيخ حسن القاياتي قصيدة في التبرج لم يشر فيها إلى هذه المعركة وإنما وحه الأبطال
إلى ضرورة التمسك بالدين ولعله يعرض بالمبادئ الجديدة ومطامع القصبدة

أَلَا مَنْ لِمُسْئُلُوبِ الْمَرَاوِ حَرِينِ مُعَنَّي عَمَنُوعِ الْمَرَاوِ صَمِينِ (٣)
ويقول في ختامها :

حَدِّثْ نَكَمٌ أَنْ تَنْتَفُوا الدِّينَ إِيَّاهُ قَبِي بِمَسْخِ الدَّاءِ أَيُّ قَبِي
لَكُمْ دِينٌ يَنْصَحُ عَدَمَدَتُ بِهِ يَدَا قَصَبْتُ سَهْدَا الْمَصْحَرِ كُلِّ دِيُونِ

(١) ص ١٥٦ > ٢ .

(٢) إن رأيت .

(٣) ص ٥ من الديوان طبعه ١٩١٠ .

أما أحمد شوقي فله أربع قصائد في الحجاب والسفور واثنتان في سدى الحجاب
والسفور وتلك هي القصائد الست :

قصيدته في رثاء قائم أمين وكان فيها متحفظاً ولم يبد رأيه في تأييد فكرة قائم سراحة
بل ربما كان إلى جاف تأييد الحجاب أميل ومطلع تلك القصيدة هو^(١) :

يأبها الدمعُ الوقيُّ كَدَارِ تقصى حقوقَ الرِّقَّةِ الأَحْيَارِ
ومنها :

ماذا رأيتَ من الحجابِ وعُصْرِهِ فدعوتنا لِتَرْفُثِهِ وَيَسَارِ
رأى مُبْدَاً لَكَ لم تجده مُحالِماً ما في الكتابِ وسمةِ المحتارِ
والناسِلانِ : شجاع قلب في الوقيِّ وشجاع رأي في وعى الأفكارِ
أوددتَ لو صارت ساء البيلِ ما كانت ساءُ (قصاعة) و (رَرَارِ)^(٢)
يَحْتَمِئْنَ في سلمِ الحياةِ وحرَّنها بأَسَ الرِّحالِ وَحَشِيَّةَ الأَنْكَارِ
إن الحجابَ مباحةٌ وَيَسَارُهُ لولا وحوشٌ في الرِّحالِ صَوَارِي
حلُّوا حَقِيقَتَهُ وحِكْمَةَ حُكْمِهِ فتجاوزوه إلى أذى وضرارِ

° ° °

وقصيدتان رمزيتان إحداهما بعنوان : بين الحجاب والسفور^(٣) ويذكر الحديث فيها
على طائر حميل فدفع أسير فقص وهو يعني لمسه الحرية والتخليق في واسع الجواء .
وعنوان القصيدة لا يدع محالاً للشك في أن الشاعر يقصد بالطائر الأسير المرأة المصرية
وبالأسير في القصص الحجاب^(٤)

ومطلع القصيدة :

(١) ٣ ص ٧٦

(٢) يريد المرأة العربية وما اتصفت به من شجاعة وأدب .

(٣) ١ ص ٢١٤ وقد نشرت بمجريدة عكاظ في العدد ٤١ من السنة الثامنة سنة ١٩١٦ .

(٤) ولشوقي من الشعر الرمزي قصائد عديدة وقصائده عن أنواع الحيوان كلها من هذا النوع .

صَدَّاحُ يَا مَلِكَ السُّكْنَى رِ وَيَا أَمِيرَ الْبَلْبَلِ

وبعد أن يتحدث عن وصف هذا الطائر وتفريده ينتقل إلى الحديث عن الحالة النفسية لهذا الأسير :

يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَسِيرُ شَجِرَ فَوَاذُكَ أَمْ (خَيْلِي) ؟

وحليفٌ مهْدٍ أَمْ تَنَا مُمُ الدِّلِّ حَتَّى يَنْجَلِي

بِالرُّغْمِ مِنِّي مَا تَمَّا رَجُ فِي النَّحَّاسِ الْمُقَفَّلِ

حَرَصِي عَلَيْكَ هَوَى وَمَنْ يُحَرِّزُ نَمِينًا يُنْخَلِ

ثم يشير إلى أن هذا الأسير من عوارض الحياة التي لا يكمل صفاؤها وأنه غير محبوب مهما كانت المادة التي صيغ منها غالية الثمن .

مُهْدُ الْحَيَاةِ مَشْوَبَةٌ بِالرَّقِّ مِثْلَ الْخَنْظَلِ

وَالْقَيْدُ لَوْ كَانَ الْجُمَا نَ مُنْطَمًا لَمْ يُخْمَلْ

* * *

صَدَا لِمَا تَشَقَّى بِهِ أَوْ مَا بَدَا لَكَ فَاغْعَلِ

ثم يشير إلى أن الحياة الحرة لا تكون للمستكين وإنما هي للفاك الذكي ويمعد في تصوير هذه المعاني إلى ما كان بين علي ومعاوية من أمور انتهت بنصر معاوية ويعرض بالذين يتخذون من القرآن والدين وسائل للوصول إلى مآربهم .

* * *

أَسَمِعْتِ بِالْحَكَمِينَ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ أَنْجَنْدَلِ ؟

فِي الْفَتْنَةِ الْكُبْرَى وَلَوْلَا حِكْمَةُ لَمْ تُشْمَلِ

رَضَى الصَّحَابَةُ يَوْمَ ذَ لِكَ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ

وَهُمُ الْمَصَائِيحُ الرُّوَا هُ عَنِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ

قالوا : الكتابُ . وفا مَ كلُّ مُفسِّرٍ ومُؤوِّلٍ
حتى إذا وسَّعتْ مملوكةٌ وضاقتْ بها عِلي
رجعوا لظلمِ كالطَّبِيا مع في النفوسِ مؤوِّلٍ
زلوا على حكمِ القوِىِّ وعند رأى الأَحْيَلِ
صداحُ حَقٍّ ما أقو لُ حَفَلَتْ أم لم تَحْفَلِ
ثم يَحْتَمِ القَصيدةُ بالأملِ في المستقبلِ :

صَحَّ بالصباحِ وبَشَّرَ الأَنْبَاءَ بالمُسْتَقْبَلِ
واسألْ لمُصَنِّعِ عِنايةً ثَانِي ونَهْطٍ من عَمَلِ
قلْ : رَبَّنَا افْتَحْ رَحْمَةً والخَيْرُ مِنْكَ فَأَرْسَلِ
أَدْرِكْ كُنَّا نَتَكَلَّاهُ الكَرِّ بِمِةِ رَبَّنَا وَتَقَبَّلِ

وشوق - وإن سلك سبيل الرمز في القصيدة - فإنه يميل في هذه القصيدة إلى تأييد دعوة قاسم أمين في السفور ويتمنى لو يرى المرأة المصرية طليقة من كل قيد

* * *

والقصيدة الأخرى بعنوان : كُوك صو^(١) . ومطلع هذه القصيدة :

تَحِيَّةَ شاعرِ ياماء (جكسو) فليس سِوَاكَ للأرواحِ أنس

وهو يدبر الحديث هنا على مشاهداته عند موقع جميل من مواقع الآستانة وينمى على أُنصار الحجاب آراءهم ويرى أن الحجاب ليس بمن فتيلة في صون المرأة إذا لم يكن لها من الأدب ما يصونها :

فدتك مِاءٌ دِجَلَةٌ وهى سَعْدٌ ولا جُعَلَتْ فداءك وهى نَحْسٌ^(٢)
وجاءك ماءٌ زَمْزَمٌ وهو طَهْرٌ وأمواءٌ على الأردن قُدْسٌ^(٣)

(١) معنى الكلمتين : ماء السماء .

(٢) لعله يشير إلى بيسان ماء دجلة .

(٣) يشير إلى عروس النيل التي كانت تلقى عند وياه النيل كل عام .

وكان النبلُ يُمرسُ كلَّ عامٍ وأنتَ على المدى فرحٌ وعزسُ
وقد رعموه للفادات رُمسًا وأنتَ لهمهنَّ الدهرُ رُمسُ
ورَدَّكَ كوثراً وسمرنَ حوراً وهل بالخور إن أسفرنَ ناسُ
إذا لم يسنَّ الأدبُ الفوانى فلا يُغنى الحريرُ ولا الدَّمقسُ
تأملُ : هل ترى إلا حلالاً يحسُّ النفسُ منه ما يحسُّ

* * *

والقصيدة الرائعة هي التي ألقاها في الحفلة السائية بدار التمثيل العربي^(١) وهي أيضاً
رمزية وتكاد تنفق في اتجاهها مع قصيدة الحجاب والسفور الساقفة لإماراد بحم تطور الزمن
والاستجابة لما كان يتمناه من فك الأغلال :

يا قلمُ : اطرُ كيف ساء ر العكرُ وانفعلَ الشعور
(حاتُ فضيتك الدلاد كأ نها مَثَلُ سر)
ما الناسُ إلا أولُ يعصى فيخلطه الآخر

* * *

والقصيدة الخامسة لم تكن عن الحجاب والسفور وإنما تحدث فيها عن النهوض بالمرأة
وعرج على حث الإسلام على الرق بها^(٢) .

هذا رسولُ الله لم ينقص حقوقَ الأمهاتِ
العلمُ كان شريعةً لسانه المتفكَّهاتِ
رُضنَ التجارة والسياسة والشئون الأخرياتِ

(١) كان ذلك في سنة ١٩٢٨ ومطلعها : قل للرجال : طعي الأسير * طير الحجال مي بصير ...

ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٢) بعنوان مصر تحدد بعدها ، ألفتيت مسرح حديقة الأركية سنة ١٩٢٤ ونشرت بالعدد ١١٢

من عكاظ ومطلعها . قم حي هذه البرات * حي الحسان الحبرات .

ولقد علمت : نسائه لجُجُ العلوم الزاحرات
 كانت سُكينةُ نَمْلٍ الد يسا وتهزأ بالرواة .
 روت الحديثَ وفُسرَتْ أىَ الكتابَ الثَّينَاتِ

• • •

وهناك قصيدة عن المرأة العثمانية^(١) يمجدها فيها تمجيذا ويشبهها بالملك الطاهر ويشيد بمكانتها بين قومها ومالها من آثار في حياه أمتها .

وسكتني بالإشارة إلى هذه القصائد لأن الحديث حولها يحتاج إلى صفحات أفسح من هذه التي تتزاحم عليها موضوعات شتى .

وللشيخ محمد عبد المطلب قصيدتان يدعو فيهما إلى الحجاب ويرى أنه خير ما يصون المرأة ويرينها وأنه لا يعمها حقاً هو لها ولا يصدها عن موارد العلم

والقصيدة الأولى من سبعة وعشرين بيتاً أنشأها في حفل للسيدات بمناسبة الدعوة إلى العماية بترية الطفل ومطلعهما :

مصرُ أمي فداءُ أمي حياتي سلمتُ أمسا من الماديات^(٢)

وبعد أن يتحدث عن فصل الأمومة ووحوب رعايتها لما لها من أثر في تنشئة حيل صالح ينتقل إلى الإشارة إلى الحجاب :

طلعوا الليلَ يومَ عَدُّوا ساعاتَ الليل جهلا في رُمرةِ الجاهلات
 رعموهنَّ بالحجابِ عن العلم ونورِ المِرْفَاقِ مَحْتَجَبَاتِ
 بنتُ مضرٍ كالشمسِ يحجبُها الليلُ وراءَ الآفاقِ والطلقات ..
 وهي في أفقها ضياءٌ ونورٌ ساطعٌ في بدورها السَّيرَاتِ

(١) - ٢٠ ص ٣٢ ومطلعهما : يملكنا تمبدا * مصليا موحدا .. وقد أشرنا إليها في مدائح الخلافة ص ٢٧٨ .

(٢) الديوان ص ٣٣ .

وزاء في هذه الأبيات يدافع عن الحجاب ويرى أنه ليس بمائق عن التقدم .
أما القصيدة الأخرى فن سبعة وخمسين بيتا أنشدتها لما فشا السفور وتقمير الثياب
بعد الحرب العالمية الأولى وخشى من انتشار الفساد بسبب الغالة في تقليد الأوربيات
ومطلعها .

مألى وللرَّبعِ الحَمِيلِ أبكيه بالدَّعْمِ المَطْوُلِ^(١)
وبعد أن يظهر الأنين والزفرات لما صار إليه حال المرأة المصرية في بلاد إسلامية
يقول :

رَتَادُ خَائِنَةُ المَيُو	ن بلحظ فانتِ قَتُول
يَاهْلُ دَرَى (داك) الفيو	رُما جَرَى ! ؟ وَنَحْ الجَهول ^(٢)
أُمى التى قَرَضَ الحَجا	بَ لصَوْنِها شرعُ الرسول ؟
حَمِلَ الحَجا مُعَاذَها	من ذلك الداء الوييل . .
يَا مَنَزَلَ القُرآنِ بو	را للبصائر والعقول
عَمِيَتْ مَصارُ أهلِ وا	دى البيلِ عن وَصَحِ السبيل
دَهَلُوا عن الأعراضِ لو	يدرون عَاقِبَةَ الذَهول ؟

* * *

ثم يحتملها بقوله :

فادكرْ حَديثَكَ فى القَد	يم وما لقومك من فصول
وذِرِ الهوى وامدُدْ لَدِي	نك راحةَ البَرِّ الوُصول ..

* * *

(١) الديوان ص ١٨٤ .

(٢) لعله يعرض بقاسم أمين .

(ج) مناسبات مختلفة

وهناك كثير من المناسبات التي تتصل بالدين غير التي مرت بنا تثير عواطف الشعراء فيسجلون في شمرهم مظاهر المناسبة .

ومن ذلك :

١ - قصيدة للشيخ محمد عبد المطلب في دعوة رجل ارتد عن الإسلام إلى العودة إلى حظيرته يبين فيها مزايا الإسلام ومطلها^(١) :

أَجْلُو لَهَا هَذَا التَّنَائِي فَتَهْجُمُ وَمَنْزِلُهَا بَيْنَ النَّارِ لَ تُلْقَمُ
ومنها :

أَخَا الْأَدَبِ الْمَعْرُوفِ وَالسَّيْرِ التي
عَرَفْتُكَ بِالْآدَابِ عِرْفَانٍ مَسْمُوعِ
عَرَفْتُكَ بِالْآدَابِ فِي قَوْمِكَ الْإِلَى
فَلَمْ أَسْتَطِعْ صِرَا عَلَى لَوْعَةِ الْأَمَى
فَدَوْنُكَ قَوْلًا لَا تَعْلُ اسْتِمَاعُهُ
شَرِيعَتَنَا - فِيمَا عَلِمَتْ - قَوِيَّةٌ
وَمِلَّتُنَا الْبَيْضَاءُ هَلْ تَمَّ عِيْرُهَا -
فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ فَمَا أَنْتَ بِالْإِلَى
أَخَا الْعَقْلِ : يَا لَلَّذِي أَنْتَ عَبْدُهُ

لَهَا طَيْبُ نَشْرِ بَيْنَنَا يَتَضَوُّعُ
وَيَارُبْنَا أَعْنَى عَنِ الْعَيْنِ مَسْمُوعُ
زَكَتُهُمْ وَالْكَلِّ أَسْوَانُ مُوَجَّعُ
وَأَنْتَ حَبِيرٌ بِالْأَمَى كَيْفَ يَصْنَعُ
عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ نُوْبٌ مُوَشَّعٌ^(٢)
بِأَنْوَارِهَا نَوْرُ الْحَقِيقَةِ يَسْتَطْعُ
هُدَيْتَ - - إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ مَهْمِيعٌ^(٣)
لَهُ شَبَهُ الْجِبَالِ فِي الْحَقِّ تَخْدَعُ
نَائِي دَلِيلَ أَنْتَ لِلْقَوْمِ تَقْسَمُ

(١) س ١٤٦ والقصيدة من ٤٥ بيتا وقد قيت في سنة ١٩٠١ واسم هذا الشخص محمد منصور ولم نجد فيه الصيغة .

(٢) موشح : معلوم .

(٣) مهيم : طريق

أما قال « يوحنا » بأجمله الذى بأيديهم يُنلى دواما ويُسمع
 فإن رئيسَ المالمين بأسرها سيأتى تصديقى والحق يصدع ؟
 فإن قيل : مَنْ هذا الرئيس ؟ تأولوا تأويلَ يأتى صدقها العقلُ أجمعُ
 فإن كان إبليساً كما يرمونه فهل لفظُ الاستدراك بعدُ مُضْمِعٌ ؟
 نعم هذه تُشعرى نأحمد لم يركل لها فى الأناجيلِ الحديثَةِ مَوْضِعُ
 أحَا العقل : حَتَامَ التَّوَانِي عَنِ الهَوَى وَحَتَّى مِى المَنْهَجِ الحقُّ تَرَحُّعُ ؟
 بَعَثْنَا قومٌ شَرَحَتْ صَدْرَهُمُ بَأَمْرِ هُوَ العُرَّى الذى تَتَحَرَّعُ
 ولو كان حقاً ما أثبتَ كَمَا اسْكُوتُ فلو بٌ وَلَا سَاتٌ مِنَ المَيْنِ أذْمَعُ
 نصحتُكَ فارحِ إن تشأ واطرَحِ الهَوَى وَلَا تَتَّبِعْ هوما أُصِيعُوا وَصَبَّموَا
 فلا دينَ دُونَ العقلِ فى الكونِ قائمٌ وَلَا عقلَ دُونِ الدينِ المرءُ يَنْفَعُ

* * *

٢ - وعندما طهرت حريده المؤيد عطره حديد وى دار جديدة فى سنة ١٩٠٦
 أرسل حافظ إبراهيم هذه الأبيات يشيد فيها بفصل هذه الحريدة وصاحبها وخدمها للإسلام^(١) :
 أَحْيَيْتَ مُحَمَّدَ رَحَائِدَا بِصَحْفِهِ أَثْنَى عَلَيْهِمَا الشَّرْقُ وَالْإِسْلَامُ
 أَصَحَّتْ مُصَنَّائِي لِلْمَلَائِكَةِ عَمْدَا سَجَدَتْ رِجْلُهَا فَنَاهَا الْأَقْلَامُ
 وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَدِيدِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامُ

* * *

٣ - ومن المسمات الطريقة فصة رواج الشيخ على يوسف من إحدى سلالات
 الأشراف ، والعرف يقضى بأن الشريعة لا يكافئها إلا شريف ، وقد اتخذ حصوم الشيخ على
 يوسف من هذه المسألة وسيلةً للتشهير به واعتبار هذا الزواج غير متسكاف^(٢) .

(١) صاحبها الشيخ على يوسف وقد أشدت سنة ١٨٨٩ - الدواى ص ١٥٠ ج ١
 (٢) كان قد طلب فتية من بيت السيد عبد الحالى السادات . وقد أعمل سيم وغيره أن العالم
 يكافئ الشريعة أبصاً ولعلمهم لم يعتبروا أن الشيخ على يوسف عالم

ولقد تناول الشعراء هذه المسألة وأكثروا من النظم فيها وكان الشاعر أحمد نسيم من أولئك الساحطين الذين يرون في هذه الزبحة حروحا على قواعد الشرع وله في الجزء الأول من ديوانه تسم قطع حول هذه المناسبة ومن ذلك قصيدة بعنوان : عام السكف . يقول في أولها :

لقد راح مفونا بكف وميمم وصَلَّ لَوْجِدٍ في الفؤاد مُكْتَم
وقد رال ما بالشبح من أنف الملا وبان اصفرارُ الدَّلِّ في أنف مُرْنَم
لقد راح حكمت فيه شريعة أحمد فماء من الدنيا نأسوا مَعْرَم^(٢)
وله مقطوعة حاء فيها :

لحاء الله من شمع رماه الحُبُّ في هوة^(٣)
وأمسى غير مرحوم فلا حول ولا قوة

* * *

ولقد كان هذا الشاعر من مداحي السادة السكرية في الماسات ومن ذلك أنه رعم تهمة للسيد السكري ، عندما أسندت إليه مشيخة الطرق الصوفية حاء فيها قوله^(٤) .

دارُ القنابة ممدودٌ سرَّادٍ فها ولا مع فوق صرخ المُنجد نارفها
حيث الحلال مقيم في حوائسه وحيث يُبندو من العلَّياء شاهقها
تلقى الوفود به تترى مُهَبَّةً يلو أوائلها باليسر لاحقها
هفتون مهيباً سيداً بها أوصافه العُرُف طات حلائقها
نحلُّ البى وصديقي المي وَمَنْ له المارس راكبها وعانقها

(١) ص ٦٨ > ١ من الديوان .

(٢) إشارة إلى الحكم بطلان رواج الشيع على يوسف المشار إليه

(٣) ص ٥٤ > ١

(٤) ص ٧٧ > ١

ولكن السيد البكرى وقف إلى جانب الشيخ على يوسف في محنته فلم يرق ذلك الشاعر
نسباً فراح يهجو به بعد تلك الدأخ ومن ذلك قوله: (١)

رَأَيْتُ السَّيِّدَ الْبَكْرِيَّ يَمْشِي وَكَمَا بُرِّدُهُ مُتَدَلِّيانِ
دِلَالَةً أَنْ شَيْخًا فِي قَبَابٍ لَهُ فِي كُلِّ دَاهِيَةٍ يَدَانِ

* * *

عَمِدْتُ السَّيِّدَ الْبَكْرِيَّ شَيْخًا يُحَكِّلُ فِي الْحَارَمِ كُلِّ مَذْهَبٍ
أَنَّى شَرِيعَةً لِبَنَاتٍ مَصْرٍ فَمَنْ تَعَصَّلَ إِلَى الْبَكْرِيِّ تَذْهَبُ

* * *

أَبِيقُوا وَانظُرُوا الْبَكْرِيَّ يَرْجُو بَرَاءَةَ ذَلِكَ الشَّيْخِ الْأَثِيمِ
أَنَاسٌ هُمُّهُمْ هَتَكَ الْغَوَانِي أَوْلَئِكَ يُفَرِّصُونَ عَلَى الْجَحِيمِ

* * *

أَيَا شَيْخَ الشَّايِخِ جِئْتَ إِذَا وَكُفِّرَ لَا يَسُوعَ وَلَا يَحُورُ
لَقَدْ حَقَّقْتَ عَلَيْكَ بَنَاتُ مَصْرٍ كَمَا حَقَّقْتَ عَلَيْكَ الْإِسْكَانِيَّ (٢)

٤ - وعندما قدم الشيخ عبد العزيز حاويش (٣) إلى المحاكمة وقضت المحاكمة براءته

أنشد أحمد نسيم قصيدة بهذه المناسبة ومنها :

يَا أَعْمَى الْأَنَامِ تَفْسًا وَدَيْلًا وَأَحْلَى الْعَمَادِ بَيْنَ الْعِمَادِ
إِنَّ يَوْمًا خَرَجْتَ فِيهِ بَرِيئًا هُوَ عِيدٌ مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْيَادِ
أَسْنَدُوا الْكَذِبَ وَهُوَ مِنْكَ مُحَالٌ نُمُّ حَابُوا فِي صِحَّةِ الْإِسْنَادِ

* * *

(١) - ١ ص ١٣١

(٢) - يريد شيخ الشايخ السيد الكرى . . . ولعله يريد أن جميع الناس لا يرضون عمله .

(٣) - كان ذلك سبب نشره مقالا في « اللواء » سنة ١٩٠٩ هاجم فيه الانجليز بمناسبة ذكرى

دنشواى .

الحج ...

ولقد كان بعض علماء الأزهر يحرمون تدريس العلوم الحديثة ويسفهون رأى من يقول إن الأرض دائرة .. ومن أولئك كان الشيخ محمد الرافعي . وقد سجل نسيم ذلك الرأى وسفه رأى العالم في تكفير من يخالفونه في الرأى ^(١) .

صَلِّ الْقَوَى فَقَالَ : الْأَرْضُ ثَابِتَةٌ وَقَالَ آخَرُ : قَدْ شُدَّتْ بِأَوْتَارِ مَا لِلرَّافِعِيِّ وَمَا لِلْأَرْضِ يُوقَفُهَا بِالْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَإِسْنَادِ أَيْنَ الدَّلِيلُ أَنَّ الْأَرْضَ جَامِدَةٌ ؟ يَا مَنْ رَمَى بِكُفْرَانٍ وَالْحَادِ حَتَّ الْحَكِيمِ عَلَى رُشْدٍ فَنَأَوَاهُ ^(٢) بَارِغَى الضَّلَالِ . وَمَنْ يُوْذَى بِإِرْشَادٍ ؟

٦ - ولقد كانت مالية البلاد في قبضة المستعمر يتصرف فيها حسب الأهواء الاستعمارية ومن ذلك أن الإفقاق على معاهد العلم والمعاهد الدينية قد بلغم من التقدير مبلغاً عاق كل إصلاح بل كان يصل في بعض الأحيان إلى الحرمان من القوات الضرورى للحياة .

ولقد حدث أن اشتد الضغط على ميرانية الأزهر فتوقفت إدارته عن صرف « الحراية » للأزهريين فاعتصموا بالسجد وتعطلت الشعائر الدينية واعتدى رجال البوليس على الأزهريين واعتبروهم خارجين على القانون وساقوا بعضهم إلى السجون .. وقد أثار ذلك الحادث ^(٣) الشعراء فراحوا يحارون بالشكوى ويسجلون تلك المظالم ...

ومن ذلك قصيدة للشيخ حسن القاياتى مطلعها ^(٤) :
دَعِ الْحُبَّ يَنْجِدُ أَوْ يُبْشِمُ وَيُعْرِقُ فِي الشَّوْقِ أَوْ يُشْنِمُ
وَحَلَّ الزَّفِيرَ يَبْدُ الصَّلَا عَ قَدْ وَارُ الْأَمَى تَصْنِمُ
وبعد أبيات يصف فيها العلماء وأثرهم في الأمة وما يقومون به من خدمة الدين يقول :
أَيُّ الْحَقِّ أَنْ يُسَكِّرْتُمَا مِنْ فَمِهِ يَمَلُّمْنَا الدِّينَ ذَاكَ الْفَمُ ؟

(١) ديوان نسيم ج ١ ص ١٢ :

(٢) يريد بالحكيم الامام محمد عبده .

(٣) تعليق منشور بديوان الشيخ حسن القاياتى ص ٨٥ طبعة ١٩١٠ .

(٤) الديوان ج ١ سنة ١٩١٠ ص ٨٦ .

أَوِ الْحَقِّ أَنْ يَظْلِمُوا أُمَّةً تَدُودُ عَنِ الظُّلْمِ مَنْ يَظْلِمُ ؟
 أَلَمْ يَكْتُمُوا الْعِلْمَ بَيْنَ السَّجُونِ وَقَدْ كَانَ قَمَلُ وَمَا يُكْتَمُ
 وَأَحْسَانُهُمْ وَسَمَتْنَهَا السَّيَا طُ كَالرَّمْلِ خَطٌّ بِهِ الْأَرْقَمُ
 وَسَيَقُوا إِلَى السَّجْنِ كَالْمُجْرِمِينَ أَلَا إِمَّا السَّائِقُ الْحَرَمُ
 دُوبُهُمْ أَهْمُهُمْ مَعْلُونٌ وَحَرْبُ الْحَوَلِ فَتَى يَعْلَمُ
 أَوِ مَسْجِدِ اللَّهِ ؟ فِي قِبْلَةِ الصَّلَاةِ ؟ أَمَا فِيهِمْ مُسْلِمٌ ؟
 الْح

ومن ذلك قصيدة للشاعر أحمد نسيم يقول فيها^(١) :

تَعَطَّلَ دَبُّ اللَّهِ فِي حَيْرِ مَسْجِدٍ فَرَفَقَا بَدِينِ اللَّهِ نَا انْ مُحَمَّدٍ^(٢)
 لَأَنْتَ الَّذِي يُرْحَى إِذَا نَاحَ كُلُّكُلٌ عَلَى الشَّرْعَةِ السَّمْحَاءِ فِي كُلِّ مَعْبَدٍ
 نَلَاءٌ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ وَرَاعَهُمْ وَصَحَّ لَهُ فِي يَنْتَرِبُ فَرُّ أَحْمَدٍ
 وَنَاتَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا تَرَى سِوَى حَارِغٍ نَاكٍ وَعَانٍ مُصَفَّدٍ
 تَرَى الْأَرْهَرَ الْمَمُورَ أَفْهَرَ صَحْنُهُ كَأَنَّكَ تَنْمَشِي فِي قِلَافَةٍ وَقَدْ فُتِدَ
 حَلَا مِنْ دَعَاءِ الْمُتَسَكِّينَ لِرَبِّهِ وَمِنْ صَالِحَاتِ الْعَابِدِ الْمُتَهَيِّجِدِ
 حَلَا مِنْ مُجُوعِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَأْوِهِ فَلَمْ تَرَ فِيهِ مَنْ رَوْحٌ وَيَعْتَدِي
 حَلَا مِنْ مُجُوعِ نَدْدِ الظُّلْمِ شَمْلُهُمْ فَمَا تَوَا كَمَا تَدْرِي شَمْلُ مُسَدَّدِ
 رِشَادِكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مُسَدَّدٌ وَحَطُّهُ رَأَى مِنْ حِجَاكَ مُسَدَّدِ

* * *

وعند ما تقرر إيفاد بعثة من الأهربيين لتتعلم في فرنسا في سنة ١٩١٠ اقترح الشيخ

(١) > ٢ ص ١٧

(٢) بقصد الحدوث عا

عبد العزيز حاويز على الشاعر أحمد سيم أن يودع البمئة بشعره فأشدد قصيدة في أكثر من ثمانين بيتاً ضمنها وصف حالة الأهرار وركون أكثر علمائه إلى محاربة العلوم الحديثة ثم وصف جهود الشيخ محمد عمده ونهضته وما يرحى للأزهر في ظلال التقدم العلمي وتحرر عقلية العلماء . . يقول في أولها (١) :

أَرِفَ الرِّحِيلُ هَلْ بَلَغْتَ مَرَامَا وَدَنَا الْفِرَاقُ هَلْ شَفَيْتَ أَوَامَا ؟
فَعِ وَقَعَةً فِي الْحَيِّ يُقَرِّئُكَ الْهَوَا فَلَ الْوَدَاعَ نَحْمَةً وَسَلَامَا

* * *

فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ أَكْرَمَ مَعْنَاةٍ مَدَدَتْ لَهَا أَيْدَى الْكِرَامِ حَسَامَا
بَثَرُوا اللَّاهِي وَبَثَرْتُ شَعْرِي بَيْنَهُمْ مِثْلَ الْعُقُودِ تَالِقًا وَبَطَامَا
نَمُ يَنْتَقِلُ إِلَى وَصْفِ الْعُلَمَاءِ حَيْثُ ذَاكَ :

بَارَاحِلُونَ فِي الْعَوَادِ مَكَاسِكُمْ فِرُّوا وَطِيمُوا أَعْيَسَا وَمَقَامَا
لَا تَدْقُمُوا أَحْيَاءَ بَيْنَ شِيُوْحِكُمْ فَالْتَّبَرُّ يُحْسَبُ فِي الرِّغَامِ رَعَامَا
بَعْضُ الشُّيُوحِ وَلَا أَفُولُ حَبِيبُهُمْ تَحِذُوا التَّعَمُّتَ وَالْعِمَادَ لِرَامَا
أَلِمُوا الْخُودَ وَكُلَّ شَيْخٍ هَمَّ شِسْهُ أَنْ يُبْلِسُوهُ عِمَامَةً وَوَسَامَا
فَرُّوا مِنْ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ وَحَسَنُهُمْ كَهَنَلَا بَأَنْ عَدُّوا الْعُلُومَ حَرَامَا
فَدَّ حَرَمُوا عِلْمَ الْحِسَابِ وَسَاءَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الْأَعْدَادَ وَالْأَرْقَامَا
قَبِئُوا بِتَحْوِيلِ الْقِرَاءَةِ وَاكْتَفَوْا مَدُّ أَتَقَمُوا التَّنْوِينَ وَالْإِدْعَامَا
سَلَّوْهُمْ عَنِ الْأَهْرَامِ تَسْمَعُ قَوْلَهُمْ سَيْفُ سُدَى يَرِنُ بِنَى الْأَهْرَامَا

* * *

ثم يأخذ في الإشادة بمصل الإمام محمد عمده رمآره . . وينتقل بعد ذلك إلى المستشرقين

وتعلمهم العربية وعلوم الدين وبحمهم فى الثقافة الإسلامية ثم نفور الأزهرين من تعلم اللغات الأوربية :

يَانْصَفْ أُمِّيَّينَ كَيْفَ قَرَأْتُمْ وَنَسِيتُمْ أَنْ تُنْصِمُوا الْأَفْلَامَا
هَلْ فِى اللِّغَاتِ نَقِصَةٌ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تُفْجِحُوا أَرْبَابَهَا الْأَعْجَامَا ؟
وَمُمُّ الدِّينِ كَمَا زَامَ أَتَقَنُّوْا لَفَةً النَّبِيِّ كِتَابَةً وَكَلَامَا
مُسْتَشْرِقٌ حَفِظَ الْكِتَابَ وَآخَرُهُ أَخَذَ الشَّرَائِعَ عَنْهُ وَالْأَحْكَامَا
يَكْبُو رَحَلَ الْغَرَبِ كُلُّ عَجَبِيَّة تُعْنِي الظُّنُونُ وَتُنْجِزُ الْأَرْهَامَا
يَلْفُوا الْمَطَارَ وَسَوْفَ نَسْمُ أَنْهَم حَازُوا الْهَوَاءَ وَخَاطَبُوا الْأَجْرَامَا
عَابُوا جُودَ الْمُسْلِمِينَ وَمَرَّحُوا أَلَّا تُنَادَّ مَعَ الْأَنَامِ أَنَامَا
نَمْنَا وَبَاتُوا سَاهِدِينَ وَزَادَنَا حُبُّ الْجُودِ عَلَى الضَّلَالِ ظَلَامَا
مَتَعَّتَيْنِ عَلَى الدَّخِيلِ فَإِنْ بَضَى نُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنَ الضِّيَاءِ ظَلَامَا
حَتَّى يَطْنُ الدِّينَ دِينَ تَعَشَّتْ أَوْ دِينَ قَوْمٍ أَشْبَهُوا الْأَنَامَا

وبعد أن يتحدث عن تفرق المسلمين وما أدى إليه من الضعف يوجه النصيح إلى المسافرين ويصف لهم مآهج باريس وما قد يجرم إليه زخرفها إن هم جنحوا إلى غير الطريق المستقيم ويرسم لهم الصورة المثلى للرجل الفاضل الذى لا يتأثر بغير ما يهود عليه وعلى دينه ووطنه بالخير العميم ثم يحتم القصيدة بقوله :

عُودُوا إِلَى مِصْرَ كِبَارًا فِى الْحِجَا تُسَنِّدِكُمُ الْإِكْبَارَ وَالْإِكْرَامَا
وَتَفَاحَرُوا بِدِكَايِ مِصْرَ لَعَلَّهُمْ يَوْمَ الرَّهَانِ بَطَاطُثُونَ أَلْهَامَا
وَتَقْلُدُوا سِرَّ الْكِرَامِ وَجَرَدُوا مِنْهُ الْفِدَاةَ مُهَنَّدَا صَفْصَامَا
وَهى مِنْ ثَمَامِيَّةٍ وَثَمَانِينَ بَيْتًا .

عن الحكومة المصرية في عام ١٩١١ انتهز شوقي هذه الفرصة وأنشأ قصيدة يودع فيها صديقه ويحیی فيها شريف مكة ... ونرى في القصيدة ذوب العاطفة الدينية عند شوقي في أبياتها^(١) :

محجوبٌ : إن جئتَ الحجا زَ وى حوايحِك الموى له
شوقا وحُبًّا بالرَّسو ل وآله أذكى سُلالَه
فَلَمَحَتْ نُفُورَه (بَانِه) وَسَمِعَتْ كَالرَّيحَانِ ضَالَه
وعلى (العتيق) مشيتُ تنظرُ فيه دمعك وأنهماله
ومضى الشرى بكَ حيثُ كان الروحُ يسري والرسالة
وبلغت بيتا بالحجاز يبارك البارى جباله
اللهُ فيه جَلالَ الحرامِ مَ خلقة وجَلالَ حلاله
فهنالك طَبُّ الروحِ ... طُ ... العالمين من الجمهالة
وهناك أطلالُ الفصا حَقِ والبلاعة والنباله
وهناك أذكى مُسجِدٍ أذكى التريّة قد مَشى له
الح ...

* * *

٩ — وعقب الحرب الأولى انتشرت الأفكار والمذاهب السياسية وكان العداء مستحكما بين ألمانيا وحلفائها وبين إنجلترا وحلفائها وخشيت إنجلترا من تسرب مبادئ البلشفية إلى الطبقات الكادحة في الشرق فراحت تقيم السدود النيمة دونها .. وكانت الدعاية ضد مبادئ البلشفية التي أسسها « لينين » « وترتسكي » من أقوى وسائل محاربتها : ولابد أن نمس تلك الدعاية العاطفة الدينية حتى نستطيع النفاذ إلى قلوب المسلمين وهم الأكثرية الساحقة

(١) م ١٠١ ج ٢ وقد نشرت بالعدد ٣ من جريدة عكاظ من السنة السابعة (١٩٢١). والعتيق يقصد الحرم المكي .

ومن ذلك أن وجه سؤال المفتى الديار المصرية ليبدى رأيه في حكم الإسلام على تلك المبادئ... وكان موحه هذا السؤال شخصا من الهند يدعى « حسنا »^(١) وقد أحاب المفتى بأن البلشفية تتعارض مع جميع الأديان وأنها مستمدة من المردكية...^(٢)

ولقد أثارته هذه الإحالة الأفلام فابرت ترد على المفتى لأنه لم يشر موضوع القضية مع فتواه إلا كما ألقاه إليه ذلك الشخص الذى لم يتحقق هو ولا غيره من شخصيته . .

ولم يمت الشعراء أن يسجلوا موقف المفتى من تلك الفتوى والحملة الشعواء التى شنها على مبادئ لم يعرف كتبها ولم يتبين وجه الصواب فيها، ومن ذلك قصيدة للشيخ محمود عبدالرحمن القصرى من العلماء يقول في مطلعها: ^(٣)

إِلَامَ التَّجَارِ قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْهَجْرِ وَحَتَّامَ أَدْعَاةِ الْيُسْرِ بَعْدَ عَمَّا الْعُسْرِ
ومنها: يعيب على المفتى تسرعه في الفتوى

أَتَى حَسَنٌ لِلشَّيْخِ بِطَلَبِ حُكْمِهِ عَلَى رُعَمَاءِ الْبُلْشَفِيَّةِ فِي الْمَصْرِ
أَجَابَ : نَأْنُ الْبُلْشَفِيَّةَ مَدَّهَ يُخَالِفُ أَدْيَانَ الْعَمَادِ بَلَا نُكْرٍ
لَأَنَّ مَسَادِيهِ الْإِجَاحَةُ فِي الدِّي سَهَى عَنْهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
عَجِبْتُ لِقَاضِي كَيْفَ يُصْنِدُ حُكْمَهُ بِدُونِ مُشْهُودٍ فِي الْقَضِيَةِ أَوْ حُجْرٍ
فِي أَيْ شَرَعٍ كَانَ ذَلِكَ حَارًّا أَحْنَى فَعَلِ نَيْءٌ لَدَيْكَ مِنَ الْمُدْرِ ؟
وَهَلْ نَكَّتَ عَمْدَ الْإِمَامِ عَدْلَهُ لَسَانِلَةَ الْوَهْمِ فِي الْمَسْدِ أَوْ مَصْرِ
وَهَلْ عَدْلُهُ يَكْفِي لِإِسْدَارِ حُكْمِكُمْ عَلَى أُمَمٍ بِالْإِنْمِ وَالزَّيْفِ وَالْكُفْرِ ؟
نَمْ يَنْتَقِلُ إِلَى التَّهْكِمِ بِالْمَعْنَى لِإِهْمَالِهِ مَا هُوَ أَهْمُ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ مَلُوسٌ أَمَلُهُ مِنْ أَعْمَالِ

(١) رسالة جاءت من الهند إلى المفتى (وكان الشيخ محبت) بهذا التوقيع . وبشك الشاعر في أنه توقيع مستعار ولعل دعاة العرب قصدوا به الدعاية ضد الروس

(٢) « مردك » من أصحاب المبادئ الهدامة في دولة العرس القديمة .

(٣) العدد ١٩ من الأفكار الجديدة في أغسطس سنة ١٩١٩

الإنجليز وتمطيلهم إقامة الحدود في بلاد إسلامية .. مشيراً إلى بعض مقالات لاهلء بمارضون تلك الفتوى ومنهم الشيخ مرور الزنككونى والشيخ لسان الدين والشيخ درار :

ولانس قاضى المسلمين إذا أنرى
 وهذا « لسان الدين » نادى مترجماً
 فكم من حدود للشريعة عطلت
 أرى المسق قد عم البلاد جميعها
 تنادى المذارى : بالمصر ومن لها
 إذا قُتْ أرنى الدين فى أى محفل

يُطعق فتوى الشيخ فى مُحكمِ الذكر
 يُمددُ ماقد حلّ فى مصر من خسر
 فلا يُسألُ الزانى ولاشارب الخمر
 وذلك مالا يرتضيه أحو المكر
 يشههم يُبغى عرّصها من يد القدر
 أنوح كما مات حناس على صخر

* * *

أسأله : لم لايجب ؟ وعهدنا
 « درار » أنى بالأمس ببنى إحاة
 وذلك أولى بالبيان لما
 وهى أى دين أم نأبة شرعة
 ربك - مولانا - نجيب درارنا
 وأنت قد أفتيت بالأمس سائلا
 قدق وحادر مااستطعت فأعلا

بمفتى مصر أن يحسب على الفور
 على هول الاستعمار والحكم بالأمس^(١)
 من المعبى وألهمم المحقق والهور
 تصبغ حقوق للصمبب بلا ورر
 فذلك من أعلام أرهنا الفرس
 جهولا ومجهولا إلى ساحة الحشر
 لك اليوم بالمرصاد تليدك (القنصرى)

* * *

ومد فذلك هى بعض التماذج لقصائد كانت تنشأ فى مناسبات دات صلة بالدين وقدأشرنا إلى وحوه تلك الصلة فيما ذكرناه منها . وأمثال هذه المناسبات كثير كإشياء المساجد والجمعيات

(١) كان الشيخ درار الذى صار فيما بعدسكرتيراً عاماً للأرهر - من الماوثين للانجليز سنة ١٩١٩ وكان يكتب مقالات فى صحف تلك الأيام يستكر فيها استبداد المستعمرى ... وقد كت فى هذه المناسبة مقالاً يسأل : لماذا لاهلء الإنجليز كما نهجم عيرهم ؟

الخيرية والذهاب إلى الحج والعودة منه .. إلى غير ذلك وفي كل مناسبة كان الشعراء يسهمون
ينصيب يسجلون فيه المناسبة والباعث عليها وأثر الدين فيها .

٦ - (١) التصوف والزهد

أشرنا في الباب الأول^(١) إلى بعض قصائد تتصل بموضوع التصوف والزهد في الدنيا
ولم نقصد فيما ذكرناه هناك - أو ماسنذكره هنا - إلى دراسة العقائد والمذاهب الصوفية
وصداها في الشعر فذلك بحث مستفيض لا يتسع له المجال هنا : وإنما هي أمثلة نسوقها للون
من الشعر الديني له صفة خاصة تتعلق بالتفكير في «الله» حل حلاله وفي فلسفة الوجود والفناء
والموت والحياة والشور .. والرغبة عن نعيم الدنيا ...

والملاحظ أن هذا اللون من الشعر يذيع وينتشر في ظلال الفترات التي تشيع فيها الفلسفة
ومن ثم فقد كان أظهر ما يكون في الشعر الفارسي : ولم يكن في شعر العرب إلا في العصر
العباسي الأول عندما شاعت الأفكار الفلسفية والمذاهب الكلامية ولاسيما في عصر
المأمون .

أما في العصور التي تزوي فيها الفلسفة فإن ذلك اللون من الشعر يتجه إلى الحديث عن
الأولياء والصالحين والتوسل بهم .. كما حدث في أخريات أيام العرب بالأندلس وفي عصر
العثمانيين عصر^(٢) .

وفي مصر - بعد الاحتلال لم تسكن الأفكار مستقرة : فقد كانت هناك دعوة محمد عبده
وجمال الدين وفيها تعبير من دعوة عبد الله تعالى .

وقد أخذ تيار الثقافة الأوربية يحمل إلينا أفكارا فلسفية ونظريات جديدة ولكنها

(١) ص ١٢٩

(٢) ص ١١٦ من هذا البحث وما يرال كثير من دعاة التوسل وماهضة دعوة الوهابيين دائنين

على نشر أفكارهم .

كانت في محيط محدود ربما لا يمدو الذين تعلموا في أوروبا أو الذين تعمقوا في دراسة ثقافة الغرب .

ومن ثم فإننا لم نكن في عصر جهل مطبق كما كنا في عهد العباسيين ولا في عصر فلسفي مشرق .

وعلى ذلك فإننا لم نجد الذبوع الذي كان لقصاصد التوسل بالأولياء والصالحين كالذي مر بنا في الداء الأول بل حدث عكس ذلك إذ بدأت أسدء الدعوة الوهابية ضد التوسل تأخذ طريقها إلى الشعر ومن ذلك قصيدة للسيد على الغاياني قالها بمناسبة ما حدث في دمياط من فتنة^(١) بين العلماء بسبب خروج أحدهم على ماهو مألوف وإسكاره للتوسل والنذور . . . وقد كان السيد الغاياني من مؤيدي رأى العالم الجديد وأخذ يناصره في جريدة الحوائف فأثار ذلك حفيظة العلماء عليه قال في أول القصيدة :

اسبرِ لخطب الدهر غيرَ مُضمضِعِ وإدارمأك بما بسوءك فأخضع
ومنها :

أنا لم أجيء إلا بقول الله في تشريمه والله خيرُ مُشرِّع
فإذا غدا القرآن مهجوراً ولم تمبأ بحجته الشيوخ وتقتنع
وعدا فقيه الدين بين الناس لا يدري ويحسب أنه دأ الأئمة

* * *

على بنى الإسلام ألف تحية إن كان هذا من فيه الرُكع
ومها :

يا ويل من عبدوا القبور وأشركوا بالله بينَ توسلٍ وتَضَرُّع

(١) كان ذلك في سنة ١٩٠٧ — والقصيدة من أربعة وحمسين بيتاً أنشأها في فترة اغتفاله في معسكر الجيش مهمة تهريبه من الخدمة العسكرية . . . من ديوان وطيطي الطبعة الثالثة صفحة ١٢٩ .

ورأوا من العلماء تأييدا لهم قصوا وما قطبوا لِمَى مُبْدِع
ياقومُ إن أولئك العلماء قد جملوا الشرمة سُداً للعطَمَح
ومها :

أَسْفَى عَلَى دِينِ الْبِي مُحَمَّدٍ أَسَفٌ تَوَقَّدَ سَمَرُهُ فِي أَصْلَمِي
مِنْذًا يُحْيِي دُعَاءَهُ وَدُعَاتُهُ لَمِيتَ هُم أَهْوَاؤُهُمْ فِي مَرَّتَمِ
الخ ...

ومن ذلك أنبات حافظ إبراهيم التي يندد فيها بالأضرحة :
أَحْيَاؤُنَا لَا يَرْزُقُونَ بِدَرَمٍ وَتَأَلَّفَ أَلْفُ رَزَقِ الْأَمْوَاتِ
مَنْ لِي بِمِحْطِ النَّاعِمِينَ بِحُمْرَةِ قَامَتَ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
بِسْمِ الْأَنَامِ لَهَا وَيَجْرَى حَوْلَهَا بِحَرِّ السُّدُورِ وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
وَبُيْعُهَا : هَذَا الْقَطْبُ بَابُ الْمَصْطَلَى وَوَسِيلَةُ تَقْضَى فِيهَا الْحَاجَاتُ
ولم يحل الشعر في هذه الفترة من بعض الألوان في التصوف والزهد إلا أنها قليلة
محدودة .

ومن العلماء الذين لهم شعر صوفي « السيد أحمد خليل »^(١) ومن ذلك قصيدة طويلة
أنشدها في التفسير عندما وصل إلى قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » وأول هذه
القصيدة^(٢) :

أَسْمَحُ بِاسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدِ مَعْلَمًا عِلْمَ أَبِي الْأَسْمَاءِ مِنْ قَبْلِ نَدْنَا
لَهَا نَسَبُ سَبْحِ الْإِلَهِ وَحَلْقِهِ قَبُولَ وَإِقْبَالَ هَمَاكُ وَمِنْ هَمَا

(١) ولد مكوم النور سنة ١٢٧٢ ثم حصل على العالمية من الأزهر ودرس بعض العلوم الحديثة كالهندسة والملك والطبيعة والليكايبكا واللغة الفرنسية . . ودرس كذلك اللغات التركية والألمانية وچال في بلاد الشام وتركيا وكان واسع الاطلاع في علوم الثقافة الإسلامية وتوفي سنة ١٣٤٠ وله عدة مؤلفات مخطوطة أهداها ابنه المهندس « دؤاد السيد خليل » مدير أعمال رى الرقائى الآن — إلى دالر الكتب ومنها تفسر للقرآن الكريم وصور من شعره العلمى ومحملة كان يصدرها في سنة ١٩٠٥ باسم التذكرة — (قلا عن مذكرة مخطوطة من ابنه المذكور) .

(٢) ص ٦ من المخطوط .

ولا نتحدث إلا كوان وصفا إذا بدت ولا تنقص الأسماء من عارض الفنا
ومنها :

ولو عرفوا معنك ما ضلّ مشرك^١ ولا هام بالأغيار صب على ضنى
فكلّ مُسمى أنت مَعْنَى وُجُودِهِ وكلّ جميل منك صار به الغنى
وكلّ محب صورة^٢ قاده الهوى إلى الوصف أو مثل^٣ رآه فأيقنا

ولقد كان السيد خليل يمثل طبقة من أولئك الذين يقيمون حلقات الذكر ويشدون فيها الأناشيد الخاصة ، ويبدو أنه لم يكتف بما كان محفوظا من الأشعار القديمة وإنما كان يبشئ المزيد من شعره هو .

وقد وجدت في مخطوطاته بعضا من هذا الشعر ومن ذلك قصيدة كانت تنشد
« بالحضرة » ومنها : ^(١)

طربَ الفؤادُ بِعَرَفِكُمْ وتحميرا يَبْقَى لِيَعْرِفَ أَوْ يَمُوتَ لِيُشْتَرَى
وكلاهما قرب^٤ وبينهما الوقا أَنْ لَسْتُ أَحْيَا أَوْ أَمُوتَ فَأَقْرَأَ ..
وإذا تعالى الحسنُ حَيْرَ مَنْ رَأَى فترى الحقيقة أن تراه ولا تُرَى
نور^٥ تذبُّ العينُ فيه جِمالُكُمْ لَمَّا علا فوقَ القولِ فَأَقْصَرَا
ومن قصيدة أخرى كانت تنشد أيضا :

و حُسْنُكُمْ وغرامِ حاتمِ الرُّسُلِ فكان للقلِّ فيكم والهوى سُبُلُ
لولا التَّفَنُّ حَمًّا في نَوَالِكُمْ ما كان من أحدٍ قول^٦ ولا عَمَلُ
ومنها :

موصتُ أَمْرِي إِلَيْكُمْ لَا أَقُولُ سِوَى يَا حَسْبِيَ اللَّهُ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يُصَلِّ
ومن قصيدة أخرى مطلعها :

لو يسمعون كما سمعتُ كلامه أو يفهمون من الكيان علومه

أَوْ فِي الْمَنَامِ يَرُونَهُ وَلَمَّا بِهِ خَرُّوا لَدَٰكِ مُرْكَعًا وَسُجُودًا

* * *

ومها :

كَمْ مِنْ قُلُوبٍ أَغْلِقَتْ أَقْفَالَهَا فَأَتَى مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ ضَلَالُهَا
نَامَتْ حَقِيقَتُهَا وَنَامَ خَيَالُهَا فَتَبَدَّلَتْ نَعْدَ الْإِنْسَانِ قُرُودَا ...

* * *

يَمَّتْ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْكُمْ قَبِيلَةٌ بَيْتًا بَنَتْهُ الرُّسُلُ مِنْكُمْ مَرَّةً
مَا كُنْتُ مُتَخَذِ الْحِجَارَةِ كَمَّةً إِنْ لَمْ أَرَاكُمْ فِي الْجَوَامِدِ مُحُودَا
وَمِنْ قَصِيدَةِ أُخْرَى (كُلُّهَا عَلَى لِسَانِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) (١) :

مَرَادُكَ مَا أُرِيدُ مِنَ الْعِبَادِ مُحْسِنُكَ أَنْ تُسَلِّمَ فِي مُرَادِي
وَأَنْ تُنْمِيَ وَتَنْصَحَ مُسْتَهَامَا بِحَيِّ سَانِحَا فِي كُلِّ وَادِي
فَسَلِّ عَنِّي رَسُولًا أَوْ حَبِيرَا بَمَا أُعْطِيَ الْأَحْمَسَةَ مِنْ وَدَادِ
وَطَهَّرْ لِي بَيْتَكَ أَوْ فُزْرَتِي فَلِي لَيْسَ قَبِيلُ الْفَجْرِ بَادِي
فَلَيْسَ سِوَايَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلٌ وَلَا لِلْحَسَنِ غَيْرِي مِنْ عِمَادِ
فَالِي فِي الْمَحَاسِنِ مِنْ شَرِيكِ وَكُلُّهُمْ بِتَوْحِيدِي بَادِي
وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةِ مَطْلَعِهَا (٢) :

حَالِي تَشَابَهَ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّهِ لَمَّا تَحَاوَرَ حَدَّ الْعَقْلِ وَالْكَشْبِ
إِلَّا الْقُرْآنَ وَمَنْ يَدْرِي بِنَايَتِهِ وَقَدْ أَحَاطَ بِمَا فِي الْبُؤْسِ وَالْكَشْبِ
حَالِي عَجِيبٌ إِذَا مَا قُلْتُ مُجْمَلُهُ لَكِنَّ تَفْصِيلَهُ مِنْ أَنْعَمِ الْعَجَبِ

(١) من المخطوط من ٩ .

(٢) من المخطوط من ١١ .

وفى نهايتها يقول بمد أن يصف أفضال من سبقوه من العلماء الصالحين وكان لهم فضل فى سلوكه هذا الطريق .

فكان ما كان من قربٍ ومعرفةٍ إسلامٌ روحٍ يصدق الدين لا الكذب
هناك أصبحَ ديني والفرامُ وما أقول منها بلا مَنٍ ولا عتبِ
فإن تشأ قلتُ عبدا لا وجودَ له أو قلت ربا بداى الأرض لا السحبِ
ويقول فى قصيدة أخرى : —

وإذا أعجز عقلًا حلُّ ما تمَّ فالتَّسليمُ لله أنتمُ
أول الأئمةِ فى التدبير ما آحر الأمر به الكيسُ حتم

الح

هذه صور من شعر رجل عاش فى جو التصوف والصوفيّين ولكننا نلاحظ أنه لم يبلم ذلك العيص الذى يرى عند أمثال ابن الفارض والبرعى^(١) وأشباههما وأكثر هذا الشعر خليط يصور فيه خلاصة المداهب المعروفة من « وحدة الوجود » و « الحقيقة » و « الفناء » فى ذات الله تعالى و « الشطحات » التى لا يؤاخذ عليها أهل « الواحد » .
وهو فى أكثر معانيه يشبه الخيام فى رباعياته المشهورة ومن ذلك مثلا البيتان الأخيران فهما فى معنى :

يارب فى مهمك حار اندشرُ وقصر العاجزُ والمقتدر^(٢)
تمتُ نَحواك وتمدو لهم وُمُهمُ لا سمعَ يَمى أو نصر

وإذا كان السيد خليل يمثل طمقة من الشعر الصوفى يتمثل فيها « التسليم المطلق »

(١) عمر بن الفارض المشهور — والبرعى كان موجودا فى القرن الخامس وقد مر ذكره نالنا الأول ص ٨٥ .

(٢) رباعيات الخيام ترجمة احمد رامى ص ٦٦ الطمعة الثالثة ١٩٥٠ .

المصحوب بالأمل والرجاء . فهناك بعض الشعراء قد طرّقوا هذا الضرب بعد أن تأثروا بالثقافة الأوربية الحديثة وقرأوا شيئا عن فلسفة الغرب فبدت على تصوفهم مسحة جديدة تمتاز «بالشك» المصحوب بالأمل والرجاء .

ومن ذلك ما نَحَدَه عند إسماعيل صبرى إد أمردى ديوانه بابا خاصا بمنوان (الإلهيات) وهو وإن لم يكثر فيه إلا أنه يوضح اتجاه تفكيره وإليك ما قاله ^(١) :

إلى الله

ياربّ : أين ترى نُقَامَ حَهمْ	للطالين غداً وللأشرار ؟ ؟
لم يُبقَ عَمَوكَ فى السموات العلا	والأرضِ شِراً خاليا للدار
ياربّ أهْلَى لِعَصْلِكَ واكفى	سَطَطَ العقولِ وفتنة الأفكار
ومُ الوجود يشفُّ عنك لى أرى	عَصَبَ اللطيفِ ورحمةَ الجَبَّار
يا عالم الأسرار : حَسَى محنة	على نأبك عالمُ الأسرار

بين الخوف من الله والأمل فى عفوهِ

حَشِينَتِكَ حتى قيل : إني لم أُنقُ	نأبك نعمو من كثير وَرَحِمُ
وأملتُ حتى قيل : ليس بحائفٍ	من الله أن تشوى الوحوه جهمُ
فشأنى فى حالى ياربّ حيرة	بما أت من دون البرية أعلمُ
أقلنى من الشكِّ الذى قد أحاط بى	فشأنى فى حالى ياربّ مُهممُ
مر الحجبَ ترفعُ عنك أستقبلُ الهدى	صريحا وينهجُ مهجَ الحقِّ مجرمُ

الأمل فى الله

أما يا إلهى عند بابك واقفٌ لا أنتفى عنه الزمانُ عدولا

(١) الديوان ص ١٩٢ وما بعدها .

ماجئتُ أطلبُ أحرَّ ما قدَّمته حاشا لحدوك أن يكون قلباً
عظمتُ آمالي وصغرتُ الورى مندا لها؟ إن لم تك الأمولا؟؟
إني ليمجى وقوفى سائلا إن كمت أنت السَّيدُ المسئولا

وجود الله

تعالى الله لا يعلم كُنْ ه الله إسان
أتمح عنه فى وادٍ ومه الكون ملآن؟؟
أنتكره وأنت عليه لو فكَّرتَ برهانُ

وعندما بحث عن هذا اللون عند شوق مجده قد قال فيه ولكن دون ! كثار أو تعمق
أو أفراد قصائد خاصة به .

هو مثلاً فى قصيدته ^(١) التى رثى بها «رياض باشا» يتجه إلى غنى معرفة حقيقة الروح
وأين تذهب وبعم القبر وعذابه يقول :

رهينَ الرمسَ حَدَّثَنِى ملباً حديثُ ألوت تَدُلُّ العطاتُ
هو الخبرُ اليقينُ وما سواه أحاديثُ المسى والترَّهاتُ
سألتك . ما الميةُ ؟ أى كُأسٍ ؟ وكيف مُدافها ومن السُّقاء ؟؟

وهل تَقَعُ النفوس على أمانٍ كما وقعتْ على الحرم القطاةُ
وتجلد أم كرعهم القوم تبلى كما تبلى العظامُ أو الرُّفاتُ ؟ ^(٢)
الح . .

(١) ج ٢ س ٤٥ .

(٢) يشير إلى مذهب الدهرية الذين قالوا « ما هى إلا حياسا الدنيا موت ونحبا وماهلكنا إلا الدهر » .

وفى قصيدته السكرى عن « كبار الحوادث فى وادى النيل »^(١) نَحْدَهُ يَلْتَمِسُ الأَعْدَارُ
لِلْإِسَابَةِ وَاتِّحَاهَانِهَا مَحْوُ تَمَدُّدِ المَمُودَاتِ وَ الزَّمَانِ الأولِ وَيَمْزُو ذَلِكَ إِلَى حُبِّ الْإِنْسَانِ
بِفَطْرَتِهِ إِلَى السَّمَى وَرَاءَ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ سَمَحَاهُ وَتَعَالَى فَتَقْدِيسِ مَظَاهِرِ الْقُوَى وَالْجَمَالِ ٠٠ هِىَ
بَحْثُ وَرَاءِ « الْحَقِيقَةِ الزَّهْرَاءِ » .

رَبِّ : شَقَّتِ العِمَادُ أُرْمَانُ لَا كَتَبَ بِهَا يُهْتَدَى وَلَا أَسِيَاءُ
دَهَسُوا فِي الهَوَى مَدَاهِ شَتَّى حَمَمَتِهَا الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَاءُ
إِذَا لَقَّبُوا قَوِيًّا إِلَهًا فَلَهُ بِالْقُوَى إِلَيْكَ انْتِهَاءُ
وَإِذَا آزَرُوا جَمِيلًا تَهَرَّبَ فَإِنَّ الْحَمَالَ مِنْكَ حَمَاءُ
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

حَمَمِ الْخَلْقِ وَالْفَصِيلَةِ سُرَّ شَفَّ عَنْهُ الْحِجَابُ فَهُوَ صَيَاءُ

* * *

وَيَكْفِي بِهَذَا الْقَدْرَ وَالْمُلْحُوظَةَ الْعَامَّةَ هِىَ أَنَّ رُوحَ « الوصف » قَدِ تَغَلَّبَتْ عَلَى « الْفَيْصِ »
فِي شَعْرِ التَّصَوُّفِ الْحَدِيثِ .

وَلَمَّا أَحَاطَ بِالْبِلَادِ مِنْ ظُرُوفِ الْاِحْتِلَالِ وَمَا وَقَرَّ فِي الْمَوْسُ مِنَ التَّطَلُّعِ إِلَى التَّخْلُصِ
مِنَ الْاِسْتِنْدَادِ ٠٠ لَعَلَّ ذَلِكَ حَمَلَ الشَّعْرَاءَ لَا يَجْنَحُونَ إِلَى التَّرَهِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالْاِبْصِرَافِ إِلَى
الْآخِرَةِ ، كَمَا كَانَتْ الْحَالُ فِي فِتْرَةِ الرُّكُودِ السَّابِقَةِ لِمَصْرِ الْحَدِيثِ وَامْتَدَّتْ إِلَى الْفِتْرَةِ الْأُولَى مِنْهُ ،
وَقَدْ أَكْثَرَ الشَّعْرَاءَ وَلَا سِيَّامَا بَعْدَ نَهْضَةِ مِصْطَفَى كَامِلٍ فِي التَّحَدُّثِ عَنْ آلَامِ الْأُمَّةِ وَآمَالِهَا .
إِلَى أَنْ كَانَتْ ثَوْرَةٌ سَنَةِ ١٩١٩ حَيْثُ قَدْ بَدَأَ الشَّعْرُ بِأَخْذِ اتِّحَاهَا جَدِيدًا .

(ب) إظهار بيميزات الإسلام

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَصْدَاءِ الْوَعَى الدِّينِيَّةِ الْعَامِ الَّتِي أُنتِجَتْهُ دَعْوَةُ جَمَالِ الدِّينِ وَمُحَمَّدٍ عَمْدِهِ وَحَمَلَتْ
لِوَاءِ صَحِيفَةِ الْمَنَارِ أَنْ ظَهَرَ فِي الشَّعْرِ لَوْنٌ دِينِي حَاصِلٌ يَهْدِي إِلَى تَبْيَانِ « مَزَايَا الْإِسْلَامِ » وَالدَّعْوَةِ
إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى تَشْرِيعَاتِهِ وَبُذُلِ التَّشْرِيعَاتِ الَّتِي قَدَفَ بِهَا إِلَيْنَا الْغُرَبَ .

وأمثلة هذا اللون كثيرة وسكتى بدكر شئ منها .

ولعل المرحوم أحمد شوق كان من أولئك الذين أسهموا في هذا الميدان بنصيب موفور فقد اشتملت قصيدة « ولد الهدى »^(١) على حوالى أربعين بيتاً عن خصائص الإسلام ومزاياه وقد رأينا عند ما تناولنا هذه القصيدة^(٢) بالتجليل كيف أنه أفاض في شرح وبيان ملك الخصائص والمواريث بين الإسلام وبين ما سبقه من تشريعات ثم ما جاء بعده . ولم يأت بحديد لم يسبق إليه الإسلام .

وكذلك في « نهج البردة » فإنه عرج على خصائص الشريعة الإسلامية وآثارها في تحوّل العرب من أمة متفرقة إلى أمة ذات مجد وقوة^(٣) . وهو في حديثه عن مزايا الشريعة الإسلامية يكرر دائماً المواراة بينها وبين التشريع الرومانى الذى دأبت شهرته في التاريخ الحديث حتى أن بعض كتاب الغرب راح يعزو بمص تشريعات الإسلام إلى الأصول الرومانية .. ويقول شوقى في ذلك :

دارُ الشرائع روما كلّها دُكرتْ دارُ السلام لها ألفتْ يَدَ السَّلمِ
ما ضارعتها بيانا عند مُلتأمٍ ولا حَكمتها قضاءً عند مُحتَمِ
ولا احتوتْ في طرازٍ من قياصرها على رشيدٍ ومأمونٍ ومُعتمِ

وهو في قصيدة ذكرى المولد^(٤) يورد أحياناً عن مزايا الإسلام يدين فيها سماحة تشريعه وشمول نظامه .

وقد رأينا في قصيدة « سلوا قلبي »^(٥) بقف في أبيات كثيرة موقف الواعظ ونكاد تلك الأبيات تكون ترجمة لمعانى بعض آيات القرآن الكريم إلى الشعر مثل قوله :

(١) . ١ - ص ٣٦ .

(٢) . ٢٣٠ ص .

(٣) . ص ٢٢٢ .

(٤) . ص ٢٢٦ .

(٥) . ص ٢٢٧ .

وَأَنْ الرِّحْلَ حَيْرٌ فِي حَيَاةٍ وَأَنْقَى مَعْدٍ صَاحِبُهُ ثَوَابًا
فهو في معنى قوله تعالى : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا
وأعظم أجراً .
وقوله :

أَرَادَ اللَّهُ بِالْفُقَرَاءِ رِجَالًا وَبِالْأَبْقَامِ حُمَاً وَارْتِنَامَا
فهو في معنى آيات كثيرة مثل : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وهو
عند ما يتحدث عن « الإسلام » في قصيدة « كبار الحوادث في وادي النيل »^(١) يشير إلى
فضل تشريعاته وقوتها وفصلها على ما سبقها :
تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ أُرْسِلَتْهَا اللَّهُ صِيَاءً يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
نَسَخَتْ سَمَةَ الْبَيْتِ وَالرَّسُلِ كَمَا يَنْسَحُ الصَّبَا الصَّبَا
وهكذا لو تتبعنا « شوق » في شعره الديني نجد ماها حق الفهم مرايا الإسلام
وتشريعاته ولكن ماذا كان يستطيع غير أن يصور ذلك في شعره ؟ ؟ .

* * *

وَأَلْجَدَ مَحْرَمٍ أَبْصَاً وَصَانِدَ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا لِلْوَنِ وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةُ بَعْمَوَانَ « حَكِيمُ اللَّهِ »
وهي قصيدة حامية ومطلعة^(٢) .

مَهْلًا بَنَى الْغُرَابِ قَدْ وَصَحَ الْهُدَى وَحَدُّوا الْحَقَائِقَ وَاسْدُوا الْأَوْهَامَا
ومنها :

نَاسَتْهُمُ بِالشُّورِ الْمُنِينَ وَحَسُنَا بِالذِّمَاتِ مِنَ الْكُتَابِ إِمَامَا
مَلَأَ الزَّمَانَ هُدًى وَاشْرَقَ حِكْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَرَحْمَةً وَسَلَامًا
زَلَّ الْأَمِينُ بِهِ فَكَانَ حَكِيمُهُ اللَّهُ عَمْدًا يَلِينَا وَدِيمَامَا

(١) ص ٣ من الديوان ج ١ .

(٢) من مخطوط طرف الأستاذ ابرااهيم بدمهور رقم ٢١

مُحَمَّدٌ لِأَحْمَدَ مَا يُنَالُ وَسُودَدُ يُعَيِّي الزَّمَانَ وَيُجِزُّ الْأَقْوَامَا
وَنَاهُ عِزًّا مَا يَحْصَى مَكِيَّهُ سَدْعًا وَلَا يَنْتَهِي الْمَدَامَا
اللَّهُ أَمَّنَ رُكْنَهُ وَأَحْلَاهُ رَكْنَا يَهْدِي الدَّهْرَ وَالْأَيَامَا
الح

ومن قصيدة أخرى بعنوان^(١) حولة في عالم الحق والحلال « ودعوة للإسلام وأمم
الحلال . ومطلعها :

يَا أَيُّهَا الْمُدَّعَى عِلْمُ الْأُمُورِ وَلَا عِلْمٌ لَدَيْهِ رَبِّ الرُّوحِ وَالْقَلَمِ
حَمَلْتُ أَفْصَلَ مَا أَرَادَ الْعَلِيمُ بِهِ وَأَخْشَى الْجَهْلَ الْجَادِقَ الْعَمِيمِ
ومها :

آيَاتُ رَبِّكَ فِي الْآفَاقِ بَيِّنَةٌ قَاطِرٌ إِلَيْهَا وَغُصَّ الطَّرَفُ وَاحْتَشَمَ
سِرُّ فِي سَمَاهَا وَرَدَّدَ فِي نِدَائِهَا تَحْوَى الْمَشُوقِ قَلْبَ حَاشِمٍ وَهَمَّ
تَنَامُ عَنْهَا وَمَا نَامَتْ مَحَاسِنُهَا لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ مَعْنَى الْحَسَنِ لَمْ تَهْمَرْ
تِلْكَ السَّمَاتُ تَحَلَّتْ فِي مَوَاقِفِهَا فَدَسِبَهُ التَّاجِرُ رَحْمَانِيَّةَ الْعَسَلِ
تَنَافَرَتْ حَوْلَهَا التَّيْجَانُ مِنْ دَهَبٍ وَرَاحَ يَمُوتُ بِالْأَعْلَامِ كُلُّ كَمَى
لَا تَرَأَتْ تَوَارَتْ كُلُّ رَائِمَةٍ فِيهَا وَقَامَتْ لَهَا الدُّبَا عَلَى قَدَمٍ
يَاسَادِرَا يَتَلَوَّى فِي مَسَالِكِهِ إِنْ كُنْتَ تَرَحُّو لِقَاءَ اللَّهِ فَاسْتَقِمْ
اللَّهُ حَقٌّ فَلَا تَعْرُزُكَ حَائِثَةٌ مِنْ الْوَسَاوِسِ وَاحْذَرْ مَوَاقِفَ النَّدَمِ
فِي عَمْرَةٍ يَنْحَامِي الْمَرُءُ صَاحِبَهُ فِيهَا وَيُسْكِرُهُ مَنْ كَانَ دَا رَحِمَ

ومن قصيدة بعنوان « شُدُّوا عِزَّ الدِّينِ »^(٢) مطلعها :

(١) رقم ٢٧ من المخطوط المذكور

(٢) رقم ١ من المخطوط وقد نشرت بالفكر العدد سبتمبر ١٩١٩

يا منزلَ الوحي تَهْدِي الحَارِينَ بهِ إلى السَّبِيلِ وَتُخْبِي صَالِحَ السَّنَنِ
أَرْلُ عَلَى قَلْبِي مَا شِئْتَ مِنْ حِكْمٍ تَمْحُو الْجَهَالََةَ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ وَطَنِي
قُلْ لِلشُّعُوبِ إِذَا أَحْلَاقُهَا وَهَنْتْ وَرَاعَهَا طَائِفُ الْأَوْزَارِ وَالْحَنَنِ :
شَدُّوا عُرَا الدِّينِ فَالْأَخْلَاقُ يَا حَذُّهَا مَا كَانَ مِنْ قُوَّةٍ بِالْدينِ أَوْ وَهْنِ
أَهَابَ بِالشُّعْرِ إِذْ مَالَتْ بِهِ سِنَةٌ سَارٍ مِنَ الذِّكْرِ يُشْجِي طَائِفَ الْوَسَنِ

* * *

ارْغَبْ إِلَى اللَّهِ فِيهَا أَنْتَ طَالِبُهُ وَبِالصَّلَاةِ وَآيِ الذِّكْرِ فَاسْتَعِنْ
تَنْكَبَ النَّاسُ سُبُلَ الْحَقِّ مِنْ سَقَمِهِ وَمَا أَرَى الْحَقَّ إِلَّا وَاضِحَ السَّنَنِ

* * *

وَمِنْ قَعِيدَةٍ بِعَنْوَانِ « مَعْنَى الْحَيَاةِ فِي الْحَرْبِ الْعَظْمَى » مَطْلَعُهَا (١) :
أَرَى الْأَرْضَ تَرْجُفُ بِالْمَالِينِ وَيَسْبَحُ سَكَاةُهَا فِي الدَّمِّ

* * *

وَلَوْ عَرَفَ الْقَوْمُ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَمَا يُرَادُّ مِنَ الْمُسْلِمِ
لَهَبُّوا سِرَاعًا إِلَى الْعَمَالَاتِ وَسَارُوا عَلَى السَّنَنِ الْأَنُومِ
وَشَدُّوا عُرَا الدِّينِ وَاسْتَمْسَكُوا مِنَ اللَّهِ بِالسَّبَبِ الْحَكَمِ
تَوَلَّى الْقَوِيُّ بِحَقِّ الضَّعِيفِ وَجَارَ الْفَتَى عَلَى الْمُسْتَدِيرِ
وَمَنْ يَحْدُلِ اللَّهُ لَا يَنْتَصِرُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ لَا يُكْرَمُ
وَمَنْ لَا يُرِدُّ عِنْدَهُ عِصْمَةٌ إِذَا قَدَحَ انْخَطَبَ لَا يُنْصَرُ

* * *

وَلَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ خُطَابَ السَّبَكِيِّ (٢) مِنْ أَوَائِلِ الْعُلَمَاءِ الْأَزْهَرِيِّينَ الدِّينِ أَخَذُوا

(١) رقم ٢٢ من المخطوط .

(٢) راجع ص ٢٠٥ من هذا البحث .

على أنفسهم إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان ما فيها من مرايا . ومحاربة البدع التي فشت بين المسلمين ولم يكن محرد قوال بل إنه أنشأ جمعية صمت نجبة من مختلف الطبقات وكانت مفاهجها عملية أخذ الأعضاء بها أنفسهم يتجرون كل ما أثر عن الرسول من سنته العملية والقولية وبطاقةونها على أنفسهم ويحثون أنصارهم ومريديهم على الاستمسك بها .

وللشيخ محمود خطاب قصائد كثيرة تعتر من الشعر الديني ومنها تسعة عشر قصيدة مجموعة في مجلد صغير كلها في بيان فصل الاستمسك بالهدى السوى وأنه العلاج لما أصاب المسلمين من تدهور . ثم ذم المخالفين والبتدعين . . .

وأولى قصائد هذه المجموعة بعنوان (في الثناء على الله تعالى لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطلعا^(١) :

الحمدُ لله مُولى الخلق والسَّعَمِ وباءتِ الرِّقُ للأُطفالِ في الرَّحَمِ
ومنها :

لقد عَمِلْنَا عن الرحمنِ نارِئًا	وما شكرنا ربَّ الروحِ والقَلَمِ
ولو شكرنا بِطُولِ العُمُرِ ما بلغتْ	أَدَانَا عُسْرَ مَا لِلرَّبِّ مِنْ بِمَمِ
وتلك أفعالنا حاءتْ مُصرَحَةً	نَبَأَيْنَا عن رسولِ الرَّبِّ دى القَدَمِ
فقد أُنَا بِدينِ ما به حَرَجٌ	دينٌ قويمٌ تهذيبٌ لِدَى الشَّيْمِ
فلو وَقَعْنَا لَدَى الأحكامِ ما حَمَحَتْ	بنا مطايا الهوى في ساحةِ الشُّهَمِ
لكنْ حَمَلْنَا مَزايا الشرِّعِ وانعكستْ	أحوالنا مُذْ رأينا السَّورَ كالطَلَمِ
مُذْ جاءنا المصطفى يدعو إلى صَلَهِ	وقد قَطَعْنَا جبالَ الوُدِّ والرَّحَمِ
قد جاءنا المجتَبى يدهو لمرحمةٍ	وقد جَفَوْنَا كُنَّ القَلْبِ في قَتَمِ
فانظُرْ إلى الدينِ واشربْ مِنْ موارده	لتعرفَ الشَّرَّ في الأحكامِ والحِكمِ

(١) ص ٢ ويلاحظ أن هذه القصيدة على وزن وروى الردة ولكن تخالفها في الموضع .

تَحِيدُ لَهَا حِمْلَ الصَّنْعِ أَخْرَجْنَا مِنْ وَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْآثَامِ وَالنِّقَمِ
وَكَمْ حَوَى الدِّينُ عَنْ فِرْصٍ وَمِنْ سِنٍ فِيهَا حِمَالٌ وَفَضْلٌ غَيْرُ مُكْتَنَمٍ
هَذِي دِيَانَتُنَا يَا فُسُّ فَاجْتَهْدِي وَاسْتَمْسِكِي عِمَّتَيْنِ غَيْرِ مُنْفَعِمِ

والقصيدة الثانية في « مدح الماملين بالشرع » ومطالهما ^(١) :

لِلَّهِ دَرُّ رِجَالٍ فِي الدَّجَى سَمَّـرُوا وَرَأَقُوا إِلَهَ إِنْ هَمَّشُوا وَإِنْ عَزَمُوا
وَمِنْهَا : فِي وَصْفِ الْمَامِلِينَ بِالسُّنَّةِ وَالْمُخَالِفِينَ لَهَا :

فَالسُّ صِنْفَانِ إِنْ حَاوَلْتَ مَعْرِفَةَ صِنْفٍ نَقِيٍّ وَصِنْفٍ ضَلَّ سَمْعِهِمْ
أَمَّا النَّقِيُّ النَّقِيُّ فَهُوَ نَفْسُهُ مَعَالِمُ الشَّرْعِ لَا مَالٌ وَلَا حَادِمٌ
خَلِيَّةُ الدِّينِ سِيَامٌ وَدَيْدُهُمْ فَإِنَّهُمْ بِصِفَاتِ الْمُصْطَفَى اتَّسَمُوا
وَحَذَّ صِمَاتِ الدِّيِّ إِصْلَتْ مَذَاهِبُهُ وَسَاءُ صُنْعًا وَلَمْ تَرَسَّحْ لَهُ قَدَمٌ
وَحَارَبَ اللَّهُ حَمَرًا وَاسْتَطَالَ عَلَى شَرَعِ الرِّسُولِ الدِّيِّ دَابَتْ لَهُ الْأُمَمُ
وَكُلُّ قَلْبٍ حَلَا مِنْ نَوْرِ مِلَّتِنَا لَا غَرَوَ أَنْ رَأَقَهُ الطَّاعَوْتُ وَالصَّيِّمُ
وَأَيُّ عَيْنٍ كَامَتْ عَنْ شَرِيعَتِنَا يُقْبِحُ الدُّورَ فِي إِنْصَانِهَا الْقَمِ
يَا قَوْمُ . فَلَسَى عَلَى الْإِسْلَامِ مُعْطَرٌ مُدَّ أَصْحَاحُ الدِّينِ فِي الْأَرْجَاءِ يَهْرُمُ
قَلَا أَهْلُوهُ وَاعْتَاَصُوا بِهِ بَدْعَا وَكُلُّ رُكْنٍ يَدَامِنْ دِينِهِمْ هَدَمُوا
أَبْنَ الْأَيِّ جَاهَدُوا فِي نَصْرِ مِلَّتِهِمْ وَحَصَّنُوهَا فَلَمْ تُهْتَكْ لَهَا حُرْمُ

الخ . . .

والقصيدة الثالثة من هذه المجموعة ^(٢) في الحث على السنة ودم المرتد عنها والتنفير

(١) ص ٧

(٢) ص

من البدعة ولكن يظهر فيها أثر الصنعة والتكلف اللفظي لأنه يحتم كل بيت منها بلفظ واحد هو لفظ « محمد » ويقول في أولها :

صَلَاةُ اللَّهِ أَهْدِيهَا دَوَامًا وَبَقِيَّتُهَا السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ

نَبِيِّ قَدْ أَتَى وَالْكَفَرُ يَنْمُو هَهُنَا صَرْحُهُ الْهَادِي مُحَمَّد

وله أيضاً قصيدة بوية كبرى بمنون : النصيحة البوية^(١) وقد وصف فيها أكثر البدع الشائعة وتحدى الروحين لها أن يأتوا بدليل صحتها ثم رمى على العلماء سكوتهم ونهاوهم وفيها وصف دقيق لما يدور بين الخلق ورب المزة يوم القيامة وهو يلخص في هذه القصيدة ما جاء عن وصف القيامة وهول الحساب في القرآن الكريم والأحداث البوية الشريفة ومطلعها :

سِرُّ الْحَلَالِ مَعَ الْجَمَالِ سَقَانِي وَالرَّشَى وَأَيَّ رَوْضَةِ الدُّبَانِ

ومنها في وصف حلقات الذكر على الطريقة التي كانت شائعة إلى وقت إرشادها .

كَلْ حَاءٍ فِي الْقُرْآنِ تَجَوَّرُ لِيَنْ دَكَّرَ الْإِلَٰهَ النَّهْقَ مِثْلَ أَنَانِ ؟

أَوْ يَهْدِرْنَ هَذَرَ الطَّيُورِ وَيَصْهَلْنَ مِثْلَ الْحَيُولِ السَّاقَاتِ شَنَانِ

أَوْ يَسْجُنُ نَبْجَ الْكَلَالِ وَرَفْصَنَ رَفْصَ السَّاءِ الْمَاهِرَاتِ لِرَانِ

أَوْ يَسْجُرْنَ مَحْرَ التَّبُوسِ وَيَنْعُرْنَ نَعْرَ الْحُوسِ الطَّالِبَاتِ لِمَانِ

وهكذا يسير في وصف ما يعمل في الآتم وإمساك المسامح وشرب الدخان إلى غير ذلك

ولكن في فسوة وعنف ولعل بشاعة تلك البدع ورسوخها في أدمس الناس اقتضت منه تلك

القسوة في التصوير ثم يحتم القصيدة بقوله :

هَذَا بَطَامُ رِسَالَةٍ مُؤَسَّوْمَةٍ مَدْبُوعَةٍ وَرَقِيْعَةٍ الْإِتْقَانِ

وَسَدَّ قَالَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ حَطَابُ السَّبْكِيِّ فِي السِّلْدَانِ

عَمَرَ الْإِلَٰهَ لَهُ وَكُلُّ مُوَحِّدٍ وَحْتَانِهِمْ حَسَنٌ مَعَ الرَّصَوَانِ

تَمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُمِيزِ مُحَمَّدٍ وَالْآلِ وَلِأَصْحَابِ كُلِّ أَوَانِ

(١) قيات في سنة ١٣١٤ هـ لأنه جاء بعدها بقرينة شعرى بهذا التاريخ للشع محمد عبد الفتاح

النبواني من علماء الأزهر وفي حتامها :

لك الشروع أني بالدعاء مؤرخا * (لحيا جرائك الله يا مركز الزهد) ١٣١٤

وهذه البوية من ثمانية أبيات ومائتين ومطوعة مستقلة — الطبعة الثانية ١٣٤١

الفصل الثالث

دراسات فنية

درسنا في الفصل الثالث من الباب الأول أثر العوامل الدينية^(١) في الشعر المصري الحديث في فترة معينة من الزمن تبدأ من مطلع عصرنا الحديث في أوائل القرن التاسع عشر وتنتهي عند الثورة العربية .

ولقد رأينا أن تلك الفترة كانت تالية لمصر الصعف والركود الذي حيم على الدين واللغة والأدب أيام حكم الأتراك العثمانيين والماليك وتكاد تكون في مجموعها امتدادا له .
« وفي الانتقال من دور الركود والجود في الشعر إلى دور النهضة والإجادة أربع مراحل أو أربع درجات متواليات .

أولها : دور التقليد الضعيف أو التقليد للتقليد .

وثانيها : دور التقليد المحكم أو التقليد الذي للمقلد فيه شيء من الفصل وشيء من القدرة .

وثالثها : الانتكار الناشئ من الشعور بالحرية القومية .

ورابعها : الانتكار الناشئ من استقلال الشخصية أو من شعور المرء بالحرية الفردية .
ولكن الفصل بين هذه الأدوار بالحدود الحاسمة التي تمنع الاختلاط بينها أمر جد عسير ، لأن الفواصل الحاسمة إنما تكون في الأنحاء المادية ، أما الأنحاء النفسية فليس من شأنها أن تنفصل^(٢) » .

(١) ص ١٤٤ — ١٦٢ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ص ١٢ طعة ١٩٥٠ .

و بقياس دراستنا للشعر الدينى على هذه الأدوار نجد أن الدور الأول يتمشى فى مجموعته مع الفترة الأولى^(١) من تلك الدراسة .

وأن الدورين الثانى والثالث يتمشىان مع الفترة الثانية^(٢) . أما الدور الأخير فيتمشى مع الفترة الأخيرة من العصر الحديث^(٣) .

وستتناول دراستنا الفنية للشعر الدينى فى الفترة الثانية الأمور الآتية :

١ — الموضوعات والأعراض من حيث تنوعها وما استجد فيها واتجاهات الشعراء -

٢ — مدى التحرر من المحاكاة وظهور النزعة الاستقلالية عند الشعراء ، وأثر الدين فى التخلص من قيود المديح .

٣ — الظواهر الأدبية فى ذلك الشعر من ناحية العاطفة الأدبية ومدى الاقتناس من مواد الثقافة الإسلامية .

٤ — منزلة هذا الشعر فى عالم الأدب ومدى إمكان انتماعنا به .

١ — الموضوعات والأعراض

من الطبعى ، وقد اردادت العوامل الأدبية وتنوعت ، ألا تقف موضوعات الشعر الأدبى وأعراضه محدودة صيقة كما كانت فى الفترة الأولى .

ومظهر اتساع الأعراض وتنوع الموضوعات يشمل أمرين :

أولهما : ظهور أغراض جديدة اقتضتها الظروف وكانت أصداء لحوادث معينة كحداثة التوفيق بين المسلمين والأقباط والتحذير من فتنة المستعمرين وكالأنين على الخلافة الإسلامية التى أصبحت هى وممتلكاتها الواسعة هدفا لضربات الأوروبيين وكالمركبة بين السعور والحجاب . . .

وثانيهما : التوسم فى أعراض كانت محدودة ، كالمدائح النبوية ، إبداع الاهتمام بحياة

(١) ١٧٩٨ — ١٨٨٢ .

(٢) ١٨٨٢ — ١٩١٩ .

(٣) ١٩١٩ — ١٩٥٥ — وستكون دراسها فى بحث آخر عبر هذا البحث .

الكفاح والجهاد والنزوات . . ثم بيان مزايا الإسلام وحصائصه والاهتمام بما فيه من بطولة وبما يدعو إليه من كرامة ... بعد أن كانت تلك الدانخ قاصرة في مجموعها على العناية بالقسم الأول من حياة الرسول الكريم من حيث نشأته وتربيته وما جرى له من حوارق الأمور . وكذلك الحال في قصائد الهجرة إذ أصبحت تشيد بما في هذا الحادث من بطولة ونوضح ما فيه من عبر .. ثم تشير إلى بقية الأمم الإسلامية وتذكرها بما صي مجدها ... بعد أن كانت أمثال تلك القصائد وسائل لمدح الحكام ...

* * *

١ - فقد رأينا عند الحديث عن العوامل الدينية أن من وسائل تثبيت أقدام الاحتمار شن الفارة على الإسلام^(١) في صور مختلفة ثم رأينا أصداء ذلك في الشعر^(٢) . فالقصائد العديدة التي أشئت في التأليف بين عنصري^(٣) الأمة ولا سيما في سنة ١٩١٩ تتمر موصوعا جديدا بالنسبة لموصوعات الفترة الأولى قد مهدت لظهوره ظروف لم توجد هناك .

وكذلك القصائد التي أشئت في الرد على هاوتو وكرومر وغيرهما من وحموا مطاعن للإسلام لم يكن لها بطائر في الفترة الأولى .

ومن الغريب أن حافظ إبراهيم - على كثرة شعره في السياسيات - لم يرج على الخلاف بين المسلمين والأمباط إذ لم يجد له شيئا في الديوان عن ذلك على الرغم من أن الظروف كانت في حاجة إلى مثل هذا اللون من الشعر . اللهم إلا في أبيات صمن قصيدة مدح بها الحديو عباسا (ح ١ ص ٢٩١) .

كذلك لم نجد عند عبد المطلب إلا قصيدة واحدة أنشأها في سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الثورة في مناسبة عيد النيروز وأخذ منها وسيلة للدعوة إلى الوحدة والتحديد من دسائس المستعمرين^(٤) .

(١) ص ١٨٦ - ١٩٨ .

(٢) ٢٥٦ - ٢٧٣ .

(٣) ٢٦٥ - ٢٧٣ .

(٤) ص ٢٧٠ .

أما شوقي فقد كال متبها لهذا الموضوع وله فيه قصيدتان في رثاء بطرس غالى^(١) ثم قصيدة في حفل تكريم واصف بطرس غالى ولـكـفـه في أثناء ثورة ١٩١٩ لم يكن قد عاد من منفاه فلم يقل شيئاً في تلك المناسبة ولعله كان مشغولاً بقضية الوطن الإسلامى الكبرى إذ أنشأ في منفاه أرجوزة العرب والأندلسية وغيرها .

ومن الذين اتجهوا للإكثار في هذا الموضوع المرحوم محمد عبد الرارق^(٢) إذ أنشأ في سنة ١٩١٩ عدة قصائد حذر فيها أصحاب الأهرام من اتساع هوة الخلاف وماشدهم أن يعملوا على حسمه وسجل فيها المؤتمرات التى كانت تعقد في الأزهر من المسلمين والأقباط ثم الزيارات التى تمت بين شيخ الإسلام والبطريرك وغير ذلك من تلك المظاهر .

ومن الموضوعات التى استجذبت ولم تكن لها نظائر في العترة الأولى تلك القصائد التى كانت صدى للممركة بين السفور والحجاب ، ولقد كان شوقي من أكثر المهتمين بها^(٣) . ومنها كذلك تلك القصائد التى أنشئت صدى لحوادث العالم الإسلامى كالدى رأينا عند عبد المطلب^(٤) وحافظ^(٥) ومحرم^(٦) .

وعبر هؤلاء كثيرون .

٢ - وأما الموضوعات التى كانت لها نظائر في العترة الأولى ولـكـنـها اتسمت وزبدت بحكم الظروف والتطورات فكثيرة .

فالدائح النبوية مثلاً كانت في الغالب الأعم مقصورة على مقدمة عزلية ثم وصف لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام الأولى دون عناية بذكر الجهاد والغزو .. كما أنها كانت مسرحاً لإظهار البراعة اللغوية المتناسبة مع ذلك الرمان .

(١) ص ٢٦٥ .

(٢) ص ٢٦٨ .

(٣) ص ٣٢٣ .

(٤) ص ٣٠١ .

(٥) ص ٣٠٣ .

(٦) ص ٣٠٦ .

ويكفي أن نوارن بين مدائح شوق النبوية^(١) وما تضمنته من بيان أسرار الإسلام وما فيه من تصحيات وما في تشريعاته من سمو ... وبين مدائح السيد على الدرويش^(٢) أو مدائح السيد أبي النصر مثلاً^(٣) حيث قد نرى اهتمام شوق بصميم الموضوع في حين أن سابقه قد اكتفوا بالقشور .

وكذلك موضوعات الهجرة فقد كانت وسائل تنمّز لإظهار الملئق في تلك المناسبة لمذبح الحكام والزاني لهم دون الإشادة بموضع الهجرة ذاته^(٤) .

ويكفي أن نوارن بين قصيدة السيد أبي النصر^(٥) مثلاً وبين قصيدة حافظ التي أنشأها في عام ١٣٢٧ حينما أررت الظروف المأمة أهمية هذا اليوم^(٦) أو بين قصيدة حافظ هذه وبين سابقة التي أنشأها^(٧) في عام ١٩٠٤ عارياً نهج سالفه في الفترة الأولى من اتحاد هذه المأساة للمذبح وطلب الحاحات من الحكام ومطلعيها :

قصرتُ عليك العمرَ وهو قصيرُ وغالمتُ فيك الشوقَ وهو قديرُ^(٨)

وهكذا لو تتبعنا مدائح الخلفاء ، فقد كانت في الفترة الأولى^(٩) قليلة ولا تتضمن إلا إشارات عارة عن رابطة الدين أمامه ذلك فقد أصبحت ميداناً يتبارى فيه الشعراء ويكثرون من الإنشاء لأن الخلافة هنا أصبحت في حاجة إلى المساندة والتأييد ورد هجمات خصومها ثم توجّه الخلفاء إلى أمثل السمل .

وقد بدا عامل الدين في كل ما أنشئ للخلفاء هنا واضحاً قوياً لأن معاول أعداء

(١) ص ٢٢١ .

(٢) ص ٨٥ — ٩٠ .

(٣) ص ٩٤ — ٩٧ .

(٤) ص ١٢٦ .

(٥) ص ١٢٧ .

(٦) ص ٢٥٠ ومطلعيها :

أطل على الأكوان والخلق بظر * هلال رآه السامعون فكروا

(٧) ص ٢٤٨ .

(٨) الصمير للحديدو عماس

(٩) ص ١٢٢ .

الحلابة التي وحبوها إليها كانت في نفس الوقت معاول لمحاربة الإسلام والعمل على إضعاف شوكرته إء أن رابطة الدين كانت أقوى الروابط بين الأمم الإسلامية التي يمتز الحليفة رمزا لها ، وى قوتها وسيطرتها قوة للحلابة وتثبيت لأقدامها ومن ثم فقد مهد الأوروبيون لإضعاف رابطة الحلابة بإضعاف الروح الدينى أولا فى الشعوب الإسلامية بما اصطدموه لها من تشريعات ومناهج تعليم (١) ..

واقء كان شوق أكثر الشعراء المحاها نحو (٢) هءا الموضوع وقء رأبنا له فى تلك الفءرة وحءها أكثر من عشرين قصيدة .

واقء كان حافظ ومحرم وبسبم وعمء الحلبي المصرى وعبد المطلب من المكثري أيضا ولكن واحءا منهم أو من غيرهم من الدين نفنوا بالحلابة لم يملع شأو شوق أو بقاء به .

ويكى أن نوارن بين قصيدة السيد على الدرويش (٣) فى تهمة السلطان عبد الحميد بانتقال الحلابة إليه وبين أى من قصائد شوق (٤) أو حافظ (٥) أو محرم (٦) مثلا لرى كيف أثرت تطورات الأمور فى مركز الحلابة وصلة المسلمين بها

هءا ، ولقء كانت فى الفءرة الأولى بعض موضوعات راحة كثرة الانتشار ولكها تصاءلت فى فءرتما الثانية ولم يمد الشعراء بحملون بها ومن هءه الموضوعات : التوسل بالأولياء والصالحين (٧) فقء أءى انتشار الوعى الإسلامى إلى الانحاء إلى الله وحءه لأنه بيءه مقاليد الأمور جميعها

ولم يء هءا اللون إلا أمثلة قليلة منها قصيدة للشيوخ على أنى يوسف فى التوسل بالقطب السيد كمال الدين نأجيم ومطلعمها (٨) :

(١) ص ١٨٧ وما بعدها .

(٢) ص ٢٧٤ — ٢٨٥

(٣) ص ١٢٢

(٤) ص ٢٧٤

(٥) ص ٢٨٥ .

(٦) ص ٢٩٧

(٧) ص ١١٦ — ١٢٢

(٨) ص ٣٥ من ديوان سبم السجر طعة ١٣٠٤ الأولى — الطبعة الهبة .

يشير لدروة العليا كنفاً في ويمعنى الوصول لها رمانى
ومن ثم فلم يفرد له باباً خاصاً كما فعلنا هناك إذ كان للسيد على أى النصر وحده ثمانية
توسلات في ديوانه (١) .

ومن هذه الموضوعات : مدائح الأشراف (٢) ، ولعل هذا الانصراف راجع إلى انشغال
الأمّة في مجموعها بأحداث جسام صعبها عليها الاحتلال فلم تعد هناك المجالات التى كانت
تسمح للأشراف بالظهور كما كان من قبل .

ولم يحد هذا اللون أيضاً إلا أمثلة قليلة عند عبد المطلب ومن ذلك مرثيته لبعض أشراف
البيت النبوى الكريم ومطلعها (٣) :

أودى الشريبُ قمرٌ يا عتراتى كدأ تدوبُ حوى من الحسرات
ومن ثم فلم يفرد له باباً خاصاً كذلك .

٣ - مدى التحرر من المحاكاة

الشعر الدينى في رمن ما حزه من مجموع شعر ذلك الرمن ، وطبيعى أن يأخذ سمة
الشعر العامة .

والمظهر العام للشعر المصرى قبل البارودى كان قوامه المحاكاة ولكن محاكاة الشعراء
المولعين بالمحسنات اللفظية والبديمية الذين عاشوا في عصور الممانيين والمماليك .

ولما ظهر البارودى ، وأحيا ما أحيا من صور شعر العجول جاهليين وإسلاميين ..
وبعد أن أحدث الأنظار تتجه إلى إحياء أجداد الإسلام وإظهار تراث الأمّة العربية ...
وبعد أن ظهرت جهود محمد عبده في إصلاح الكتابة وتخليصها من الترام طريقة القاضى
الفاضل . ثم بعد أن ازداد اتصال مصر بأوروبا وكثرت المعوث والترجمة إلى العربية

(١) ص ١٢٠ .

(٢) ص ١٠٩ - ١١٦ .

(٣) ٣١٥ من الديوان .

من لغات أجنبية ذات أساليب مغايرة لأساليبنا .. بعد كل هذا ومن حوالى مطلع القرن العشرين أحد شعمرنا يتجه وجهة التحرر ، ولكن الشعراء لم ينتقلوا إلى « الاستقلالية » المطلقة ومن ثم كان التحديد عندنا عبارة عن تغيير الصور والأساليب مع بقاء جوهر الموضوعات والأفكار والانتقال من العناية بمحاكاة ابن سناء والهياك رهير والدوصيرى والدرعى إلى العناية بمحاكاة امرئ القيس وحسان والعباسى الأحنف وغيرهم وكان أكر الفصل فى ذلك الاتجاه إلى المارودى

ولقد كان « عامل الدس » من العوامل التى كانت لها آثارها فى نهضة الأدب فى مصرنا لأن الرغبة فى إحياء الإسلام اقتضت السعى وراء سلامة لغة القرآن حتى تكون شبهة عما كانت عليه أيام قوة الإسلام الأولى .

ومن ثم فقد « سلم الشعر العربى فى مصر من سخافة التلفيقات اللفظية وركاكة الانتقال ثم أتحه إلى الفجولة والحالة مندبف وستين سنة على مقربة من العصر الذى حاشت فيه الحركة القومية وشنت الثورة العربية ، وبدأت فيه العقول والطوائع تعرف ظواهر الجود والإسفاف وإن لم تنته بحقائق النهضة وبواعث اليقظة السكاملة .

وكان فصل هذه السلامة يرجع إلى أمرين :

أحدهما أدبى قريب من الشعر والشعراء ، وهو سريان الشعر القديم — شعر الفحول المطبوعين المشهود لهم بالسقى والأستادبة بين أيدي المتأدين والقراء .

أما الآخر الذى أعان على تحديد المعجولة فى الشعر العربى عصر فهو دبنى يتصل بالأدب من طريق دائر ، ولكنه طريق ظاهر ، وقد استعاد من هذا الطريق أناس لم يستفيدوا من الدوق الأدبى المحص والمملكة العنية الخالصة ، إلبس للأدواق الأدبية والمسلكات العنية من الشيوع والنفاذ ما للعقيدة الدينية بين الخاصة والعامة والقارئ وغير القارئ .

وتفصيل ذلك كله أنه لما شاعت النهضة فى الشرق كله شاع معها الأسف بين المسلمين على ما أصابهم من الضعف والهزيمة بعد القوة والسيادة ، ثم شاع بينهم اليقين بالأمثل لهم ولا أمل فى تجديد سلطانهم ومنهمهم إلا بالرجوع إلى الإسلام فى أيامه الأولى أيام الجد والغلبة والقطرة السليمة الحالية من البدع والمحدثات وعوارض العصور الأخيرة وفصول

الأعاجم والمقتدين بهم من المستعربين والعرب المستعجمين .

فأصبح كل حديث متحلف عموماً لآثر الزائف والمقيدة المدحولة والعربية المشوبة ، وأصبح كل قديم قريب من الإسلام في صدره الأول عموماً للصحة والمثابة وعصمة قائله من الضعف والركاكة ، وعاد طلاب المعارف الدينية والامة القويمة إلى ما كان عليه حلفاء الدولة الأموية والعباسية ، حيث كانوا يطلبون لأنسابهم الفصاحة في المادية ويقرنون بين سلامة لغة القرآن وسلامة العربية على حالة المداوة ، حتى رأينا من علاة هذا المذهب في الحيل الماضى من كان يسجر بالمرى وأبناء عصره ، ويرجع باللغة المقيمة والفصاحة الشعرية إلى ما قبل ذلك بمصور

ومن هذه الوجهة سقطت المحسنات اللفظية والدع المتأخرة عند أناس لم يسقطوها من وجهة الدوق الأدنى والمثكة الممية ، ولا كان ميسراً لهم أن يسقطوها من وجهة الدوق والعن لو اعتمدوا عليها دون الاعتماد على العيرة الدينية والمعرفة المدوية .

وليس من شعراء هذه الفئة من يمثلها ويستمرق فيها كما مثلها واستفرق فيها الشيخ محمد عبد المطلب الشاعر المتمدى في لفظه وأعراض كلامه لأنه سلك إلى هذا المذهب من طريقين : طريق الأصل العربي ، وطريق الدشأة الدينية ، فلم يكن له منصرف عن مذهب المداوة إلى مذهب غيره (١) .

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا أن نلقى نظرة على ما سقناه من أمثلة للشعر الدينى في الفصل الثانى (٢) ليرى مدى تحرره من المحاكاة بالنسبة لشعر الفترة السابقة بالماب الأول (٣) من حيث :

الموصوعات وطاقم القصيدة والألفاظ والأساليب :

وقد رأينا أن شعراء الفترة الأولى وقفوا بموضوعاتهم عند الحدود التى رسمها أسلافهم

(١) شعراء مصر وبنائهم للمعاد س ٤٩ — ٥٢ . واقد كان احمد بحرم كذلك في أول ظهوره

سلك مسلك عبد المطلب وكان يلقب بالمدوى المثلث

(٢) ص ٢١٣

(٣) ص ٨٣

الأقربون فهمي لا تكاد تمدو المدايح النبوية ومدايح الأشراف والحكام والتوسل بالأولياء والصالحين ولم يحفظوا كثيراً تتطور الأمور ، ومن ثم فقد كانت الموصوعات سابقة محدودة^(١)

أما شعراء الفترة الثانية فلم يسيروا فيما سار فيه أسلافهم في العترة الأولى إلا بقدر^(٢) وقد استحدثوا من الموصوعات ما يتمشى والتطور الذي آلت إليه أمور المسلمين وتحاربوا مع كل حادث له مساس بالدين ولم يكتفوا بمجرد المحاكاة أو النسخ على منوال موصوعات سبقوا لها وحسب

* * *

ولم يعد الشعراء يحفلون في نظام القصيدة بتلك المقدمات المرلية الطويلة التي كانت تستغرق أحياناً ما يقرب^(٣) من نصف القصيدة ولا سيما في المدايح النبوية . فشوق بدأ الموضوع مباشرة في الهزمية^(٤) :

وُلد الهدى فالكائناتُ صيأُ وقمُ الرمانُ تسمُ وَسَمَاءُ

ويتفرغ في حوالى عشرين بيتاً من مطلع نهج الردة البالغة تسمين ومائة بيت^(٥) .

ربمُ على القاع بين البان والملم أحلُ سمك دمي في الأشهر الحرم
والشيخ عند الطلب لم يلترم ذلك في مدايح ، فيما نراه يتفرغ في ستة وعشرين بيتاً من مطلع قصيدته البالغة أربعة وخمسين بيتاً^(٦) :

أرى الميس حسرى ما بهن دماءُ فمدهنُ سلماً إهن ظماء

إدابه لا يعدو الخمسة الأبيات في مطلع ظل الردة البالغة ثلاثة وعشرين ومائة بيت : أغرى بك الشوق بعد الشيب والحرم سار طوى اليد من نحد إلى الحرم^(٧)

(١) راجع ص ١٤٤ .

(٢) المدايح السوية ثابتة في مختلف العصور

(٣) راجع قصيدة إبراهيم مرروق . ص ٩٣ وقصيدتي أبي النصر ص ٩٤ و ٩٦

(٤) ص ٢٢٩ .

(٥) ص ٢٢٢ .

(٦) و(٧) ص ٣١٧

وبدخل في المدح دون تنزل في مدحته التي مطلعها^(١) .
إليك أجلّ المرسلين مدائحُ توافيك ما غنى على الأيك صادق
وهكذا لو تتبعنا بقية الأعراس
مخافظ يبدأ قصيدته في الهجرة لعام ١٣٢٦ بقوله^(٢) :
أطلّ على الأكوان والخلق تنظرُ هلالُ رآه المسلمون وكرّوا
ويقول في مطلع قصيدة أخرى لعام ١٣٢٨^(٣) :
لى فيك حين بدا سنّاك وأشرفا أملٌ سألتُ الله أن يتحققا
وشوقى يقول في مطلع قصيدة الهجرة لعام ١٣٢٩^(٤) .
العامُ أقبل قم نحى هلالا كالنّاح في هام الوحود حلالا
وأحمد محرم يقول في مطلع قصيدته لعام ١٣٣٨^(٥) :
حيوا الهلال وحيوا أمة الليل واستقبلوا العيد عيد العصر والجبل
دون أن يعمدوا إلى ما كان يعمد إليه أسلافهم من مطالع .
وكذلك تخلصت قصائد الماسنات من ذكر التاريخ في البيت الأخير^(٦)

* * *

وعلى الرغم من أن الشعر قد انتقل من دور الصنعة اللغوية وقلت فيه المحسنات المتكلفة
نتيجة للعوامل التي أشرنا إليها فيما نلاحظ فيما درسناه من نماذج ناحيتين ؛
فأما أولاهما ، فهي ظهور الأنماط الحرة الرصيبة التي تمثل حياة المادية في أرز صورها
وتعد عريضة بالنسبة لما

(١) س ٢١٧

(٢) س ٢٥٠

(٣) س ٢٥٢

(٤) س ٢٥٣

(٥) س ٢٥٤

(٦) س ١٥٨

وطبيعى أن تحيا مثل هذه الألفاظ وتأخذ مكانها فى لون من الشعر ترتبط أغراضه فى مجموعها بالإشادة بمجد الإسلام والأبين على ماضى المسلمين واسترواح ذلك كله فى ذكريات المروبة التى نشأ الإسلام فى ظلها والبقاع التى انشق منها نوره هداية للعالمين .

وأكثر ما نجد ذلك عند عبد الطالب :

فى قصيدته « دعوة مرتد » نجد مثل افطى : موشع ومهبع ^(١) .

ودوبك قولاً لا عمل استماعه عليه من الإخلاص ثوب موشع
وملتنا البيضاء هل ثمَّ غيرها هديت إلى دار السعادة — مهبع
وفى العلوية نجد كثيراً من هذا النوع مثل ^(٢) :

تنتجم انتحاما ، تلتدم التداما ، اردقاما ، الحاما .

وفى مطلع قصيدته عن « حرب البلقان » نحس أنك تسمع شعرا جاهليا :

صريف المنايا أم صليل الصوارم وليس الردى أم نعم تلك الملاحم ^(٣)
وهكذا .

وفى مطلع هج الردة لشوقي :

ريم على الماع بين الدان والعلم أحل سمك دمي فى الأشهر الحرم
تمقنا ألفاظ الشطر الأول إلى أحد أودبة بلاد العرب . ونقلنا ألفاظ الشطر الثانى
إلى لون من حياة الإسلام الأولى .

ومحاذ هذا نجد ألفاظا ليس فيها إلا صحة الاشتقاق وتمتع مع صحتها بانية فى لمة الشعر ومن ذلك :

(١) ص ٣٣٩

(٢) ص ٢٣٨

(٣) ص ٢٩٥

لعظ « جر » في مدحة السيد عبد اللطيف الصيرفي :

جرتُ من عزمهم سيفاً أحزُّه أوصال من أصلتُ فيهم كراسته
ولفظ « أحز » كذلك غير شعري

وفي ختام العمريّة لحافظ نجد لعظ « نائلة » بمعنى « سحابة شريفة » .

في كل واحدة منهم « نائلة » من الطبائع تنذو نفس واعيهما^(١)
وفوق أن هذا اللفظ غير شعري فإنه يحتمل معنى ضاربة النبل وهو لا يتفق
وسياق البيت .

وعبد الحلم المصري يذكر لعظ « حائط » في البكورية^(٢) :

وما الحقُّ إلا حائطٌ بين قوة وضعف . وليس المدلُّ إلا تقاضيا
وهو غير دقيق في تصوير المعنى المقصود .

وهكذا إلا أن ذلك وأمثاله من أمثالات بعض الألفاظ لا يسيط قيمة الشعر الذي
مر بنا لأنه لم يبلغ عند أي من الشعراء الذين ذكرناهم إلى درجة الإسفاف

* * *

وأما الحاجة الأخرى فهي وجود محسنات بدعية يبدو عليها أحيانا أثر التكاف
- رغم التخلص من عصر المدبح - ولكنها قليلة لم تبلغ درجة الإخلال بالاستجمام
ولعل ذلك راحم إلى قرب العهد بمدرسة الدرويش والساعاتي .

ومن هذا ما محده في شعر عبد المطاب من الطماق مثل :

مدائحٌ يهديها امرؤُ عراته على ماضي منه غواد رواغ^(٣)
والجناس مثل :

(١) ص ٢٣٤

(٢) ص ٢٣٧

(٣) ص ٢١٩

وَبَرِّمْ فِي طَى السَّيِّمِ لَطِيْمَةً حَوَانِجٌ نَمَسَ أَنْقَلَتْهَا الْحَوَانِجُ^(١)
ومثل :

أَغْرَى بِكَ الشَّوْقُ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ سَارَ طَوَى الْبَيْدِ مِنْ نَحْدِ إِلَى الْهَرَمِ^(٢)
والاقتباس من قوله تعالى « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... »
مثل :

وَيُوزَنُ بِالْقِسْطِ لِلنَّاسِ كُلِّ مَا خَفَوْهُ فَرَحُوحٌ هُنَاكَ وَرَاحِحٌ^(٣)
ولم يسلم شعر شوقي من تلك المحسنات ولكنه ظهر بكثرة في أرحورة العرب السكرية
كالجناس في قوله :

فِي الدَّهْرِ لَمْ تَصْنَعْ قِيُونَ الْهِنْدِ وَلَمْ يَسْلُ الشَّرْقُ كَابِنَ هِنْدِ^(٤)
وتضمن أسماء سور القرآن الكريم مثل :

يَصْعَدُ مِثْلَ (النجم) فِيهَا مَوْفَا وَيَنْزِلُ (الكهف) فِيهَا مُسْتَخْفِيَا
عَالِجٌ فِي (المارج) (الإسراء) وَبَدَلُ (الطور) ارْتَقَى حَرَاءَ
وهكذا ..

والطباق عند حافظ في مثل قوله .

مَضَى رَمَنَ التَّنْوِيمِ يَا مَعْرَ وَأَنْقَضَى فِي مَعْرَ أَبْقَاظٌ عَلَى مَعْرَ نَسْهَرُ^(٥)
وقوله :

وَيَا عَرَبُ : إِنْ الدَّهْرَ يَطْعُو نَآهْلَهُ وَيَطْوِيهِ نَيَارُ الْقَصَاءِ هِيرَسَبُ^(٦)

(١) ص ٢١٧

(٢) ص ٢١٨

(٣) ص ٢١٧

(٤) ص ٢٤٣

(٥) ص ٢٥١

(٦) ص ٢٨٧

وهكذا لو تنمنا بقية القصائد .

وعد احتفت الأخطاء النحوية التي مرت بنا في الفصل الأول وذلك صدى للمث
العام لروح الفصحى في التفكير والكتابة والشعر وإن وحده من ذلك فقليل يمكن أن
تلمس له الخارج ولم نر داعياً لثمنه .

* * *

ومن الطبيعي أن تختلف الأساليب باختلاف منزع الشاعر وتأثره بمن يهوى من
شخصيات سالفه إذ أن الشعراء في مرحلتنا هذه لم يصلوا إلى مرتبة من التحرر تخلق
منهم مدارس متميزة متفكرة^(١)

ومن ثم فقد كانت أساليب ما سبقه من أمثلة للشعر الديني متأثرة في مجموعها بأساليب
الأقدمين مع بعض الاختلاف الذي ينشأ عادة من اختلاف الثقافة من عصر إلى عصر .

فالشيخ عند المطلب مثلاً كان متأثراً أشد التأثير بشعراء المادية ومن ثم فقد كان متميزاً
بين معاصريه من الشعراء بهذه الخاصية .. ومحمد أثر محاكاة حافظ للشعراء العباسيين من
حيث الأسلوب وطريقة المظم في قصيدته عن الانقلاب العثماني ووصف بكية عند الحميد
وتولية محمد رشاد التي مطلعها^(٢) :

أحل هذه أعلامه ومواكبه هنيئاً لهم فليسحب الدليل سراحه

فهو يحاكي أسلوب إبراهيم بن إسحاق الصابي في قصيدته التي قالها وهو في السجن
أيام المعتصم البويهى يمزى نفسه . ومطلعها^(٣) .

يعيرى بالחס من لو يحله حلوى طالت واشمخرت مراكمه

وشوق يسج نهج البردة على أسلوب الموصيري وأرجوزة العرب على أسلوب الشعر
العلمي الذي شاع في أواخر العصر العباسي .

(١) وقد بدأ البارودي فكرة التحرر وأوشك شوق أن يكون مدرسة حديثة مستقلة أما التبرير

فقد ظهر فيما بعد سنة ١٩٢٠

(٢) ٢ ص ٤٨

(٣) توفي سنة ٣٨٤ هـ

وقد ظهرت آثار الثقافة الحديثة في بعض ذلك الشعر فأثر الفلسفة والمنطق وأصبح في « الإلهيات » عند إسماعيل صبرى^(١) .

وعند سوقى تحدا الأفكار المرتبة للتسلسلة^(٢) .

أما أساليب العقهاء فقد ظهرت في شعر العلماء مثل السيد خليل^(٣) والسيد رشيد رضا^(٤) والشيخ خطاط السمكى^(٥) .

وأما مخاكة شعراء الفترة الأولى التي كانت تعد امتدادا للعصر العثماني في مجموعها فقد بقيت آثارها إلى أوائل الفترة الثانية وظهرت في شعر النشار^(٦) والسيد عبد اللطيف الصيرفي الذي حاكى أسلوب الرعي وحمّس الردة^(٧)

٣ — الظواهر الدينية في ذلك الشعر

سندناول تلك الظواهر من حيث :

(١) العاطفة الدينية (ب) مدى الاقتباس من مواد الثقافة الإسلامية مثل :

القرآن الكريم . والسيرة النبوية . والتاريخ الإسلامي وما في الإسلام من مزايا . والعقائد والتوحيد والعقائد الشائعة .

١ — لقد تميزت الظروف هنا عن زمن الفترة الأولى من وجوه كثيرة .

هجيش الاحتلال حاثم على صدر البلاد ، وتصريف الشئون العليا في يد الإنجليز

(١) ص ٣٤٦

(٢) راجع الهضبة وهج الردة ٢٢١ — ٢٣١

(٣) ص ٣٤٢

(٤) ص ٢٤٤

(٥) ص ٢٥٢

(٦) ص ٢١٥

(٧) ص ٢١٦

وهم غير مسلمين بل كانوا يضمرون الشر لخلافة الإسلام ومن ثم فلم ينظر إليهم المصريون
بإحسانهم إلى الحماكم التركي الذي كانت الرابطة الإسلامية تخفف من وقع صغته
وحروته عليهم .

والخلافة^(١) أحدثت نتائجها القلائل الداخلية والخارجية من كل جانب ، وأوروبا تعمل
جاهدة في تقليص ظل العالم الأحمر دى النجمة البيضاء .

والأسن الطامن على الإسلام أحدثت تندلع من كل جانب . من دعاة التحرر ومن علاة
المستعمرين ومما يبشر في صحف أوروبا ..

ومن ناحية أخرى قد أخذت صورة الإسلام الصافية الواضحة طريقها إلى الظهور
ثمرة لدعوة جمال الدين ومحمد عبده وجهود مجلة المنار .. ولكن السبل لم تسكن مهيمة لعودة
تلك الصورة حيداك فلم يبق إلا الأبين عليها والحنين لها ..

كل هذه العوامل وأمثالها كانت مدعاة لأبين كثير من الشعراء وبروز الماطفة الدينية
قوية واضحة في بعض شعرهم ولا سيما عندما كانت تقع أمور ذات مساس مباشر بالدين ..
كتصريحات هانوتو ثم كرومر وغمرات فرح أنطون^(٢) أو يحشى معها تفكك^(٣)
وحدة المسلمين وإضافهم كالمضربات التي كانت توجه إلى مركز الخلافة أو صياغ حرة
من رقعتها .

ومن ثم فلم ينصرف الشعراء الدين أنشؤا مدائح سوية إلى العبادة بالألفاظ أو الحديث
عن طفولة الرسول عليه الصلاة والسلام وتربيته بل بدا اهتمامهم بها في السيرة من
كفاح . لأن الماطفة الدينية دفعتهم إلى إررار تلك الصور القوية لتكون فيها ذكرى
وقدوة .

وليس تأجج الماطفة الدينية بدرحة واحدة عند الشعراء ولا عند الشاعر الواحد
في كل حين .

(١) من ١٧٨ وما بعدها

(٢) ١٨٦

(٣) من ١٨٣

وكلا كانت العوامل المثيرة لتلك العاطفة أقوى كانت الصورة المعبرة عن التجربة^(١) أوضح حتى لتبدو العمارة أو البيت أو بعض الأبيات كالرقعة الأرجوانية^(٢) في القصيدة ... وإذا مارحما إلى ما ذكرناه من نجاح في مجموع لم نجد ذلك النصح الذي رأيناه في شعر الفترة الأولى ، وبكى للرهنة على صدق ذلك أنه لم يسج في أوقات الفراغ أو للحرد الاستجابة « لشياطين الشعر » وإعـا كان استجابة لأصداء حوادث نفس العاطفة الدينية في الصميم أو تهدف لاستثارها

فإذا أحدها مثلاً قصيدة محمد النشار أو عبد اللطيف الصيرفي^(٣) من المدائح النبوية في أوائل مرتما هذه ووارثا بينها وبين أي من مدائح شوقي^(٤) النبوية وصح لما أثر الوعي الإسلامي عند شوقي لاحتلاف الظروف ولقدرة شوقي العائنة . ولننظر مثلاً قصائد المحررة عند حافظ على ضوء تلك العاطفة لمجد أولى تلك القصائد^(٥) حلوا من العاطفة الإسلامية أو الأنبي على ما أصاب أمم الخلافة لأنه كان فيها مجاراً لسالفه من انتهاز العرص الدينية للملق والاستجداء في حين أن القصيدتين الأخيرتين^(٦) عندما بهت الحوادث كوامن عاطفته كان فيهما المتألم على ررانا الأمم الإسلامية الراجي المصير والخير ...

وهكذا لو رحمننا إلى قصائد إظهار البطولة الإسلامية^(٧) واستعادة صور أبي بكر وعمر وعلى ثم تعجيد الحياة الإسلامية الأولى وقوة المسلمين وكذلك القصائد التي أنشئت للدفاع عن الإسلام ورد خصومه^(٨) أو للتأليب بين المسلمين والأقباط^(٩) ولا سيما

Experience (١)

(٢) هذا تعبير مشهور في الأدب الإخباري ويقصدون به العمارة اللامعة المتارة في المس (هامش

١٤١ من موائد النقد الأدبي) لأبركرومي

(٣) ص ٢١٥

(٤) ص ٢٢١

(٥) ص ٢٤٨

(٦) ص ٢٥٠ و ٢٥٢

(٧) ص ٢٣٣

(٨) ص ٣٥٦

(٩) مثلاً . شوقي يدهر فرصة تكريم واصف بطرس أو رثاء طرس عالي ويمرح على بني التعصب

عن الإسلام ويدعو المسيحيين إلى التأخي . ص ٢٦٥ .

في سنة ١٩١٩ لتفويت دسائس المستعمر لوحدها أن كل تلك الألوان من الشعر كانت صدى لثورة العاطفة الدينية أو على الأقل كان ظهور العاطفة الدينية في أحزاء من بعض تلك القصائد واضحا قويا .

راجع أيا ماشئت مما أشرنا إليه من قصائد تجد أن عامل الدين كان المثير الأول لإشادها أو أتم عامل فيها .

ب — مدى الاقتباس من مواد الثقافة الإسلامية

وليس ظهور المعارف الإسلامية بمقصود على الشعر دى الطابع الدينى ، لأن هذه المعارف لون من الثقافة العامة التى يتأثر بها إنتاج الشاعر جميعا بقدر ما إذا أحدها نصيب .

ولكن الشعر ذا الطابع الدينى أو المناسبة الدينية يكون أكثر تأثرا بهذه المعارف ، لأن الشاعر فيه يعيش في حو خاص يحمل تلك المعارف أكثر وثوبا إلى حير الفكر وأقرب تناولا .

والقرآن الكريم في مقدمة المعارف الإسلامية التى تأثر بها الشعر والشعراء لما يصفيه الاقتباس منه من نورانية خاصة على القول تتجه به دائما إلى السمو ..

وإذا كان الشعر بحاجة إلى الاقتباس من القرآن الكريم في مجموعته فإن الشعر الدينى أحوج إلى ذلك الاقتباس لأن بعض هذا الشعر يتجد وسيلة لإداعة أحكام وفصائل ومعان ومثل عليا وتوجيه لسياسة الأمم الإسلامية وحهز لهمها .. مما تصممه القرآن الكريم وأمثله ذلك فيما مر بما من نماذج كثيرة ، وقد رأينا عند المطلب في إحدى مدائحه السوية^(١) يقتبس من آيات كثيرة مثل قوله :

وَيُورَنُ بِالْقِسْطِ لِلْإِسْلاَمِ كُلِّ مَأْكُونُهُ فَرُوحُ هُنَاكَ وَرَاجِحُ

فهو من قوله تعالى : « واضع الموارين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان

مقال حمة من حردل أتينا بها ... »

وقوله في العلوية الأولى: (١).

إِنْ مَنْ يَتْلُو الْوَرَىٰ فِي « هَلْ أَنِي » مَدَحَهُ جَلَّ عَنْ الشَّعْرَ مَقَامًا
وقوله في العلوية الثانية :

إِذَا الرُّوحُ الْأَمِينُ د « قُمْ فَأَنْذِرْ » أَنِّي طَه لِنَنْذِرْهُمْ فَقَامًا
ومثل قول محرم في قصيدته : شدوا عرا الدين (٢).

ومن يحذل الله لا ينتصر ومن يهن الله لا يكرم
فهو من قوله تعالى « إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ بِمَصْرِكُمْ » وقوله تعالى « وَمَنْ يَهِنْ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ
مُكْرَمٍ » .

وقد رأينا كيف اقتبس شوقي أسماء كثير من السور في أرجوزة العرب الكرى (٣) .
ولم يكن الاقتباس من القرآن الكريم مقصورا على أحد الألفاظ والعمارات من الآيات
بل كثيرا ما يكون من المعاني والروح العامة للقرآن وأهدافه . ومثل هذا شائع في شعر شوقي
فهو لم يعتمد إلى المحسنات الالغمية كيفما كانت بل كان يوجه اهتمامه إلى العناية بالمعنى والتمتع
فيه ، فإذا قرأت مدائحه النبوية مثلا أحسست بالروح الإسلامي والحديث عن الاتحافات
الإسلامية في سياسة الأفراد والأمم ... دون تكلف لافتقار الالغ . انظر إلى قوله
في إحدى تلك المدائح: (٤)

نظامُ الدين والدنيا أُنِيجَ لَهُ يُتِمُّهُ
تطلّع في نساها على التوحيد بدعه
بشرع هام فيه لنا س هاشمه وأنجمه
كصور الصبح بينه وكالبيان محكمه

(١) ص ٢٣٧

(٢) ص ٣٥١

(٣) ص ٢٣٩

(٤) ص ٢٢٦

وقوله في نهج الردة: ^(١)

صلاحُ أمرِك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقيم
والنفسُ من خيرها في خير عافية والنفسُ من شرِّها في مَرْتَعٍ وخيم

* * *

إذا حفصتُ حناحَ الدُّلِّ أسأله عرَّ الشَّاعرةِ لم أسألِ سِوى أَمِّ ^(٢)
وراء هنا يقتبس اللفظ في تصرف جميل

* * *

فاز المليون بالآيات فابصرمتُ وحثننا بحكيمٍ عَيرٍ مُسْمر

السيرة النبوية

أمرنا عند الكلام على الدائع النبوية ^(٣) أن شعراء هذه الفترة قد اتجهوا إلى الاهتمام بما
في حياة الرسول من كرم وبرد ما يتعلق بسيرته في القسم الثاني من حياته : حياة الفتح
والغزو .. بخلاف ما كان عليه سالفوهم في الفترة الأولى من الاهتمام بحياته الأولى صلوات الله عليه وآله
حيث كانوا يسردون اسمه الشريف .. وطفولته والحوارق التي وقعت له حينذاك ...

وفي أول هذه الفترة كان بعض الشعراء يسبحون على منوال سالميهم كالذي رأيناه
في قصيدة محمد النشار ^(٤) من الاهتمام بالفرز في أول القصيدة إلى التوسل .. ثم قصيدة
عبد اللطيف الصيرفي ومحاكاة البرعي .. ونحميس الردة .. ولقد قلت تلك المظاهر فيما بعد .

وعمد المطلب في نهج الردة أو شك أن يكون كسابقه إلا أنه ذكر حديث الأنصار
وغررة بدر وما كان لها من مقدمات ونتائج ^(٥) .

(١) ج ١ ص ٢٣٧

(٢) الامم اليسير

(٣) ص ٢١٥

(٤) ص ٢١٥

(٥) ص ٢١٨

وفي إحدى مدائحه ^(١) الأخرى ذكر « بدرا » و « أحد » و « الخندق » وفتح مكة وما كان له من نتائج أيضا .

أما شوقي فقد بدا اهتمامه بمدائحه النبوية بإظهار ما في السيرة المطهرة من قوة وحيوية وما عادت به على العالم من رحمة وخير والدفاع عن رسالة الإسلام وإلقاء كل تنمية على تواكل المسلمين وجهل أكثرهم . ومع ذلك لم تحل تلك المدائح من بعض إشارات إلى ما في حياة الرسول الأولى من أمور إلا أنه لم يسرف كما أسرف سالفوه .

فهو في قصيدة « سلوا قلبي » ^(٢) يتعرض لدكر المولد الشريف في خمسة أبيات .

وفي « سهج الردة » ^(٣) لم يتعرض لوصف حادث المولد الشريف وإنما بدأ الحديث عن السيرة ممد بدء رحلة الرسول الكريم في طفولته إلى الشام ورؤية بحيرا له :

لما رآه نحيرا قال : نمرُهُ نَما حَفَظَنا مِنَ الأَسْماءِ والسُّمَمِ ^(٤)

ثم أحد بدكر تيمده في غار حراء وتظليل الغمامة ورى الصحابة يقليل الماء .. وروى الوحى ثم انتقل إلى الإسراء والهجرة .

دهو هنا وإن لم يتعرض لسرد عزوات الرسول . فقد تعرض لناحية هامة . لم يتجه إليها غيره من معاصريه في مدائحههم ألا وهي فكرة القتال والغزو في الإسلام ^(٥) وقد دررها ودكر مقتضياتها ودحض مزاعم من يعتبرون ذلك عيبا في الإسلام ...

وهذه ظاهرة عجيبة في حاسة شوقي الدينية فهو عند ما يطرق موضوعا يستقصيه ويؤيده بالحجج المنطقية والتاريخية وإن فاتته بعض عناصر الاستيفاء في قصيدة أدر كم في أخرى .

وفي الهمزية تعرض لدكر المولد وما صاحبه من حوارق ثم ذكر الإسراء في عشرة أبيات وبعد ذلك أجمل الحديث عن حروب الرسول ﷺ وشجاعته في عروته

(١) ص ٢٢٠

(٢) ص ٢٢٧ والديوان ج ١ ص ٧٣

(٣) ص ٢٢٢ وفي الديوان ج ١ ص ٢٣٦

(٤) الديوان ج ١ ص ٢٤

(٥) الديوان ج ١ ص ٢٤٢

ولعله لم يهتم — كغيره — بسرد أسماء الفزوات في تلك القصائد لأنه رأى أن الاهتمام بمعنى أن يركز حول إررار النتائج فالرسول قد كان المنقذ للعالم ثم بيان فصل القرآن ومزايا شريعته وقد عرج على ذلك في هذه المدائح جميعا . .

وقد تلمت في النماذج التي سقماها في فصل « إظهار البطولة الإسلامية » ^(١) بمص الشخصيات المطيعة في التاريخ الإسلامي كأبي بكر وعمر وعلي ، وقد رأينا الشعراء لم يهتموا في سرد تاريخ هؤلاء الأبطال إلا بما يتعلق بالحياة والبطولة والكفاح . . وما امتارت به تلك الشخصيات من سل وكرامة ولم يحمل الشعراء بذكر الأسباب والمولد والعشيرة . . وقد ذكرنا الطروف الموحية لشعرائنا بذلك .

وحافظ مثلا ^(٢) يتحدث أول ما يتحدث في العمريّة عن حادث مقتل عمر ثم ما أصاب الأمة بفعل الموالى . . ثم يأخذ في الحديث عن حياة عمر ابتداء من يوم إعلان إسلامه .
وعند الحلم المصري يبدأ سيرة أنى بكر في « البكرية » ^(٣) من حين ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام

وعند المطلب يبدأ في سرد سيرة على في « العلوية » ^(٤) من يوم أن أعلن إسلامه في صباه . .

وهكذا لو تنمنا قصائد محرم والرافعي وغيرهما .
أما شوقي فقد تناول في الأرحورة الكبرى ^(٥) سرد تاريخ الأمة الإسلامية من لدن ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الفاطمية بمصر وقد اهتم في هذه الأرحوزة سرد التاريخ الإسلامي بخلاف ما كان عليه في المدائح النبوية من الاهتمام بذكر مرابا الإسلام ولم يكتف في سرده بذكر ماتتاسم من دول بل تحدث عن الشخصيات الماررة في ذلك التاريخ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وعمر بن العاص وحالد بن الوليد والزبير بن العوام وأنى مسلم الحراساني والمنصور وعبد الرحمن الداخل — تحدث عن كل هؤلاء وغيرهم حديثا خاصا وأشار إلى أهم الحوادث كالحلاف بين على ومعاوية . . وكقيام الدولة العباسية .
ثم إنه قد تحدث عن الدولة الأيوبية وما بعدها في مصر إلى أيام عماس في قصيدة « كبار الحوادث في وادي النيل » .

ولقد سبق أن ذكرنا كيف ^(١) اتجه الشعراء إلى الإشادة بما في الإسلام من مرايا بدافع الوعي الإسلامي الذي بدأ بأحد سبيله من التمكن في القلوب .
وكان من أثر هذا الاتجاه أن ظهرت أوصاف القرآن الكريم وخصائص الإسلام .
رأينا في شعر شوقي ^(٢) وأحمد محرم ^(٣) ومحمود حطاب السميكي وغيرهم ^(٤) .

* * *

أما المعارف الفقهية فلمل أظهر ما كان منها هو مناسك الحج ... فشوى يذكر في قصيدته « إلى عرفات » ^(٥) « الباب » « والركن » و « رمزم » و « رحم أنليس » ... ولم يذكرها سرداً وإنما بترتيب مراولتها .

ثم يشير أيضاً إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مناسك الحج .

وكذلك يشير إلى بعض المناسك في قصيدة « وداع » التي ودع فيها الدكتور محجوب ثانت . ^(٦)

والشيخ محمد عبد المطلب يذكر في تهنئة الحديو عباس بمودته من الحج كذلك كثيراً من هذه المناسك ... ^(٧) .

تَسْمَعُ إِلَى الْحَرَمِ الْمُبِيعِ وَسَاحِقَاتِ	كِرَمِ الرِّفِيعِ وَمُنْتَهَى الْأَدَابِ
حَيْثُ الْقُبَابُ الْبَيْضُ مِنْ دَاكِ الْحَمَى	وَالْبَيْتُ دُو الْأَسْتَارِ وَالْتِرَابِ
لَهُ مُورِدُكَ الْمَنَاسِكَ لَا سَأَا	فِيهَا شَعَارُ الْمَنَاسِكَ الْأَوَّابِ
عَرَفَتِكَ فِي عَرَفَاتِ آيَاتِ الْهَدَى	وَجَرَتْ عَلَيْكَ مَوَاهِبُ الْوَهَابِ

(١) ص ٣٤٨

(٢) ص ٣٤٩

(٣) ص ٣٥٠

(٤) ص ٣٥٢

(٥) الديوان ١ ص ١٠٣

(٦) ص ٣٣٧

(٧) الديوان ص ٢٢

وهصدت حَمْنَع «مَنْ» إلى حيثُ الميَّك أَصْحَتْ موصولة الأسباب
وهكذا لو راحمنا مدحة محمد المشار المونة حيث يفيض في ذكر الماسك^(١) وقد
ظهرت اصطلاحات الكفاءة في الزواج في شعر أحمد نسم^(٢) مناسبة رواج السيد على يوسف
بإحدى بات الأثرى

واصطلاحات الفقهاء في «عدالة الشهود» و«الميمة» ٥٥٠ في قصيدة الشيخ محمود
عبد الرحمن القصرى التى يهكم فيها على المعنى مناسبة تسرعه في نصر الأحكام. (٣)

عَجِصَتْ لِقاصٍ كيف يُصْدِرُ حكمه بدون شهودٍ في القصيدة أو حبر
فى أى شرع كان ذلك حائراً أَحْسَنِي فهل شئ لذيك من المدر
وهل ثمنت عند الإمام عدالة لسانه الوهوم في الحمد أو مصر
ولأحمد نسم أبياب يذكر فيها راءة الشيخ شاونيس من تهمة ألصقت به وبطهر في
أسلوب البيت الآتى اصطلاح علماء الحديث

أَسْدُوا الكِدْبَ وهو منك مُحال سم حاوا في صحة الإسناد^(٤)
وهكذا

* * *

أما عن التوحيد والعقائد التى كانت شائعة في الفترة الأولى من التوسل بالأولياء
والأثرى والمبالغات التى هى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في إطرانه ٥٥ مما رأينا
شائعاً عند الشعراء السالفين^(٥) وقد بقيت آثاره عند بعض الشعراء ولا سيما في أوائل
الفترة التى نحن بصدد دراستها لأن أصداء دعوة الوهابيين لم تكن قد أحدثت طريقها

(١) الديوان ص ٦ طمة ١٣١ نالطمة الغمانية

(٢) ص ٣٣٠

(٣) ص ٢٣٧

(٤) ص ٢٣٢

(٥) ص ١١٦

إلى الطهور فثلاثاً نجد عند اللطيف الصيرى فى مدحته يتجه إلى مدح الأشراف والتوسل^(١)
 أما سلالته العرّاء وبصمته^(٢) فقل على من حفاهم بئس وفقته
 مهم محار الرضا فى النازلات لمن^(٣) قد عصاه الدهر أو صاقت حظيره
 وعبد المطلب بشير فى إحدى مدائمه^(٤) إلى العقيدة الشائعة : أن خلق الدنيا من الدم
 كان كرامة للرسول عليه الصلاة والسلام قبل خلقه :
 مجد^(٥) بساء الذى فاض الوجود به نورا له قامت الدنيا من الدم
 وقد أشرنا فى الباب^(٦) الأول أن الشعراء قد تداولوا هذا المعنى وأهم مسوقون فيه
 يقول الموصيرى :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة^(٧) من لولاه لم تخرج الدنيا من الدم
 والشيخ عبد المطلب أبصاً يردد فى علويته ما كان شائماً من عقائد بعض الشيعة
 بشأن سيدنا على من أنه مارال حياً يرقق وأن الرعد صوته . وقد صور هذا المعنى بعد
 أن وصف الطيارة فى مطلع العلوية الأولى بقوله :^(٨)

يا حليلى احملى فوقها علنى ألقى على السحب الإماما
 وكذلك فعل فى العلوية الكبرى ، فبعد أن وصف الطيارة فى أولها قال :^(٩)
 فهن لى دات أجحجة كملنى بها ألقى على السحب الإماما
 ومجد بعض معارف الحاهلية من التماؤل والتشاؤم فى شعر شوق^(١٠)
 كأن النجس حين جرى عليهم أطار بكل مملكة غراما

(١) ٢١٦

(٢) ١٥١

(٣) ٢٢٠

(٤) هذا رأى فريق من الملاة عرفوا بالشيعة ورعوا أن عليا سبرحه إلى الدنيا . العرف الإسلامية

لمحمد البشيشى ص ٢٨ المطبعة الرحمانية ١٩٣٢

(٥) ٢٣٧ - ٢٣٩

(٦) ١ - ٧٤

هذا وقد أحد الشعر الديني يتخلص بالتدريج من تلك العقائد ولا سيما بعد أن ثارت معركة التوسل بين ^(١) أنصار السنة وفريق الجاهدين .

ولعل الذى حدا بعمد المطلب أن يشير إلى ذلك هو ما كان معروفا عنه من قوة محمته لآل البيت . . فأراد أن يبالغ ويحارى « كثيرا » فى قوله :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة العهد أئمة سواء
على والثلاثة من نبيه هم الأسباط ليس لهم كرماء
فسمط سمط إيمان ور وسمط غيبته كربلاء
وسمط لا يدوق الموت حتى يقود الحيش يتبعه اللواء
تميّب لا يرى عنهم رمايا رضى عمده غسل وماء ^(٢)

ولكن هذا أو غيره لا يبرر حشوح عمد المطلب إلى مثل ذلك ،

وفى ديوان حافظ أبيات يعرض فيها بالتمسكين بالتوسل . ^(٣)

أحياءاونا لا يرفعون بدرهم ونأف ألف ترقى الأموات
الح . . وهى أربعة أبيات وتدل على سلامة عقيدته

وقد تخلص شعر أحمد محرم . . وشوق . . وأكثر الشعراء من أمثال تلك الشوائب إلا ما جاء بحكم أنه من السيرة ولكن فى حذر ودون توسع .

ولقد رأينا أحمد شوق يفرح على ناحية هامة فى مدائحه الميوية ويكررها فى أكثر من قصيدة ألا وهى « التوحيد » الذى جاء به الإسلام .

فهو فى « الهمرية » يقول عن الملة الإسلامية .

بيت على « التوحيد » وهى حقيقة ^(٤) نأدى بها سقراط والقدماء ^(٥)

(١) حدث هذا فى العرة الثالثة من العصر الحديث بعد سنة ١٩٢٥

(٢) الفرق الإسلامية من ٢٨ و (كثيرا) هذا من فريق الكيسانية التى تقول بأن محمد بن الحنفية

هو المهدي المنتصر

(٣) ١ - ٣١٨

(٤) ٢٣

وفى نهج العدة يقول: ^(١)

يلوح حول سما « التوحيد » جوهرها كالحلى للسيف أو كالوشى للعلم
وفى ذكرى المولد يقول :

نظام الدين والدينا أتبع له ينممه
تطالع فى نساها على « التوحيد » بدعته

ولقد سبق أن أشرنا ^(٢) إلى ما يرد فى شعر شوق عن المسيح والمسيحية وأنه كان حريصاً على أن يحمل الأفضلية للإسلام لأنه ناسح ما قبله من الشرائع بحكم محبته بعدها واستيوائه ما يقتضيه التقدم والتطور . .

٤ — منزلة هذا الشعر ومدى الانتفاع به

رأينا فى هذا الباب أيضاً ^(٣) ألواناً مختلفة من الشعر أمكننا أن نصمها جميعاً تحت عنوان :
« الشعر الدينى » لما فيها من الاشتراك العام فى الداعث عليها ألا وهو العاطفة الدينية .

وأكثر هذا الشعر كان قصائد كاملة بحكم مناسسته كالدائغ الموية وبعضه كان صمن أعراض أخرى كالذى رأيناه من الحديث عن الخلافة فى مرثية أحمد محرم لأبيه ^(٤) وكالحديث عن منزلة مصطفى كامل الإسلاميه فى أول مرثية شوق له ^(٥) .

وقد سبق أن ذكرنا أن قيمة الشعر ^(٦) إنما ترجع إلى مدى صلته بالحياة العامة وما يؤديه من رسالة نافعة على أية صورة وأن نصيبه من الدبوع والخلود إنما يكون على قدر نصيبه من العالى الأساسية العامة للإنسانية .

نم ذكرنا أن ما سبقناه من عايج للشعر الدينى فى الفترة الأولى من عصرنا الحديث إلى الثورة العربية ^(٧) لا يسكاد نحد له قيمة إلا من الوجهة الدراسية والتاريخية ، لأن ما تصممه

(٢) ص ٢٧٢

(١) ص ٢٢٢

(٣) راجع الفصل الثانى من الباب الأول ٨٣ — ١٤٣

(٥) (٥) ٣١٨

(٤) ص ٢٩٩

(٦) ص ١٦١

(٧) ص ١٣٧

من معارف لم يعد صالحا للنبوع ، إذ كان صدى لفترة الخلود والجهل بمخائلي الإسلام ولأنه في الغالب الأعم لم يعبر تعبيرا صادقا عن نفوس منشئيه إذ كانت المحاكاة تغلب عليه ، ولأن أذواقنا الآن لم تعد تستسيغ ما كان يستسيغه المعجبون برين الألفاظ والمحسنات البدئية حينذاك .

أما شعر الفترة الثانية الذي مرت بما نأذحه في هذا الباب^(١) فقد رأينا أن أكثره كان تحاولوا لحداث دات مساس بالمعاطفة الدينية وقد كانت هذه الحوادث كثيرة ومتنوعة ، وهو من هذه الناحية يعبر عن نفوس منشئيه وليس صدى أو صورة ممسوحة لشعراء سالفين . . . وقد تضمن كثيرا من الأمور التي تمس حياة الأمة في تطورها ومدى صلتها بالعالم الإسلامي ، وكثير من هذه الأمور يتصل بتأني الأسياسة كالدعوة إلى الوحدة والترابط ونبد الشقاق والمحافظة على الوطن وحل معضلات الإنسان على ضوء مبادئ الإسلام الخالدة والسمو بالنفس الإنسانية . . .

نم إنه قد تحرر من أئمال المحسمات المتكلمة^(٢) والعناية باللفظ ومحاولة إظهار البراعة اللفوية .

وعلى صوء ما تقدم يمكننا أن نحدد مكانة هذا الشعر ومدى إمكان دبوعه بيننا والإفادة منه .

فإذا ما استبعدنا منه ما كان متأثرا بالعصر السابق في أوائل هذه الفترة^(٣) أو كان فيه مغالاة في التوعر^(٤) وحدنا بمادح حية مستساغة دات آثار في حياتنا العامة .

وبدني ألا يستهين بمثل هذا التراث فهو قد أنشئ في فترة كان طامعها العام الصراع العنيف بين الغرب والشرق وكانت فيها لأوروبا سياسة معينة مرسومه لمحاربة الإسلام في صور مختلفة^(٥) لأنه العقمة السكثود في سبيل استقرار الاستعمار .

(١) ٢١٣ - ٣٥٦ الفصل الثاني

(٢) كالدي رأياه عد صفوت الساعاني وعلى الدرويش

(٣) مثل شعر محمد النشار والصيفي

(٤) كالدي يبدو على شعر عبد المطلب ولاسيما في أوائل الملويتين

(٥) راجع ١٦٩ - ٢١٢

ونعتقد أن مثل هذا الصراع لن ينتهى مادام فى المسلمين ثوب إلى الوحدة والسيادة والمناداة بين حين وحين بقيام « السكتلة الإسلامية » . ومادام عند الأوروبيين مطامع فى امتداد النفوذ والسيطرة مهما تغيرت الوسائل والصور .

ورعنا كانت الفترة الثانية هى أصدق فترة فى الأدب الحديث لأنها كانت فترة الثورة النفسية . . بعد فترة الخمود والرياء وقبل الفترة الأخيرة التى شاع فيها الملق والتشيع للأحزاب

وإذا ما استعرضنا المبادئ التى مرت بها وجدنا الكثير منها صالحاً للعرض وإفادة الجيل الحاضر منه :

ولعل أول ما يبالغا من ذلك هو المبادئ النبوية فى شعر شوقى فقد صارت كالدرر اللوامع بين ما تذيبه محطات الإداعة واستساعتها أدواق الخاصة والعامة ، وكلما عنت تضوع أريجها يحمل بين ثناياها إلى الأسماع والقلوب صوراً كريمة عن الإسلام ورسول الإسلام وكتاب الإسلام^(١)

وكذلك ما ذكرناه من شعر لصور الأبطال الإسلاميين^(٢) فإنه جدير بأن يعرض على النشء لما يثيره فى نفوسهم من سياسة وما يرسمه لهم من مثل عليا يتمشقونها ويتوقون إلى محاكاتها ولا سيما فى سن المراهقة .

يقول الأستاذ محمد حلف الله عن صور البطولة فى القرآن الكريم « وقد قرأ فى نفسى بعد أن قرأت السور الكريمة أن هاها أدا حماسياً بالغ التأثير لم ينتفع به المسلمون بعد حق الانتفاع فى تثقيف الناشئة وطبع نفوسهم على الحد والإقدام واسترحاص الأرواح فى سبيل الحق والوطن .

وإخال أن أنسب المراحل لهذا اللون من الدرس فى حياة الناشئ* ، هى مرحلة المراهقة والبلوغ ، حيث الفتى يتمشق البطولة بطبعه ويتبع سير المظلماء والمصلحين ويلد البحث فى

(١) كانت مدائح شوقى أصلح من غيرها لصفائها ولصاتها بالآباء العام للنهضة الإسلامية .

(٢) ص ٢٣٣ — ٢٤٦

الحركات الدببية وما تنطوى عليه من آيات الثبات على العقيدة وانتصار القلة القوية بإيمانها على الكثرة الفارعة من حرارة الإيمان .

ومن اليسور والمرعوب فيه أن تحملصوص القرآن في هذا الموضوع محور دراسة أدبية وتاريخية معاً وأن يضاف إليها توحيه الناشئة إلى قراءة الكتب العربية الحديثة التي تناولت سير الرسول وخلفائه وأصحابه ودرست نواحي العظمة والعبقرية فيهم^(١) »

وإذا كنا لم نلتصق بعد كما ينبغي في دراستنا الأدبية بالقرآن الكريم وهو القرآن الكريم فلا يستمررب إعفاننا لما بين أيدينا من شعر مفيد وإن كانت أصوات قائلية قريبة العهد من أسماع الكثيرين منا .

وإني لأضم صوتي إلى صوت الأستاذ حلف الله في ضرورة الانتفاع بما أشار إليه من القرآن الكريم ثم أوجه النظر إلى ضرورة الانتفاع بما في شعرنا الحديث — الذي أشرنا إليه — من صور البطولة الإسلامية وإشاعة ذلك في مناهج الدراسة الثانوية على الأخص وذلك إحدى عليما من المألغة في دراسة مائثل بيئة الجاهليين أو العباسيين^(٢) .

ومن النافع أن يقرأ أناؤنا سيرالرسول الكريم وحلفائه والأبطال الآخرين كالحاء وعمر و ابن العاص وعمد الرحمن الداخل . . في شعر تهفو إليه نفوسهم لأنه بلغة عصرهم وصادر من شعراء مصريين قرييين منهم من أمثال عمد الحليم المصري وعمد الطلب وشوق وحافظ والرافعي ومحرم . ولأنه يربط بين بيئتهم وحاضرهم وبين ماضى أولئك الأبطال الأعحاد .

وقصائد المهجرة في هذه الفترة كانت تتجه في مجموعها إلى تصوير آلام الأمة الإسلامية وما يحيط بها من كوارث .

فدراستها تعطينا صورة حية عن تحاوت العالم الإسلامي وتعتبر جزءا من دراسة تاريخما الحديث .

وهماك كثير من الانهيمات التي توحه إلى الإسلام ويجهل شباننا حقائقها ، فإذا ما عرصا

(١) من كتاب « دراسات في الأدب الإسلامي » ص ١٧١ مطبعة التأليف والترجمة ٤٧

(٢) لعد بيئاتهم وصورها عما ولتكن المألغة في عصرما الحديث ليفصح الحال أمام دراسة ألوان الشعر الديبي .

عليهم لو أن من الشمر الذى فيه الردود المفحمة على المهاجرين للإسلام لاطمأنت نفوسهم وأيقنوا أن الإسلام يرى . مما يزعم أولئك المدعون .

وإن الشمرء الذين قسوا بحق على هانوتو وكرومر والذين دافعوا عن الإسلام وبعوا عنه التعصب ضد المسيحية قد كانوا رسل سلام بين المسلمين والقبط وكشفوا دسائس المستعمرين وأساليبهم في إثارة العاطفة الدينية عند طائفة من الأمة ليستعيدوا من نقرتها

ورعاكات دراسة بعض النماذج التى مرت بنا عن الخلافة لا تقل أهمية عن دراسة الشمر السيامى العباسى أو القانض بين حرير الفرردق .

وشمرأؤنا قد جمعهم في الحديث عن الخلافة رابطة عامة مشتركة ، هى العاطفة الدينية ، وقد صوروا جزءا هاما من تاريخها الحديث ، ولم يكن مهمهم توحيد العلماء وإنما كان محور شمرهم حول الدعوة إلى الترابط والاتحاد بين الأمم الإسلامية لتظل قوية قادرة على صد العدوان الأجنبي ، ويلاحظ أن الأوروبيين لم يتمكنوا من تفكيك الأمم الإسلامية إلا بعد أن أصعموا تلك الرابطة^(١) .

وعلى الرغم مما كان للخلافة من هيبة فإن شمرءنا لم يحبوا الرسول أمامها ؛ فقد رأينا حافظا^(٢) يتكلم بعبد الحميد بعد حله ولم يراع مقام حله ورأينا سببا^(٣) يصرح بما قد دب في الخلافة من فساد بسب انتشار الحواسيس وسوء مصادمهم ، ثم رسم السياسة الرشيدة التى ينبغي أن يسير عليها الخليفة محمد رشاد .

كما أن الشمر الذى سقما له نماذج عن حوادث العالم الإسلامى بصورة لما ذلك الصراع العنيف بين أوروبا والأمم الإسلامية ، وما كانت تصمره أوروبا من شر للشرق لتتمكن من إصمافه واستعمارها .

وإن معركة السفور والحجاب مارالت آثارها بدوى بيننا ومن المستحسن أن نعرض نماذج لأراء المؤيدين لها والعارضين وهى نماذج حية طريفة .

وهكذا . . .

(١) ص ١٨٢

(٢) ص ٢٨٨

(٣) ص ٣٩٢

الخاتمة

١ - هذا البحث

الآن ، وأنا أصع القلم بعد الفراغ من موضوع هذه الرسالة ، أحس إحساساً عميقاً بأن هناك شيئاً من الأدب المصرى الحديث ، قد كان على وشك أن يطوى وينسى فيما نسى من ألوانه ^(١) ، ولسكن الله سلم ... ذلك هو : هذا المقدار الكبير المصطاع بصيغة ديبية من شعرنا الحديث ، كان ممعناهما وهما ، لا يقوم عليه بحث ، ولا يحجمه كتاب .

وقد تضمن التمهيد لهذا البحث ^(٢) توصيح العلاقة بين الدين والأدب ، وأثر الدين في نشأة الآداب عند محتات الأمم ، ثم تحديد إطار للشعر الدينى في مصر في عصرنا الحديث وتضمن الفصل الأول من الباب الأول ^(٣) الظروف السياسية التي مرت بها مصر وما توالى عليها من عهود وحكام من مطالع العصر الحدث إلى أول عهد الاحتلال ؛ وأوضح العوامل الدينية في تلك الفترة وأبان كيف استعمل أهم الدين في مناسبات مختلفة أيام الحملة الحملة الفرنسية على مصر ، وإبان حروب محمد على لالوهابيين ، وفي عهد الثورة العرابية ونسكة الاحتلال .

ونناول الفصل الأول من الباب الثانى ^(٤) الظروف السياسية من أول عهد الاحتلال البغيض إلى ثورة سنة ١٩١٩ .

ثم صور ذلك الصراع المييب الذى دارت رحاه بين متعصبى أوروبا وبين الإسلام

(١) كالشعر السياسى الذى أنشأه أيام مهضة مصطفى كمال وما بعدها ثم في ثورة سنة ١٩١٩ فصعب تلك الفترة تحوى الكثير من القصائد المعبرة المصورة لشعراء كثيرين لم تتح لأسبابهم فرصة الديوع . وكذلك الشعر الذى عاصر المهضة بعد سنة ١٩٢ إلى اليوم .

(٢) ص ٩ — ٤٨

(٣) ص ٤٩ — ٨٢

(٤) ص ١٦٣ — ٢١٢

— ليسهل استثمار الأفطار الإسلامية — في العصر الحديث من أمثال: هانوتو الفرسى وكرومر الإنجليزى . ثم ما كان من محاولات الإنجليز في إثارة الفتن بين حبن وحبن باسم الدين بين أبناء البلاد . ثم ما كان من حركات التجديد بحكم انصالحا بالغرب وحركات إحياء التراث الإسلامى بحكم نهضتنا واعتزازنا بما في ذلك التراث من أمجاد .

ولقد كانت هذه الدراسة ذات أهمية كبرى فيما قصدت إليه من هذا البحث ، إذ درست لى معرفة أسداء الحوادث عند الشعراء ، والوقوف على مدى رسالة الشعر فى ناحية حساسة من تاريخنا الحديث ثم جمع طائفة كبيرة من شعر دى لون خاص بصور لنا سلطان الدين على النفوس ... وقدقت نقيوب هذا الشعر ، ووضع العنوان المناسب لكل باب ، مع ترتيبه ترتيباً زمنياً بين تطوره ، معللاً الظروف التى كانت تدعو إلى كثرة نوع أو قلة آخر ^(١) .

ولم أكتف بمعرض تلك النماذج الشعرية ، بل أفردت دراسة خاصة لتحليلها ودراساتها دراسة فنية ، تبين الطواهر الدينية فيها ، وقيمتها العلمية والأدبية ، ومزلة الشعر الدينى بين فنون الأدب الأخرى وإمكان انتفاعنا به فى دراساتها لأدب العصر الحديث ^(٢) .

* * *

ولقد كانت عناية المقاد المعاصرين والمؤرخين لشعرنا الحديث مخصصة على الموازنة بين الشعراء أو شرح دواوبهم أو التاريخ لشاعر ، أو الحديث عن تطور الألفاظ ^(٣) والأساليب أو أغراض الشعر ، فى حدود الفنون السمة المألوفة ^(٤) منذ أزمان بعيدة .

ولقد مر بنا أن بعض المناوين التى اخترناها ، قد قصرت على شعر الفترة الأولى مثل « مدائح الأشراف » و « التوسل بالأولياء والصالحين » لدبوع هدين الفرسين وأهميتهما

(١) الفصل الثانى من الباب الأول ٨٣ — ١٤٣ ، والثانى من الثانى ٢١٣ — ٣٥٦

(٢) « الثالث » « ١٤٤ — ١٦٢ » والثالث « ٣٥٧ — ٣٨٧ »

(٣) المقاد مثلاً عندما تحدث عن أثر الدين فى شعر عبد المطلب تناول هذا الأثر من ناحية الألفاظ

والصياغة ، لاعلى أن الدين ناعث وموجه (شعراء مصر وبيتانهم)

(٤) هـ : الديب والحماسة والمدح والمجاء والوصف والرتاء و (الأدب والرهف)

حينذاك ، وأن بمضاً آخر قد اختص شعر الفترة الثانية مثل : « التوفيق بين عنصري الأمة » و « معركة الحجاب والسفور » و « رد هجمات حصوم الإسلام » إذ لم تسكن له مناسبات هالك ، وقد كانت العناوين الجديدة في الفترة الثانية في جملتها أكثر من بطيراتها في الفترة الأولى . في حين أن عناوين أخرى قد نبتت على حالها مع التوسع في موضوعاتها تمشياً مع تطور الظروف وذلك مثل : « المدائح النبوية » و « المعجزة » و « الخلافة العثمانية » وهناك ألوان كانت حادثة صئيلة في شعر الفترة الأولى فقويت وذاعت وبدأت أهميتها في شعر الفترة الثانية كالحديث عن مزايا الإسلام والبطولة الإسلامية .

* * *

هذا ولقد كانت الفترة الثانية حافلة شعراء تحول لهم زلهم بطائر في الفترة الأولى ، ولا كان ذلك ميسوراً بحكم الظروف ، وأولئك المحول أمثال : عبد الحلیم المصرى وأحمد الكاشف وعبد المطالب وحافظ وشوقي وأحمد نسیم والرافعی وأحمد محرم وغيرهم ^(١) .

ولقد كانت العاطفة الدينية بعامه ومعاني « الإسلام » محاسة في شعر هؤلاء جميعاً أبرر وأوضح وأقوى منها في شعر سالفهم في الفترة الأولى .

وبحكم الظروف والمناسبات التي أثارته عواطف الشعراء الدينية في الفترة الثانية ، كان « الشعر الديني » الحيد في الفترة الثانية أكثر منه في الفترة الأولى .

* * *

وعندما درسنا الخصائص الفنية لما مر بنا من عوادح رأينا كيف تطورت صوره في مختلف مظاهرها تمشياً مع تطور النهضة الفكرية العامة والأدبية في العصر الحديث .

فالألفاظ التي كانت تنقلها المسلمات البدئية أحدثت تنجعت شيئاً فشيئاً من لدن ظهور البارودي إلى أن أوشتك أن يبرأ منها الشعر عند شوقي وحافظ ومن جاء بعدهم .

والموضوعات قد اتسعت وتنوعت بعد أن كانت صيقة محدودة . . والمعارف الإسلامية قد أحدثت طريقها إلى التجاهل من الشوائب وتحررت من معالم الحمل .. وبدأت في

(١) والبارودي يعتبر مرحلة مستقلة بين العترتين

صورها الأولى بقية صافية . . فسمعنا في ذلك الشعر الكثير عن مزايا الإسلام وخصائصه؛
والزئير المدوى في وجه حصومه ، ورأينا الكثير من صور أبطال الإسلام في أدهر عصوره
وبدت على الشعر الديني في الفترة الثانية مسحة من الحيوية والجدية حملته جديراً أن يحتل
مكانه بين أغراض الشعر .

ومن ثم فقد حكمنا بأن شعر الفترة الأولى في مجموعته لا يصلح إلا للدراسة ^(١) من
الوجه التاريخي ، في حين أن شعر الفترة الثانية أكثره صالح للمرض ^(٢) على الشباب ،
لما فيه من صور حية تمثل المصال العنيف في طلال العقيدة الإسلامية ، في فترة من الزمن
طويلة من تاريخنا الحديث .

ومن الأمور التي لفتت نظري أثناء هذا البحث أنني لم أجد في شعر حافظ « مدائح
نوية » وهذه ناحية حذيرة بالوقوف عندها ^(٣) لأن هذا اللون من الشعر لم يكن أقل أهمية
من سائر شعره .

وقد رأينا من قبل ^(٤) أن شعره في المحبرة كان قبل سنة ١٩١١ وأنه في العشرين سنة
الأخيرة من حياته التي قصاها في الوظائف لم يقل شيئاً في ذلك .

وكذلك لم يسهم في إطفاء الفتن التي كان يشعلها الإبحار بين المسلمين والأقباط إلا
أبيات قلائل صمن إحدى ^(٥) قصائده في مدح الخديو عباس . ثم إنه لم يشر إلى مطاعن
« هانوتو » و « كرومر » وغيرها إلا في أبيات عارة ^(٦) صمن إحدى مدائحه الإمام محمد عبده .

(١) س ١٦١

(٢) ص ٣٨٣ — ٣٨٧

(٣) ومحتاجهما إلى تطبيق مذهب « ساتيف » في النقد وهو يرى تحت حالات الأدب المخالفه
ومهامدى تديبه أو اسمتهاره

(٤) س ٢٤٨

(٥) ومطلع القصيدة : ص ١٦٩

داني العزاد ، وإليه لا يعلم
تأثر على هذا الخلاف وتحسم
وكلامها برصاك ص معرم

كم تحت أذيال الطلالم متيم
ومنها قوله : واجم شتات المصريين سرمة
فكلاهما المرير عرشك محلس

(٦) ج ٢ ص ١٤٥

أما أحمد محرم فعلى الرغم من عدم وجود مدائح نبوية في ديوانه ^(١) على كثرة ما به من شعر ديني فإنه قد أفاض في هذا اللون في أخريات حياته وتفجر ينبوعا غزيرا في الإلياذة الإسلامية .

ولم أحد لشوق عن الهجرة إلا قصيدة واحدة مستقلة ^(٢) بالإضافة إلى ستة أبيات فقط في نهج البردة إحدى مدائحه النبوية الأربعة التي بلغت أبياتها واحدا وتسعين وأربعمائة بيت . وأنا أعتقد أن هذا لم يكن إغفالا من شوقي ؛ لأنى رأيت هذا الشاعر الكبير في شعره الديني شغولا بقضية كبرى . الأولى : إرار صورة كاملة حية عن الإسلام في طبيعته ومزاياه رءاء أن تكون لتلك الصورة آثارها ورسالتها في نهضة الأمم الإسلامية التي تحتل حيزا كبيرا من المعمورة . ولكسهم بفقدانهم صورة الإسلام الحقيقية .. قد أصبحوا كمناء السيل يتخطفهم الناس من كل جانب ^(٣) .

ولقد ظهرت عمق شوق في هذه الوحة ووفق إلى أمد حد في إرار الصورة التي أرادها ؛ وامتاز في هذا الميدان بالقدرة على الاستقصاء وقوة الحججة ودقة الحس وسعة الاطلاع . يتجلى ذلك في مدائحه النبوية الرائعة التي سلك فيها مسلكا يختلف فيه عن سالفه ، ولم يدركه فيه معاصروه .

وفي قصائده عن الخلافة التي حرص فيها على إرار الرابطة الإسلامية بين الخليعة وبين الشعوب الإسلامية موضحا أثر تلك الرابطة في قوة المسلمين .

وفي قصائده عن الخلاف بين عنصرى الأمة وإطعام الفتن التي كان المستعمر يدبرها من حين إلى حين .. إلى غير ذلك .

ولقد كانت « روحانية شوقي الفنية تتمثل في الإشادة بعصل الدين ، وإجلال آدابه ،

(١) ١ > طبعة ١٩٠٨ و ٢ طبعة ١٩٢٠ ولم يطبع شئ من شعره بعد ذلك وجميعه من ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٤٤ عند الأستاذ إبراهيم نعيم سلبية دمنهور :

(٢) ص ٢٥٣

(٣) ولقد نأت مده الأمم إلى رشدتها وانمحت إلى جم شتاها وتوحيد كلمتها وأحدث تقرب من هدفها الأسمى ؛ ولاشك أن الفضل الأكبر في ذلك كان لوثبة مصر في ثورة الجيش الأحرية .

والتغنى بأبجاده ، وامتداح رسوله الكريم والصفوة المتارة من أبطال المسلمين ، ثم في إكبار الفضائل النفسية ، والدعوة إليها كلها واثت مناسبة أودعت داعية » (١) .

ولا يصير شوق أو يقدح في شعره الدينى وأهميته ماورد في بعض شعره الآخر من ألوان الترف والملاذات ووصف الخمر ومحاسنها والدعوة إليها بحكم البيئة والظروف التى نشأ وعاش فيها . « فشوق كبيره ، كانت تمرض له مغريات التمتع واللاهو ، كما تمرض له دواعى الإنانة والزهدي ، فيتأثر بهذه وتلك . وقد يستحيب لها أيضا ، صديق كثير من أصحاب الشاعرية والحسن الدقيق . » (٢) .

ولقد تحدث هو في ذلك ودافع عن نفسه وذلك حيث قال : (٣) .

مولاي : عندك ما عوى لكها حطرات شاعر
عفوا : فليست نأول في ذا المقام ولا تأخر

* * *

ومن الإصاف للحقيقة والتاريخ أن يقدر لشعراء الفترة الثانية — الدين ورنودا هذا القدر الكبير من الصور الحبية التى تجلت في شعرهم الدينى — ما كان لهم من جهود مشكورة في تسجيل تلك الطواهر المختلفة ، وما عبروا به عن صدق عاطفتهم الدينية ، وكريم إحساسهم نحو الغاية السامية في رفعة الإسلام ، وسبل شعورهم نحو العالم الإسلامى .

* * *

٢ — الجديد في هذا البحث ومميزاته

ويمتاز هذا البحث بأهمية كبرى لدارسى الأدب لما تضمنته من أمور كثيرة ، وأهم ما فيه من جديد نحمله فيما يلي :

(١) الدين والأخلاق في شعر شوقي ص ١٢

(٢) المرجع السابق ص ١٤

(٣) ص ٢٥ من الجزء الأول ١٩١١ من قصيدة يتعزل فيها ويمدح الحديويده عباس

أولاً :

أنه أول بحث وضع إطاراً للشعر الدينى يجمع ألوانه المختلفة فى العصر الحديث ، فأمكن بذلك وضع عموان حديد بين أبواب الشعر محدود المدلول^(١) ، وجمع فى صعيد واحد طائفة كبيرة من الشعر المصطمع بلون دنى ، وأبان أهمية هذا الضرب من الشعر .

ثانياً :

وهو أول بحث عنى بدراسة العوامل الدينية المختلفة فى فترة من الزمن^(٢) طويلة ، فأماط اللثام عن ناحية هامة كانت لها آثار فعالة فى تاريخ مصر الحديث ، وأظهر حاجة الأمة إلى « الدين » توارث به ثورتها ، وتدفع نهضتها . ولم ين مؤرخو عصرنا الحديث تتسع هذه الناحية وتوصلها .

ثالثاً :

عنى بدراسة مواقف الشعراء بالتفصيل من العاطفة الدينية^(٣) وتسجيلها ، أو إثارها^(٤) ، فكشف عن جزء هام من رسالة الأدب ، وأظهر اتجاهها ممياً عند كثير من شعرائنا فى العصر الحديث لم يكن موضوع بحث أو دراسة .

رابعاً :

أظهر بعض قصائد دينية لشوقي ليست فى ديوانه ، ولم يلق إليها أحد بالاعلى أهميتها بين قصائده القيمة .

(١) من سنة ١٧٩٨ — ١٩١٩

(٢) راجع الفصل الثامن من كل من النامى الأول والثانى

(٣) وقد ظهر فى أثناء إعداد هذه الرسالة كتاب « وطنية شوقي » للدكتور أحمد الحوقى الأستاذ بكلية دار العلوم ، وقد أورد فيه نائاً خاصاً بعنوان « الإسلام والوطنية » يتحدث فيه عن روع الأدباء فى مصر والعالم العربى فى العصر الحديث إلى الإسلامية ، متأثرين بعائفتهم الدينية ، فكان له فصل فى كشف هذا الاتجاه (طعة نهضة مصر ١٩٥٥ — ص ٣٠٣ — ٣٢٣)

(٤) كالدى رأياه من الشعراء حيال الخلافة

(٥) كالدى رأياه حيال التحرير فى الثورة العربية .

تم إيه حمم في صعيد واحد جميع ما لشوق من ألوان الشعر الديني ، وأنصف هذا الشاعر الكبير بإظهار حسن ثلاثه في إبرار محاسن الإسلام والدفاع عنه . في قوة وحيوية ودقة تصوير . ورتب جميع قصائده الدينية في الخلافة وغيرها ترتيبا زمنيا ، يسجل تطور حوادثها
منا :

أظهر حيوية الشعر الديني وحدارته بالدراسة والمرص ، وبين نصيب الشعراء في توحيه الماطعة الدينية إلى حير الأمة ، كالدي رأبناء في عرض صور البطولة الإسلامية ، وإحياء اتحاد الإسلام وإطفاء الفتن التي كانت تسكن وراءها أطماع المستعمرين
سارنا :

عنى بالترتيب الرمي للقصائد التي ورد ذكرها فيه ، وقد كانت لهذا الترتيب أهميته الكبرى في بيان التطور في الخصائص العمية وأصداء الحوادث على مر الأنام .

٣ - مقترحات

وهناك أمور كثيرة كمت أود أن أصممها هذا الكتاب لولا اتساع نطاق البحث ؛ وأكتفى بتوجيه النظر إليها في إجمال ، راحيا أن تتحقق على الأيام ، وهي :

١ - دراسة العترة الماقية من العصر الحديث^(١) على عطاء هذا الكتاب استكمالاً لصورة العوامل الدينية وصداها في الشعر في هذا العصر جميعه ؛ لأن العترة الماقية مليئة بالحدث التي ظهر فيها عامل الدين ، وأكبر الشعراء فيها من الإبداع

من بعد سنة ١٩٢٠ اتسم نطاق موحات التحرر والإلحاد ، وكان من أصداء ذلك قيام الجمعيات الإسلامية في طول البلاد وعرضها ، ثم كانت حركات النشرب ، ومعارك فلسطين وقصية العراق ... وحوادث العالم الإسلامي ، من إلغاء الخلافة والعدوان المتكرر على شمال

(١) من سنة ١٩٢٠ إلى اليوم . وقد وفقت محمد الله إلى تسجيل رسالة « الدكتوراه » في ١٩٥٦/٢/١٢ بعنوان « العامل الديني في الشعر المصري الحديث من سنة ١٩١٩ إلى ثورة يونيو ١٩٥٢ » بإشراف الأستاذ عمر الدسوقي أستاذ الأدب الحديث بكلية دار العلوم .

إفريقيا من فرنسا وإيطاليا . وقد اُرداد في هذه الفترة الوعي الإسلامي وظهرت عمدة الدعوة التي قام بها جمال الدين ومحمد عبده وتحاولت أصداء دعوة الوهابيين ودارت المارك بين دعاة التوسل بالأولياء والمعارضين له . ثم ظهرت شدة الرعمة في إحياء أمجاد الإسلام وإظهار محاسنه ومزاياه ، والعودة إلى نظامه وأحكامه .

ولقد كان لكل ذلك أصدؤه في الشعر على صور تختلف باختلاف الأحداث والشعراء .

٢ - أفراد دراسات خاصة بمقائيد الشعراء الذين ترحم لهم للوقوف على مدى تدبيرهم ومتانتهم الحلقية ، ولهذه الدراسة أهمية كبرى في تقدير إنتاج الشاعر « فمجن مارلنا في دراسة الأعلام » ولا سيما الأدباء . لا نعي بالحديث عن عقائدهم ، وإن فعل في كثير من التردد والاستحياء والاقتصاص^(١) . ومرد ذلك إلى فكرة عمر مسئلة ، أوحث بها المادية فقرت في النفوس ، ورات منا منزلة الحقيقة الثابتة التي لا تقبل حدا ، ولا يرق إليها خلاف : أن الدين علامة بين المرء وربّه ، والأمير فيه لله وحده . فما اشتغلنا به في دراسة الناس ؟؟ وما ترحلنا باسمه بينهم وبين ربهم ؟ ألا إن ذلك نوع من التطفل لا يحمل بالرحل المصري المثقف أن ينزل إليه »^(٢)

وهو سبق أن رأينا ضالة الشعر الديني عند حافظ وغرارة عند شوقي مما يستدعي الاهتمام بدراسة الظروف الخاصة عند الشعراء

٣ - أفراد دراسات خاصة بالشعر الديني في مختلف عصور الأدب العربي تبين صورة المختلفة واتجاهاته وتطوره وأصداءه

ولقد أثار بحثنا هذا السبيل ، وأوضح الخطة التي يمكن السير عليها ؛ ولهذه الدراسة أهميتها الكبرى ، لأنها تمطينا صورة كاملة عن هذه الألوان الحية من الشعر .

٤ - الانتماع بما في الشعر الديني من مرايا في توحيه الثمات بالمدارس المصرية ، فمن الخبر لما أن بلغت شأنا إلى ذلك التراث القريب منا وهو بصور كفاح مصرنا العزيزة

(١) في حين أن « سانت بيب » الناقد الفرنسي الحديث يرى دراسة كل ما يتعلق بالأدب ويحيط به تفصيلا وإجمالا راجع كتاب : الأدب والقد للكتور محمد مندور .

(٢) من كتاب . الدس والأخلاق في شعر شوقي صفحة ٨ . الأستاذ علي الديدي ناصب .

في سبيل بصرة الإسلام في فترة من الزمن أوشكت فيه أكثر الأمم الإسلامية لا تعرف إلا على أنها أسام حمرافية من المعمورة ..

ومن الخير لنا أن نجعل مكانا للأدب الديني وعامة والشعر الحديث منه بحاصة وثقافتنا العامة عن طريق الإذاعة والصحف والمناهج الدراسية ولا سيما بعد أن أنقذت مقابله الأمور إلى المصلحين من أساء الشعب واحتمت آثار الدالولية من وراثة التربية والتعليم .

والذي لا شك فيه أن مثل هذا الانجاء ستكون له آثاره البعيدة المدى في توجيه الشباب إلى أقوم سبيل

٤ — شكر

ولا بسمي وقد وفقني الله تعالى إلى إتمام هذا البحث راصيا مطمئنا — إلا أن أقدم الشكر الحزيل إلى السادة الأحلاء الذين ساعدوني في إظهاره على هذه الصورة السكرية . ولقد كان الفصل الأول إلى الأستاذ العلامة السيد عمر الدسوقي هو الذي نكرم بقول الإشراف على هذه الرسالة وأرشدني إلى طريقة البحث في هذا الموضوع المتشعب الأطراف ودلني على أهم المراحل التي سهلت منها ويسر لي الحصول على كثير مما كان يصعب على الحصول عليه — من مكتنته الخاصة .

وكت أرجم إليه كثيرا في توصيحي بعض نقط البحث فأجد في سعة اطلاعه وإلمامه إلاما دقيقة واعيا بمشاكل العصر الحديث ما يميز لي السبيل ويدال كل صمونة .

وإني مهما أظنت في تعداد قصائله ومهما أثبت على ما دله من جهد في هذا البحث فليست بمستطيع أن أوفيه حقه . والله أسأل أن يتولى حواء عني وعن العلم خير الجزاء . ومن السادة الدين عاونوني وأدكرهم بالخير وأسدي لهم حبريل الشكر :

١ — السيد محب الدين الخطيب العالم الحليل فقد وحدث في مكتنته الكثير من مراجع التمهيد والمواميل الدينية وهو بحكم عيرته الدينية ومعاصرته لفترة طويلة من أحداث الحقبة التي درسهاها وعنايته بمكتنته الخاصة كان مرجعا هاما في توصيحي بعض نقط الصراع بين المستعمرين والإسلام

٢ — اللواء محمد صالح حرب الرئيس العالم لجمعيات الشبان المسلمين فقد كمت أرجع إليه أحيانا في إيضاح بعض النقاط التي تتصل بالخلافة العثمانية وتزريق ممتلكاتها وهو بحكم معاصرته لأكثر هذه الأحداث بل واشتراكه في بعضها كان حير مراراً في ذلك .

٣ — السيد علي عبد العظيم -- رئيس قسم المخطوطات بدار الكتب . فقد دلى على كثير من المراجع التي تتصل بالبحث ويسر لي الحصول عليها

٤ — السيد محمد أبو الفصل إبراهيم مدير القسم الأدبي بدار الكتب وقد عاونني في نقطة هامة في هذا البحث وهي الترتيب الزمني لقصائد شوقي إذ دلى على بعض الصحف التي كانت تعني بنشر شعر شوقي إثر ظهوره .

٥ - التاريخ بالشعر

ورد في هذا الكتاب بعض نماذج لأشعار تحتوى على تاريخ لمصر السنين ، وقد رأيت أن أشير إلى فكرة هذا التاريخ وطريقته .

ذكر ابن خلدون في باب (علم أسرار الحروف)^(١) : « أن السكّال الأسماني مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء ، وهي سارية في الأكوان على هذا النظام

ثم انتقل إلى تقسيم الحروف إلى مجموعات كل منها سبعة وتسب كل مجموعة منها إلى عنصر من العناصر الأربعة . النار والهواء والماء والتراب وتحدث عن العلاقة التي بين العناصر والحروف وبين الأمزجة والطوائع والأمراض وعلاجهما .

ثم تحدث عن سر التصرف الذي في الحروف المائتي من السمة العددية فإن حروف (أبجد) دالة على أعدادها المتعارفة وصفا وطعما وفيها من أجل تناسب الأعداد تناسب في بعضها أيضا .. وحرّح للأسماء أوفق كما للأعداد ، يختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوافق الذي يباسمه من حيث الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من "سر الحروف" والسر العددي لأجل التناسب الذي بينهما ، فأما سر التناسب الذي بين هذه الحروف وأمرجة الطوائع ، أو بين الحروف والأعداد فأمر عسر على فهمه إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وإنما مستندهم فيه الذوق والكشف .

ولقد أشار ابن خلدون في صدر هذا الفصل إلى منشأ الفكرة في اعتبار علامة بين الأعداد والحروف تكون مصدرا من مصادر التصرف في الوجود فقال :

« وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها ، وعند ظهور العلامة من المتصوفة ، وجوهم إلى كشف حجاب الحس ، وظهور الخوارق على أيديهم ، والتصرفات في عالم العناصر وتدوين السكت والاصطلاحات ، ومزاعمهم في تدل الوجود عن الواحد وترتيبه »

(١) مقدمة ابن خلدون المطبعة البهية المصرية طعة ١٣٥٣

ولقد ذكر النستانى فى دائرة المعارف^(١) فصلا طويلا عن العلاقة بين الأعداد وحروف الهجاء وقد ورد فى هذ الفصل قوله :

وأقول : إن السريان هم الدين وصموا من عهد مجهول هذه السكيات أى من (أبجد) إلى (قرشت) الحاممة لحروف الهجاء عندهم ، من دون تأخير ولا تقديم ، ولا زيادة ولا نقصان وذلك لسهولة حفظها ، ومراعاة لحساب الجمل ، ولأجل تمرى الصغار فى قراءة الحروف معلقة بعضها ببعض بعد أن تعلموها مفردة ، وإن العرب قد استحسنتوا ذلك ، مع أن ترتيب الحروف فى السكيات المذكورة مخالف لترتيبها فى حروف الهجاء العربية (ا — ب — ت —) وأصل عددا منها ، ووافقوا السريان فى دلالة تلك الحروف الحسابية موافقة تامة ، وأصافوا إليها ما بقى من حروفهم الهجائية مجموعة فى (نخذ — صظع) وسموها بالروادى أى اللواحق وجعلوا لها دلالة حسابية منتدئين من حيث انتهى السريان ، أى من حرف التاء للدلالة على ٥٠٠ وحرف الحاء على ٦٠٠ وهلم جرا .

ثم قال : ومبادل أيضا على أن (أبجد) مما وضع فى قديم الزمان سواء فرض من الله تعالى أو من المخلوقين ما فرعوا عليه من قديم الأيام من الحساب المشهور بالجمل .

ومن لطائف الانفاقات المساعدة لهذا المطلوب أن جميع حروف الهجاء المجموعة فيه ثمانية وعشرون حرفا ، جعلوا سبعة وعشرين منها لأصول مراتب الأعداد من الآحاد والعشرات والمئات ، وواحدا للألف ، فلم يحتاجوا معها إلى ضم شىء آخر كما احتجيج فى أرقام حساب أهل الهند إلى ضم علامة صهر فى عشراتهم وصفرين فى مئاتهم وثلاثة فى آحاد الألوف وهكذا »

ثم قال فى فصل آخر^(٢) وأما التآريخ الشمرى وقد يسمى بالحرقى ، أو بحساب النجوم ، فهو عبارة عن الإتيان بكلام يتضمن ذكر حادثة ، وإداحت حروفه على حساب الجمل الأبجدية تخرج بها السنة التى وقعت فيها تلك الحادثة .

واستعمال طريقة التاريخ هذه فى العربية قبل قديم العهد ، من زمن الجاهلية الأولى .

(١) ص ١٩٩ من المجلد الأول — طبعة بيروت سنة ١٨٧٦

(٢) المجلد السادس صفحة ١٩

وأما أول من استعملها في البديعيات ، فهو عبد الفنى النابلسي^(١) ، كما ذكر السيد مصطفى البكري الصديقي في شرح بديعته .

هذا هو موجز من الفكرة في العلاقة بين الحروف والأرقام وإلى عهد قريب كنا نرى على الخطابات هذه العبارة (بدوح ٨٦٤٢) اعتقاداً بأن هناك جناً بهذا الاسم يتصف بالسرعة فإذا كتب هذا الاسم على الخطاب ، تكفل بالإسراع في توصيله ، والأرقام (٨٦٤٢) هي المقابلة للحروف (ب - د - و - ح)

ونذكر الآن حروف (أ ب ج د) وما يقابلها من الأرقام مع ضرب أمثلة للتوضيح :

٢٠٠ = ر	٢٠ ك	١ = ا
٣٠٠ = ش	٣٠ ل	٢ = ب
٤٠٠ = ت	٤٠ م	٣ = ج
٥٠٠ = ث	٥٠ ن	٤ = د
٦٠٠ = خ	٦٠ ص	٥ = هـ
٧٠٠ = ذ	٧٠ ع	٦ = و
٨٠٠ = ض	٨٠ ف	٧ = ز
٩٠٠ = ظ	٩٠ ص	٨ = ح
١٠٠٠ = غ	١٠٠ ق	٩ = ط
		١٠ = ي

١ - عندما حدد السيد عمر مكرم مسجد الحاكم مدحه السيد إسماعيل الخشاب بأبيات جاء في ختامها قوله^(٢) :

إشراق أوضاعه الحسنى يؤرخه (لك البشارة فاردد جد إسماعيل)

١٢٢٣

(١) هو الماروف باقة السيد عبد الفنى النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣

(٢) ص ١١٠

١ = ا	٣ = ج	٨٠ = ف	١ = ا	٣٠ = ل
٦٠ = س	٤ = د	١ = ا	٣٠ = ل	٢٠ = ك
٧٠ = ع	٧	٧ = ز	٢ = ب	٥٠
١ = ا		٤ = د	٣٠٠ = ش	
٤ = د		٤ = د	١ = ا	
١٣٦		٩٦	٢٠٠ = ر	
			٤٠٠ = هـ	
			٩٣٤	

فتكون الجملة ١٢٢٣

٢ - وحاء ختام بديمية السيد على الدرويش هذا البيت :^(١)

أرجو قبولاك نظماً مؤرخة (أهدى على ثناء شافع الأمام)

١٢٤٤

وطريقة حسابه هي :

١ = ا	٣٠٠ = ش	٥٠٠ = ث	٧٠ = ع	١ = ا
٣٠ = ل	١ = ا	٥٠ = ن	٣٠ = ل	٥ = هـ
١ = ا	٨٠ = ف	١ = ا	١٠ = ي	٤ = د
٤٠ = م	٧٠ = ع	٥٥١ = ٠	١١٠	١٠ = ي
٤٠ = م	٤٥١			٢٠
١١٢				

فتكون الجملة = ١٢٤٤

٣ - وسم السيد أبو النصر قمبيذته التي هنا بها السيد المهدي عند ما أسندت إليه مشيخة الأزهر في عام ١٢٨٧ بقوله ^(١) :

بشرى لك بأزهر أرخ (تشريفك في زمن المهدي)

١٢٨٧

١ = ا	٨٠ = ف	٤٠٠ = ع
٣٠ = ل	١٠ = ي	٣٠٠ = غ
٤٠ = م	٧ = ر	٢٠٠ = و
٥ = هـ	٤٠ = م	١٠ = ح
٤ = د	٥٠ = ن	٨٠ = ق
١٠ = ي	١٨٧	٢٠ = ك
٩٠		١٠١٠

ع تكون الجملة ١٢٨٧

٦ - جدول مقابلة التواريخ العربية بالأفريقية

١٧٩٨	تقابل	هجري	١٢١٣
١٨٠٥	»	»	١٣٢٠
١٨٤٩	»	»	١٢٦٦
١٨٥٢	»	»	١٢٧٠
١٨٦٣	»	»	١٢٨٠
١٨٧٩	»	»	١٢٩٦
١٨٨٢	»	»	١٣٠٠
١٩١٩	»	»	١٣٣٨

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الفهارس

أولا — فهرس الموضوعات

- المقدمة ٨ - ١
- التعميد بين الدين والأدب ٤٨ - ٩
- ١ - الدين : تعريف ٩ - ١٤ فكره التدين ١٤ - ١٩ مجازات الإسلام ١٩ - ٢٣ دفاع عن الأديان ٢٣ - ٣١
- ٢ - الأدب : رسالة الادب ٣٢ - ٣٧ الباعث الدينى فى الأدب ٣٧ نشأة الأدب الدينى : عند قدماء المصريين والإفريقى والفرس والبرانيين والمرب ٣٧ - ٤٠ تبويب الشعر وتقسيم الأقدمين والمحدثين ٤٠ - ٤٧ إطار الشعر الدينى ٤٧ - ٤٨

الباب الأول

الفقرة الأولى (١٧٩٨ م - ١٨٨٢ م) ص ٤٩ - ١٦٢

- الفصل الأول تصوير عام : ٨٢ - ٤٩
- ١ - الحالة السياسية العامة بإيجاز ٥٤ - ٤٩
- ٢ - العامل الدينى : ٨٢ - ٥٥
- (أ) حالة الثقافة العامة والمعتقدات الشائعة ٦٠ - ٥٥
- (ب) بدء البعث الإسلامى : دعوة الوهايين وسداها فى مصر ٦٦ - ٦٠
- الجهود الأولى للامامين جمال الدين ومحمد عبده ٧٤ - ٦٦
- (ح) مركز الخلافة العثمانية وعلاقة مصر به — والعامل الدينى ٨٠ - ٧٤
- ٣ - تطبيق عام ٨٢ - ٨٠

٨٣ — ١٤٣	الشعر الدينى والشعراء .	الفصل الثانى
٨٤ — ١٠٩	١ — المدايح النبوية .	
١٠٩ — ١١٦	٢ — مدايح آل البيت والأشراف	
١١٦ — ١٢٢	٣ — التوسل بالأولياء والصالحين	
١٢٢ — ١٢٩	٤ — مدايح الخلفاء وتهاى الخديوين فى المناسبات الدينية	
١٢٩ — ١٣٧	٥ — المناسبات العامة : الزهد والتصوف	
١٣٧ — ١٤٣	٦ — التحريض فى الثورة المرابية	
١٤٤ — ١٦٢	دراسات فنية	الفصل الثالث

(١) الموضوعات من حيث تنوعها وما فيها من عكاكة

١٤٤ — ١٤٩	ومذاهب الشعراء فيها
	(ب) الظواهر الدينية فى ذلك الشعر من حيث العاطفة الدينية
	ومدى الاقتباس من مواد الثقافة الإسلامية والمقائد
١٤٩ — ١٥٦	الشائمة حينذاك
	(ج) الألفاظ والأساليب وتأثيرها بثقافة العصر النحوية
١٥٦ — ١٦٠	والبدعية ومحكاة أساليب العلماء ونظام القصيدة
	(د) منزلة هذا الشعر فى عالم الأدب ومدى إمكان انتفاعنا
١٦١ — ١٦٢	فى عصرنا الحاضر

الباب الثانى

الفترة الثانية (١٨٨٢ م — ١٩١٩ م) ص ١٦٣ — ٣٥٥

١٦٣ — ٢١٢	تصوير عام	الفصل الأول
١٦٣ — ١٦٩	١ — الحالة السياسية العامة بإيجاز	
١٦٩ — ٢١٢	٢ — العامل الدينى	
	(١) محاربة الوعى الإسلامى ١٧١-١٧٨ المروة الوقتى	
	١٧١ — ١٧٤ دانلوب ومناهج الدراسة ١٧٤-١٧٦	
١٧٦ — ١٧٨	صدى الحركة القومية	

- ٢ - مركز الخلافة الميمانية : ١٧٨ - ١٨٣ رأى محمد عبده
ومصطفى كامل ١٧٨ - ١٨٠ محاولات كرومر لقطع
العلاقة الدينية ١٨٠ تجزئة أملاك الخلافة ١٨١ - ١٨٢
١٨٣ - ١٨٢ إلغاء سيادة تركيا
- ٣ - مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية : ١٨٣ - ١٨٦
العروة الوثقى والجامعة الإسلامية ١٨٣ - ١٨٤
المؤتمرات الإسلامية ١٨٤ - ١٨٥ تحريضات كرومر
١٨٦
- ٤ - الغارة على الإسلام : ١٨٦ - ١٩٨ مطاعن المستعمرين :
هانوتز وكرومر ١٨٦ - ١٨٨ مفاخر الصحفيين
السوريين (فرح أنطون ومجلة الجامعة) ١٨٨ - ١٩٤
محاولة التفريق بين المنصرين ١٩٤ - ١٩٥ جمعيات
التبشير
١٩٨ - ١٩٥
- ٥ - الشيخ محمد عبده وصدى دعوته : ١٩٨ - ٢٠٥
٢٠٥ الصحافة الدينية ٢٠٢ - ٢٠٥ الجمعية الشرعية
- ٦ - في ثورة ١٩١٩ : ٢٠٥ - ٢٠٧ تغلب المظهر السياسي
٢٠٦ استغلال المظهر الديني في تهدئة المواطنين الثائرة ٢٠٦ - ٢٠٧
- ٧ - الثقافة العامة والمعتقدات الشائعة :
٢٠٧ - ٢١٠
- ٨ - الحركة بين السفور والحجاب :
٢١٠ - ٢١٢
- الفصل الثاني الشمر الديني والشعراء :
٢١٣ - ٣٥٥
- ١ - المدائح النبوية :
٢١٤ - ٢٣٢
- ٢ - إحياء أمجاد الإسلام :
٢٣٢ - ٢٦٤
- (أ) من صور البطولة في الإسلام
٢٣٣ - ٢٤٦
- (ب) العناية بذكرى الهجرة النبوية :
٢٤٧ - ٢٥٦

- ٢٥٦ - ٢٦٤ (ح) رد هجعت خصوم الاسلام :
- ٢٥٧ - ٢٥٩ هانوتو :
- ٢٥٩ - ٢٦١ كرومر :
- ٢٦١ - ٢٦٢ فرح أطلون :
- ٢٦٢ - ٢٦٤ المشرون :
- ٢٦٥ - ٢٧٣ ٣ - التأليف بين المنصرين
- ٢٧٤ - ٣٠٠ ٤ - (١) الخلافة المنيانية (١٨٨٢ - ١٩١٩)
- ٣٠٠ - ٣٠٨ (ب) صدى حوادث العالم الاسلامى :
- ٣٠٨ - ٣١١ (ح) مدائح الخديوين
- ٣١١ - ٣٥٥ ٥ - المناسبات العامة ذات الصلة بالدين :
- ٣١٢ - ٣٢٠ (١) تهنات ومراتى أعظم الرجال الإسلاميين
- ٣٢٠ - ٣٢٨ (ب) معركة الحجاب والسفور
- ٣٢٩ - ٣٤٠ (ح) مناسبات مختلفة :
- ٣٤٠ - ٣٥٥ ٦ - التصوف والزهد وفصائل الإسلام :
- ٣٥٦ - ٣٨٧ الفصل الثالث دراسات فنية :
- ١ - الموصوعات والأغراض : ظهور أعراض جديدة
- ٣٥٧ - ٣٦٢ والتوسع فى أغراض كانت محدودة
- ٣٦٢ - ٣٧١ ٢ - مدى التحرر من المحاكاة
- ٣ - الطواهر الدينية فى ذلك الشعر : العاطفة الدينية ومدى
- ٣٧١ - ٣٨٣ الانتباس من مواد الثقافة الإسلامية
- ٣٨٣ - ٣٨٧ ٤ - منزلة هذا الشعر ومدى الانتفاع به

الخلاصة

١٨٨ - ٤٠٤

٣٨٨ - ٣٩٣

٣٩٣ - ٣٩٥

٣٩٥ - ٣٩٧

٣٩٧ - ٣٩٨

٣٩٩ - ٤٠٣

٤٠٣

٤٠٤ - ٤٢٧

١ - هذا البحث :

٢ - الجديد في هذا البحث ومميزاته

٣ - مقترحات

٤ - شكر

٥ - التأريخ بالشعر

٦ - جدول مقابلة التواريخ

الفهارس -

ثانيا - الشعراء الذين وردت أسماءهم بهذا الكتاب

مرتبين زمنيا في الموضوعات التي ذكروا فيها

١ - الباب الأول

الشاعر	تاريخ وفاته	الصفحة
١ - المدائح النبوية ٨٤ - ١٠٩		
السيد علي الدرويش	١٢٧٠ هـ	٨٥
السيد محمد الخطيب المالكي - من العلماء	١٢٩٠ هـ	٩٠
إبراهيم بك مرزوق	١٢٨٣ هـ	٩٣
رفاعة الطهطاوى	١٢٩٠ هـ	٩١
السيد علي أبو النصر	١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م	٩٤
محمود صفوت الساعاتى	١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م	٩٧
عبد الله فكرى	١٣٠٧ هـ	٩٨
السيدة عائشة التيمورية	- ١٩٠٤ م	١٠٠
محمود سامى البارردى	- ١٩٠٤ م	١٠١
٢ - مدائح الأئمرة ١٠٩ - ١١٦		
السيد اسماعيل الخشاب	١٢٣٠ هـ	١٠٩
السيد علي الدرويش		١١٠
السيد علي أبو النصر		١١٣
السيد صفوت الساعاتى		١١٣
السيد رفاعة الطهطاوى		١١٥
٣ - التوسل بالأولياء والصالحين ١١٦ - ١٢٢		
١ - عالم لم يذكر الجبرتن اسمه	حوادث المحرم ١٢٣٤	١١٧
٣ - الشيخ عثمان حسين - من العلماء	١٢٠٥ (الجبرتن ج ٢ ص ٢١٢)	١١٩

الشاعر	تاريخ وفاته	الصفحة
٣ - السيد علي الدرويش		١٢٠
٤ - السيد علي أبو النصر		١٢٠
٤ - مدائح الخلفاء ونهائي الخديوين ١٢٢ - ١٢٩		
السيد علي الدرويش		١٢٢ - ١٢٦
السيد علي أبو النصر		١٢٣ - ١٢٧
السيد عبد الله فكري		١٢٤
محمود صفوت الساعاتي		١٢٧
إبراهيم الدسوقي - من العلماء	من موجودا في سنة ١٢٩٧ هـ ١٢٨	
٥ - المناسبات العامة ١٢٩ - ١٣٧		
السيد علي الدرويش (تهنئة من أسلم)		١١٩
السيد علي أبو النصر		١٣٠ - ١٣١
عبد الله فكري		١٣١
الشيخ محمد الأمير (زهد)	١٢٣٢ هـ	١٣٢
الشيخ عليش (منظومة في الزهد)	١٢٩٩ هـ	١٣٢
عائشة التيمورية - مناجاة		١٣٣
البارودي (زهد)		١٣٤
الدرويش (تصوف)		١٣٤
السيد عثمان اليرمعي	١٢٨٤	١٣٧
٦ - التحريض في الثورة العراقية ١٣٨ - ١٤٣		
الشيخ خليل المنير	(في حرب الفرنسيين حوادث سنة ١٢١٣ هـ الجبرتي)	٩٣٨
الشيخ أحمد عبد الغني	(الوقائع العربية ص ١٦٩ في ٨)	
	أفسطس سنة ١٨٨٢ م)	١٣٩

الشاعر	تاريخ وفاته	الصفحة
الشيخ أحمد رشوان	(الوقائع المصرية ص ١٦٦ و ٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ م)	١٤٠
الشيخ محمد النجار	(الوقائع المصرية ص ١١٧٩ في ٢ سبتمبر ١٨٨٢ م)	١٤٠
الشيخ أحمد يوسف البادى	(الوقائع المصرية ص ١٢١٢ في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م)	١٤١
الشيخ حسين المرصفي	(الوقائع المصرية ص ٢١٢ ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م)	١٤٢
الشيخ محمد عبده	قصيدته عقب الثورة	١٤٢

٢ - الباب الثاني

١ - المدايح النبوية ٢١٤ - ٢٣٢

السيد محمد الدشار	(الديوان طبعة ١٣١٠ هـ)	٢١٥
السيد عبد اللطيف الصيرى	(الديوان طبعة ١٩٠٨ هـ)	٢١٦
الشيخ محمد عبد المطلب	١٩٣١ م	٢١٧ - ٢٢١
أحمد شوقي	١٩٣٢ م	٢٢١ - ٢٣٢

٢ - إحياء أعماد الإسلام ٢٢٢ - ٢٦٤

حافظ إبراهيم -- العمري	سنة ١٩٣٢ م --	٢٣٣
مصطفى صادق الرافعى -- عمر	سنة ١٩٣٧ م	٢٣٥
أحمد محرم -- عمر	سنة ١٩٤٤ م	٢٣٥
عبد الحليم المعري -- المكري	سنة ١٩٢١ - القصيدة سنة ١٩١٨	٢٣٦
الشيخ محمد عبد المطلب -- العلوية		٢٣٧ - ٢٣٩
أحمد شوقي - أرحوزة العرب الكبرى		٢٣٩ - ٢٤٤

الشاعر	تاريخ وفاته	الصفحة
مقصورة السيد رشيد رضا (جمال الدين ومحمد عبده)	سنة ١٣٥٣ هـ	٢٤٤ - ٢٤٦
(ب) - العناية بذكرى الهجرة ٢٤٧ - ٢٥٦		
إسماعيل صبرى	(تاريخ القصيدة ١٣٠٤ هـ)	٢٤٧
إبراهيم بك رمري	١٣٠٧ هـ	٢٤٧
حافظ إبراهيم		٢٤٨
عبد الفتى عثمان -	تذكار الاحتفال بالهجرة ١٣٢٦ هـ	٢٤٩
أحمد الكاشف		٢٤٩
عبد الحليم الصرى		٢٥١
أحمد نسيم	١٩٣٨ م	٢٥٣
أحمد شوقي		٢٥٣
أحمد محرم		٢٥٤ - ٢٥٦
(س) - الرد على المطاعن الموجهة للإسلام ٢٥٦ - ٢٦٤		
أحمد محرم -		٢٥٧
محمد عبد الطالب - أبوطالب الإسكندرى	من الردود على هانوتو	٢٥٨
ملك حنفى ناصف ونصر الدين زغلول		٢٥٨ - ٢٥٩
حافظ إبراهيم		٢٥٩
أحمد محرم - أحمد نسيم		٢٥٩ - ٢٦٠
حافظ وشوقي	من الردود على كرومر	٢٦٠
مصطفى صادق الرافعى - أحمد الكاشف		٢٦١
إسماعيل صبرى	من الردود على فرح أنطون	٢٦٢
الشيخ أحمد على المليجى	١٩١١ (فى التبحر - دير من أعمال المشركين)	٢٦٢ - ٢٦٤

الشاعر	تاريخ وفاته	الصفحة

٣ — التأليف بين المتنصرين ٢٦٥ — ٢٧٣

٢١٥		أحمد شوقي
٢٦٦	١٩١١ (تاريخ القصيدة)	إسماعيل صبرى
٢٦٨	١٩١٩ م	محمد عبد الرازق
٢٦٩	١٩١٩ م	حسين السيد
٢٧٠		محمد حبيب
٢٧١	١٩١٩ م	محمد عبد المطلب
٢٧١		أحمد محرم
٢٧٢ — ٢٧٣		أحمد شوقي

٤ — (١) الخلافة العثمانية ٢٧٤ — ٣٠٠

٢٧٥ — ٢٨٥		أحمد شوقي
٢٨٥ — ٢٩١		حافظ إبراهيم
٢٩١		أحمد نسيم
٢٩٣		عبد الحليم المصرى
٢٩٤		مصطفى صادق الرافعى
٢٩٤ — ٢٩٧		محمد عبد المطلب
٢٩٧ — ٣٠٠		أحمد محرم

(ب) مدى حوادث العالم الإسلامى ٣٠٠ — ٣٠٨

٣٠١ — ٣٠٢		محمد عبد المطلب
٣٠٣		حافظ
٣٠٣		شوقي
٣٠٤ — ٣٠٦		حافظ

الصفحة	تاريخ وفاته	الشاعر
٣٠٨ - ٣٠٦		أحمد محرم
٣١١ - ٣٠٨	(ج) مدائح الخديويين	
٣٠٩		أحمد شوقي
٣١١		محمد عبد المطلب
٣١١	(الممدد ٥٩٧٣ من المؤيد) (١٩١٠/١/٢٧)	الشيخ حسين الجمل (من العلماء)
٥ - المناسبات العامة ٣١١ - ٣٢٠		
(١) تهاى ومرأتى العظماء الإسلاميين ٣١١ - ٣١٩		
٣١٢	١٨٨٧ م) م	سليمان العبد (يهني الشيخ المهدي بمشيخة الأهر
٣١٣		حافظ
٣١٤		عبد الرحمن قراعة
٣١٥	من تهاى الإمام محمد عبده ومدائحه	مصطفى صادق الرافعى
٣١٥		أحمد نسيم
٣١٦		حافظ
٣١٦		أحمد نسيم
٣١٧	من مرأتى الإمام	أحمد الكاشف
٣١٧		محمد عبد المطلب
٣١٨		أحمد محرم
٣١٩		أحمد شوقي (من رثاء مصطفى كامل)
٣١٩		حافظ (من رثاء مصطفى كامل)
٣٢٨ - ٣٢٠	(ب) معركة الحجاب والسفور	
٣٢٠		أحمد محرم
(م - ٢٧ الأديب المصرى الحديث)		

الشاعر	تاريخ وفاته	الصفحة
حافظ — الشيخ حسن القاياتي		٣٢٢
أحمد شوقي		٣٢٣
الشيخ عبد المطلب		٣٢٧
(>) مناسبات مختلفة		٣٢٩ — ٣٤٠
محمد عبد المطلب (تهنئة من أسلم)		٣٢٩
حافظ تهنئة المؤيد		٣٣٠
أحمد نسيم (عام الكفء — راجح		٣٣٠
الشيخ علي يوسف)		٣٣٠
أحمد نسيم تهنئة الشيخ عبد العزيز شاويش		٣٣٢
أحمد نسيم وداع عن العلم		٣٣٣
حسن القاياتي (وداع عن الأزهريين)		٣٣٣
أحمد نسيم (وداع عن الأزهريين)		٣٣٤
أحمد نسيم وداع المعنة الأهرية		٣٣٥
أحمد شوقي — وداع محجوب ثبات ١٩١١ م		٣٣٦
إلى الحج ١٩١١ م		
الشيخ محمود القصري يرد على المفتي ١٩١٩ م		٣٣٨
٦ — التصوف والرهف		٣٤٠ — ٣٤٨
المسيد علي القاياتي — حافظ ابراهيم		٣٤١ ^١ — ٣٤٢
(في الرد على دعاة التوسل)		
السيد أحمد خليل — أشعار صوفية —		٣٤٢ — ٣٤٦
إسماعيل صبرى — تصوف —		٣٤٦
أحمد شوقي — تصوف —		٣٤٧
أحمد شوقي —		٣٤٩
أحمد محرم	الدعوة إلى الإسلام وفصائله	٣٥٠
محمود خطاب السمكي		٣٥٢ — ٣٥٥

ثالثا -- المراجع

١ - مراجع التمهيد

رقم	المراجع	المؤلف	الطبعة
١ -	الدين والوحى والعلم	المرحوم مصطفى عبدالرازق	طبعة الحلبي ١٩٤٥
٢ -	إحياء علوم الدين	الإمام العراقي	طبعة الحلبي ١٩٢٦
٣ -	رسائل ابن تيمية حرران	الإمام ابن تيمية	أصدار السيرة الطبعة الأولى
٤ -	تاريخ الأستاذ الإمام	أحرار السيد رشيد رضا	طبعة المار سنة ١٣٤٤
٥ -	« الله »	عماس العقاد	طبعة المعارف سنة ١٩٤٧
٦ -	رواى شوقي ج ١	أحمد شوقي	طبعة الاسمقامة سنة ١٩٥٠
٧ -	العروة الوثقى		طبعة مصر الطبعة الثالثة
٨ -	أصول النقد الأدبى	الأستاذ أحمد الشايب	طبعة الثالثة
٩ -	الأدب المصرى القديم	الأستاذ سليم حسن	طبعة التالاف سنة ١٩٢٥
١٠ -	الأدب والدين عند قدماء المصريين	الأستاذ أنطون دكرى	طبعة مصر سنة ١٩٢٢
١١ -	على هامش التاريخ المصرى	الأستاذ عبد القادر حمزه	الطبعة الأولى (البلاع)
١٢ -	قصة الأدب فى العالم	الأستاذ أحمد أمين	الطبعة الأولى
١٣ -	كتف الأضنام	ابن السكلى	الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤
١٤ -	مدكرات حلف الله	الأستاذ محمد حلف الله	أمايت معهد لدراسات سنة ١٩٥٠
١٥ -	الأساس فى اللغة العربية	(على العمانى والأراشى	الطبعة الأولى ٣٥
١٦ -	الأساس فى اللغة السريانية	(ايون محرر	الطبعة الأولى ٣٥
١٧ -	ديوان الحماسة	أبو عمادة البحرى	طبعة بيروت سنة ١٩٢٠

رقم	المرجع	المؤلف	الطبعة
١٨ -	الفرق الإسلامية	الأستاذ محمود الشبشي	الطبعة الرحمانية ١٩٣٢
١٩ -	على هامش السيرة	الدكتور طه حسين	طبعة ١٩٣٢
٢٠ -	قصة الفلاسفة الحديثة	أحمد أمين وزكي نجيب	لجنة التأليف سنة ١٩٣٦
٢١ -	تاريخ التشريع الإسلامي	الشيخ محمد الخفري	الراية سنة ١٩٣٤
٢٢ -	الدين والعلم	أحمد عزت باشا	طبعة ١٩٥٠
٢٣ -	فلسفة العقوبة	الدكتور مهدي علام	الطبعة السلعية سنة ١٩٣٦
٢٤ -	في الأدب والنقد	الدكتور محمد مندور	الأولى سنة ١٩٤٩
٢٥ -	المسرحية	الأستاذ عمر الدسوقي	الأولى سنة ١٩٥٥
٢٦ -	الدين	الدكتور محمد عبد اللطيف	الأولى سنة ١٩٥٣
٢٧ -	ترجمة الإلياذة	سليمان النستاني	الجلال ١٩٠٤
٢٨ -	الفتوة عند العرب	الأستاذ عمر الدسوقي	البيان العربي الطبعة الأولى
المراجع الأجنبية			
٢٩ -	الإسلام والتجديد في مصر	تشارلس آدمس وترجمة عباس محمود	مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٥
٣٠ -	وحدة الإسلام	المستشرق حب وآخرون	الطبعة الإسلامية سنة ١٩٤٦
٣١ -	علم الاجتماع الديني	نابض يوسف شلخت	طبعة دار سنة ١٩٤٦
٣٢ -	the spirit of Islam	السير أمر على	
٣٣ -	History of the Islamic	« كارل بروكلمان »	طبعة ألمانيا سنة ١٩٣٩
	people - by Carl Brockel-	ترجمة المحلزية	١٩٤٠
	man		

رقم	المرجع	المؤلف	الطبعة
٣٤-	مبادئ علم الاجتماع الديني روجيه باستيد	طبعة التأليف سنة ١٩٥١	
		ترجمة الدكتور محمود قاسم	
٣٥-	الدعوة إلى الإسلام	السير توماس أرنولد ترجمة الدكتور حسن إبراهيم الدوريات	الطبعة الأولى
٣٦-	مجلة الجامعة العراقية	حامية آل البيت بالعراق	العدد الأول سنة ١٩٢٦
٣٧-	مجلة العتق	عبد الدين الخطيب	العدد ٥٤٣ سنة ١٩٣٤
٣٨-	مجلة الشبان المسلمين	الشباب المسلمون	العدد ٢ في ١٥/١٠/٤٩
٣٩-	مجلة الحديث	العدد الرابع	السنة السادسة
٤٠-	مجلة الشباب	العدد الثالث	السنة الأولى
٤١-	مجلة الرسالة	مجلد سنة ١٩٤٠	

٢ - مراجع الباب الأول

رقم	المراجع	المؤلف	الطبعة
٤٢ -	الثورة العربية	عبد الرحمن الراهمي	سنة ١٩٣٠
٤٣ -	تاريخ التعليم في عصر محمد علي	أحمد عزت عبد الكريم	مطبعة الاعتماد
	تاريخ الأستاذ الإمام	سبق رقم (٤)	سنة ١٩٣٩
٤٤ -	الإسلام والمصرية	الشيخ محمد عبده	الطبعة السابعة
٤٥ -	تاريخ الحركة القومية ح ٣	عبد الرحمن الراهمي	طبعة سنة ١٩٣٠
٤٦ -	عصر إسماعيل	عبد الرحمن الراهمي	١٩٣٠
٤٧ -	الدولة العباسية	حسن حليقة	الطبعة الأولى سنة ١٩٣١
٤٨ -	رعماء الإصلاح	أحمد أمين	مطبعة مصر سنة ١٩٤٨
٤٩ -	ديوان الرعي	الطبعة العلمية	١٣١٢
٥٠ -	الإشمار بمحمد الأشعار	السيد علي الدرويش	١٢٨٤
٥١ -	ديوان أنى العصر	السيد علي أبو النصر	طبعة ١٣٠٠
٥٢ -	ديوان محمود صفوت الساعاتي	محمود صفوت الساعاتي	طبعة المعارف سنة ١٩١١
٥٣ -	ديوان حلية الطرار	السيدة عائشة التيمورية	١٨٨٤ - ١٣٠٢
٥٤ -	رعاة الطهطاوى	أحمد بدوى	لحفة التأليف سنة ١٩٥٠
٥٥ -	ديوان البارودى	محمود سامى البارودى	ح ١ الطبعة الأولى مطبعة الحريدة
٥٦ -	كشف الغمة في مدح سيد الأئمة	محمود سامى البارودى	مطبعة الحريدة ١٣٢٧
٥٧ -	كتاب التاريخ	الأستاذ كامل حرجس	سنة ١٩٣٣
٥٨ -	في أدب العاطمين	الدكتور محمد كامل حسين	دار الفكر العربي سنة ١٩٥٠

الطبعة	المؤلف	المرجع	رقم
سنة ١٩٣٢	الشيخ محمد فخر الدين	تاريخ الفتح الإسلامى	٥٩ —
المكتبة المحمودية	الموصيرى	ردة المديح	٦٠ —
دار الفكر العربى سنة ١٩٥١	الاستاد عمر الدسوقي	فى الأدب الحديث حرماء	٦١ —
أنصار السنة سنة ١٩٥٠	ابن تيمية	اقتضاء الصراط المستقيم	٦٢ —
الطبعة الشريفة ١٣٢٢	عبد الرحمن الجبرى	تاريخ الجبرى أربعة أجزاء	٦٣ —
مطبعة الاعمال سنة ١٩٤٦	الدكتور أحمد الطويل	تاريخ التصوف فى مصر	٦٤ —
المراجع الأحدثية			
الطبعة الأولى سنة ١٩٢١	لوثرود استودارد ترجمة	حاصر العالم الإسلامى	٦٥ —
عجاج بوبص	سنى روم ١٩	الإسلام والتجديد	٦٦ —
المخطوطات			
١٢٠ أدب دار الكتب	إبراهيم بك مرروق	ديوان الدر السوق	٦٧ —
٥٣٩ أدب	السيد امماعيل الخشاب	ديوان الخشاب	٦٨ —
دار الكتب	(النسخة المخطوطة)		
٥٠٤٤ أدب دار الكتب	محمد الخطيب المالكى	تحميس القصيدة المويجمية	٦٩ —
٥٠٤٤ أدب دار الكتب مجموعة	الشيخ عليش	مظلومة الشيخ عليش	٧٠ —
١٢٨ أدب دار الكتب	نقى الدين بن حجة —	بدعية ابن حجة	٧١ —
السحة المخطوطة			
الدوريات			
١٨٨٢ سنة	الأعداد من يولية إلى ٢٠ ستمبر	الوقائع المصرية	٧٢ —
١٨٨٢ ستمبر	أحمد فارس الشدياق الممدد ١١٠٠	جريدة الجوائد	٧٣ —
مجلة الشبان المسلمين			
٧٤ —			

٣ - مراجع الباب الثاني

رقم	المراجع	المؤلف	الطبعة
٧٥ -	نورة ١٩١٩	عبد الرحمن الراجحي	
٧٦ -	مستقبل الثقافة في مصر	الدكتور طه حسين	الأولى سنة ١٩٣٧
٧٧ -	تاريخ التعليم	أمين سامي باشا	الأولى سنة ١٩١٧
٧٨ -	مصطفى كامل	عبد الرحمن الراجحي	طبعة سنة ١٩٣٠
٧٩ -	محمد فريد	عبد الرحمن الراجحي	سنة ١٩٣٠
٨٠ -	الإسلام والحضارة	كرد علي ح ٢	دار الكتبة ١٩٣٦
٨١ -	وطنية شوقي	الدكتور أحمد الحوي	نهضة مصر ١٩٥٥
٨٢ -	أم القرى	السيد عبدالرحمن السكواكي	الطبعة الأولى السكواكي
٨٣ -	ديوان إسماعيل صري	إسماعيل صري	الأولى
٨٤ -	ديوان محمد عبد الرزاق	الأديب محمد عبد الرزاق	طبعة - ١٩٢٠
٨٥ -	ديوان الدشار ح ١	السيد محمد الدشار	المطبعة العثمانية ١٢١٠
٨٦ -	ديوان الصبري	السيد عبد اللطيف الصبري	الطبعة الأولى سنة ١٩٠٨
٨٧ -	ديوان محمد عبد المطلب	الشيخ محمد عبد المطلب	الطبعة الأولى مطبعة الاعتماد
٨٨ -	ديوان الراجحي ح ١	مصطفى صادق الراجحي	الطبعة العثمانية سنة ١٣٢١
٨٩ -	ديوان محرم	أحمد محرم ح ١ و ح ٢	الطبعة الأولى ١٩٠٨ و ١٩٢٠
٩٠ -	ديوان الكاشف	الأديب أحمد الكاشف	الطبعة الأولى ١٩١٣
٩١ -	ديوان المصري	عبد الحليم المصري	توفي سنة ١٩٢١
٩٢ -	ديوان نسيم	أحمد نسيم ح ١ و ح ٢	الطبعة الأولى ١٩٠٨ و ٩١٠
٩٣ -	ديوان القاياني	الشيخ حسن القاياني	الأولى سنة ١٩١٠

رقم	المراجع	المؤلف	الطبعة
٩٤ —	ديوان وطنيتي	السيد علي الناياني	الثالثة سنة ١٩٤٧
٩٥ —	قصيدة الملبجي	السيد أحمد علي الملبجي	الأولى ١٩١١
٩٦ —	رباعيات الخيام	ترجمة أحمد رامي	طبعة ٩٥٠
٩٧ —	مجموعة قصائد السبكي	الشيخ محمود خطاب السبكي	الثانية سنة ١٣٤١
٩٨ —	تراجم مصرية وغربية	حسين هيكل	روز اليوسف ١٩٥٤
٩٩ —	الدين والأخلاق في شعر شوقي	الأستاذ علي النجدي	ناصف الطبعة الرحمانية ١٩٤٨
١٠٠ —	حافظ وشوقي	حسن كامل الصبري	المقتطف ١٩٤٨
١٠١ —	الشعراء الثلاثة — شوقي حافظ مطران		المكتبة التجارية سنة ١٩٢٢
١٠٢ —	رشيد رضا أو إخوان أربعين الأمير شكيب أرسلان	مطبعة ريدون بدمشق	عاماً ١٩٣٧
١٠٣ —	تذكار الاحتفال بالهجرة	(عماسبة أول احتفال رسمي)	مطبعة أم عباس ١٣٢٦
١٠٤ —	المسألة الشرقية	حسن لبيب	الطبعة الأولى ١٩٢١
١٠٥ —	تحرير المرأة	قاسم أمين	الطبعة الأولى
١٠٦ —	كرمة ابن هاني	أحمد شوقي	الطبعة الرحمانية ١٩٢٣
١٠٧ —	أرجوزة العرب السكرى	أحمد شوقي	مطبعة مصر ١٩٣٣
١٠٨ —	الشوقيات — أربعة أجزاء	أحمد شوقي	مطبعة الاستقامة ٩٥٠
		٢ >	مطبعة مصر ٩٢٩
		٣ >	مطبعة الاستقامة ٩٥٠
		٤ >	مطبعة الاستقامة
١٠٩ —	محمد عبده	أحمد الشايب	الأولى
١١٠ —	مصر والسودان	عمد الرحمن الرافعي	الأولى ١٩٤٢
١١١ —	الدولة العربية المتحدة	أمين سعيد	الأولى الحلبي
	في الأدب الحديث	الأستاذ عمر الدسوقي	سبق

رقم	المؤلف	الطبعة
١١٢ -	نارخ الأستاذ الإمام دعاء الإصلاح الطريق	رسيد رضا أحمد أمين الدكتور أحمد يحيى الدردري الأولى سنة ١٩٥٢ المراجع الأحنفية
١١٣ -	نارخ مصر قبل الاحتلال وبعده	ترجمة أحمد شكرى تأليف السير تيودور روستين
١١٤ -	حاصر العالم الإسلامى الإسلام والتحديد القارة على العالم الإسلامى	لوتروب استودارد نشارلس آدمس ١ - ل شاتليه الفرنسى ترجمة مح الدين الخطيب ومساعد الياق المخطوطات
١١٥ -	مدكرات إبراهيم نعيم عن أحمد محرم	سنة ١٩٤٩
١١٦ -	مدكرات السيد أحمد خليل بخط ابنه فؤاد السيد خليل سنة ١٩٥٤	الدوريات
١١٧ -	مجلة أبولو	مجلد سنة ١٩٣٢
١١٨ -	العروة الوثقى	
١١٩ -	ملحق الوقائع	العدد ١/٢٠ / ١٩٠٩ و ١٠٥٥ و ١٠٨٦ و ١٨٩٨
١٢٠ -	مجلات المنار ١ و ٧ و ٢٥ و ٣٢	
١٢١ -	مجلة الجامعة	فرح أطون ١٨٩٩ - ١٩٠٩
١٢٢ -	مقالات قصر الدوبارة	مجموعة من المؤيد ١٩٠٧ المطبعة السلفية ١٩٠٧

رقم	المراجع	الوفا	الطبعة
١٢٣ -	المؤيد ٥١٤٨ سنة ٩٠٧ و ٥٩٧٣ سنة ١٩١٠		
١٢٤ -	حريدة الآداب	على يوسف	الأول ٢٣ و ٨٨٧ و ٨٢١١
			في يولية سنة ٨٩
١٢٥ -	حريدة النمراب		٢٢ ٢١
١٢٦ -	حريدة عكاظ الأعداد من يولية سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٢٦		
١٢٧ -	الأفكار . - ١٧٩٢ و ٢٨٠٧ سنة ١٩١٩ و ٢٨١١ سنة ١٩١٩		
١٢٨ -	جريدة الأفكار الحديدة العدد ١٩ في أغسطس سنة ١٩١٩		

٤ - المراجع العامة

١٢٩ -	طوائف الاستمداد	عبد الرحمن السكاوي	الطبعة الأولى مطبعة الدستور
١٣٠ -	الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية	الأستاذ محمود حب الله	مطبعة الحامى سنة ١٩٤٨
١٣١ -	المستقبل الاسلام	نوفيق الكرى	الطبعة الثالثة الحامى
١٣٢ -	الاسلام على معتق الطرق	ليوبولد فاس	ترجمة عمر فروح الطبعة الثانية بيروت ٤٨
١٣٣ -	نوره الأدب	الدكتور هيكل	
١٣٤ -	الاسلام الصحيح	إسماعيل الشاشي	
١٣٥ -	الاسلام والإصلاح	ريتشارد وود	مطبعة المؤيد سنة ١٩١٢
١٣٦ -	تاريخ التمدن الإسلامى	جورج ريدان	
١٣٧ -	روح الثورات	ترجمة خالد رعت	عوستاف لومون
١٣٨ -	الخلافة	توماس أرنولد	الطبعة الأولى للترجمة ٩٣٤
١٣٩ -	نحت شمس العسكر	محمد نوفيق الحسكيم	الطبعة الثالثة
١٤٠ -	فوائد المقدم الأدبى	آر كرومى	ترجمة محمد عوض لحمة الترجمة ١٩٤٤

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣	٢١	ترعة	ترعة	٢١٠	٩	والأحاديث	وأحاديث
١٤	١٣	العلم	العلم	٢١٩	١١	الحندور	الدروع
١٦	١٠	النويه	البوية	٢٢٠	هامش ١٣٦		١٥١
٢٢	١٣	دك	ذلك	٢٤١	١٤	أحبالا	إجبالا
٢٩	١٠	كواست	كواست	٢٥٨	١٤	هنتو	هونو
٣١	٣	موصع	موصوع	٢٧١	٥	القاربخ	التاريخ
٣٧	٤	الطوية	الطوية	٢٧٣	٧	يشرتها	بشرتها
٣٩	٢٤	للكان	للكان	٢٧٧	١٣	١٩٦٤	١٩١٤
٤٤	٥	أعصى	أعصى	٢٨٧	١	من ذلك	من ذلك
٤٤	١٣	تفكير	تفكير	٢٩٨	١١	حياة	حياة
٤٤	١٤	منحلقة	متملقة	٣٠٠	١٠	نشاء	إنشاء
٥٥	١١	لم هناك	لم يكن	٣٠٥	١٧	١٧٢٨	١٨٢٨
٦٤	١	صفوبا	صفوفا	٣١٢	١٢	١٠١٩	١٩١٩
٦٧	٢٢	إنعاما	وإنعاما	٣١٦	١٠	وحة	رجة
٨٥	١٢	ممدد	ممدود	٣٣٧	٧	مشيت	مشيت
٩٥	٣	ثلاث	ثلاثة	٣٣٧	١٠	حلاله	حلاله
٩٦	٦	سيره	قيره	٣٥٠	هامش	إرا	إراهم
١١١	١١	عمه	عمه	٣٥٤	٤	ومطلمها	ومطلمها
١١٧	هامش	امعاء	اقتضاء	٣٥٩	١	كال	كان
١١٩	١٩	ويما	ويها	٣٩٣	١١	العين	الدين
١٥٢	٩	يتدلونها	يتداولها				
١٥٢	٢٢	بالسار	وبالسار				
١٨٨	١	في رأينا	رأينا في				
٢٠٤	السطر الثاني وصفه		مد الرابع				
٢٠٤	٦	عين	عين ما				

للمؤلف تحت الطبع ؟

- ١ - أساليب التهكم في القرآن الكريم .
- ٢ - القومية العربية في مقصورة اس دُرَيْد .
- ٣ - يدوع الأئين في الشعر العربي .
- ٤ - بحث يتضمن رأيا جديداً في تبويب الأدب .

مطبعة الرسالة

٣- شارع حموده المفاول عابدين

تليفون : ٢٩٩٥٧

